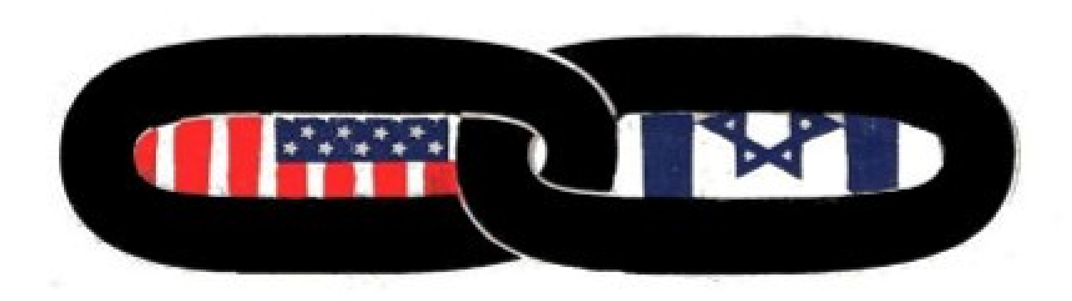


المؤلف : سيمور هيرش
ترجمة : حسن صبري



دار الهلال

مقـــدمة

يكشف كتـاب « الخيـار شمشون » واحدا من أكثر أسرار العالم التى ظلت محاطة بالغموض . وهـو سر الترسـانة الذرية الإسرائيلية . ويروى للمـرة الأولى الأصداء السياسية والدبلوماسية والعسكرية التى ظلت لعشرات السنوات خافية عن العالم .

كما أن هذا الكتاب يتحدث عن قدرة أمريكا فى عدم رؤية ما لا تريد أن تراه . فجميع الرؤسـاء الأمريكيين منذ « جون كنيـدى » أغمضوا أعينهم تجـاه قدرة إسرائيل النووية المتزايدة ، فى الوقت الذى اهتموا فيه بهدف منع الانتشار النووى .

وفى « الخيـار شمشون » يكشف « سيمور هيرش » - الفـائز بجـائزة بوليتزر الـذى كتب أول تقـرير عن مذبحة مى لاى فى فيتنام الجنوبية - النقاب عن واحدة من العمليات السرية الكلاسيكية فى عصرنا وهى المنشأة النووية الإسرائيلية الموجودة تحت الأرض فى صحراء النقب حيث بدأ فنيوها وعلماؤها فى تصنيع الرءوس الحربية فى أواخر الستينات . كما يصف الخلاف الضارى الداخلى المرير داخل الحـكومة الإسرائيلية حول القنبلة وتكاليفها الباهظة ، ويتحدث عن كيفية جمع المال فى الخارج من أجل البرنامج النووى ، وكيفية الحصول على التكنولوجيا الأولى بمسـاعدة فرنسـا ، ويوضح كيف وأين هددت إسرائيل باستخدام قوتها النووية .

ويكشف « الخيار شمشون » العديد من الأحـداث المثيرة التى لعبت دورا سريا ومؤثرا فى تاريخ عصرنا منذ أوائل الستينات وحتى حرب الخليج .

فكيف لم تكتف إسرائيـل فى أواخـر السـبعينات بسرقة معـلومات الاستطلاع من أكثر أقمارنا الصناعية سرية وهو « كى إتش - ١١ » ولكنها استخدمت المعلومات للمساهمة فى التجسس على الاتحاد السوفييتى .

ثم كيف كان « جوناثان بولارد » الجاسوس الأمريكى الذى يقضى الآن حكمـا بالسـجن مدى الحيـاة ، شـخصية مهمـة فى البرنامج النـووى الإسرائيلى ، « وكيف نقلت بعض معلومات بولارد إلى الاتحاد السوفييتى ، عن طريق اسحق شامير رئيس الوزراء الإسرائيلى » .

وكيف أنشأت إسرائيل غرفة تحكم مزيفة فى مفاعل « ديمونة » النووى لإعطاء المفتشين الأمريكيين انطباعا كاذبا على أن المنشأة مخصصة فقط للأبحاث .

وكيف بذلت إدارة « ايزنهاور » محاولة أخيرة مكثفة فى ديسمبر عام ١٩٦٠ لإجبار إسرائيل على الاعتراف بطموحاتها النووية وفشلت فى ذلك .

وكيف هددت إسرائيل « هنرى كيسنجر » و « ريتشارد نيكسون » باستخدام الأسلحة النووية فى اليوم الثالث من حرب ٦ أكتوبر عام ١٩٧٣ ونجحت فى إبتزاز البيت الأبيض لينقل جوا الإمدادات التى كانت فى حاجة ماسة إليها . وكيف تعاونت جنوب إفريقيا مع إسرائيل على القيام « بالوميض » الغامض عام ١٩٧٩ فى جنوب الأطلنطى والذى كان فى الواقع اختبارا لقذيفة نووية مشتركة بين إسرائيل وجنوب إفريقيا .

وكيف استغلت إسرائيل رئيس تحرير صحيفة لندنية كبيرة فى المساهمة فى اختطاف موردخاى ڤانونو خبيرها النووى الخائن .

وأيضا كيف جمع يهودى أمريكى ديمقراطى بارز المال من أجل القنبلة الإسرائيلية وتمكن من التدخل مرارا فى البيت الأبيض .

وأخيرا كيف تمكن مجتمع المخابرات الأمريكى من معرفة ما تقوم به إسرائيل فى « ديمونة » ، رغم أنه كان مفهوما أن تقديم مثل هذه المعلومات للبيت الأبيض لن يعزز الحياة العملية لأى شخص .

وفى النهاية فإن « الخيار شمشون » يروى كيفية تأثر القنبلة بالعلاقات الدبلوماسية بين إسرائيل وأمريكا أكثر مما فهمت أو رأت الصحافة أو الرأى العام . ويوضح أنه من الأصل ، ولدت إسرائيل كقوة نووية . ومنذ إنشائها كان بعض قادتها - ومن بينهم « ديفيد بن جوريون » و « أرنست ديفيد بيرجمان » العالم غير المشهور الذى يعد الأب الروحى للقنبلة الإسرائيلية - مصممين على ألا يتمكن أى عدو مستقبلى من تعريضها لإبادة جماعية . وكما حطم « شمشون » المعبد وقتل نفسه مع أعدائه فإن إسرائيل ستفعل نفس الشئ بمن يسعى لتدميرها .

ورسالة « الخيار شمشون » صارمة : فالحرب التالية فى الشرق الأوسط قد تكون إلى حد كبير نووية .

١

اتفـــــاق ســـرى

كان أهم سر عسكرى أمريكى فى عام ١٩٧٩ يدور فى الفضاء ويقوم بدورة كاملة حـول الأرض كل ٩٦ دقيقة بدون جهـد ، ويلتقط صور استطلاع لا تقدر بثمن عن كل شىء يوجد على بعد مئات الأميال . وبدا القمر الصناعى الـذى عرف باسم « كى إتش - ١١ » قفـزة مثيـرة الدهشة فى مجال التكنولوجيا . فقد كان من الممكن نقل صوره رقميا الى محطات أرضية حيث يتم التقاطها - « فى الوقت الصحيح » من أجل إخضاعها للتحليل الفورى من جانب مجتمع المخابرات ، فلن تقع مرة أخرى حـوادث على غـرار بيرل هاربور .

وقد أطلق أول قمر صناعى من طراز « كى إتش - ١١ » فى ١٩ ديسمبر ١٩٧٦ بعد فوز جيمى كارتر على الرئيس جيرالد فورد فى انتخابات نوفمبر . واتبعت ادارة كارتر ما كانت تفعله ادارة فورد ، من فرض قيود صارمة ، على الصور المهمة للغاية ، الى حد ان بريطانيا العظمى - أقرب حلفاء أمريكا فى عالم المخابرات - كانت تطلع على الصور الفوتوغرافية على أساس كل حالة على حدة .

ووجهت ضربة عنيفة لنظام الأمن المكثف فى مارس ١٩٧٩ حين قرر كارتر إمداد اسرائيل بصور « كى إتش - ١١ » ومنح الاتفاق اسرائيل حق الاطلاع على أية معلومات للقمر الصناعى تتعلق بتحركات القوات أو أى أنشطة محتمل أن تمثل تهديدا بعمق يصل لمائة ميل داخل حدود دول لبنان وسوريا ومصر والأردن المجاورة . وأصبح فى وسع الاسرائيليين أن يحصلوا على شىء

حقيقى ، هو صور خام ومثيرة للاعجاب التقطها « كى إتش - ١١ » بعضها ثلاثى الأبعاد . وليس صورا معتمة وضبابية عن عمد كتلك التى كانت تصورها أجهزة المخابرات الأمريكية بشكل ثابت لأفراد الجهاز البيروقراطى والحلفاء فى الخارج فى محاولة لحجب التصميم الرائع لأعين « كى إتش - ١١ » .

وبدا هذا انتصاراً ذا دلالة للحكومة الاسرائيلية ، التى سعت للحصول على معلومات « كى إتش - ١١ » ، منذ لحظة اطلاقه قبل ثلاث سنوات . وثارت شكوك بعض مسئولى المخابرات الأمريكية فى أن يكون قرار جيمى كارتر بامدادها بالصور ذات التكنولوجيا المتقدمة مكافأة لقمة كامب ديفيد الناجحة التى عقدها الرئيس المصرى أنور السادات مع مناحم بيجين ، فهم هؤلاء المسئولون ما لم يفهمه الكثيرون فى البيت الأبيض ، وهو أن إعطاء بُعد اسرائيلى للنظام هو التزام رئيسى - والتزام سيتدخل فى قدرة « كى إتش - ١١ » ، على جمع المعلومات التى يريدها القائمون على ادارته ، فقد كان « كى إتش - ١١ » أهم تقدم فى عهده ، وكما يقول مسئول سابق ، فى وكالة الأمن القومى ، فان الوحدة المسئولة عن كل مخابرات الاتصالات وكل وكالات المخابرات المدنية والعسكرية فى الحكومة ، بدت فى حاجة ملحة له .

ويتركز هدف القائمين على « كى إتش - ١١ » فى التخطيط الدقيق و « تحديد أولويات » برنامج القمر الصناعى لوضعه فى المكان الصحيح فى الوقت الصحيح ، وتجنب أية محاولات معوقة فى مسار طيرانه ، أو أية مناورة مفاجئة ، يمكن أن تحرق المزيد من الوقود ، ومن خلال الادارة الجيدة يصبح القمر الصناعى الذى تكلف ملايين من الدولارات - بامداده بقدر محدود من الوقود - قادرا على البقاء لفترة أطول فى مداره وتوفير المزيد من المعلومات ويصبح أكثر توفيرا فى النفقات ، وأعاق قرار كارتر بمنح اسرائيل حق الاطلاع على معلومات « كى إتش - ١١ » تماما التنظيم الدقيق لاستخدام القمر الصناعى فى المستقبل ، كما يعنى أن بعض وكالات المخابرات الأمريكية ستصبح فرصتها أقل فى الاطلاع على معلومات القمر الصناعى . وقال المسئول السابق فى وكالة الأمن القومى : « لقد كان قراراً لا يتمتع بأى شعبية لأسباب عديدة للغاية » .

ولم تصدر أى احتجاجات رسمية داخل الادارة مع هذا ، فأولئك الذين أحبطوا بسبب اتفاق « كى إتش - ١١ » فطنوا الى أن أى اضطراب أو حتى تخمينات أخرى ستعرض للخطر قدرتهم على الاطلاع على المعلومات وبالتالى وضعهم كأعضاء فى دائرة المطلعين على الأمور .

ولم يكن مثيرا للاستغراب أن يعتبر الاسرائيليون اتفـاق « كى إتش - ١١ » كإعادة تأكيد للاحترام والتأييد من جانب ادارة كارتر الذى كان مدير المخابرات المركزية ، الأدميرال المتقاعد « ستانفيلد تيرنر » ، قد قطع فجأة العلاقات فى مجال المخابرات مع اسرائيل والدول الصديقة الأخرى فى اطار عملية اعادة تنظيم وكالة المخابرات المركزية . ووجد الاسرائيليون ، المعتادون على معاملة أكثر حرارة من جانب الرئيسين ريتشارد نيكسون وجيرالد فورد ، ان الرجال الذين يديرون ادارة كارتر سذج ومعادون للسامية ، كرجال المحتمل أنهم لا يفهمون تماما الى أى مدى ارتبطت المخابرات الاسرائيلية « الموساد » بوكالة المخـابرات المركزية خلال الحرب الباردة . ولم يكن اتفـاق ١٩٧٩ بشأن « كى إتش - ١١ » سوى الاتفاق الثامن والعشرين فى سلسلة من مشروعات التعاون الرسمية الاسرائيلية - الأمريكية فى المعلومات الاستراتيجية منذ الخمسينيات .

ولم يعلن رسميا مطلقا أى شىء عن هذه الترتيبات التى مول الكثير منها بصورة سرية ، من خلال اعتماد خاص يشرف عليه شخصيا مدير المخابرات المركزية ، فعلى سبيل المثال فى الستينيات أطلق الاسم الكودى «جبل كى كى» على واحدة من أكثر عمليات الوكالة حساسية ووفرت ملايين الدولارات لم يعلن عنها كأقساط سنوية حصلت عليها الموساد كأموال سائلة (كى كى هى العلامة المميزة الداخلية فى وكالة المخابرات الأمريكية للرسائل والوثائق الخاصة باسرائيل) . وفى المقابل أمرت الموساد عملاءها بالعمل بشكل جوهرى كعملاء أمريكيين بالوكالة فى شمال افريقيا ودول مثل كينيا وتنزانيا والكونغو . ودارت بعض الاتفاقات الأخرى مع الموساد حول أكثر أنشطة اسرائيل حساسية فى الشرق الأوسط حيث استخدمت الدولارات الأمريكية فى تمويل عمليات فى سوريا وداخل الاتحاد السوفييتى حيث وجد رجال ونساء الـ « سى آى إيه »

صعوبة فى التجسس . وعلى ما يبدو واضحا أن بعض الأنشطة السوفييتية مولت بأموال منتظمة من الوكالة . وبذلك مرت عبر لجان المراقبة فى الكونجرس الخاصة بمتابعة الـ « سى آى إيه » ، الا أن الاندماج المعقد للتمويل الأمريكى والعمليات الاسرائيلية يظل واحدا من أعظم أسرار الحرب الباردة .

ورد الاسرائيليون على قطع تيرنر للعلاقات عام ١٩٧٧ ، وبالتحديد رفضه دفع تكاليف العمليات المستمرة فى افريقيا ومناطق أخرى ، بخفض كم المعلومات التى ينقلونها الى واشنطن بصورة حادة . فمن وجهة النظر الاسرائيلية ، أصبح الاتفاق الخاص بـ « كى إتش - ١١ » فى مارس ١٩٧٩ حتميا ليس نتيجة نجاح « كامب ديفيد » ولكن بسبب فشل الـ « سى آى إيه » فى توقع الضغط السوفييتى المتزايد على أفغانستان فى عام ١٩٧٨ والانتفاضات المستمرة فى ايران . فقد كانت توجد جاليات يهودية ضخمة فى البلدين ، فالكثير من أصحاب المتاجر فى كابول عاصمة أفغانستان كانوا من اليهود ، وكانت معلومات الموساد أفضل كثيرا من معلومات الـ « سى آى إيه » وأكثر ما أثار سخط الرئيس وكبار معاونيه تقارير الـ « سى آى إيه » المحرجة غير البارعة حول ايران حيث أطيح بالشاه محمد رضا بهلوى حليف الولايات المتحدة لفترة طويلة فى فبراير ١٩٧٩ فى ثورة شعبية - رغم سلسلة من تنبؤات الـ « سى آى إيه » المتفائلة طوال عام كامل بأنه سينجح فى البقاء فى السلطة . ورفضت الـ « سى آى إيه » وجهة النظر الاسرائيلية التى قدمها يورى لبرانى السفير الاسرائيلى السابق فى ايران فى تقرير محدد الملامح فى عام ١٩٧٨ . وخذلت الـ « سى آى إيه » الرئيس وأجبرت القيادة الأمريكية على الاعتماد مرة أخرى على اسرائيل للمساهمة فى محاولة التنبؤ بالأحداث العالمية . ولم يكن بمحض المصادفة أن يضم لوبرانى للوفد الاسرائيلى الذى تفاوض حول اتفاقية « كى إتش - ١١ » فى مارس ١٩٧٩ فى واشنطن .

ويعرف اتفاق « كى إتش - ١١ » الذى أمد اسرائيل بالمعلومات الخاصة بأى نشاط عسكرى داخل حدود جيرانها الأربعة ، بأشعة « المعلومات والانذار » ويحمل أقوى علامات السرية فى مجتمع المخابرات الأمريكى . ففور الحصول على الصور الفوتوغرافية يتسلمها الملحق العسكرى الاسرائيلى فى مكتب

خاص فى البنتاجون تشرف عليه وكالة مخابرات الدفاع وهى وكالة المخابرات العسكرية المشتركة . وكان هناك تحذير واحد ذو دلالة فى كل هذا : فلم يكن يسمح باعطاء الاسرائيليين معلومات تساعدهم فى وضع خطط ضربات وقائية ضد جيرانها .

ويستعيد مسئول كبير فى المخابرات الأمريكية الأمر بقوله : « لقد وضعت القواعد واستهدف النظام إمداد الاسرائيليين بكل شىء يمكنهم استخدامه فى اطار منطقة هجوم تمتد لمسافة مائة ميل . واذا كان الأمر داخل مصر أو سوريا فانهم يحصلون على كل شىء بالكامل واذا كان داخل العراق أو باكستان أو ليبيا لا يحصلون عليها » .

وأضاف المسئول مع هذا أنهم توقعوا منذ البداية أن يفعل الاسرائيليون أى شىء ممكن للالتفاف حول قيود الاتفاق . وتمثلت أول الحجج الاسرائيلية الفورية فى ضرورة عدم انطباق القيود على الاتحاد السوفييتى العدو المشترك للولايات المتحدة واسرائيل . وفى الأشهر التالية ، سيظهر ضغط اسرائيلى مستمر من أجل الحصول على معلومات القمر الصناعى الخاصة بخطوط الامداد السوفييتية فى سوريا والتورط السوفييتى فى تدريب فرق القتال العراقية فى غرب العراق . ورفضت ادارة كارتر تماما هذه الطلبات .

ومع ذلك أصبحت اسرائيل مرة أخرى حليفا ضروريا وحتى اذا لم يكن بوسعها الحصول على معلومات غير مقيدة لصور « كى إتش – ١١ » فان اتفاق ١٩٧٩ تضمن لغة تسمح لاسرائيل بالتقدم بطلبات محددة للحصول على معلومات القمر الصناعى . ويمكن التعامل مع كل طلب كحالة منفردة .

وبدت الاتفاقية أكثر مما يمكن أن يتحمله مسئولو المخابرات البريطانية ، وذلك كما يقول الأمريكيون الذين شاركوا فى الأمر ، والذين وصفوا امداد اسرائيل بفرصة الحصول على معلومات – ليس فى وسع الحلفاء فى الحرب العالمية الثانية وبقية أعضاء حلف شـمال الأطلنطى الحصول عليها – بأنهـا « أمر غير منطقى ويثير أقصى درجات الغضب » .

وامتلكت اسرائيل – كما ثارت شكوك البريطانيين – جدول أعمال سريا طوال مناوراتها الدائمة من أجل الحصول على معلومات « كى إتش إيه » ولكن

جدول الأعمال هذا لم يصبح معروفا إلا لعدد محدود من صناع السياسة فى ادارة ريجان فى خريف ١٩٨١ . وبدأ الكشف عنه بغارة جوية تمت ضد العراق .

ففى بعد ظهر أحد أيام الأحد فى أوائل يونيه ١٩٨١ كان ريتشارد ألان مستشار الأمن القومى للرئيس ريجان يحتسى الشاى المثلج فى منزله فى احدى ضواحى فرجينيا ويتابع كماً هائلاً من البرقيات التى وردت خلال الأسبوع ولم يقرأها بعد ، وكثير منها سرى للغاية .

واتصل به أحد المعاونين فى غرفة متابعة الموقف فى البيت الأبيض التى تعمل طوال الأربع والعشرين ساعة ليبلغه بأن الاسرائيليين أبلغوا واشنطن بأنهم نجحوا فى قصف المفاعل النووى العراقى فى أزيراك على بعد ١٢ ميلا جنوب شرق بغداد . واتصل ألان على الفور بريجان الذى كان يمضى عطلة نهاية الأسبوع فى المنتجع الرئاسى فى كامب ديفيد فى جبال كاتوكتين القريبة من ماريلاند .

وأبلغ بأن الرئيس استقل لتوه طائرته الهليكوبتر عائدا الى البيت الأبيض . وأمر آلان متحدثه بتوصيله به ، فرغم كل شىء ، كانت تلك أول أزمة تواجهها الادارة الجديدة فى الشرق الأوسط . وتلقى الرئيس المكالمة التليفونية وسط الضوضاء الناجمة عن مراوح الهليكوبتر ودار الحوار التالى :

– « سيدى الرئيس .. لقد قصف الاسرائيليون تواً المفاعل النووى فى العراق بواسطة طائرات « إف ١٦ » . وكانت اسرائيل قد حصلت على أمر بالبدء فى شراء ٧٥ طائرة من طراز « إف ١٦ » لأسباب دفاعية فقط وذلك فى عام ١٩٧٥ مستخدمة قروضا أمريكية طويلة الأجل ذات فائدة منخفضة » .

– « ماذا تعلم عن ذلك » ؟

– « لا شىء يا سيدى .. فأنا فى انتظار التقرير » .

– « لماذا تعتقد إنهم قاموا بذلك » ؟

وترك الرئيس سؤاله معلقا للحظات ثم أضاف كما يقول ألان :

– « حسنا .. الشباب سيظلون كما هم » .

وفى اليوم التالى وفق رواية آلان ، عقد اجتماع للقيادة العليا لريجان اقترح خلاله وزير الدفاع كاسبر واينبرجر إلغاء صفقة طائرات « إف - ١٦ » . ووافق آخرون فى الاجتماع الذى ضم نائب الرئيس جورج بوش ورئيس هيئة الأركان جيمس بيكر على أن فرض العقوبات ضد اسرائيل ضرورى . وتحول ريجان بنظره تجاه « ألان » فى مرحلة من النقاش وبايماءة ، أوضح عدم وجود أية نية لاتخاذ مثل هذه الخطوة ويقول « ألان » : « لقد دار بعينيه تجاهى » .

ولم ينعكس القبول الشخصى للغارة من جانب الرئيس على التصرفات المعلنة للادارة ، ففى عصر هذا اليوم أصدرت وزارة الخارجية بيانا ، يتردد أن الرئيس ووزير الخارجية « ألكسندر هيج » أقراه ، أدان رسميا حادث القصف « الذى يمكن أن يضيف على نحو خطير المزيد للوضع المتوتر للغاية بالفعل فى المنطقة » . ويستعيد « ألان » الأحداث ويقول انه مع ذلك « بدا ريجان سعيدا .. وراضيا للغاية » عن الهجوم على المفاعل فى أزيراك . واعترف « هيج » بنفس الصورة فى أحاديثه الخاصة بأنه « أوضح أن الاسرائيليين يملكون مخالب واحساسا استراتيجيا وقادرون على الاهتمام بالمشكلات قبل تطورها ، وعلى أى حال بمن ألحق الاسرائيليون الضرر » ؟

وأثار حادث القصف الاسرائيلى موجة احتجاج عالمية وبعد عدة أيام أعلن البيت الأبيض تأجيل التسليم المقرر لأربع طائرات « أف - ١٦ » أخرى كانت ضمن صفقة سنة ١٩٧٥ ، وبعد شهر ظهرت السياسة الحقيقية للادارة دون طنطنة . فقد تم رفع قرار وقف تسليم الطائرات التى سلمت بدون تأخير .

وحدث جدل داخل اسرائيل أيضا حول عملية القصف التى نوقشت على أعلى مستويات الحكومة الاسرائيلية منذ أواخر ١٩٧٩ . وعارض « اسحق هوفى » مدير الموساد والميجور جنرال « ياهو شواساجوى » قائد المخابرات العسكرية الهجوم أساسا ، لأنه لا يوجد دليل على أن العراق أصبح قادرا على انتاج قنبلة ذرية ، وانضم اليهما فى معارضتهما عديمة الجدوى « ايجال يادين » نائب رئيس الوزراء . وفى جلسة التخطيط فى أواخر ١٩٨٠ واصل « ساجوى » معارضته للمهمة وحجته فى ذلك أن رد الفعل العكسى فى واشنطن سيمثل تهديدا أكثر خطورة للأمن القومى لاسرائيل من المفاعل العراقى . وبدا

استياء بوجهة النظـــر التى تقول إن أى خطوات عسكرية اســرائيلية لتجنب « محرقة جماعية ثانية » أمر مقبول . وعانى « ساجوى » نتيجة معارضته : فلم يتم ابلاغ قائد المخابرات العسكرية بالمهمة حتى ٤ يونيه قبل ثلاثة أيام من موعدها المحدد . وجاء رد فعل « ساجوى » بنفيه أى مسئولية عن الغارة وهدد لفترة قصيرة بترك المخابرات .

والتزم مخططو المهمة الحريصون للغاية على تجنب الاحتجاج الدولى بأقصى درجات الحيطة للتعتيم على العملية : وكان من المأمول ألا يتمكن العراق وبقية العالم من إلقاء مسئولية الحادث على عاتق الطائرات التابعة لسلاح الجو الاسرائيلى التى لم تكن مزودة بعلامات ، ونفذ الهجوم فى دقيقتين كما هو مخطط ، وبدت امكانية التعقب محـدودة . الا أن « منـاحم بيجين » المنتشى بالنجـاح ، فاجأ زملاءه فى ٨ يونيه باعلانه من جانب واحد مسئولية اسرائيل ، وفى اليوم التالى وفى ظل سيل الاحتجاجات المنهمر على اسرائيل ، دافع رئيس الوزراء عن العملية وهدد بأن اسرائيل مستعدة لشن هجوم مرات أخرى اذا كان هذا ضروريا لمنع أى عدو من انتاج القنبلة الذرية . وقال « بيجيـن » : « اذا لم يكن قد تم تدمير المفاعل فان محرقة جماعية أخرى كانت ستحدث فى تاريخ الشعب اليهودى . ولن تحدث على الاطلاق محرقة ثانية ... لن تحدث مطلقا مطلقا » .

وبعد يومين فى حفل استقبال دبلوماسى بريطانى ، صدم « بيجين » مرة أخرى كبار المسئولين فى حكومته ومجتمع المخابرات باعلانه أن الطائرات الاسرائيلية دمرت أيضـا منشـأة سرية مدفونة على عمق أربعين مترا - ١٣٠ قدما - تحت مفاعل أزيراك كانت ستقوم بمهمة نقطة التجميع لصنع القنابل النـووية العراقيــة ، وادرك المســئولون الاسرائيليون المروعون أن تصريحـات « بيجين » تنطبق تماما ليس على منشأة عسكرية غير موجودة على الاطلاق تحت الأرض فى أزيراك ولكن على منشأة موجودة بالفعل فى اسرائيل . كما صرح « بيجين » للصحفيين فى حفل الاستقبال بأن الحكومة العراقية أخفت المنشأة عن وكالة الطاقة الذرية الدولية التى قامت بالتفتيش على مفاعل أزيراك فى يناير ١٩٨١ وفقا لقواعد معاهدة عدم الانتشار النووى لعام ١٩٦٨ التى تعد العراق أحد أعضائها .

وحاول المتحدث باسم الحكومة الاسرائيلية تصحيح الأمر فى اليوم التالى بابلاغ الصحفيين بأن « بيجين » أخطأ وأن المنشأة كانت توجد على عمق أربعة أمتار تحت الأرض وليس أربعين . ومع ذلك فان أسوأ المخاوف من جانب الحكومة لم تتحقق فى الأيام والأسابيع التالية فقد ظل أكبر أسرار اسرائيل سرا .

فمع حلول عام ١٩٨١ كان قد مضى ثلاثة عشر عاما على بدء العلماء والمهندسين الاسرائيليين فى تصنيع قنابل نووية فى منطقة نائية تسمى « ديمونة » تقع فى منطقة النقب القاحلة جنوب القدس . وبمساعدة الفرنسيين أنشأت اسرائيل مفاعلا نوويا ومنشأة منفصلة ، تم اخفاؤها تحت الأرض ، للقيام بعملية الفصل الكيميائى المعقدة لأهم المنتجات الفرعية للمفاعل وهو « البلوتونيوم » المستخدم فى الأسلحة . وقد زار « بيجين » المنشأة الموجودة تحت الأرض فى ديمونة على الأقل مرة واحدة منذ أن أصبح رئيسا للوزراء فى عام ١٩٧٧ كما أبلغنى مسئولون اسرائيليون واطلع فى الأيام السابقة للغارة على أزيراك على مذكرة تفصيلية عنها . وتصور المسئولون أن « بيجين » فى تصريحاته العلنية ، نقل ببساطة ما شاهده وقرأه عن ديمونة الى أزيراك وقال أحد الاسرائيليين : « لقد اختلط عليه الأمر » واعترف هذا الاسرائيلى بأن تفسيره تفسير مخفف .

ولم يكن « اسحق هوفى » بنفس القدر من الرفق ، فبعد أسبوعين من قصف أزيراك أجرى حديثا صحفيا لم يسبق له مثيل ، وأشير الى « هوفى » بمنصبه فقط فى الموضوع وفقا لقيود الرقابة الاسرائيلية ، حيث شكا من السياسيين الذين يفشون أسرار المخابرات . ولم يكن هناك شك فى مجتمع المخابرات الاسرائيلية فى هوية السياسى الذى انتقده « هوفى » .

ومن المحتمل أن تكون أسرار ديمونة قد ظلت خافية على الصحافة الغربية الا أن ديمونة نفسها كانت تواجه تهديدا فوريا أخطر ، فقد اعترف المسئولون الاسرائيليون بأن وكالات مخابراتهم وجدت دلائل فى الأيام التالية لغارة ٧ يونيه على أن العراق يسعى بشكل واضح للانتقام وبدأ فى تحريك بعض صواريخ « سكود » السوفييتية لمسافة أقرب من الحدود العراقية -

الأردنية . وإذا تم تحريك صواريخ « سكود » لمسافة أبعد تمر داخل الأردن فان ديمونة ستكون فى داخل نطاق أى هجوم انتقامى عراقى . وعلى عكس مفاعل أزيراك الذى لم يكن قد بدأ العمل بكامل طاقته فان ديمونة كان قد بدأ العمل طوال الأربع والعشرين ساعة لمدة ثمانية أشهر سنويا لانتاج « البلوتونيوم » الخاص بالأسلحة واعادة معالجته لاستخدامه فى الأسلحة النووية ، وأى هجوم عراقى كان سيؤدى لانبعاث اشعاعات مميتة ويلحق التلوث النووى بمسافة تمتد لعشرات الأميال .

ومع ذلك فإن المسئولين الاسرائيليين حتى قبل فترة من قصف أزيراك ، أمروا المفاعل المبنى على شكل قبة ومركز اعادة المعالجة الموجود تحت الأرض فى ديمونة بوقف جميع عملياته وظلت المنشأتان متوقفتين عن العمل حتى نهاية العام . وصدرت التعليمات أيضا لسلاح الجو الاسرائيلى بوضع طائرة تجسس فى السماء فى حالة تأهب طوال الأربع والعشرين ساعة . ولا يوجد دليل على أن واشنطن شاهدت أو فهمت أيا من الاجراءات الدفاعية الاسرائيلية .

وشك عدد من مسئولى المخابرات البريطانية على الفور فى أن اسرائيل استخدمت صور « كى إتش - ١١ » الفائقة الدقة فى قصف أزيراك وشكوا لنظرائهم الأمريكيين من ذلك . ويقول أحد الأمريكيين المشاركين فى الأمر ، انه فى الحقيقة كانوا يقولون « لقد أوضحت لكم » ان السمعة العبقرية لنظام « كى إتش - ١١ » تم تدعيمها ، بما يدعو للسخرية ، بالغارة الاسرائيلية الناجحة ، فقد كانت الصور الفائقة الدقة للمفاعل المدمر على مكاتب صانعى القرار فى واشنطن بعد عدة ساعات من العملية .

وكان البريطانيون على حق كما أوضح تحقيق سرى للغاية فيما بعد : فقد حصلت اسرائيل على معلومات قيمة الى أقصى حد من « كى إتش - ١١ » ويوجد دليل على أن « ويليام كيسى » مدير وكالة المخابرات فى عهد « رونالد ريجان » لعب - على نحو غير مقصود - دورا رئيسيا .

فقد كان « كيسى » مؤيدا متحمسا لبرنامج اقتسام المعلومات منذ توليه

منصبه ، وفى الفترة الأولى من توليه منصبه أمر بامداد ضباط الاتصال الاسرائيليين بمكتب خاص بالقرب من مقر الـ « سى آى إيه » . وعلى ما يبدو أن الهدف كان إعطاء الاسرائيليين فرصة الاتصال المباشر بضباط المخابرات الأمريكية للمسئولين عن معلومات « كى إتش – ١١ » للتأكد من تسليم جميع المعلومات الضرورية . ومضى التبرير ليؤكد أن الاسرائيليين وحدهم هم القادرون على تحديد ما هو مهم لاسرائيل . شرح مسئول أمريكى على مستوى عال الأمر . بقوله : « كيسى كان مستعدا ليطلعهم على معلومات محدودة إلا أنه لم يفعل وأصبح يعمل لحساب الاسرائيليين تماما » .

وواجه مدير الـ « سى آى إيه » فجأة بعد حادث أزيراك أسئلة خطيرة عن إساءة استخدام إسرائيل لاتفاق مشاركة معلومات « كى اتش – ١١ » وأمر لجنة صغيرة من الخبراء بمراجعة الأمر ، وصدرت الأوامر للجنة العمل فى ظل أقصى درجات السرية التى تحيط دائما بقضايا المخابرات الإسرائيلية .

وكان ما توصلت إليه لجنة المراجعة مذهلا قضى أقل من عامين توسع الإسرائيليون فيما كان اتفاقا محدودا إلى حد انهم تمكنوا من التقاط أى صورة يرغبونها من النظام ، وأكثر ما أثار الدهشة أن الاسرائيليين طلبوا وحصلوا على تغطية مكثفة للقمر الصناعى لضرب روسيا بما فى ذلك موسكو . واعترف رجل عسكرى شعر بالقلق « بأن الاسرائيليين فعلوا كل شىء باستثناء اسقاط الطائر » / وساد الغضب بين صفوف كبار المسئولين فى وكالة المخابرات المركزية ووكالة مخابرات الدفاع لما اعتبره بعض المسئولين ادارة « سيئة للغاية » لاتفاق التعاون . وقال المسئول العسكرى : « لقد أنشأنا النظام ولم نهتم بمراقبة ما يفعلونه (الاسرائيليون) » . ويستعيد « ويليام بارد » الذى كان يشغل فى عام ١٩٧٩ منصب مساعد نائب وزير الدفاع لشئون السياسة شعوره بالاحباط حين علم أن الاسرائيليين « يتغلغلون فى نظام القمر الصناعى » ولا نعرف كيفية وقفهم ويقول « بارد » : « لم نكن نعلم أين نشكو. فنحن ندرك أن هؤلاء (الاسرائيليين) تخطوا الكولونيلات وسكرتارية مساعدة نواب الوزير للحصول على المعلومات » . واذا ذهبت الشكوى للمكتب الخطأ « فان الأمر قد يرتد ليلحق الضرر الشديد بك أنت » .

ويتذكر مسئول كبير سابق بوكالة الأمن القومى غضبه بعد علمه فيما بعد أنه فى فترة مبكرة من تولى ادارة ريجان السلطة الاسرائيليين أنه سُمح للضباط بحضور اجتماعات البنتاجون التى نوقشت خلالها مهام ومسارات طيران القمر الصناعى « كى إتش - ١١ » .. » . وقال المسئول السابق : « ان من علموا بهذا أرادوا التقيؤ . فمع كل العناية التى يحظى بها « كى أتش - ١١ » فى كل مكان آخر فقد أصابنا هذا الأمر بضربة شديدة » . كما يتفق ضابط مخابرات أمريكى آخر على أن « أعدادا كبيرة أصابهم الاستياء والاحساس بالصدمة » . ومضى يقول : إنه شخصيا لم يكن منزعجا بدرجة كبيرة من تجاوز الاسرائيليين لحدودهم » فقد كانت احدى مصالحنا القومية التأكد فى عام ١٩٨١ من أن الاسرائيليين قادرون على البقاء » . ووصف هذا الضابط المعلومات المباشرة التى سلمت لاسرائيل بأنها « حل وسط ". فقد كانت اسرائيل تريد التأكد من عدم تجاهل أى شىء مهم . وفى حاجة للتأكد من حصولها على كل ما تحتاج إليه » . وقال ضابط المخابرات إن الضابط الاسرائيلى الذى عين فى البنتاجون كان ينقل فقط احتياجات المخابرات الاسرائيلية للمسئولين عن برنامج « كى إتش - ١١ » .. » . وسمح للإسرائيلى فى المقابل « بالتنحى جانبا » فى الوقت الذى كان فيه القمر الصناعى ينقل معلوماته الى واشنطن .

وقال مسئول وزارة الخارجية المعنى بالأمر أنه ووزير الخارجية « هيج » اعتبرا الخلافات حول حصول اسرائيل على المعلومات « مناقشة نظرية فى مجتمع المخابرات . لماذا تتشاجرون ؟ اعطوهم الصور، إنها عملية لبناء الثقة » . وبالنسبة للاسرائيليين كما يقول هذا المسئول فان هذه القضايا لم تكن تعنيهم فاذا رفضت ادارة ريجان إعطاءهم المعلومات فانهم سيتحولون حينئذ الى الكونجرس . « ويحصلون على المال المخصص فى ميزانية المعونة الخارجية للحصول على قمر صناعى ومنصة اطلاق ومحطة اتصالات أرضية » وبالنسبة لريتشارد آلان أيضا فان استغلال اسرائيل لاتفاقية « كى إتش - ١١ » لم تكن قضية كبيرة » لقد تصورت أن لديهم أصدقاء » فى البنتاجون قاموا بشكل غير رسمى بتسليمهم المعلومات الواسعة النطاق .

وتم الاتفاق فى النهاية فى البيت الأبيض بعد عملية المراجعة التى قامت بها اللجنة على الاستمرار فى امداد اسرائيل بالصور ولكن مع تطبيق القيود الأصلية لعام ١٩٧٩ بدقة . وقال ألان : « كنا نقوم بتضييق الفجوة » . ولم يعد يسمح لاسرائيل بالحصول على صور القمر الصناعى الخاصة بالاتحاد السوفييتى أو أى دولة أخرى خارج نطاق المائة ميل . ونقل آلان شخصيا هذه الرسالة فى خريف ١٩٨١ الى « اريل شارون » الجنرال المتشدد المثير للجدل وبطل الحرب الذى عين وزيرا للدفاع فى حكومة « بيجين » الذى أعيد انتخابها حديثا .

وحضر « بيجين » وشارون الى واشنطن فى سبتمبر لحشد تأييد البيت الأبيض لخطة اسرائيلية بعيدة المدى للتعاون الاستراتيجى الأمريكى - الاسرائيلى ضد العدو المشترك الاتحاد السوفييتى . وذكرت مذكرة اسرائيلية لواشنطن أن الدولتين فى حاجة للتعاون « ضد التهديد الذى يمثله الاتحاد السوفييتى أو القوات التى يسيطر عليها السوفييت من خارج المنطقة على الأمن والسلام » ولتحقيق هذه الغاية سعى الاسرائيليون للحصول على موافقة « ريجان » على نشر قوات أمريكية والاستخدام المشترك للمطارات والتخطيط المشترك للعمليات العسكرية والسياسية فى الشرق الأوسط والخليج وقيام الولايات المتحدة بتمويل محطة استقبال أو محطة أرضية للقمر الصناعى « كى إتش - ١١ » فى تل أبيب . واعتبرت المقترحات الاسرائيلية مبالغ فيها وتم رفض أغلبها خلال المفاوضات طوال الأشهر التالية مما أثار استياء « شارون » . ومارس « شارون » الضغوط بقوة بصفة خاصة فيما يتعلق بالمحطة الأرضية وأصر أيضا على ضرورة تخصيص « محطة الاستقبال » بمعنى تزويدها بالاشارات الشفرية التى تعمل من والى القمر الصناعى وبشكل يسمح فقط لاسرائيل بقراءتها . وبذلك تصبح الولايات المتحدة فى وضع لا يمكن الدفاع عنه من حيث عدمُ قدرتها على معرفة المعلومات التى يتلقاها الاسرائيليون من نظام القمر الصناعى الخاص بها .

وبدا هذا اقتراحا منافيا للمنطق والعقل و وصف « آلان » « شارون » بصفة شخصية « بأنه فظ » . ويضيف آلان : « لقد بدأ فى الشكوى من أن

المعونة الأمريكية أصبحت كالرباط الضاغط ولصقة الخردل » . ومضى يقول : « انكم تريدون اعطاءنا رباطا ضاغطا . اذا كان ذلك ما تعنونه بالتحالف الاستراتيجى ، فنحن غير مهتمين به » . ويقول « آلان » - وهو من المؤيدين الأقوياء لاسرائيل - انه لم يرتجف .. ويضيف : « لقد وجدت أن شارون مجرد جندى متبجح فظ ضخم يبذل جهدا كبيرا فى الحوار » .

ولم يسفر قصف أزيراك الى أى تغيير جوهرى فى العلاقة الأمريكية - الاسرائيلية أو إثارة أى أسئلة خطيرة حول حاجة اسرائيل لهذا الكم الضخم من صور القمر الصناعى من تلك المناطق العديدة ، وهى حاجة هددت بالحاق شرخ فى العلاقات الاسرائيلية بالولايات المتحدة ، ورغم المعارضة القصيرة الأمد لحصول اسرائيل على المعلومات ، فلم يتم تعلم أى دروس واستمر تدفق صور « كى إتش -١١ » على اسرائيل . ومع ذلك تم تفجير تغييرات بعيدة المدى بالنسبة لاسرائيل .

وأصيب الفرنسيون الذين كانوا أيضا المورد الرئيسى للمواد والخبرة النووية للعراق مقابل البترول بالحرج وانتابهم الغضب بسبب الهجوم الاسرائيلى . وبدأ عدد من المسئولين فى باريس السعى للانتقام من خلال التخلى عن التعهدات التى استمرت طويلا بالتزام الصمت وبدأوا يروون تفاصيل العلاقات السابقة للتعاون الفرنسى النووى فى الشرق الأوسط : كشركاء سريين فى اقامة القنبلة الاسرائيلية .

واستنتج شارون بعد الاجتماع الذى عقد فى غرفة مجلس الوزراء أن الولايات المتحدة ليست حليفا استراتيجيا يمكن الاعتماد عليه ، وعاد إلى وكالة المخابرات الاسرائيلية السرية التى تسيطر عليها وزارة الدفاع والتى لم تكن واشنطن قد فهمت تماما عملياتها حينئذ ، وظلت تعتبر كوكالة مخابرات اعتراضية فى الشرق الأوسط والاتحاد السوفييتى وذلك من جانب أكثر الوكالات حساسية فى أمريكا ، للحصول على المعلومات التى أعلن أن اسرائيل لن تتمكن بعد الآن من الحصول عليها . وتطوع يهودى أمريكى لم يكن يعمل فى المخابرات الأمريكية بتقديم خدماته للوكالة قبل عدة سنوات ، وفيما بعد سيوضع كجاسوس فى بلده لحساب اسرائيل .

ويكاد يكون من المؤكد أن أى شخص فى البيت الأبيض لم ينظر لمطلب شارون للحصول على محطة اتصال بالقمر الصناعى " كى أتش - ١١ " فى تل أبيب فى ضوء الطموحات النووية الاسرائيلية . وبالمثل ، فإن لجنة للمراجعة التى شكلها ويليام كيسى بعد أزيراك لمتابعة الالتزام باتفاق اقتسام المعلومات لعام ١٩٧٩ قبلت بابتهاج التفسير الاسرائيلى انتهاك القواعد ، والذى يفيد بأنها حصلت على الصور الخاصة بالمناطق الواقعة خارج الحدود المنصوص عليها فى الاتحاد السوفييتى فقط لمراقبة خطوط الامداد المستمرة من روسيا وحليفيها فى العراق وسوريا .

وبالتأكيد فإنه لايوجد الكثيرون حتى فى مجتمع المخابرات الأمريكى الذين فهموا فى عام ١٩٨١ السبب فى قيام اسرائيل بجمع معلومات القمر الصناعى الخاصة بالاتحاد السوفييتى وسبب اصرار شارون على استمرار الحصول على هذه المعلومات ، فإسرائيل كانت فى حد ذاتها قوة نووية وكانت تستهدف الاتحاد السوفييتى برءوسها الحربية وصواريخها .

٢

العـــــالم

يعد « أرنست ديفيد بيرجمان » ابن الحاخام اللاجىء من ألمانيا النازية الأب العلمى للقنبلة الاسرائيلية . أو « روبرت أوبنهايمر » القنبلة الاسرائيلية . وكان بيرجمان نحيلا ، شاحباً ومدخنا شرهًا .

وتعرف المجتمع العلمى الدولى على بيرجمان بعد حرب الاستقلال الاسرائيلية الناجحة عام ١٩٤٨ ، وهى أول حرب بين العرب واسرائيل ، كعالم لامع فى الكيمياء العضوية ومدير قسم الكيمياء فى معهد ڤايتسمان ، المنشأة العلمية المهيمنة فى اسرائيل . وكان رئيسا للجنة الطاقة الذرية الاسرائيلية التى شكلت عام ١٩٥٢ وفى المناسبات القليلة التي ظهر فيها فى المناسبات العامة بدا مؤيدا قويا للأبحاث النووية للأهداف السلمية ، وبدا « بيرجمان » بسيجارته التى لا تـفارق يديه صورة للذكاء والفتنة فى المؤتمرات الدولية حول العلم النووى . وبدا ذكاؤه المتقد واضحاً . وكذلك كانت حاجة اسرائيل لطاقة نووية . فلم يكن ليوجد أى بترول متوافر يمكن الحصول عليه من الجيران العرب وبحلول عام ١٩٤٧ أبلغ « بيرجمان » أصدقاءه بأن حقول الفوسفات الضخمة تحتوى على كميات ضئيلة ولكن يمكن استخراجها من اليورانيوم الطبيعى . وفى غضون عامين أنشأ قسما لأبحاث النظائر فى معهد ڤايتسمان وأرسل العلماء الاسرائيليون الشباب إلى الخارج لدراسة المجالات الجديدة للطاقة النووية والكيمياء النووية . كما بدأ برنامج أبحاث مشتركا مع لجنة الطاقة الذرية الفرنسية الوليدة . وفي عام ١٩٥٣ أصبح الباحثون الاسرائيليون فى معهد ڤايتســمان روادا فى عملية جـديدة لإنتاج الماء الثقيل المطلوب لتشـــغيل

مفاعل نووى بالاضافة إلى التوصل لوسيلة أكثر فاعلية فى استخراج اليورانيوم من حقول الفوسفات . وفى نوفمبر ١٩٥٤ قدم بيرجمان نفسه للمواطنين الاسرائيليين وتحدث عن تقدم اسرائيل فى مجال الأبحاث النووية السلمية ، وأعلن ، بعد عامين من انشاء لجنة الطاقة الذرية الاسرائيلية ، عن تشكيلها ، وفى العام التالى وقعت اسرائيل اتفاقية مع الولايات المتحدة فى ظل برنامج « الذرات من أجل السلام » التابع لادارة ايزنهاور من أجل التعاون فى الاستخدامات السلمية للطاقة الذرية . وساهمت واشنطن فى تمويل وتشغيل مفاعل نووى صغير للأبحاث فى « نهال سوريق » جنوب تل أبيب . ودعا الاتفاق الولايات المتحدة بأن تكون لها حقوق التفتيش على المفاعل الصغير وفقا لقانون الطاقة الذرية لعام ١٩٥٤ ، الذى ينهض بأعباء ضمان اسرائيلى ، من أجل التحقق من خلال عمليات التفتيش من أن المواد النووية لن تتحول الى أبحاث الأسلحة .

وكانت تلك سنوات أكد خلالها « ديفيد بن جوريون » حكيم اسرائيل الأبيض الذى شغل منصبى رئيس الوزراء ووزير الدفاع لفترة طويلة منذ ١٩٤٨ حتى ١٩٦٣ باستثناء فترة قصيرة ، وأعلن لزواره مرارا أن اسرائيل ستبنى مفاعلها الذرى وستستغل اليورانيوم الطبيعى الخاص بها وستصنع الماء الثقيل محليا . ووعد « بن جوريون » بأن تنتج الطاقة النووية قريبا الطاقة الكهربائية وتخلق المياه العذبة المطلوبة لزراعة صحراء النقب .

وكانت أحلام « بيرجمان » لمحطات الطاقة النووية صادقة ، ولكنها أيضا أصبحت غطاءً فعالاً للغاية لتوجهه نحو انتاج القنبلة . وأصبح « بن جوريون » الرجل المسئول عن جميع هذه الأمور ، بمساعدة معاونه الذكى الشاب « شيمون بيريز » ، الذى كان فى الثلاثين من عمره حين عينه بن جوريون مديرا عاما لوزارة الدفاع فى أواخر ١٩٥٣ . وكانت لجنة الطاقة الذرية الاسرائيلية برئاسة « بيرجمان » تخضع للإشراف المباشر لبيريز ووزارة الدفاع وهو ما لم يعلن للرأى العام عبر الاذاعة ، ولم تكن الطاقة النووية أولى أولويات « بن جوريون » فالصحراء ستتوهج قبل ازدهارها .

وأصبح يتعين على هؤلاء الرجال الثلاثة العثور على حليف للمساهمة فى انتاج القنبلة ، ويقبل منذ البداية أن تمول القنبلة بصورة خاصة من جانب اليهود الأمريكيين والأوربيين الأغنياء الذين شاركوهم حلمهم بوجود رادع تام لاسرائيل ، وكان هذا أمرا على نفس القدر من الأهمية ، وأى تناول آخر سيجعل من المستحيل ابقاء القنبلة سرا من الأسرار ولم تكن الطموحات الاسرائيلية للحصول على قنبلة نووية فى أوائل الخمسينيات متوقعة فى واشنطن خلال الحرب الباردة . فقد كانت واشنطن مهتمة للغاية بالحرب الكورية والظروف الاقتصادية والاجتماعية فى أوربا وقوة الحزب الشيوعى فى فرنسا وايطاليا والمخاوف من تحول شيوعى داخلى واستمرار المعركة السياسية مع الاتحاد السوفييتى .

وكانت توجد أزمة فى الشرق الأوسط أيضا . فقد أطيح بملك مصر الفاسد « فاروق » فى انقلاب عام ١٩٥٢ ، وظهر زعيم جديد راديكالى هو « جمال عبد الناصر » فى عام ١٩٥٤ كرئيس للوزراء . وأصبحت القوات البريطانية بعد بقائها أكثر من سبعين عاما فى مصر فى طريقها للخروج من شمال افريقيا . ونفس الحال بالنسبة للفرنسيين . فمع حلول عام ١٩٥٥ أصبحت الحكومة الفرنسية تواجه عصيانا مسلحا من ثلاث مستعمرات سابقة هى المغرب وتونس والجزائر . وحصلت المغرب وتونس على استقلالهما عام ١٩٥٦ الا أن الجزائر التى أيدت « ناصر » بقوة جبهة التحرير الوطنية المعارضة مما أصبحت الحدث الرئيسى ، وأوشكت الحرب الدموية التى أسفرت عن مقتل ٢٥٠ الفا على تدمير فرنسا فى خلال السنوات الخمس التالية وقدمت الالهام للثوريين العرب فى جميع أنحاء الشرق الأوسط .

كما ازعج « ناصر » بحديثه عن القومية العربية ، الاسرائيليين الذين تحولوا بشكل غريزى للولايات المتحدة . وأصبح اليهود الأمريكيون شريان الحياة لاسرائيل وبدأت تتدفق مئات الملايين من الدولارات سنويا . وحاول « بن جوريون » لسنوات أن ينضم فى معاهدة أمن اقليمى مع واشنطن ، ليصبح الى حد ما تحت حماية المظلة النووية الأمريكية ولكن دون أن يحقق أى نجاح . وأيدت اسرائيل علناً الموقف الأمريكى فى الحرب الكورية ومضت سرا خطوة أبعد من ذلك فقد عرض « بن جوريون » ارسال قوات اسرائيلية للقناة بجانب قوات الأمم المتحدة فى كوريا الجنوبية .

ورفض الرئيس « هارى ترومان » على ما يبدو خشية أن يضطر لتأييد اتفاق أمنى مع اسرائيل ، واتفقت الولايات المتحدة وانجلترا وفرنسا فى اتفاقهما الثلاثى عام ١٩٥٠ على أن تحافظ الدول الثلاث على الوضع القائم فى الشرق الأوسط بعدم تقديم كميات ضخمة من الأسلحة للعرب أو الاسرائيليين ، وجاءت إدارة « أيزنهاور » للسلطة عام ١٩٥٢ دون أى نوايا لتغيير هذه السياسة .

وحاولت اسرائيل رغم هذا إقامة شكل من العلاقة الخاصة مع الرئيس « ايزنهاور » دون أن يحالفها الحظ . وفى منتصف الخمسينيات جرت سلسلة من المحادثات الجديدة استمرت عاما كاملا حول ابرام معاهدة أمن مشترك مع واشنطن ولكن وصلت لطريق مسدود . وكما أبلغ « بن جوريون » كاتب قصة حياته « ميشيل بار زوهار » فانه فى احدى المراحل فكر فى أن يعرض على « إيزنهاور » إقامة قواعد أمريكية فى اسرائيل مقابل التزام أمنى . واستبعدت هذه الفكرة حين تعثرت المحادثات . وظهرت خطط فاشلة بنفس القدر لشراء طائرات مقاتلة وأسلحة أخرى الا أن « ايزنهاور » التزم بحظر عام ١٩٥٠ على مبيعات الأسلحة لاسرائيل طوال سنوات رئاسته الثمانى . والنتيجة كانت الحد من النفوذ الأمريكى فى الشرق الأوسط وحرمان واشنطن من أى فرصة ليكون لها تأثير على السياسة الخارجية الاسرائيلية ، وبدت السياسة ملائمة للأشخاص المحيطين بايزنهاور الذين كان أغلبهم من المحامين فى وول ستريت الذين اعتقدوا أن امدادات البترول الأمريكى ستتعرض للخطر فى حالة إبرام صفقات أسلحة مع اسرائيل .

وتمثل كابوس « بن جوريون » الخاص فى هذه السنوات ، كما أدرك معاونوه المقربون ، فى وقوع ابادة جماعية أخرى هذه المرة على أيدى العرب ، وحذر « بن جوريون » مرارا من أن أمن اسرائيل سيتحقق فقط من خلال دفاعها عن النفس واعتمادها على النفس . ونقل عنه أحد معاونيه تساؤله : « ما هى اسرائيل ؟ إنها منطقة صغيرة ، نقطة واحدة كيف تحيا فى هذا العالم العربى ؟ » . واعتقد « بن جوريون » أنه يفهم الشخصية العربية واقتنع بأنه مادام اعتقد العرب أنه يمكنهم تدمير الدولة اليهودية فانه لن يتحقق سلام أو اعتراف باسرائيل . ووصل العديد من الاسرائيليين الناجين من الابادة الجماعية الى حد الاعتقاد بأنه « لا يوجد بديل » وهو المبدأ الذى يرى أن

اسرائيل محاطة بالأعداء المملوئين بالحقد ولذلك ليس أمامها أى فرصة سوى الهجوم ، ومن وجهة نظرهم فإن هتلر وناصر لا يختلفان . وبالنسبة لهؤلاء الاسرائيليين فــإن الترســانة النــووية بدت ضرورية لبقــاء الــدولة ، وكــرر « بن جوريون » فى خطاباته العامة طوال الخمسينيات الربط بين أمن اسرائيل وتقدمها العلمى . وأعلن أمام الكنيست الاسرائيلى (البرلمان) فى نوفمبر ١٩٥٥ ، « ان استقلالنا وأمننا يتطلبان أن يهب المزيد من الشباب أنفسهم للعلم والأبحاث وأبحاث الطاقة الذرية والاليكترونية وأبحاث الطاقة الشمسية ... وما الى ذلك » .

وجسد « أرنست بيرجمان » مخاوف مبدأ « لا يوجد بديل » فى خطاب بعد عامين وقال : « اننى مقتنع ... بأن دولة اسرائيل تحتاج إلى برنامج أبحــاث دفاعى خاص بها ، حتى لا تصبح بعد الآن خرافا يتم اقتيادها للمذبح » .

وآمن « بن جوريون » و « شيمون بيريز » و « بيرجمان » بأن ترسانة اسرائيلية مستقلة يمكن أن توفر ما لم يوفره الرئيس « إيزنهاور » وهى المظلة النووية . ولم يكن فى وسع أى شخص من الخارج سواء من المجتمع العلمى الدولى أو الرأى العــام الاسرائيلى أو المخــابرات الأمريكيــة أن تفهم دلالة المنصبين الحكوميين الآخرين اللذين شغلهما « بيرجمان » فى أوائل الخمسينيات ، كمستشار علمى لوزير الدفاع ومدير للأبحاث والتخطيط لوزارة الدفــاع . فالإســرائيليون المسئولون عن هــذين المنصبين كانوا يــدركون أن « بيرجمان » كان المؤيد الفعال القوى للأسلحة النووية والرجل المسئول أكثر من غيره ، مع الفرنسيين ، عن وضع اسرائيل مع نهاية الستينيات كدولة تملك السلاح النووى . ولم يقتصر نجاح « بيرجمان » والفرنسيين على تحقيق ذلك فى صحراء النقب ولكنهم أبقوه سرا ، كما حافظ « روبرت أوبنهايمر » وزملاؤه على مشروع منهاتن دون أن يكتشفه أحد فى الصحراء فى لوس ألاموس .

وقد دخل « بيرجمان » الشاب فى أوائل العشرينيات عالم الذرة كدارس للكيمياء العضوية فى معهد « اميل فيشر » فى جامعة « برلين » وكان ضمن دائرة من العلماء البارزين مثل أرنست روترفورد الانجليزى ، ومارى كورى الفرنسية اللذين مثلا الحد الفاصل فيما سيصبح سباقا دوليا فى سنوات ما قبل الحرب لكشف غموض الانشطار النووى . وضم زملاء « بيرجمان » فى

برلين هيرمان مارك النمساوى الذى أصبح فيما بعد كيميائيا بارزا وعميد معهد بروكلين للعلوم التطبيقية (والذى أصبح ابنه هانز وزيرا للقوات الجوية فى ادارة « كارتر » . ويتذكر مارك الذى نشر خلال حياته العملية عشرين كتابا وأكثر من خمسمائة بحث عن علم مركب البوليمر الكيميائى هذه الأيام بقوله : « لم نكن مجرد واضعى نظرية ، فقد اهتممنا بصنع الأشياء . والأمر المهم بالنسبة لنا كان التركيبات . فبداية يجب أن تفعل شيئا لم يفعله غيرك ، وبعد ذلك تستخدمه » . وأثناء وجوده فى برلين اشترك « بيرجمان » و « مارك » فى العمل ونشرا أبحاثا مشتركة عن التركيب الكيميائى للمطاط والبويات والمواد سريعة الالتصاق .

وكان والد « بيرجمان » من أبرز الحاخامات فى برلين وصديقا مقربا لحاييم فايتسمان عالم الكيمياء الحيوية الروسى اليهودى الصهيونى الذى عاش فيما بعد فى انجلترا . وفى عام ١٩٣٣ حين جعلت سلسلة من المراسيم النازية استمرار « بيرجمان » أو أى يهودى آخر فى عمل أكاديمى أمرا مستحيلا فى ألمانيا خطط فايتسمان لأن ينضم بيرجمان الشاب له فى جامعة مانشستر فى انجلترا حيث واصل أبحاثه على التركيبات والاقتراب بصورة وثيقة من أولئك العلماء المتسابقين على شطر الذرة . وكما حدث بالنسبة لفايتسمان حظى بيرجمـان باهتمـام فريدريك ليندمان ، لورد تشيرويل فيما بعد ، وهو عالم من أوكسفورد ألمانى المولد أصبح كبير المستشارين العلميين لتشرشل فى السنوات السابقة للحرب العالمية الثانية .

ولا توجد معلومات كثيرة متوافرة عن عمل بيرجمان فى مجال الدفاع لحساب بريطانيا قبل الحرب ، ففى هذه السنوات اندمج للمرة الأولى فى أعمـال عسكرية لفلسطين . ويقـول أحـد كتبـة قصة حيـاة فايتسمان أن الهاجاناه ، الذراع العسكرى للحركة الصهيونية فى فلسطين طالبت فايتسمان فى عام ١٩٣٦ بارسال كيميائى للمساهمة فى انتاج مادة شديدة الانفجار لاستخدامها فى الحرب السرية ضد العرب والبريطانيين . وكان استخدام الديناميت خطيرا للغاية فى مناخ الشرق الأوسط . وعين فايتسمان بيرجمان للقيام بالمهمة التى قام بها بالفعل وسجل اسمه بعد ذلك كعضو فى اللجنة الفنية للهاجاناه . وتضيف السيرة الذاتية ، انه فى عام ١٩٣٩ ، توجه بيرجمان

الى باريس مندوبا عن الهاجاناه وتقاسم اكتشافاته مع الفرنسيين الذين كان جيشهم يعمل حينئذ فى شمال افريقيا .

وترك « بيرجمان » انجلترا بعد فترة قصيرة من اجتياح ألمانيا لبولندا فى خريف ١٩٣٩ . وتدخل « فايتسمان » مرة أخرى ووجد له عملا مع أصدقاء قدامى يمتلكون معملا كيميائيا فى فيلادليفيا . ولم تنجح المحاولة ولكن أنقذه صديق قديم آخر من ألمانيا هو « هيرمان مارك » الذى يقول : « لم تكن أمامه أى فرصة لذلك دعوناه للحضور الى بروكلين » . وكان مارك قد طرد من أوربا عام ١٩٣٨ ، وانتهى به المطاف ليصبح خبير أبحاث لشركة كندية للورق فى أونتاريو ، وبحلول عام ١٩٤٠ أصبح يدير معملا فى معهد للعلوم التطبيقية فى بروكلين ، وبعد عامين أصبح عميد الكلية وحول المعهد الى مأوى للاجئين اليهود ومن بينهم « حاييم فايتسمان » . ويقول « مارك » الذى حين أجرى معه الحديث من أجل هـذا الكتاب ، كان الوحيـد البـاقى من هـذه الفترة على قيـد الحياة « جاءت المجموعة بأكملها الى أمريكا » .

وبهزيمة هتلر تحققت هجرة نهائية واحدة لبيرجمان الى فلسطين للمساهمة فى انشاء ما سيصبح فيما بعد معهد فايتسمان للعلوم فى روهوفوت جنوب تل أبيب ، وبدت الطموحات الاسرائيلية غير محدودة ، وحاول فايتسمان منذ وقت مبكر عام ١٩٤٧ كسب ود أوبينهايم وزملائه فى مشروع منهاتن ومن بينهم « جون فون نيومان » عالم الرياضيات وواضع النظريات الأولى للكمبيوتر ولكن دون جدوى ثم طلب منهم مرارا قضاء بعض الوقت فى القيام بأبحاث فى اسرائيل .

وكان « بيرجمان » أول من اختاره « فايتسمان » ليصبح مديرا للمعهد الا أن « فيرا » زوجة فايتسمان عارضت ذلك ونجحت فى هذا لأسباب قديمة حيث انها شعرت بالاستياء للعلاقة العاطفية الطويلة التى نشأت بين « هانى » السكرتيرة الخاصة لزوجها و « بيرجمان » والتى انتهت فى نهاية الأمر بالزواج وبدلا من ذلك عين « بيرجمان » رئيسا لقسم الكيمياء العضوية ، وأصبح من حقه أن يتلقى العزاء للمكانة الرفيعة التى تبوأها زملاؤه . فقد اعتبر « عاموس ريشاليت » الذى رأس قسم الفيزياء فيما بعد باحثا من حيث الكم على مستوى أوبنهايم . كما انضم اليهم أيضا « نيلز بوهر » الدنماركى الفائز بجائزة نوبل

إما قسم الكيمياء غير العضوية فقد رأسه « أهارون كاتشالسكى » ، فيما بعد « كاتزير » ، الذى تخصص فى الخصائص المنحلة بالكهرباء لسلسلة الذرات وباحثا رائدا فى المجال المرتبط بها للانسان الآلى المزود بالطاقة العضلية . ومثل « بيرجمان » كان لكاتزير حياة سرية وعند وفاته فى عام ١٩٧٢ كان واحدا من القوى الدافعة فى برنامج الأسلحة النووية الاسرائيلى الذى أصبح مزدهرا حينئذ ، وحدثت نقلة أخيرة لبيرجمان بناء على طلب « بن جوريون » حيث أنشأ تحت قيادة « شيمون بيريز » أول معهد لأبحاث الدفاع فى البلاد . وبعد أكثر من أربعين عاما سيصرح « بيريز » لصحيفة اسرائيلية بأن « بيرجمان » ، حتى فى عام ١٩٤٨ ظل يتحدث باستمرار عن حصول اسرائيل على قدرة صاروخية ، ويضيف « بيريز : « قد أكون مستعدا لقول الحقيقة عنه من المحتمل بعد مائة عام . فقد عملنا معا ١٣ عاما قد تكون هى أفضل سنوات عمرى » .

ويؤكد « هيرمان مارك » أنه بدون « بيرجمان » لم تكن لتوجد قنبلة اسرائيلية . « فقد كان مسئولا عن كل نشاط نووى فى اسرائيل . وكان الرجل الذى يفهم تماما الانشطار النووى ثم شرحه بعد ذلك للآخرين » . وأصبح « مارك » وسيطا دائما بين بروكلين واسرائيل بعد الحرب العالمية الثانية وعمل فى مكاتب التخطيط وكمستشار علمى لمعهد فايتسمان الوليد . وظل قريبا من « بيرجمان » وشاركه آراؤه الخاصة بحتمية أبحاث الأسلحة النووية الاسرائيلية . ويقول : « لقد اتفقنا على نفس الرأى الذى يرى أنه فى النهاية يجب أن تمتلك اسرائيل المعرفة الكاملة لما يجرى فى الفيزياء النووية . وانظر إذا اكتشف نوع جديد من التفاعل الكيميائى فى لوس الاموس يجب الاطلاع عليه سواء كان محطة طاقة أو لازالة الملوحة أو خاصة بالقنبلة فلا يوجد فرق فمازال انشطارا » .

وأوضح « بيرجمان » نفس النقطة فى حديث عام ١٩٦٦ بعد أن اضطر للخروج من الخدمة الحكومية ، مع صحيفة اسرائيلية وذكر : « من المهم للغاية ادراك أنه مع تطوير الطاقة الذرية للاستخدامات السلمية فانك تبحث البديل النووى فلا توجد طاقتان ذريتان » . وكان هذا الحديث الذى تم قبل تسع سنوات من وفاة « بيرجمان » أكثر المناسبات التى اقترب فيهما من مناقشة

موضـوع القنبلة . ويقول « مارك » : « ظل بيرجمـان متلهفـا ، وكان محقـا فى ذلك ، على ضرورة عدم الافراط فى الحديث . فقد كان هذا من أعظم الأسرار مثل مشروع منهاتن تماما » .

وحدثت مناسبة واحدة مبكرة على الأقل لم يقاوم فيها « بيرجمان » مشاركة ما يعلمه . فقد كان « ابراهام فينبيرج » أحد رجال الأعمال الأغنياء فى نيويورك ومن كبار مؤيدى دولة اسرائيل ، أحد أهم حلفاء « بن جوريون » فى الولايات المتحدة ويتمتع بثقته . وفى عام ١٩٤٧ كان « فينبيرج » يلعب دورا رئيسيا وسريا الى حد بعيد فى جمع التبرعات وحشد التأييد فى البيت الأبيض لاسرائيل وللحزب الديمقراطى أيضا . وظل طوال العقدين التاليين يتحرك على أعلى المستويات بين واشنطن والقدس . وكان « بيرجمان » فى نيويورك فى خريف هذا العام وانضم كالعادة لفينبيرج وعائلته فى أحد القداسات فى المعبد اليهودى أحد أيام الجمعة وكان من المقرر أن ينتقل الجمع بعد ذلك الى شقة فينبيرج . ويستعيد فينبيرج الأحداث ويقول : « دائما ما كان بيرجمان يشعر بالجوع ، وكان يعشق البيض المخفوق الذى تعده زوجتى وفى إحدى الليالى عقب العشاء لمعت عينا « بيرجمان » وقال : « يوجد يورانيوم فى الصحراء » . ولم يكن هناك شك فى معنى الرسالة – وهى أن الطريق أصبح ممهدا الآن لاسرائيل لانتاج قنبلة ذرية . وأصيب « فينبيرج » بالصدمة لمثل هذا الحديث الصريح « وطالبته بالتزام الصمت » .

وتزامنت احتياجات اسرائيل فى أواخر الأربعينيات وأوائل الخمسينيات تماما مع احتياجات فرنسا . فكلتا الدولتين كانتا بعيدتين تماما عن امتلاك أى قدرة فنية لانتاج قنبلة كما لم يكن هناك اجماع داخلى حول الرغبة فى حيازتها .

وقد أمضى « بن جوريون » و « بيريز » و « بيرجمان » وقتا طويلا من حياتهم العملية مشتبكين فى قتال مرير داخل الحكومة الاسرائيلية حول أحلامهم الخاصة ببرنامج للأسلحة النووية ، واعتبر غالبية كبار المسئولين فى حزب ماباى (العمل) الحاكم أن أى قنبلة اسرائيلية هى نوع من الانتحار ومكلفة للغـاية وتذكرهم بقوة بالفظائع التى لحقت باليهـود فى الحرب العـالمية الثانية .

ودارت المناقشات الفرنسية حول الحرب الباردة . فقد كان المفوض الأعلى الفرنسي للشئون النووية « فريدريك جوليو كورى » الحائز على جائزة نوبل والذى قام بأبحاث مهمة فى الفيزياء النووية قبل الحرب ، عضوا فى الحزب الشيوعى المعارض لأى دور فرنسى فى حلف شمال الأطلنطى وأى صلة لفرنسا بالأسلحة النووية . وفى سنة ١٩٥٠ كان أول من وقع نداء ستوكهولم وهو نداء دعمته موسكو لفرض حظر على جميع الأسلحة النووية . واستثنى العلماء الفرنسيون رغم مشاركتهم المكثفة فى أبحاث الانشطار النووى قبل الحرب من القيام بأى دور مهمة فى برامج القنبلة الأمريكية والبريطانية الخاصة بالحرب العالمية الثانية وجعلت سياسات « جوليو كورى » فرنسا معزولة . وأقيل « جوليو كورى » بعد توقيع نداء ستوكهولم وحل محله فى النهـاية « بيير جوبلاما » الذى عمل خلال الحرب مع المخابرات الفرنسية و « فرانسيس بيريز » أحد زملاء « جوليو » الذى كان أول من ينشر صيغة حساب اليورانيوم الخطيرة ، وهى الكمية المطلوبة لإحداث رد الفعل المتسلسل . ومضى الفرنسيون قدما بدون أى مساعدة من الولايات المتحدة التى اعتبرت أن العملاء السوفييت أفسدوا لجنة الطاقة الذرية الفرنسية .

كما احتل « بيرين » مكانة مهمـة فى الصلات الاسرائيلية ، فقد أصبح « بيرين » الاشتراكى الذى فر الى انجلترا بعد سقوط فرنسا صديقا لبيرجمان ، رغم عدم معرفة كيفية التقاء الاثنين ، ثم سافر الى تل أبيب فى ١٩٤٩ . وبعد هذه الزيارة سمح لبعض العلماء الاسرائيليين بدخول مركز ساكلاى للأبحاث الذرية القومى الفرنسى بالقرب من فرساى ، والمشاركة فى انشاء مفاعل صغير للتجارب خاص بالمركز . وكانت تلك تجربة تعلم منها العلماء النوويون من الجانبين الكثير .

وفى حديث لم ينشر مـع خريج أمريـكى دارس فى سنة ١٩٦٩ تحـدث « بيرجمـان » بايجـاز عن الطمـوحات التى شـاركه فيهـا « بن جـوريون » و « بيريز » للتعاون الفرنسى - الاسرائيلى « لقد شعرنا بأن اسرائيل ... تحتاج إلى التعاون مع دولة قريبة من مستواها الفنى . فأولا من المهم تدريب الخبراء الاسرائيليين. ثم يمكننا أن نحدد بدقة نوع التعاون الذى نرغبه ونوعية المساهمة التى يمكن أن تتم بصورة مشتركة ، مع الوضع فى الاعتبار قدرات

ومصادر اسرائيل ، وكل جهد يجب أن يبذل من أجل منع التعاون من التحول ليكون فى اتجاه واحد » .

وصدر قرار خطير بالنسبة لفرنسا وبالتالى اسرائيل فى عام ١٩٥١ ، رغم اعتراضات « بيرين » ، أمر « جويلاما » بانشاء مفاعل يعمل بطاقة اليورانيوم الطبيعى قادر على انتاج نحو ٢٢ أوقية من البلوتونيوم الصالح للاستخدام فى الأسلحة سنويا وذلك بعد المعالجة الكيميائية . وسينظم الجرافيت عملية رد الفعل المتسلسل وهى وسيلة استخدمها الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة فى المفاعلات الضخمة الخاصة بانتاج البلوتونيوم . وكان الباحثون قد وجدوا كميات ضخمة من اليورانيوم الطبيعى قبل سنوات قليلة بالقرب من ليموج فى وسط فرنسا وسهل هذا الاكتشاف لجويلاما وبيرين قرار نبذ وسيلة بديلة لتشغيل المفاعل باستخدام اليورانيوم الذى تم تخصيبه بصورة اصطناعية . وحتى الوقود المخصب اذا توافر ، فسيكون مستوردا حيث إن الفنيين الفرنسيين لم يكونوا قد عرفوا بعد كيفية تخصيب اليورانيوم . ولكن الاعتماد على الموردين الخارجيين ، وبشكل حتمى القيود الدولية ، كان سيحرم فرنسا من أية فرصة لتحقيق هدفها الأساسى بتحقيق الاستقلال الذرى . وكتب « شارل ديجول » فى مذكراته عن الحرب العالمية الثانية : « ان فرنسا لا يمكنها أن تكون فرنسا بدون العظمة » . وكان قرار انتاج بلوتونيوم لاستخدامه فى الأسلحة سيدفع فرنسا بالتأكيد على طريق القنبلة النووية وهو ما كان يدركه جويلاما وبيرين والاسرائيليون ولكن لم يكن يدركه الرأى العام والقادة العسكريون الفرنسيون .

وبدأ البناء فى العام التالى فى ماركول فى وادى الرون الجنوبى وحصلت شركة الكيماويات الضخمة « سانت جوبان تكنيك نوفيل » فيما بعد على عقد بناء مفاعل لاعادة المعالجة الكيماوية فى ماركول . تعد هذه المفاعلات العنصر الحيوى فى انتاج قنبلة . ففور احتراق اليورانيوم الطبيعى ، أو معالجته فى المفاعل ينقسم الى يورانيوم وبلوتونيوم ونفايات على درجة عالية من السمية . ويتطلب الوقود المعالج أن ينقل ويتم تبريده ثم يعالج قبل أن يكون فى الامكان فصل البلوتونيوم وتنقيته ، ويمكن انجاز هذه الخطوات فقط بالتحكم عن بعد . وفى منشأة منفصلة مبنية خصيصا لذلك وهى مفاعل اعادة المعالجة ، تحتوى على حماية مبدئية مكلفة للغاية ومدروسة بعناية لفريق العاملين بها .

وتمكن رجال « بيرجمان » من المساهمة فى كل هذا . وتجدد الخلاف داخل اسرائيل حول التوسع المستمر فى الوجود الاسرائيلى فى فرنسا الا أن « بن حوريون » ثبت بقوة على موقفه وصرح « شيمون بيريز » فى حديث صحفى : « فى عام ١٩٥٢ كنت وحدى المؤيد لبناء بديل نووى اسرائيلى . وشعرت باحساس رهيب فالجميع كانوا يعارضون ، و « بن جوريون » وحده قال : « سترى كل شىء سيكون على مايرام » . وكان هناك أشخاص يذهبون الى « بن جوريون » ويبلغونه « بضرورة ألا يستمع الى شيمون ، فهو وبيرجمان مجرد أكذوبة كبيرة . فاسرائيل لن تتمكن من القيام بمشروع مثل هذا » ويضـيفون : « اشتروا من الكنديين ، من الأمريكيين » ولكننى كنت أريد الفرنسـيين لأن « بيرجمان » كان معـروفا تماما فى دوائر علمـاء الذرة الفرنسيين » .

واستجاب المسئولون الفرنسيون للثقة الاسرائيلية . وكان العلماء الاسرائيليون هم وحدهم الذين يسمح لهم بالاطلاع على المجتمع النووى الفرنسى السرى فى ماركول . وتردد أن الاسرائيليين تمكنوا من التحرك فيه بحرية . وكان أحد أسباب ذلك الذكاء المتقد للعلماء الاسرائيليين وخبرتهم حينئذ فى تكنولوجيا الكمبيوتر ، وسيظل الفرنسيون معتمدين فى العقد التالى على قدرات الكمبيوتر الاسرائيلية حيث تم أول اختبار نووى فرنسى فى سنة ١٩٦٠ . والسبب الثانى للوجود الاسرائيلى فى ماركول كان عاطفيا فقد خدم العديد من المسئولين والعلماء الفرنسيين فى صفوف المقاومة واحتفظوا بمشاعر قوية تجاه الابادة الجماعية لليهود . كما كان الكثير من كبار العلماء النوويين الفرنسيين يهودا ومن المؤيدين الأقوياء للدولة اليهودية الجديدة التى بدأت فى الظهور كأقرب حلفاء فرنسا فى الشرق الأوسط مما أثار سعادتهم .

ولم يـكن هنـاك فرنسى تربطـه علاقات عاطفيــة باسرائيـل أكثـر من « بيرتراند جولد سميث » عالم الكيمياء النووية الذى عمل خلال الحرب العالمية الثانية مع مجموعة من العلماء الفرنسيين الذين سمح لهم رغم أنهم أجانب ، بالعمل مباشرة مع الأمريكيين فى الأبحاث النووية ، وأصبح خبيرا فى كيمياء البلوتونيوم واستخراجه . كما ساهم فى بناء مفاعل للتجارب يعمل باليورانيوم الطبيعى ومبردة الماء الثقيل . وبصفته كيميائيا على مستوى عال ، توافرت له الفرصة للبقاء فى برنامج القنبلة الأمريكى بعد الحرب ولكنه اختار بدلا من ذلك

العودة لفرنسا وانضمامه للجنة الطاقة الذرية . وبعد مفاوضات مكثفة سمح له مسئولو الأمن الأمريكيون بذلك ولكنهم رفضوا أن يحلوه من تعهده الذى قطعه زمن الحرب بالتزام السرية ، وكتب « جولد سميث » فيما بعد يقول : « لقد كان مفهوما تماما أنه يمكننا استخدام معارفنا لمصلحة فرنسا باعطاء معلومات لفرق الأبحاث الخاصة بنا ولكن بدون نشر أى شىء ، فقط بالقدر الضرورى اللازم لتقدم عملنا . وكان هذا هو الحل الوسط المعقول » وهو حل وسط تجاهله سريعا .

وقد كان « جولد سميث » يهوديا عانت عائلته كما عانت غالبية العائلات اليهودية فى أوربا خلال الحرب ، وازدادت علاقاته باسرائيل بالزواج ، فزوجته كانت عضوة فى عائلة « روتشيلد » الشهيرة التى تقاس مساهماتها لاسرائيل والقضايا اليهودية بعشرات الملايين من الدولارات ، وقام « جولد سميث » وزوجته بالحج الى اسرائيل فى أوائل الخمسينيات حيث أخذهما « أرنست بيرجمان » لحضور لقاء ارتبط فى الذاكرة مع « بن جوريون » فى منزله الخشبى فى صحراء النقب ، وفى هذا الوقت كان « جولد سميث » يشغل منصب مدير قسم الكيمياء فى لجنة الطاقة الذرية الفرنسية وفى السبعينيات سيصبح يحظى باحترام واسع النطاق ، كمتحدث فرنسى حول منع الانتشار النووى وقضايا الطاقة الذرية الدولية الأخرى . كما كان بين الأغراب القلائل الذين سمح لهم بزيارة مفاعل ديمونة بعد اتمام انشائه فى الستينيات ، وكان حينئذ نموذجا كلاسيكيا للانتشار النووى المحظور .

وشرح « جولد سميث » الأمر بعد سنوات بقوله : « لم نكن فى الواقع نساعدهم ، ولكننا كنا ببساطة نتركهم يعرفون ما نعرفه بدون معرفة ما يؤدى اليه ذلك . فلم نكن نحن ندرك مدى صعوبة ذلك » . وأضاف أن الحقيقة الهامة التى يجب فهمها بقدر من عدم الارتياح هى « أنه فى الخمسينيات والستينيات كان امتلاك سلاح نووى يعتبر شيئا طيبا ، شيئا يمكن أن تتلقى التهنئة عليه ، ولا يعتبر وصمة عار كما هو الحال اليوم » .

وبحلول عام ١٩٥٣ أنتج الفريق العلمى فى معهد فايتسمان الآلية الأيونية اللازمة لانتاج الماء الثقيل ووسيلة أكثر فعالية لاستخراج معدن اليورانيوم . وتم بيع الاكتشافين لفرنسا وأدت الصفقتان الى اتفاق رسمى

للتعاون فى الأبحاث النووية وقعته الدولتان . ويقول « جولد سميث » : ان بيرجمان نفسه جاء الى فرنسا للتفاوض حول الصفقة مع بيير جويلاما ، وطالب بالحصول على مائة مليون فرنك للعملية الجديدة ولكنه رفض شرحها مسبقا بالتفصيل وادعى أنه اذا فعل ذلك فانها ستفقد نصف قيمتها . ووصلت الأمور لطريق مسدود . وفى النهاية وكما يقول جولد سميث : « أبلغنى جويلاما أنه يقدر هؤلاء الناس الى أقصى حد وبدأنا المساومة » وقبل بيرجمان فى النهاية ستين مليون فرنك وستظل اسرائيل ملتزمة بخطة الدفع الفورى مع فرنسا فى جميع معاملاتها النووية .

٣

العلاقة الفرنسية

في أواخرعام ١٩٥٣ تقاعد « بن جوريون » الذى تخلص من الأوهام واقتنع بأن المجتمع الاسرائيلى يفقد روحه الرائدة الوثابة فى مستوطنته الصحراوية فى سدية بوكر فى صحراء النقب بالقرب من موقع مفاعل ديمونة فى المستقبل ، واعتقد أنه يمكنه احياء هذه الروح ويقدم مثالا باعادة الاستيطان فى الصحراء مع زوجته ، وظلت سيطرته على حزب ماباى كاملة ، مع ذاك ، مثل أحد سادة المافيا ، وظلت الحكومة التى خلفها وراءه حكومة من صنعه . وكان سيخلف « بن جوريون » اثنين ، وليس شخصا واحدا فقد ترك مرسوما يفصل منصبيه اللذين ظل يشغلهما وهما رئاسة الوزراء ووزير الدفاع ثم عين « بن جوريون » موشى شاريت رئيسا للوزراء . ولم يكن هناك رجلان يمكن أن يختلفا على تناولهما للقضية العربية أكثر من شاريت وبن جوريون . فقد اعتقد شاريت الذى عاش طفلا فى قرية عربية ويتحدث العربية ، على عكس بن جوريون ، أن السلام مع العالم العربى ممكن ، ولكن فقط من خلال ضبط النفس عسكريا وبواسطة التدخل المحتمل للأمم المتحدة ، وكرئيس للوزراء بدأ مفاوضات سلام سرية مع « ناصر » .

وقبل تركه للمنصب عين « بن جوريون » أيضا « بنحاس لافون » ، الأكثر تشددا من « شاريت » تجاه القضية العربية ، وزيرا جديدا للدفاع . وبدا واضحا أن هدفه هو ضمان عدم استمرار آراء « شاريت » دون معارضة . ثم رتب « بن جوريون » كى يصبح متشددا أخر هو « موشى ديان » رئيسا جديدا لأركان الجيش . ويبقى « شيمون بيريز » فى منصبه كمدير عام لوزارة الدفاع ، فقد كان معروفا أنه الشخصية المفضلة لـ « بن جوريون » .

ولم تمتد مخاوف « بن جوريون » تجاه « شاريت » الى المسألة النووية . فشاريت أوضح كما تفيد يومياته المكتوبة فى عدة مجلدات ولم تنشر بعد بالكامل بالانجليزية ، انه يشارك الرجل العجوز فى طموحاته تجاه « المشروع » بدون أن يشارك « بن جوريون » ثقته فى « بيرجمان » . وفى مدخل مميز وصف « شاريت » بيرجمان بأنه « كيميائى غارق فى الأبحاث أو التدريس دون أن يملك القـدرة على دراسة المشكلة » . وهـو واحـد من تعبيرات مرادفة لكلمة القنبلة ، ويضيف « شاريت » أن افتقار « بيرجمان » للمواهب الادارية « سيحد ويعوق آفاق المشروع ويخرب تطوره » .

ومع ذلك فإن كيفية تناول القضية العربية أصبحت القضية المهيمنة ، وطوال العام التالى حدث توتر حتمى حيث سعى « ديان » و « بيريز » اللذان ظلا على اتصال شبه دائم مع « بن جوريون » فى مستوطنته اعاقة سياسات « شاريت » المهادنة ومحادثاته السرية مع المصريين . وتفجرت فضيحة فى منتصف سنة ١٩٥٤ حين أعلنت السلطات المصرية إلقاء القبض على شبكة تجسس اسرائيلية فجرت وخربت أهدافا أمريكية وبريطانية ومصرية فى وقت سابق من العام فيما أصبح يعرف بفضيحة « لافون » . وكان هدف التفجيرات إفشال المفاوضات البريطانية والأمريكية الوشيكة والتقارب المحتمل مع حكومة « ناصر » ، وجعل مصر كما هى معزولة عن القوى الغربية ، وفشل تحقيق اسرائيلى داخلى فى تحديد المسئول عن اصدار قرار الأنشطة التخريبية وقبل « شاريت » الذى لم يعلم بالعملية ، استقالة « لافون » فى يناير ١٩٥٥ ، واستدعى « بن جوريون » بعد عدة أيام من مقر تقاعده ليحل محل « لافون » كوزير للدفاع ، وظل « شاريت » رئيسا للوزراء على الرغم من أنه لم يكن هناك شك كبير فى الشخص الذى يدير الحكومة .

وأصبحت المهمة الفورية المعلنة للرجل العجوز هى استعادة معنويات الجيش وثقة المواطنين فى الحكومة . ودخل مكتبه ، مع ذلك ، أكثر اقتناعا من ذى قبل بأن سياسة الانتقام العسكرى ضرورية ، وحذر « شاريت » كتابة بأن أى تدخل فى التخطيط الدفاعى ، سيجبره مرة أخرى على الاستقالة والدعوة لاجراء انتخابات جديدة ، وبعد توليه المنصب بستة أيام فى ٢٨ فبراير ١٩٥٥ رد « بن جوريون » على هجوم عبر الحدود شنه الفدائيون الفلسطينيون ،

باصدار أمر بشن عملية انتقامية واسعة النطاق ضد معسكر عسكرى مصرى فى غزة ، وقاد الهجوم الذى أسفر عن مقتل ٣٦ مصريا وفلسطينيا الليفتينانت كولونيل « اريل شارون » الذى كانت قد ذاعت شهرته كقائد كفء ويتسم بالوحشية ، وأدى هجوم غزة الى تصعيد ما كانت حتى الآن سلسلة من المناوشات الى شىء يكاد يكون حرب عصابات ، وبلغت خسائره البشرية العربية أربعة أضعاف الرقم الذى أبلغ « شاريت » بأنه يتوقع حدوثه . وأنهت الغارة الاتصالات السرية بين « شاريت » و « ناصر » وأدى الى صدور قرار مصرى بتصعيد هجمات الفدائيين من غزة . وكتب المؤرخ الاسرائيلى « آفى شلايم » أن « شاريت » اعتبر التزايد المستمر اللاحق فى الاشتباكات فى منطقة حدود قطاع غزة « كعاقبة حتمية » لغارة ٢٨ فبراير فى حين اعتبرها « بن جوريون » دليلا على الميل المصرى للقتال المتزايد الذى إذا سمح به دون مقاومة ، فإنه سيمثل تهديدا لأمن اسرائيل الأساسى » .

ورد « ناصر » على التوتر المتزايد بالتحول الى العالم الشيوعى للحصول على المعونة العسكرية . وسافر فى أبريل ١٩٥٥ الى مؤتمر الدول الافريقية والآسيوية فى باندونج وتلقى وعدا من رئيس الوزراء الصينى « تشاوين لاى » باعطائه أى كميات من الأسلحة يمكن لمصر أن تستوعبها . وفى يوليو وصلت وفود سوفييتية الى القاهرة لتعرض تقديم معونة عسكرية . وفى سبتمبر أعلن « ناصر » أن مصر ستحصل على اجمالى ٢٠٠ قاذفة سوفييتية و٢٣٠ دبابة و٢٠٠ ناقلة جنود وأكثر من ٥٠٠ قطعة مدفعية . كما تلقى وعدا بوصول خبراء سوفييت .

وفى تل أبيب سادت حالة استياء . فقد أصبح المعبد الثالث لاسرائيل معرضا للخطر ، وتحول « بن جوريون » الذى ظل محروما من الدعم الأمريكى ، الى فرنسا مرة أخرى . وكان الاسرائيليون يريدون أكثر من المدافع . وكان للفرنسيين أيضا احتياجاتهم .

وفى أواخر ١٩٥٤ منحت الحكومة الائتلافية برئاسة « مانديس فرانس » وهى واحدة من ١٤ حكومة ائتلافية تولت السلطة خلال الجمهورية الرابعة التى سادتها الفوضى ، منحت السلطة بتشكيل مجموعة تخطيط للأسلحة النووية داخل لجنة الطاقة الذرية الفرنسية .

بالتالى تم ضم كبار المسئولين فى وزارة الدفاع فى لجنة التخطيط النووى للمرة الأولى . وثارت شكوك العديد من العسكريين الفرنسيين فى امكان وجود رادع نووى مستقل ، ولكن تغير هذا السلوك بعد هزيمة فرنسا المدوية على أيدى « هوشى منه » فى « دينبيفو » فى فيتنام الشمالية عام ١٩٥٤ وانهيار الاستعمار الفرنسى فيما بعد فى حروب التحرير فى شمال افريقيا ، وبدا واضحا للكثير من الفرنسيين أن فرنسا لا يمكنها الاعتماد على الحلفاء فى شمال الأطلنطى لحماية المصالح الفرنسية الخالصة ، وكان هذا صادقا بصفة خاصة فى الجزائر حيث اندلعت ثورة دموية وحول القمع الفرنسى الصحارى والأحياء الوطنية الى ميدان للقتل .

وفى يناير ١٩٥٥ سقطت الحكومة الفرنسية مرة أخرى . وشكلت حكومة اشتراكية جديدة بزعامة « جى موليه » تولت السلطة ، واتخذ « موليه » موقفا أكثر تشددا بكثير تجاه الحرب فى الجزائر وتجاه الزعماء العرب مثل «ناصر» الذى أيد الثوريين . وأصبحت اسرائيل التى كانت قد بدأت تشن حرب عصابات مكثفة ضد مصر ، تعتبر واحدة من أكثر حلفاء فرنسا الذين يمكن الاعتماد عليهم . ووافق « موليه » فى وقت لاحق من هذا العام على البدء فى صفقات سرية من القاذفات الفرنسية ذات الأداء العالى لاسرائيل وتمت الصفقات التى رتبها « شيمون بيريز » ، من وزارة دفاع الى الوزارة الأخرى دون أى أناقة دبلوماسية ودون تورط وزارتى الخارجية الفرنسية والاسرائيلية . واستمرت الأسلحة تتدفق من فرنسا الى اسرائيل طول الاثنى عشر عاما التالية .

وفى المقابل وافقت اسرائيل على اقتسام المعلومات حول الشرق الأوسط والولايات المتحدة وأوربا مع فرنسا . وكانت شبكة المخابرات الاسرائيلية فى شمال افريقيا بصفة خاصة جيدة ويقول مسئولون اسرائيليون سابقون أن ذلك يعود بصفة خاصة الى أن اليهود فى هذه المنطقة فضلوا الاقامة والعمل كتجار ورجال أعمال فى المناطق العربية . والأمر ذو الدلالة الخاصة تمثل فى وجود مائة ألف يهودى فى الجزائر أغلبهم محاصرون بالعنف واللامعقولية التى اتسم بها الجانبان . وشجعت الحكومة الاسرائيلية هؤلاء اليهود على إمدادها

بالمعلومات عن قيادة جبهة التحرير الوطنية وبأشكال أخرى للتعاون مع الفرنسيين .

وأصبح من الحتمى أن يستنتج « بيريز » و « بيرجمان » أن اسرائيل الآن لديها النفوذ الكافى لأن تطلب المساعدة الفرنسية لانتاج القنبلة الاسرائيلية ، وكان السؤال : هل تقابل حكومة « موليه » الدعم غير العادى الاسرائيلى فى الجزائر ومناطق أخرى بالموافقة على انشاء مفاعل ضخم ومصنع لاعادة المعالجة الكيميائية فى اسرائيل ؟ وأدرك الاسرائيليون أنه ليس فى الامكان صنع سلاح يعمل بالبلوتونيوم بدون مصنع لاعادة المعالجة ، كما أدركوا أن انشاء المصنع سيكون مستحيلا بدون التزام فرنسى ، وكان من المقرر أن تبدأ لجنة الطاقة الذرية الفرنسية فى تشييد مصنع اعادة المعالجة الكيميائية الخاص بها فى « ماركول » فى منتصف ١٩٥٥ وشارك العلماء الاسرائيليون فى كل خطوة على طول هذا الطريق .

ومما يدعو للسخرية أن موافقة فرنسا يمكن أن تثير أزمة داخل الدوائر العليا للحكومة الاسرائيلية ، فأى التزام فرنسى سيجبر « بيريز » و «بيرجمان» على ابلاغ الحكومة بأن اسرائيل ستقوم ببناء مجتمع نووى سرى . وكانت هناك بالفعل الكثير من الاعتراضات من جانب القليلين الذين على دراية بالأمر. فرغم أن « ليفى أشكول » وزير المالية يتفق مع « بن جوريون » فى وجهة نظره الا أنه كان مقتنعا بأن اسرائيل المسلحة تسليحا نوويا يعنى الجنون من الناحية المالية ، وسيظل « أشكول » محتفظا بهذا الرأى حتى بعد أن يصبح رئيسا للوزراء فى سنة ١٩٦٣ . وكانت هناك مخاوف غير المخاوف المالية فى القيادة الاسرائيلية . فكيف يمكن أن تبقى اسرائيل المفاعل سرا ؟ وهل من الأخلاق لاسرائيل التى عانى مواطنوها كثيرا من القتل العشوائى أن تملك سلاحا للدمار الشامل ؟ وماذا ستقول الحكومة الأمريكية ؟ وهل يستمر الأمريكيون فى إمدادها بالمال بسخاء ؟ .

تلقى مؤيدو السلاح النووى فترة راحة قصيرة فى سبتمبر ١٩٥٥ ، حيث أعلنت الحكومة الكندية أنها وافقت على بناء مفاعل أبحاث للمياه الثقيلة لحساب الحكومة الهندية ، ولم يتضمن العرض الهندى شرط إخضاعه للتفتيش الدولى حيث انه لم يكن قد تم بعد اعلان أى اتفاقية نووية لاجراءات الأمن

النووى . وتعهدت الهند باستخدام المفاعل « للأهداف السلمية فقط » . وأصبحت توجد الآن سابقة دولية لانشاء مفاعل اسرائيلى .

وفى أواخر ١٩٥٥ شكلت حكومة اسرائيلية تولى فيها « بن جوريون » مرة أخرى منصبى رئيس الوزراء ووزير الدفاع . فقد أدت الانتخابات العامة فى هذا الصيف الى تآكل شعبية الماباى فى الكنيست وقدمت دليلا آخر على أن الرأى العام الاسرائيلى مستاء من سياسات الحمائم التى انتهجها « موشى شاريت » ، وفشلت محاولة أمريكية أمر بها « أيزنهاور » للوساطة من أجل التوصل لتسوية بين ناصر وبن جوريون ، فى عام ١٩٥٦ حين رفض الرئيس المصرى التفاوض مباشرة مع القدس وقدم طلبات كان يدرك مثل كثير من الاسرائيليين أنها غير مقبولة ، وبعد أشهر قليلة ، انهارت المحادثات التى استمرت طويلا بين واشنطن والقدس أيضا ، ولم تعد هناك امكانية لابرام اتفاق أمنى أمريكى مع اسرائيل . وفى ١٠ يونيه أمر « بن جوريون » الجنرال موشى ديان بالبدء فى مفاوضات سرية مع باريس لشن حرب مشتركة ضد مصر . وفى يوليو ، أمم « ناصر » ، كما كان متوقعا ، قناة السويس وثارت ثائرة الحكومة البريطانية لتنضم الى التخطيط السرى للحرب . وبدأ « شيمون بيريز » يقوم برحلات مكوكية بين باريس وتل أبيب نائبا عن « بن جوريون » ، وأصبح الخط بين السياسة العامة والدبلوماسية الشخصية يتآكل يوما بعد يوم رغم الاحتجاجات المكبوتة من جانب الكثيرين فى كل حكومة .

وفى صيف هذا العام استقال « موشى شاريت » بهدوء من منصبه كوزير للخارجية . وسعى لاقامة مناقشة علنية حول السياسة الخارجية لاسرائيل أمام أعضاء حزب الماباى الا أن « بن جوريون » قضى على هذه المحاولة بالتهديد بتقديم استقالته ، ولم يعلم الرأى العام الاسرائيلى بالانقسامات العميقة فى قمة حكومته الا عند نشر اليوميات الشخصية لشاريت عام ١٩٨٠ . وحلت محل شاريت كوزيرة للخارجية « جولدا مائير » وزيرة العمل التى كان مؤهلها الأساسى كما اعترف « بن جوريون » فيما بعد هو جهلها بالشئون الدولية ، وأيدت « مائير » حجة « بن جوريون » لمنع الحرب ومع ذلك تجاهل « بن جوريون » وبيريز وديان وأرنست ديفيد بيرجمان وزارتها مع قيام اسرائيل بتوسيع نطاق تعاونها مع فرنسا .

وفى منتصف سبتمبر ، وقبل ستة أسابيع من شن حرب السويس على مصر وبدون صدور احتجاج دولى على صفقة المفاعل الكندى ، قرر « بن جوريون » أن الوقت قد حان للسعى رسميا للحصول على المساعدة الفرنسية لانتاج القنبلة الاسرائيلية . وكان العلماء الاسرائيليون النوويون العاملون فى ساكلاى قد شاركوا منذ عام ١٩٤٩ فى التخطيط وتشييد المفاعل التجريبى الفرنسى المعروف باسم « أى إل ٢ » الذى كان يعمل باليورانيوم الطبيعى ويتم تبريده بالماء الثقيل ، وأصبح بناء مفاعل مماثل فى اسرائيل أمرا محتملا ووشيكا . فقد كان اليورانيوم طبيعيا لدى اسرائيل وتوافر قدر من الماء الثقيل محليا هناك وبدا الحصول على مزيد من الماء الثقيل مرجحا ، اذا اقتضت الضرورة ذلك ، من الفرنسيين أو بصورة غير مشروعة من النرويج والولايات المتحدة اللذين كانا أضخم المنتجين حينئذ ، وقد اختار « بن جوريون » بالفعل موقع المفاعل الاسرائيلى ، فى قبو معمل نبيذ قديم مهجور فى « ريشون ليزيون » على بعد عدة أميال من معهد « فايتسمان » .

وتقرر ارسال « شيمون بيريز » مع « أرنست بيرجمان » الى باريس ، ويستعيد « بيرتراند جولد سميث » بحيوية اجتماع لاحق للجنة الطاقة الذرية الفرنسية ويقول : « جاءوا الىّ وأبلغونى أنهم يرغبون فى شراء مفاعل أبحاث للماء الثقيل يشبه ذلك الذى يبنيه الكنديون فى الهند . وقالوا انه حين يكتشف الأمريكيون أننا نملك قدرة نووية فانهم سيعطوننا ضمانا من أجل البقاء . وتقرر كل هذا قبل عملية السويس » .

وبعد أربعة أيام فى ١٧ سبتمبر تناول « بيريز » و « بيرجمان » العشاء مع « فرانسيس بيرين » و بيير جويلاما » فى منزل جاكوب تزور السفير الاسرائيلى فى فرنسا . ومرة أخرى طلب من فرنســا توفير المفاعل . وشـــرح « بيرين » فيما بعد الأمر بقوله : « أعتقد أن القنبلة الاسرائيلية موجهة ضد الأمريكيين ، ليس من أجل اطلاقها على الأمريكيين ولكن بالقول « اذا لم تريدوا مساعدتنا فى وضع حرج فاننا نستعجلكم تساعدوننا . والا فاننا سنستخدم قنابلنا النووية » .

وظل جولد سميث مقتنعا لسنوات تالية بأن القرار الأساسى الخاص بمساعدة الاسرائيليين فى الحصول على قنبلة صدر خلال هذين الاجتماعين

فى منتصف سبتمبر . ولا يوجد سجل مكتوب عن الاجتماعيين ومن المستحيل تحديد ما حدث . والأمر الواضح مع ذلك أن اسرائيل سعت للحصول على المعونة الفرنسية من أجل القنبلة وحصلت عليها على الأقل قبل ستة أسابيع من بدء اطلاق النار فى حرب السويس .

واعتبر الكثير من الاسرائيليين سلوك شركائهم فى حرب السويس خيانة . فالهدف التكتيكى الفورى لاسرائيل فى الحرب كان تدمير الجيش المصرى وقدرته على مساندة وتدريب المعركة الفدائية الفلسطينية الصاعدة . وكان الهدف الاستراتيجى أكثر طموحا بكثير وهو تدمير قدرة « ناصر » على تحقيق الوحدة العربية . وظل الابقاء على العالم العربى مشتتا نقطة محورية فى الاستراتيجية الاسرائيلية ، وبدأ « ناصر » بدعوته من أجل القومية العربية تحت الهيمنة المصرية ، فى أعين الاسرائيليين تهديدا خطيرا للأمن القومى . وأكثر من هذا اعتقد الاسرائيليون أن هزيمة مصرية مهينة فى حرب السويس ستؤدى حتما للاطاحة بناصر .

ودعت خطة القتال لأن تبادر اسرائيل بالهجوم فى ٢٩ أكتوبر بارسال قوات المظلات الى سيناء وتدمير قدرة مصر على العمل من غزة . ثم تطالب فرنسا وبريطانيا الجانبين بوقف الأعمال الفدائية والانسحاب لمسافة عشرة أميال من قناة السويس وخلق منطقة عازلة . وحين يرفض المصريون الذين يملكون القناة ذلك ، وهو رفض حتمى ، تشن فرنسا وانجلترا عمليات قصف وهجمات بالقوات المحمولة جوا فى ٦ نوفمبر لتحييد واحتلال القناة .

ومضت خطة المعركة أفضل مما كان متوقعا ، واجتاحت اسرائيل الجيش المصرى واستولت على سيناء بأكملها فى ٤ نوفمبر ، ولم يصدر سوى نداء من الأمم المتحدة بوقف اطلاق النار وايقاف الجيش الاسرائيلى من عبور القناة والاستيلاء على القاهرة . وبدا « جى موليه » يحث « أنطونى ايدن » رئيس وزراء بريطانيا على تقديم موعد هجومهما المشترك ولكن « ايدن » انتابه القلق من السرعة التى تحرك بها الجيش الاسرائيلى ورفض دعوة الأمم المتحدة لوقف اطلاق النار . وهبط البريطانيون والفرنسيون فى النهاية كما كان مخططا فى صباح ٦ نوفمبر فى بورسعيد فقط ليتوقفوا مرة أخرى حين أصدر الاتحاد السوفييتى الذى كان متورطا حينئذ فى عمليـة القمع الدموية

للثورة المجرية ، مما اعتبر فى اسرائيل انذارا نوويا فى مذكرات منفصلة وصلت الى « بن جوريون »و« موليه »و« ايدن » .

واتهمت البرقية السوفييتية لبن جوريون اسرائيل بالتلاعب بشكل اجرامى غير مسئول بمصير السلام ، وبمصير شعبها . وأثارت كراهية لدولة اسرائيل بين شعوب الشرق يمكن أن يتم الاحساس به فيما يتعلق بمستقبل اسرائيل ، وتعرض للخطر وجود اسرائيل كدولة فى حد ذاتها » . وحذرت مذكرة منفصلة وقعها رئيس الوزراء « نيكولاى بولجانين » صراحة « بن جوريون » من أن الاتحاد السوفييتى قادر على الهجوم « بمركبات موجهة عن بعد » كما صدر تهديد بإرسال قوات كمتطوعين الى الشرق الأوسط .

وكان « أنطونى ايدن » الذى بدأ يتعرض بالفعل لضغوط شديدة من أجل الانسحاب من الحرب من جانب ادارة « أيزنهاور » ومن حزب العمال المعارض فى الداخل ، أول من يشق الصفوف ، وأبلغ باريس بأنه أمر قواته بوقف اطلاق النار . وحذت فرنسا حذوه . وأجبرت اسرائيل بعد أن تخلى عنها حليفاها بعد يومين على الموافقة على وقف اطلاق النار والانتشار النهائى لقوات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة فى سيناء .

وأصيب الاسرائيليون بالاحباط من جانب الفرنسيين وشعروا بالغضب تجاه « أيزنهاور » الذى اعتقد « بن جوريون » أنه لن يتحول مطلقا عن تأييد اسرائيل فى الأسابيع السابقة للانتخابات الرئاسية . وساد اعتقاد فى اسرائيل على نطاق واسع وفى فرنسا أيضا بأن الولايات المتحدة التى تعتبر القوة العظمى الصديقة لاسرائيل تراجعت فى وجه التهديد النووى السوفييتى . وبالنسبة لبن جوريون بدا الدرس واضحا : فالجالية اليهودية فى أمريكا عجزت عن إنقاذ اسرائيل .

وقال مسئول حكومى اسرائيلى سابق وهو يستعيد المشاعر السائدة فى هذا الوقت : « أيها الأمريكيون لقد خذلتمونا ، فإن لم تكونوا قد تدخلتم فإن ناصر كان سيسقط ولتأجل سباق التسلح فى الشرق الأوسط ، وكانت اسرائيل ستحتفظ بتفوقها العسكرى والتكنولوجى ، وبدلا من ذلك يأتى لاعب الجولف « ايك » ، ليعلن باسم الانسانية والعدالة « اننا لن نسمح للقوى الاستعمارية بأن تلعب دورها » وهو لا يرى أن « ناصر » عزز موقفه وأن اسرائيل تتراجع » .

ويضيف المسئول الاسرائيلى ، الذى كان على علم مباشر ببرنامج حكومته الخاص بالاسلحة النووية بمرارة : « لقد تلقينا الرسالة ، ومازال يمكننا أن نذكر رائحة « أوشتيتز » و « تريبلانكا » . وفى المرة التالية سوف نأخذكم جميعا معنا » .

وفى ٦ نوفمبر أرسل « بن جوريون » بيريز وجولدا مائير الى باريس بعد أن علم بوقف اطلاق النار الفرنسى والبريطانى . وقد ناضل « موليه » ضد قرار وقف اطلاق النار الا أنه حين واجه الإصرار البريطانى على الانسحاب شعر بأنه ليس أمامه خيار غير المضى فى القرار . والأمر الأكثر سوءا أنه أصبح على « موليه » إقناع « بن جوريون » بقبول وجود قوة حفظ سلام تابعة للأمم المتحدة فى سيناء . وأصبح يتعين على اسرائيل الانسحاب من الأرض التى قاتل وقتل من أجلها أفراد قوات المظلات التابعة لها .

وأبلغ « بيريز » فيما بعد أحد كتاب سيرته الشخصية بمشاعره تجاه « أيزنهاور » فى هذا الوقت وقال : « ... انه رجل يتمتع بأسنان متمتعة بالصحة وعيون جميلة وابتسامة دافئة ولا يتمتع بأى فكرة عامة غامضة عما يتحدث عنه . وما يعلمه لا يمكنه أن يعبر عنه بشكل جيد . ولا توجد أي صلة بين جملة وأخرى . والسؤال الوحيد الذى يمكن أن يجيب عنه بشكل جيد هو « كيف حالك ؟ » » .

وطرح محلل عسكرى أمريكى فى حوار بعد سنوات طويلة عن اتجاه اسرائيل للبديل النووى بعد السويس هذا السؤال البلاغى والجواب : « ما هو : الدرس الذى استخلصته الولايات المتحدة من أزمة السويس ؟ والرد الخطير الى أقصى حد منع اسرائيل عن القيام بما تعتقد أنه ضرورى لأمنها القومى » .

ويتساوى استياء اسرائيل تجاه « أيزنهاور » مع احساس « جى موليه » بالذنب والخزى لفشل فرنسا فى تنفيذ التزاماتها لنظرائه الاشتراكيين فى اسرائيل ، وحدثت عملية تبادل واضحة : فقد قبل « بن جوريون » سحب قواته من سيناء وقبول دور لقوة حفظ سلام تابعة للأمم المتحدة مقابل الحصول على مساعدة فرنسا فى بناء مفاعل نووى ومركز لاعادة المعالجة الكيميائية . ولم تعد اسرائيل مهتمة بالمفاعل التجريبى مثل الموجود فى « ساكلاى » ولكن بالشيء

الحقيقى ، مفاعل على غرار مفاعل ماركول . ونقل عن موليه المحبط بسبب عواقب الفشل الفرنسى ، قوله لأحد معاونيه فى وقت اجتماعاته مع « بيريز » و « مانئير » : « إننى أدين لهم بالقنبلة ، إننى أدين لهم بالقنبلة » . وتمت الصفقة على الرغم من أنه سيمضى عام كامل قبل أن يصل بيريز للنتائج فى المفاوضات النهائية . ولم يعلن على الاطلاق الاتفاق الرسمى بين فرنسا واسرائيل .

كما مهد « موليه » رسميا الطريق فى وقت لاحق فى عام ١٩٥٦ لبرنامج الأسلحة النووية الفرنسى بانشاء لجنة للاستخدام العسكرى للطاقة الذرية يرأسه رئيس أركان الجيش . ووفد العلماء الاسرائيلى كمراقبين حين تم أول اختبار نووى فرنسى فى عام ١٩٦٠ .

وخلال السنوات القليلة التالية ، حين بدأ البلوتونيوم المخصص للأسلحة ينتج فى ماركول ، أصبح الهدف الاستراتيجى الفرنسى تجسيد الدرس الذى تعلموه فى السويس وهو تجنب الاعتماد على الولايات المتحدة وعلى الحلفاء فى حلف شمال الأطلنطى ، ومكنت الاختبارات النووية فى جنوب المحيط الهادى ، رغم ما تعرضت له من اخفاقات فرنسا من تطوير ردعها النووى فى منتصف الستينيات فى ظل طموحات ، لم تتحقق حتى الثمانينيات بأن تكون قادرة على أن توجه صواريخها العابرة للقارات بقرار مستقل نحو الاتحاد السوفييتى ، وسوف يصدم « شارل ديجول » الولايات المتحدة وحلفاءها بالانسحاب من حلف شمال الأطلنطى فى عام ١٩٦٦ . وكان المتحدث العقلانى للبرنامج النووى الفرنسى جنرالا متقاعد يدعى « بيير جالو » التى تفيد حجته حين نشرت أخيرا « بأنه حين تكون دولتان مسلحتان بأسلحة نووية ، حتى اذا لم تكونا متساويتين فى قدرة التسليح ، فانه لا يمكن تجنب استمرار الوضع القائم » . ومضى تبرير جالو ليقول ان السوفييت سيستنتجون أنه لا يوجد هدف عسكرى فى باريس أو أي مكان أخر فى فرنسا يستحق المخاطرة بالسماح لقنبلة نووية واحدة بالسقوط على موسكو ، ولن تكون فرنسا المسلحة تسليحا نوويا فى حاجة للتساؤل ، كما تفعل أوربا بأكملها ، عما اذا كانت الولايات المتحدة ستسرع بالدفاع عنها وتخاطر بالتعرض لرد انتقامى سوفييتى فى أى أزمة نووية .

وأخذ الاسرائيليون اقتراح جالو مأخذ الجد وأصبح الردع النووى الفرنسى الدور النموذجى للتخطيط الاستراتيجى الاسرائيلى ، وقرارها النهائى بعدم الاعتماد على المظلة النووية الأمريكية . وسوف تكمل اسرائيل مفاعلها الجديد بجهد روحانى ضخم لتصميم وانتاج صواريخ بعيدة المدى قادرة على الوصول لأهداف فى الشرق الأوسط وفى النهاية الاتحاد السوفييتى وأصبح المفاعل فى ديمونة مجرد البداية لأرنست بيرجمان وأصبح عليه الآن بناء ترسانة نووية .

وشرح « هيرمان مارك » بعد سنوات لماذا اختار « بن جوريون » الرجل المناسب وقال : « بيرجمان كان من العلماء القلائل الذين شاهدوا مصدر الاشعاع ويدركون كيفية صنع قنبلة خفيفة . وفهم الأنواع المختلفة للنشاط الضرورى ، والجزء الأول يتلخص فى اعداد مواد جديدة غير معروفة ، ثم تنتجها فى كميات وفيرة وأخيرا هناك كيفية نقلها أو اطلاقها للمكان المطلوب ».

ومازال دور « بيرجمان » فى تطوير الترسانة النووية الاسرائيلية سرا حتى الآن . وخلال السنوات التالية لوفاته ، وكما أصبحت الترسانة النووية الاسرائيلية محددة أصبح شخصية مجهولة فعليا وضحية للأمن الاسرائيلى الصارم والرقابة الذاتية التى ينطوى عليها هذا الأمن . وعلى سبيل المثال وصف « شيمون بيريز » ، فى كتاب نشر فى الولايات المتحدة عام ١٩٧٩ ، «بيرجمان» الذى عمل معه بصورة وثيقة طوال ١٣ عاما كواحد من المؤسسين السبعة لدولة اسرائيل . ولم يذكر « بيريز » بالطبع الأسلحة النووية ولكنه ذكر أن « حاييم فايتسمان » اعتبر بيرجمان « مرشح مستقبلى للرئاسة فى إسرائيل . ومع ذلك لم يذكر « بيرجمان » ولو مرة واحدة فى سيرة « بيريز » الذاتية التى نشرت عام ١٩٨٢ وكتبها « ماتى جولان » المسئول الحكومى السابق الذى حصل على حق الاطلاع على أوراق « بيريز » كما أنه لم يذكر فى الطبعة الانجليزية للسيرة الذاتية الدقيقة لبن جوريون التى وضعها « ميشيل بار زوهار » .

وفى ربيع ١٩٥٧ بدا واضحا أن معمل النبيذ القديم فى (ريتشون ال زيون) لن يصلح وان موقعا جديدا أصبح ضروريا للمفاعل الأكبر ، المعروف حتى ذلك الحين باسم « أى إل - ١٠٢ » ، ولم يكن صعبا بالنسبة لبيريز أن

يقنع بن جوريون بأن يقام فى ديمونة بالقرب من مدينة بير سبع القديمة فى صحراء النقب التى يعشقها . ونقلت الأموال مباشرة الى باريس من حساب رئيس الوزراء وشركة سانت جوبان الفرنسية للكيماويات التى كان أمامها عامان لتكمل مركز المعالجة فى ماركول والتى أختيرت لبناء منشأة اعادة المعالجة الاسرائيلية تحت الأرض ، وفور بدء مهندسى شركة سانت جوبان العمل تلقوا الخطط الأولية لانشاء المفاعل وأصيبوا بالدهشة البالغة لما اطلعوا عليه . فقد دعا الاتفاق الفرنسى - الاسرائيلى لأن يكون مركز اعادة المعالجة قادرا بطاقته القصوى على انتاج ٢٤ مليون وات (٢٤ ميجاوات) من الطاقة الحرارية ولكن قنوات التبريد ومنشآت النفايات والمواصفات الأخرى أشارت الى أن المفاعل سيعمل بثلاثة أضعاف طاقته . واذا حدث ذلك فإنه سينتج من البلوتونيوم ما يزيد على ما ينتج فى ماركول ، أكثر من ٢٢ كيلو جراما سنويا وهو ما يكفى لأربع قنابل نووية بطاقة تفجير تساوى تلك التى أسقطت على هيروشيما وناجازاكى .

وبدأ العمل فى مفاعل « آى إل - ١٠٢ » فى أوائل عام ١٩٥٨ ، وطوال السنوات القليلة التالية حولت آلاف الأطنان من الآلات المستوردة ومئات الفنيين والمهندسين والزوجات والأطفال والخليلات والسيارات الأجنبية ركن هادىء فى صحراء النقب الى مدينة فرنسية مزدحمة ، ولم يتم انشاء أى شىء منذ لوس ألاموس يمكن مقارنته به سواء من حيث الحجم أو ما يتمتع به من سرية .

٤

الإدراك الأول

عادت الدراسات على عمليات القصف المكثف لألمانيا واليابان ، التى وجدت أن ٨٠ فى المائة من أكثر المعلومات فائدة جاءت من عمليات الاستطلاع الجوى إلى التأكيد على اعتماد « الجنرال دوايت إيزنهاور » على التصوير الجوى حين كان قائدا للحلفاء فى الحرب العالمية الثانية . وحين أصبح « إيزنهاور » رئيسا فى عام ١٩٥٣ شعر بالقلق لنقص التجسس الجوى على الاتحاد السوفييتى ، وأمر الـ « سى أى أيه » بأن تفعل شيئا حيال ذلك . وأنشأت فرقة المعلومات المصورة على الفور واختار مسئولو الـ « سى أى أيه » خريج جامعة شيكاغو « أرثر لونداهل » لرئاستها . وكان « لونداهل » قد حلل صور الاستطلاع للبحرية خلال الحرب وظل فى المجال بعد ذلك . وتمثلت واحدة من خطواته الأولى فى إقناع « دينو برجيونى » الذى كان حينئذ يجمع الملفات عن الصناعة السوفييتية، بالعمل معه . و « برجيونى » من المحاربين القدماء فى الحرب العالمية الثانية وخدم كمصـور جوى وخبير فى اللاسلكى والرادار فى القاذفات الهجومية للقوة الجوية الثانية عشرة فى إيطاليا . وجندته الـ « سى أى أيه » فى ١٩٤٨ بعد عـام من إنشائها . واتسم « برجيونى » مثل « لونداهل » بالبراعة فيما يقوم به من عمل وتزامل الرجلان وأصبحا حميمين طوال الأربعين عاما التالية .

وتمثلت خطوة « ايزنهاور » التالية فى إصدار أمر بالبدء فى برنامج استطلاع جرئ ، يستهدف أولا الاتحاد السوفييتى ويصدر قرار إنتاج طائرة تمثل ثورة يمكنها أن تعمل لحساب الـ « سى أى أيه » والقوات الجوية معا . وستصبح الطائرة « يو ٢ » التى انتجت بشكل سرى فى شركة « لوكهيد »

للطــائرات فى بورينك فى كاليفورنيــا ، قادرة على الطيــران والتحليق لمدة ١١ ساعة ، وتخطى مساحة تزيد على خمسة آلاف ميل على ارتفاعات تزيد على ٦٥ ألف قدم ، فى الوقت التى تستهلك فيه ألف جالون من الوقود فقط . وانتجت عدسات وكاميرات وأفلام دقيقة خاصة ، لتمكن طائرة التجسس من تصوير مساحة تمتد من موسكو إلى طشقند جنوب شرق بحر الأورال فى مشهد غير منقطع . وبدأ تشغيل الطائرة « يو ٢ » من قاعدة سرية فى المانيا الغربية فى ٤ يوليو ١٩٥٦ وتمركزت أهدافها الأولى فى قواعد القاذفات السوفييتية بعيدة المدى و « لنينجراد » . وحلقت فوق موسكو فى اليوم التالى والتقطت صورا مثيرة ، اطلق عليها الاسم الشفرى « شطرنج » ، للكرملين وديفيتر جاردن وعرضت فيما بعد على الرئيس ومستشاريه . وبدأت الطائرة الثانية من طراز « يو ٢ » العمل فى تركيا وفيما بعد أنشئت مزيد من القواعد فى باكستان والنرويج .

وكان هذا استثمارا رائعا ، فقد صورت المنصات السوفييتية ورسمت خرائطها وتحددت الأهداف فى غضون أيام قلائل للصواريخ والقاذفات الأمريكية من جانب القيادة الجوية الاستراتيجية . ومع ذلك كانت هناك مهمة بنفس القدر من الحيوية فى هذه السنوات الأولى وهى تحديد وتصوير العناصر الصناعية للبرنامج النووى السوفييتى . وأين توجد المفاعلات ومنشآت إنتاج الماء الثقيل ومراكز معالجة اليورانيوم والبلوتونيوم ومواقع إنتاج الرءوس النووية وتجميع الأسلحة الفعلية وفى منتصف الخمسينات بدا واضحا أن التكنولوجيا السوفييتية قامت بعمل رائع فى اللحاق بسباق التسلح النووى مما أثار استياء الامريكيين ، وفى ١٩٤٩ نجح السوفييت بعد أربع سنوات من « هيروشيما » و « ناجازاكى » فى تفجير أول قنبلة ذرية بواسطة البلوتونيوم . وكانت هذه القنبلة الأولى ، مثل سابقتها الأمريكية ، أهم أسس الترسانة الذرية ، كسلاح أنشطارى . وتتكون هــذه الأسلحة من قدر ضئيل من المادة القابلة للإنشطار محاطة بمواد ذات قدرة تفجير عاليـة . ويتم تفجير المتفجرات داخليا فى تتابع دقيق (يقاس بأجزاء من المليار من الثانية) مما يؤدى فجاءة وبكثافة لضــغط أو التفجيــر الداخــلى للنــواة . وتصــبح المادة الإنشــطارية « شديدة الخطورة » وتبدأ فى إطلاق النيوترونات بمعدل أسرع بكثير عن

قدرتها على الخروج من النواة . ويسفر الإطلاق المفاجئ للطاقة عن وقوع الانفجار العنيف .

وقبل فترة من انتهاء الحرب أدرك ادوارد تيلور ومصممون آخرون للأسلحة النووية الأمريكية أن إنتاج سلاح نووى أكثر قوة يكون الانشطار هو مرحلته الأولى فقط أمر ممكن ، وكان السلاح الجديد الذى تم تطويره تحت الاسم الشفرى « سوبر » هو القنبلة الهيدروجينية والمعروفة للفيزيائيين حاليا بأداة الصهر . وظهرت مشكلتان أساسيتان فى طريق تطوير قنبلة هيدروجيتية قوية : الأولى كيفية إشعال مادة الصهر وكيفية جعلها تحترق بفاعلية . وبعد الكثير من التجربة والخطأ أنتج العلماء فى لوس الاموس جهازا ذا مرحلتين يضم مكونين منفصلين داخل رأس حربى واحد . تشتعل القنبلة الإنشطارية (المرحلة الأولى) داخل الرأس الحربى ويتم إحتواء الجزء الأكبر من الإشعاع الناجم عن وسيلة الشطر فى الرأس الحربى ويضغط ويشعل وقود نووى حرارى خاص فى جزء مستقل (الخطوة الثانية) . ويمكن استخدام « الديوتوريوم » وهو نظير للهيدروجين يصل وزنه ضعف وزن الهيدروجين أو « ليثيوم الديوتريد » كوقود نووى حرارى . ويعد « الديوتروم » الوقود الأساسى للشمس ويحترق هناك عند درجات حرارة تتراوح بين ١٨ إلى ٣٦ مليون درجة فهرنهايت .

وأجرى الفيزيائيون الأمريكيون تجارب ووصلوا إلى إدراك أن أى وقود نووى حرارى فور اشتعاله بالإنشطار داخل قنبلة هيدروجينية ، سيحترق فى سرعة وحرارة وضغط يفوق درجة احتراقه فى مركز الشمس وتمثل أحد مفاتيح القنبلة الهيدروجينية فى الاشتعال الأول لإداة إنشطارية لأن الإنشطار وحده هو القادر على إنتاج الحرارة ، وكما فهم العلماء فيما بعد ، الإشعاع اللازم لاحتراق الوقود النووى الحرارى . وحين اجريت التجارب بنجاح على القنبلة النووية الحرارية فى « انيو يدتوك » ، الجزيرة المرجانية التى تقع فى غرب البحر الهادئ أسفر عن حدوث فوهة قطرها ٦٢٤٠ قدما ، أكثر من ميل وبعمق ١٦٤ قدما . وبلغت قوتها ٦٥٠ ضعف قوة القنبلة البدائية التى اسقطت على « هيروشيما » . وأكد فريق لوس الاموس فيما بعد أن انصهار الديوتوريوم والترتيوم ، وهو نظير ثقيل أخر للهيدروجين يعد أحد المنتجات الفرعية لليتيوم،

سيؤدى إلى انفجـار نووى حـرارى قوته ١٥ ميجا طن ، أو يزيد ألف مرة على قوة قنبلة هيروشيما .

وتحرك السوفييت الذين علموا فى إحدى المراحل انهم يتخلفون عن برنامج القنبلة النووية الحرارية الأمريكية بمسافة ثلاث سنوات ، سريعا إلى الأمام نحو علم صناعة أسلحة الدمار الشامل . وتم أول اختبار ناجح للقنبلة الهيدروجينية السوفييتية ذات المرحلتين فى عام ١٩٥٥ ، وبعد ست سنوات فجر العلماء السوفييت أضخم قنبلة هيدروجينية عرفت حتى الآن . بلغت طاقتها التفجيرية ٥٨ ميجـا طن . وفى ذروتـه فى عام ١٩٨٨ بلغ المخزون النووى السـوفييتى ٣٣ ألف رأس حربى بمـا يزيد بصـورة طفيفة عمـا احتفظت به الولايات المتحدة فى عام الذروة بالنسبة لها فى ١٩٦٧ . وفى البـداية كان كل شئ سرا حتى وجود الـ « سى أى أيه » وفريق المعلومات المصورة .

وقدمت الطلعات الأولى للطـائرة « يو ٢ » فوق الاتحـاد السوفييتى أدلة مثيرة على أن السوفييت متقدمين فى مجال الاسلحة التقليدية كما كان يعتقد البنتاجون . فلم تكن هناك (فجوة فى القاذفات) أو (فجوة صواريخ) . وبدت هذه الاكتشافات ذات أهمية قصوى وقدمت على الفور للرئيس « ايزنهاور » نفسه ولكبار المسـئولين الآخـرين . ووجد « لونـداهل » قائد وحدة معلومات « يو ٢ » نفسه سريعا وقد أصبح أهم ضابط معلومات تستمع إليه الحكومة الأمريكية . ويتذكر قائلا (لقد كنت أمضى الليالى أجمع المعلومات وأطوف واشنطن طوال النهار) . وأصبح « برجيونى » هو المسئول عن إمداده بالمعلومات التى تم الحصول عليها بواسطة طلعات الطائرات « يو ٢ » .

كما راقبت الولايات المتحدة بدقة الصحراء الإسرائيلية ، فقد ثارت ثائرة « ايزنهـاور » والرجـال المحيطون به بمن فيهم وزير الخـارجية « جون فوستر دالاس » . وآلان مدير الـ « سى أى أيه » لمحاولة إسرائيل إخفاء حجم قدراتها العسكرية قبل غزو السويس ١٩٥٦ . وأصبحت الطـائرة « يو ٢ » التى سيتم فيما بعد اسقاط طياريها ومن بينهم « جارى فرانسيس بورز » ، هى التى تكشف الحقائق وكان هدفها الأصلى التحليق فوق الاتحاد السوفييتى . ولكن حددت أهداف اخرى للطائرات « يو ٢ » فى المناطق الحساسة وبخاصة فى

أوقات الأزمات ، وهو التوصيف الملائم للشرق الأوسط عام ١٩٥٨ . فقد اندمجت مصر وسوريا فى أوائل هذا العام وشكلا الجمهورية العربية المتحدة وسقط العالم العربى فى حالة اضطراب سياسى . وأدت المعارضة الإسلامية التى اثارتها مصر وسوريا لأعمال عنف فى لبنان الموالى للغرب حيث تقدم مشاه البحرية الأمريكية للشاطئ من أجل حماية نظام الرئيس « كميل شمعون » فى يوليو . وأطيح بالنظام الملكى العراقى الذى كان هو الآخر مواليا للغرب فى انقلاب عسكرى دموى وحل محله ديكتاتور عسكرى هو « عبد الكريم قاسم » .

ولذلك عاد « جارى بورز » وزملاؤه الذين استمروا لفترات فى التحليق فوق الشرق الأوسط للعمل فى المنطقة . واكتشفت الطلعات الاعتراضية المصورة لـ « سى أى أيه » فجأة نشاطا مكثفا فى ميدان تدريب على القصف تابع للسلاح الجوى الإسرائيلى جنوب بير سبع . وهو مركز بدوى قديم لتجارة الجمال .

وكان التصوير الاعتراضى مازال علما وليدا فى عام ١٩٥٨ ويتم يدويا . فالفيلم الذى تلتقطه عمليات « يو ٢ » ينقل بعد تحميضه فورا إلى فرقة المعلومات المصورة فى الـ « سى أى أيه » حيث يطبع ويتم تحليله ويتم رفعه إلى الدوائر العليا وإلى « آلان دالاس » إذا اقتضت الضرورة ثم يرفع مباشرة إلى البيت الأبيض . وقد ظل « ايزنهاور » مستهلكا منهما لهذه الصور حتى الأيام الأخيرة لرئاسته ، واقتصر الاطلاع على الصور والتقارير عادة على الرئيس ومساعديه المقربين . وظلت السرية مطلوبة إلى أقصى حد على الرغم من أن الاتحاد السوفييتى علم فى النهاية بعمليات « يو ٢ » وبدأ فى الشكوى المريرة ، بشكل غير معلن من الانتهاكات الأمريكية لمجاله الجوى .

وكانت هناك حاجة مستمرة وحيوية للتنسيق الوثيق بين الجماعات الغربية مثل المخططين النوويين الأمريكيين ، والرجال المشرفين على عمليات « يو ٢ » . فالبلوتونيوم والتريتيوم يوجدان فى الطبيعة بكميات ضئيلة فقط ولذلك يجب تصنيعهما بمعالجة الليثيوم فى مفاعل نووى . ومن بين المنتجات الفرعية الحتمية لعملية تصنيع الغازات المشعة التى تندفع فى المناخ . وتدرب المحللون للصور الأولى للطائرة « يو ٢ » على البحث عن مداخن ضخمة أو مميزة أو

« أعمدة دخان » . كما أسماها محللو الصور وخضعت جميعها لدراسة متأنية لمعرفة ما إذا كانت مرتبطة بمنشأة للأسلحة النووية .

و « برجيونى » هو الذى يذكر رؤية الدلائل الأولى عما سيصبح بعد ذلك المفاعل النووى العراقى . وقال « برجيونى » : (لقد امتلكت إسرائيل ميدان قصف فى النقب وكنا نراقبه . وقد كانت نقطة تدريب عسكرية ، حيث يجرون التدريبات) . واحد المفاتيح التى لم يتم فهمها فورا تمثلت فى تطويق منطقة شاسعة ، قاحلة تبلغ ١٢ ميلا أو ما إلى ذلك خارج مدينة ديمونة الصحراوية . واعتقد « برجيونى » ومحللو الصور أن الإسرائيليين ينشئون موقعا لتجارب الذخيرة . ولوحظ طريق جديد من بير سبع على بعد ٢٥ ميلا إلى الشمال . يؤدى مباشرة إلى المنطقة التى تم تطويقها . وظهرت فجأة آلات ثقيلة وعمال تشييد . ولم يعد المكان نقطة أخرى تذكر وسط آلاف من المعلومات السلبية التى تنقلها الطائرة « يو ٢ » إلى مقر الـ « سى أى أيه » . فقد بدأ الحفر تحت الأرض فى أوائل ١٩٥٨ وبعد ذلك مباشرة بدأ تدفق الأسمنت فى قواعد ثقيلة . ودرس « برجيونى » وزملاؤه وزاروا مفاعلات نووية فى الولايات المتحدة وأدركوا أن شيئا غير عادى يحدث ، ويقول « برجيونى » : (لقـد اكتشفنا الأمر على الفور . فماذا بحق الشيطان يفعل هذا المجمع الذى تم دعمه بالخرسانة المسلحة فى وسط الصحراء) .

وكان الحفر العميق دليلا آخر . ويوضح « برجيونى » قائلا : (بعد حرب ١٩٥٦ أصبح كل شىء سرا فى إسرائيل ولكن الرجال يبنون وفقا لنماذج « فيمتك » رسم دائرة قطرها ٢٥ ميلا فى غالبية مناطق العالم وتفهم لماذا يقضى رجل حياته فى دراسة هذه الدائرة . وأنت تشاهد قطيعا يرعى حظائر خنازير ودواجن وتستنتج أن الناس يأكلون اللحوم . ويمكنك رؤية مصانع ومدارس وكنائس ومنازل ... إلى آخره بما نسميه « علامات » والأمور العسكرية أكثر خضوعا للنموذج . فكلما شيدت منشأة نووية فإنك تبنيها سميكة وعميقة . وكانوا يضـخون كميات ضخمة من الخرســـانة وأدركنا أنهم يحفرون على عمـق كبير) .

وجدت إدارة « ايزينهاور » متعاطفة مع وضع إسرائيل الدولى المزعزع فى عام ١٩٥٨ ويتذكر « برجيونى » قائلا : (اعتبرت الجمهورية العربية المتحدة

تهديدا ضخما . وثارت مخاوف من أن يتحد ناصر مع العالم العربى ويستولون على إسرائيل وكان الأمر سيبدو انقلابا حقيقيا إذا كان ناصر قد استولى على لبنان فى ١٩٥٨) . وأمر « ايزنهاور » سرا السلاح الجوى الأمريكى بتوفير فرق تدريب للطيارين ولعمليات الاستطلاع الجوى والتصوير الاعتراضى للإسرائيليين . وعمل بعض الأمريكيين بشكل سرى (واستهدف هذا السلوك مساعدة إسرائيل وتنبيههم ولكن دون أى تورط) .

ولم يكن هناك سبيل لأن يتغاضى « لونداهل » و« برجيونى » لحظة عن البناء الوشيك لمفاعل نووى سرى . واعتقدا بقوة وزملاؤهما فى فريق « يو ٢ » فى حق إسرائيل فى الوجود ولكنهم ظلوا مقتنعين بنفس القدر بأن أى قنبلة إسرائيلية ستزعزع استقرار الشرق الأوسط . كما أدركوا أنهم يتعاملون مع حالة سياسية متفجرة وفضلوا الانتظار فالتكهن كان قاتلا . ويذكر « برجيونى » : (كلما حصلت على شئ عن الإسرائيليين ولم تنقله فورا فمن الأفضل أن تلتزم الحرص خاصة إذا كنت تملك وظيفة) .

وكان تدفق الخرسانة من أجل القبة الدائرية الخاصة بالمفاعل هو كل ما يحتاجه « لونداهل » . ونقل سريعا الصور الخاصة الأولى إلى البيت الأبيض فى أواخر عام ١٩٥٨ وأوائل عام ١٩٥٩ . وكان « لونداهل » يدرك القواعد ، فلم يحمل أى تقرير مكتوب ، فلم يكن الورق يستخدم مطلقا فى تقارير « ليو ٢ » ويقول « لونداهل » : (أن ايك لم يكن يريد أى مذكرات لفترة) . وزادت درجة السرية الخاصة « ليو ٢ » نتيجة السماح لوحدة « لونداهل » بالاطلاع بدرجة غير عادية على الأسرار الأمريكية بما فى ذلك التقارير من المنشقين والعملاء السريين فى الاتحاد السوفييتى ومناطق أخرى . كما زود محللو الصور بتقارير عن الاتصالات السوفييتية وتقارير عن التحقيقات مع اللاجئين من الاتحاد السوفييتى وأوربا الشرقية التى تجريها فرق خاصة فى المخابرات الأمريكية والإسرائيلية . والافتراض تلخص فى أنه مادام أن غالبية منشآت الأسلحة النووية وراء الستار الحديدى تم إخفاؤها ببراعة فإن محللو الصور فى حاجة لأكبر قدر من المساعدة الممكنة . وأصبح أى تعليق عشوائى لأحد اللاجئين على مصنع سرى فى مكان ما فى الاتحاد السوفييتى يعتبر عادة اكتشافا عظيما .

واتبعت التقارير المرسلة للبيت الأبيض عن القضايا المهمة النموذج المحدد . ويتذكر « لونداهل » أنه كان يبلغ الرئيس الذى عادة يصاحبه « الان دالاس » مدير الـ « سى أى أيه » و « جون فوستر دالاس » وزير الخارجية بما يعرفه ثم يتلقى طلبا رئاسيا لتقديم مزيد من المعلومات . وفى قسم المعلومات المصورة التابع للـ « سى أى أيه » ثلاث مراحل للمتابعة . المرحلة الأولى هى التقرير الفورى ، الذى يقدم فى أسرع وقت ممكن كما هو الحال بالنسبة للصور الأولى للمفاعل الإسرائيلى . وتقرير المرحلة الثانية الذى يقدم فى اليوم التالى يتطلب أن يوسع فريق « لونداهل » نطاق صور المعلومات ويطرحوها للعرض . وهنا تزود بعض الحواشى وبعض التعليقات . ويدعو التقرير الثالث لإجراء تحليل مكثف على أساس العديد من الطلعات الجوية المستمرة على مدار أسابيع عديدة . وهنا يتم تحديد مهام معينة للطائرات « يو ٢ » والتقاط سلسلة مكثفة من الصور .

واقترح « لونداهل » تطبيق المرحلة الثانية أو المرحلة الثالثة على المعلومات الإسرائيلية ويتذكر أنه بدلا من ذلك ، وهو مصاب بقدر كبير من الدهشة أكثر من ثلاثين عاما بعد ذلك ، (لم تصدر طلبات إضافية أو طلب للحصول على مزيد من التفاصيل) ويضيف « لونداهل » : أنه فى الواقع وطوال السنوات التالية : لم يرجع إلى أى شخص فيما يتعلق بإسرائيل . ولم تتم مطالبتى مطلقا بمتابعة أى شئ عن التقارير الإسرائيلية » .

ولكن لم يطالبه أى شخص بألا يفعل واستمرت الطائرة « يو ٢ » التحليق فوق النقب ونقل « لونداهل » ما توصل إليه عن «ديمونة» إلى «لويس شتراوس» رئيس لجنة الطاقة الذرية وعدد من معاونيه بها ، الذين كانو ضمن حفنة من المسئولين فى إدارة « ايزنهاور » يطلعون على معلومات « يو ٢ » ، وطالبت المعلومات الدائمة « لونداهل » بتقديم كل المعلومات النووية للبيت الأبيض وبعد ذلك إلى مفوض لجنة الطاقة الذرية إذا لم تصدر له أوامر أخرى . ويقول « لونداهل » : (إن شيئا فى أهمية « ديمونة » كان يرفع على الفور) ويضيف قائلا » : (ما أعتقده أننى نقلت كل شئ عرفته إلى رؤسائى . فهم يجلسون فى موقع أعلى من الجبل) ولم تعلن أى من الاتصالات التى دارت بين « ايزنهاور » و « بن جوريون » حول البناء المشئوم فى النقب ، ولكن علم أن

رسائل قد كتبت فى هذا الشأن . وفى يوليو ١٩٥٨ فى ذروة القلق الإسرائيلى من دعوة ناصر للقومية العربية ، طلب « بن جوريون » من أمريكا سرا معونة (سياسية ومالية ومعنوية) لإسرائيل التى تتصدى لناصر (والتوسع السوفييتى) . ورد « ايزنهاور » وفقا لما يذكر « ميشيل باروهار » الذى سطر مسيرة « بن جوريون » ، وبمذكرة فاترة ابلغ فيها « بن جوريون » (بأنه فى وسعك أن تثق فى اهتمام الولايات المتحدة بسيادة واستقلال إسرائيل) . وكان « بن جوريون » يأمل فى أن يدعى لزيارة واشنطن لإجراء محادثات مباشرة مع الرئيس . كشف مسئول إسرائيلى سابق فى حديث أجرى خصيصا لهذا الكتاب النقاب عن إشارة « ايزنهاور » سرا إلى قضية « ديمونة » على الأقل مرة واحدة خلال هذه الفترة مما دفع « بن جوريون » لأن يطلب قيام الولايات المتحدة (بمد مظلتها النووية لإسرائيل) . ويضيف المسئول السابق أنه لم يأت رد على ذلك من « ايزنهاور » .

وظل « برجيونى » مفتونا بالبناء الإسرائيلى فى « ديمونة » ويؤكد وهو مازال مصابا بالحيرة (لقد واصلنا المراقبة . وشاهدناه وهو ينمو ولم يشجعنا البيت الأبيض مطلقا على تقديم المزيد من التقارير . ودائما كان الرد (شكرا لكم) و (هذا لن ينشر أليس كذلك ؟) وهكذا مضى الأمر .

وقد أعد « برجيونى » مادة التقارير الرئاسية للونداهل و أدرك أن المعلومات عن إسرائيل تذهب إلى القمة . ويقول « برجيونى » : (الواقع أننى لم أكتشف مطلقا ما إذا كان البيت الأبيض يريد أن تحصل إسرائيل على القنبلة أم لا) .

وشاهد محللو « لونداهل » ، عبر الفيضان المستمر لصور « يو ٢ » أنه توجد منطقتا حفر منفصلتان فى الصحراء ، ولم يدرك الأمريكيون على الفور بالطبع أنهما خاضعون لقيادة فرنسية . وحدثت محاولة مبكرة لتقرير حجم الموقع بقياس النفاية أو كم ما يستخرج من الأرض بالقدم المكعب يوميا . وكانت هذه وسيلة قديمة بالنسبة لمحللى الصور الأمريكيين الذين اتبعوها فى الحرب العالمية الثانية حين قام الألمان بنقل مؤسساتهم الصناعية ومصانعهم تحت الأرض فى محاولة يائسة لتجنب قصف الحلفاء المكثف . وظلت النفاية التى تستخرج من الأرض مفتاحا دائما . واستمرت دليلا لوجود عملية تحت

الأرض . واستفادت الـ « سى أى أيه » من خبرة الحرب العالمية الثانية ونجح فريقها المسئول عن نفق برلين فى عام ١٩٥٦ الذى تم حفره من ألمانيا الغربية إلى ألمانيا الشرقية فى إخفاء مخلفات الحفر بنقل النفاية فى صناديق معلبات الميدان الخاصة بالجيش .

واتضحت حقيقة خلال السنوات التالية . فقد علمت إسرائيل بأمر طلعات « يو ٢ » ولم ترض عنها . وفى إحدى الفترات بعد ١٩٥٨ أصبح فى الإمكان رؤية الإسرائيليين وهم يستخدمون شاحنات مغلقة وينقلون النفاية والانقاض الخاصة بكل يوم حفر . وأصبح هناك دليل قوى حينئذ على أنه يتم إعداد الموقع الثانى الموجود تحت الأرض فى « ديمونة » لمصنع إعادة المعالجة الكيميائية ، اللازم من أجل إنتاج البلوتونيوم المستخدم فى الأسلحة والقنبلة . وجاء أفضل دليل على النوايا الإسرائيلية من تحليل التشابه المثير للنموذج كما شوهد بواسطة التصوير الفوتوغرافى ، بين « ديمونة » والمنشأة النووية الفرنسية فى « ماركول » . وقد حلقت طائرات النقل المدنية المزودة بكاميرات خفية بشكل منتظم فوق المنشأة الفرنسية خلال الخمسينات وكانت تلك الطائرات خاصة بالدبلوماسيين والضباط العسكريين الأمريكيين المهيمنين فى السفارة الأمريكية فى باريس . وبحلول عام ١٩٥٩ علم أن المفاعل ومصنع إعادة المعالجة الكيميائية فى « ماركول » بدأ يعمل بكامل طاقته . ويتذكر « برجيونى » قائلا : (بدا واضحا أن الإسرائيليين يتبعون النموذج الفرنسى. وشاهدنا ما يكفى لندرك أن الموقع الثانى فى « ديمونة » سيصبح مصنعا لإعادة المعالجة الكيميائية) . كما هو الحال بالنسبة لمصنع المعالجة المنفصل فى « ماركول » .

ومع استكمال مفاعل « ديمونة » ، أصبح يوجد قدر أقل من المعلومات يمكن معرفته من طلعات « يو ٢ » . وأصبح فى وسع صور « يو ٢ » أن تلتقط فقط ما هو قائم على السطح وأصبح على مجتمع المخابرات أن يمضى سنوات طويلة فى محاولة التأكد مما إذا كانت إسرائيل قد اتخذت الخطوة الثانية ، لبناء مصنع لإعادة المعالجة الكيميائية . وصدرت الأوامر للملحقين الأمريكيين بإيجاد عذر للسفر إلى الصحراء والتقاط الصور وعرضت الـ « سى أى أيه » حتى شراء النبيذ لأى مجموعة من هذه المجموعات التى تدعى أنها تقوم برحلة.

وسلمت الـ « سى آى إيه » للملحقين كاميرات اوتوماتيكية خاصة مزودة بعدسات معدة سلفا . وذكر « لونداهل » : (كل ما كان عليهم أن يفعلوه أن يضغطوا الزر). ويضيف أنه فى السنوات الأولى نجح عدد محدود فقط من الملحقين « فى التسلل والتقاط صور جيدة » . وفيما بعد بدأت الـ « سى أى أيه » تطالب الملحقين بالتقاط النجيل والشجيرات لاخضاعها لمزيد من التحليل للتأكد مما إذا كان الإسرائيليون قد قاموا بتشغيل مصنع المعالجة الكيميائية ، وتلخصت النظرية فى أن آثار البلوتونيوم والمنتجات المنصهرة إذا كانت قد انتجت ، ستكون فى الجو . ويذكر « برجيونى » ضاحكا (إن المرء من هؤلاء كان يذهب لمنطقة يوجد بها بعض الأعشاب ويتظاهر بقضاء حاجته ثم يلتقط بعض النجيل ويضعها فى طيات ملابسه) .

ورد الإسرائيليون بزراعة أشجار ضخمة لحجب خط الرؤية على أى مصورين محتملين وكذا كثفوا دورياتهم حول « ديمونة » . وكاد ملحق أمريكى يقتل بالرصاص على أيدى الحراس الإسرائيليين حين تخطى القواعد التى وضعتها السفارة الأمريكية فى تل أبيب .

وستظل لعبة القط والفأر مستمرة طوال السنوات العشر التالية بقيام الإسرائيليين بحجب البناء المتسع فى « ديمونة » واستمرار عجز الأمريكيين عن معرفة ما إذا كان الإسرائيليون يقومون بتشغيل مصنع إعادة المعالجة الكيميائية . وقال « برجيونى » : (لقد أدركنا أنهم يحاولون السخرية منا . وأدركوا هم ذلك . وقد اردك الإسرائيليون معنى عمليات الاستطلاع الجوى . فبحق الشيطان لقد تدرب أغلبهم فى السلاح الجوى الأمريكى) .

ويعتقد « برجيونى » أنه كان يوجد المزيد من المعلومات التى لم تحول إلى المحللين (فقد كان « الان دالاس » يسألنى من حين لآخر عما إذا كنت قد شاهدت المعلومات اليهودية) مشيرا إلى تقارير عملاء الـ « سى أى أيه » التى تتعلق بالقنبلة الإسرائيلية . ويضيف برجيونى : (أجيب بالنفى فإن مكتبه يتصل فى وقت لاحق ويبلغنى بتجاهل الأمر) ، وتتعلق واحدة من القضايا المتعددة بمسـألة اليهود الأمريكيين الذين كانوا ملتزمين بشدة مثل كثيرين آخرين ، بأمن إسرائيل . وكان من المعروف أن عددا من علماء الفيزياء الأمريكيين هاجروا إلى إسرائيل بعد الحرب العالمية الثانية ومن بينهم أحد

العاملين القدامى فى مشروع منهاتن والذى ظل يعمل حتى عام ١٩٥٦ . فى أكثر المجالات حساسية فى تصميم المفاعلات النووية . ويقول « برجيونى » (كنا ندرك أن هناك يهودا يذهبون إلى إسرائيل ليطلعونهم على كيفية إنتاجها . ومن ناحية أخرى أصبحنا نتلقى معلومات من اليهود الذين ذهبوا إلى إسرائيل ولم يبلغوا إسرائيل مطلقا أنهم يتحدثون إلينا) وبدأ العلماء والفيزيائيون اليهود فى العودة من زياراتهم لإسرائيل فى أواخر الخمسينات بمعلومات أكثر دقة عن اهتمام إسرائيل بالأسلحة النووية بل إن الـ « سى أى أيه » زودت بمعلومات سرية عن قيام إسرائيل بجمع أموال طائلة من أجل « ديمونة » من الجالية اليهودية الأمريكية .

وبنهاية عام ١٩٥٩ لم يكن لدى « لونداهل » و « برجيونى » أدنى شك فى أن إسرائيل فى طريقها لحيازة القنبلة . كما لم يكن هناك شك فى أن الرئيس « ايزنهاور » ومستشاريه مصممون على النظر فى الجهة الآخرى .

وقال « برجيونى » : (إنه والآخرين اختاروا فى النهاية عدم إثارة أية أسئلة عن « ديمونة» فقد كان هناك الكثير من السياسات لا نعلم شيئا عنها . ولم نكن نهتم بأن نعلم . فلم نكن أغبياء وكان فى إمكاننا أن نعرف حاصل جمع ٢ + ٢ . ولكن النظام قرر تهدئة الأمور وهذا ما حدث . فإذا كنت مسؤلا كبيرا فإنك تتعلم قراءة أوراق الشاى سريعا وتبقى شفتيك مغلقتين لفترة) .

٥

حــروب داخلية

حوصر مشروع القنبلة النووية الإسرائيلية بالأعداء من الداخل والخارج فى تاريخه المبكر . واعتقد غالبية كبار المسئولين الذين كانوا على دراية بما يحدث فى « ديمونة » أنه من الحماقة إضاعة هذا الكم الضخم من الأموال على سلاح للدمار الشامل قد يعمل وقد لا يعمل فى حين ان الحاجة ملحة للحصول على أسلحة تقليدية كالدبابات والمدافع والطائرات وبدأ مفهوم تحول إسرائيل النامية الفقيرة كقوة عظمى مضحكا . ففى أوائل الستينات ، قامت « ديمونة » باحتياجاتها الضخمة من العمالة البشرية بتشغيل الكثير من أكفأ علماء وفنيى إسرائيل من مراكز الأبحاث والشركات الصناعية المحلية مما أدى إلى انخفاض فى نمو القاعدة الصناعية للبلاد مما أثار انتقادا واسع النطاق . كما ترددت اعتراضات اخلاقية من بعض أعضاء المجتمع العلمى والأكاديمى من بينهم اثنان من الأعضاء الأساسيين للجنة الطاقة الذرية الإسرائيلية ، وفى عام ١٩٥٧ ، ومع بدء البناء فى المفاعل استقال أربعة أعضاء آخرين من اللجنة أساسا لأنهم لم يجدوا شيئا يفعلوه . وأصبح « ارنست ديفيد بيرجمان » رئيس اللجنة هو الوحيد الذى يجد عملا يؤديه .

وشن « بيرجمان و « ديفيد بن جوريون » و « شيمون بيريز » ما وصل إلى حـد الحرب الدائمة سرا ، للإبقاء على مشروع القنبلة الإسرائيلية على قيد الحياة . وجاءت أكثر المشكلات المنذرة بالخطر من شريك إسرائيل السرى ، الفرنسيين . فقـد فاز الجنرال « شـارل ديجول بفترة رئاسية مدتها سبع سنوات كرئيس للجمهورية الخامسة الفرنسية الجديدة فى ديسمبر ١٩٥٨ بعد

أن وعد بإيجاد تسوية مقبولة لإنهاء الحرب فى الجزائر . وقد أدت الحرب التى ظل « ديجول » يشنها ، إلى حدوث انقسام حاد فى الأمة كما فعلت حرب فيتنام من إنقسام فيما بعد فى الولايات المتحدة ، أما جميع القضايا الاخرى مثـل مسألة استمرار الدعم لإسرائيل فقد بدت ثانوية . واشتهر « ديجول » بأنه من المؤيدين بقوة لردع نـووى مستقل لفرنسا ولـكن لم يعرف كيفية رد فعله عـلى الالتزام الفرنسى القـوى تجاه « ديمونه » وأصبـح هـذا أمـرا مقلقا لأعضـاء لجنة الطـاقة الذرية الفرنسـية المؤيدين للقنبلة الإسرائيلية . وتناولوا الأمـر بالأسلوب البيروقراطى الذى يحظى بالاحـترام ، فلم يبلغـوا « ديجول » بما يحدث . ووقعت العقـود وسـددت الأموال واسـتمر العمل فى « ديمـونه » .

كما كان الفرنسيون فى «ديمونه» مصدرا للفوضى « فقد بدأ مئات المهندسين والفنيين الفرنسيين يتدفقون على النقب فى ١٩٥٧، وازدحمت بيرسبع ببناء مجمعات سكنية جديدة ووحدات إقامة كما توافر الاسكان لآلاف من يهود شمال إفريقيا السفارديم الذين هاجروا من المغرب والجزائر والذين تم تشغيلهم فى أعمال الحفر والبناء فى المفاعل ومصنع إعادة المعالجة . وتم تجنيد اليهود الأوربيين ببطء ودقة من الحكومة والشركات الخاصة فى جميع أنحاء إسرائيل ليعاملوا كعلماء ومديرين إداريين كما زودوا بالمساكن فى بير سبع . وأصبح هناك نظام طبقى فى الصحراء ، واحتل الفرنسيون القمة وظلوا مرارا يوضحون ذلك .

وقال إسرائيلى أمضى جزءا من حياته العملية فى « ديمونة » : (كان الفرنسيون متعجرفين واعتقدوا أن اليهود فى إسرائيل فى مرتبة أدنى . فلم نكن نرتدى ملابس جيدة ، ولكن كنا لامعين) . وبعض المسئولين الفرنسيين كانوا معادين صراحة للسامية كما يقول هذا الإسرائيلى ، فى النهاية صدر أمر لأحدهم بمغادرة إسرائيل بعد أن اكتشف تعاونه مع النازى خلال الحرب العالمية الثانية . وبدت معاملة الفرنسيين لليهود القادمين من شمال إفريقيا والذين تم تشغيلهم كعمال أسوأ من ذلك ، ويضيف هذا الإسرائيلى : (لقد كانوا يتحدثون لليهود القادمين من الجزائر والمغرب كما لو كانوا حجارة أو مخلوقات أدنى . لقد كان سلوكا يشبه السلوك النازى) . وحتى أولئك الفرنسيين اليهود لم

يبذلوا جهـدا كبيرا لتخفيف حـدة التوتر ، فالكثيرون اعتبروا أنفسـهم طبقة مختلفة وعلى مستوى اجتماعى أعلى من زملائهم الإسرائيليين الأقل تحضرا . ومما يثير السخرية ، أن اليهود المغاربة والجزائريين أيضا أسئ معاملتهم من جانب مسـتخدميهم الإسرائيليين . وتمثلت احدى القواعد الثابتة فى تشـغيل المغـاربة والجزائريين لمدة ٥٩ يوما ثم تسـريحهم بعد ذلك وهى استراتيجية استهدفت عدم دفع أى من المزايا التى يتمتع بها العامل بعد شهرين فى عمله (وكانت حركة العمال تسيطر على الاقتصاد الإسرائيلى) . وبعد أن يقضى يهود شمال إفريقيا بضعة أيام بلا عمل يعاد تشغيلهم لمدة ٥٩ يوما أخرى ويذكر المواطن اليهودى بضحكة ساخرة (ويقولون إنها حكومة اشتراكية) . وظل اليهود القادمون من شمال إفريقيا (يعاملون كالعبيد) من جانب الفرنسيين والإسرائيليين على السواء .

وفى منتصف عام ١٩٦٠ حين ترددت شائعات عن انسحاب فرنسا ، لم يهتم بالأمر كثير من الإسرائيليين بدرجة كبيرة ، فقد كانوا قد تعلموا من الفرنسيين الكثير . فقد استوعب العلماء والفنيون الإسرائيليون الكثير من المعلومات الفنية الفرنسية فى ذلك الوقت ، وعدلت الكثير من الخطط بشكل مكثف ، ويتذكر أحد الإسرائيليين أن رد الفعل تلخص فى عبارة (اذهبوا فسوف نقوم بالمهمة بأنفسنا) . وتقرب « إبراهام سوراس » - أحد كبار المسئولين الإسرائيليين فى « ديمونة » ، المسـئول عن بناء مصنع إعادة المعالجة - من مواطنيه حين أعلن (حسنا يجب أن نتخلص منهم) وذلك حين سمع بعدم أفتتان « ديجول » بـ « ديمونه » ، وقال المسئول السابق فى « ديمونه » : (لقد كان هذا السلوك الإسرائيلى النموذجى . فلتوضحوا لنا الأمر وسوف ننقله ونقوم بتحسينه) .

ولم تُقلص الساعات الطويلة والعمل الشاق والاعتداد بالنفس الفرنسى من الاثارة التى أحـاطت إسرائيل ، وقال أحـد الإسـرائيليين الأوائل الذين وصلوا الإدارة المنشأة فى عام ١٩٥٨ : (لقد انتابنا شعور عظيم . فقد كنا الرواد) . ويتذكر المسئول حديثه الأول مع « أرنست بيرجمان » ويقول (لقد أبلغنى أن لدينا مشروعا ضخما ونحتاج إلى أفضل العقول . وسيكون شيئا رائعا لن تنساه) . كما أكد « بيرجمان » للرجل الشاب أن عمله الجديد سيكون

طيبا لحياته العملية على نفس مستوى الخدمة فى جيش الدفاع . وقال له : (سيكون وساما على رأسك وعملا متطوراً . ولذلك ملأت الاستمارات واستغرق الأمر ثلاثة أشهر قبل أن تنتهى إجراءات الأمن) ، وكان أولئك الإسرائيليون من أعضاء الحزب الشيوعى (كما كان الكثيرون قبل الهجرة إلى إسرائيل) والذين يوجد لهم أقارب فى أوربا الشرقية ممنوعين من العمل بسبب المخاوف الإسرائيلية المتزايدة من الاختراق السوفييتى والذى شجعها إلى حد كبير الخصومة بين موسكو والقدس . فقد تألمت إسرائيل بشدة نتيجة سلسلة من فضـــائح التجسس فى أواخـر الخمسينات ، وســاد الاعتقـــاد بأن عمليات التجسس فى السفـــارة السوفييتية فى تل أبيب التى ضمت ستين عامـــلاً استهدفت بصفة خاصة الجالية العلمية .

وأصبح توفير الأمن للعملية النووية الوليدة ذات أولوية متقدمة ، ودفعت « شيمون بيريز » على الإصرار على إنشاء وكالة مخابرات جديدة عرفت فى البداية باسم « مكتب المهام الخاصة » . وأصبح ضابط سابق فى المخابرات العسكرية طويل هادئ يدعى « بنيامين بلومبرج » رئيسا لها ، واختاره « بيريز » شخصيا ، وسيصبح مكتب المهام الخاصة الذى وضع وفقا للقيود البيروقراطية فى مبنى وزارة الدفاع ، واحدا من أنجح وكالات المخابرات فى التاريخ الحديث ، وبعد استقالة « بلومبرج » بعد أكثر من عشرين عاما ، سيصبح مسئولا عن واحد من أسوأ أخطاء إسرائيل وهى تجنيد « جوناثون بولارد » ، وتلخصت مهمة « بلومبرج » الوحيدة فى أواخر الخمسينات فى حماية « ديمونه » وجعلها نقطة تتضمن كل تفاصيل العمل . وقد تم رفض إسرائيلى مسؤل عن تجنيد العلماء ، علم أنه يملك قدرات ممتازة ، من جانب مكتب الأمن فى « ديمونه » لأن له أقارب فى أوربا الشرقية . وناشد « بلومبرج » مساعدته نظرا لأن له السلطة فى تجاهل أى قاعدة بيروقراطية ، ويقول الرجل : (اضطررت أن أرجو بلومبرج أن يوافق على تعيينه فقد كنا فى حاجة ماسة إليه . وفعل ، ولكنه قال إن ذلك يجب أن يكون على مسئوليتى) .

وفى أوائل عام ١٩٦٠ بدأ يتشكل المفاعل فى « ديمونه » واستدعى العديد من العلماء فى الفيزياء النووية والفنيين الإسرائيليين من فرنسا حيث أمضوا سنوات فى التدريب فى « ساكلاى » و « ماركول » .. وزود كبار العلماء

بأجر مضاعف ومنازل مكونة من سبع غرف فى « بير سبع » وهى مساحة لم يكن يسمع عنها فى هذا الوقت فى إسرائيل . وأولئك الذين استمروا لفترة طويلة وحصلوا فى النهاية على شقق تصل قيمتها إلى ٥٠ ألف دولار ، وسمح لهم ببيعها لحسابهم الخاص .

ومع تزايد كثافة وسرعة البناء أصبحت « بير سبع » بشكل حتمى مدينة دولية . فقد أصبح الوجود الفرنسى ملموسا حيث أقام ٢٥٠٠ من الرجال والنساء والأطفال الفرنسيين فى النقب وأقيمت مدارس فرنسية خاصة للأطفال، وامتلأت الشوارع بالسيارات الفرنسية . وقام الدبلوماسيون والملحقــون العسكريون الأجانب المعنيون فى السفارات الأجنبية العديدة فى تل أبيب بإبلاغ ذلك بشكل واف . وترددت بشكل مستمر منتظم شائعات عن القنبلة ولكن قصص التعتيم التى دارت حول عمليات تحلية مياه البحر أو الأبحاث الزراعية ، نجحت إلى حد ما .

وكان « ايان سمارت » دبلوماسيا بريطانيا شابا فى أول مهمة خارجية له فى أواخر الخمسينات كسكرتير ثالث فى سفارة بلاده الصغيرة فى تل أبيب وسوف يصبح بعد ذلك خبيرا دوليا فى منع الانتشار النووى ولكن فى هذه السنوات كان مجرد فضولى وشكاك . ويتذكر بعد سنوات قائلا : (تردد كلام كثير مع نهاية عام ١٩٦٠ حول « ديمونه » ، أثاره من ناحية التقدم الكبير فى الموقع . فقد أصبح واضحا للعيان فى الأفق . ومن الطريق يصبح فى إمكانك رؤية قاعدة برج التبريد الخاصة ببقية المفاعل وبداية البناء المضلع . وثانيا كان هناك وجود فرنسى فى « بير سبع » ، ومجمع سكنى يستخدمونه ممتلئ بسيارات رينو دوفين وجميعها تحمل علامات فرنسية) .

وحين سئلت الحكومة الإسرائيلية رسميا عن الأنشطة فى « ديمونه » أبلغت السفارة البريطانية سلسلة من الروايات ، ويتذكر « سمارت » أنه من بين الإدعاءات الأولى القول بأن المنطقة عبارة عن معهد لأبحاث زراعة الصحراء . وسمع « سمارت» نفسه تفسيرا ثانيا أثناء قيادته سيارته مع مجموعة من قوات جيش الدفاع الإسرائيلى فى النقب . وأشار « سمارت » لبرج التبريد ورد ضابط قائلا : (حسنا هذا هو المصنع الجديد لمعالجة المنجنيز) . وطوال العام

الأخير من وجوده فى إسرائيل يقول « سمارت » : (لقد ابرقت لرؤسائى عن شكى فى أن هذا يبدو كمفاعل نووى . ولكن كيف يمكنك الحصول على أكثر من مجرد الشك بدون أن تحلق فوقه طائرة « يو ٢ ») .

ولم يكن « سمارت » يعلم أن إدارة « ايزنهاور » كانت قد دخلت عامها الثالث من الطلعات الجوية « يو ٢ » فوق « ديمونة » فى عام ١٩٦٠ وتوسعت فى تغطية المكان . وبدأ « دينو برجيونى » و « ارت لونداهل » وزملاؤهما فى برنامج « يو ٢ » فى الـ « سى أى أيه » يطلبون القيام بطلعات جوية منتظمة فوق مركز التجارب النووية الفرنسى بالقرب من رجـان فى الصحراء الجزائرية. وقد نجح الفرنسيون فى اختبار أول قنبلة نووية لهم فى فبراير عام ١٩٦٠ وبلغت قوتها أكثر من ستين كيلو طن بما يزيد ثلاثة أضعاف على أول اختبار أمريكى فى « لوس الاموس » . وعلمت الـ « سى أى أيه » أن فريقاً علمياً إسرائيلياً حضر فى موقع الاختبار كمراقب . وظهر سبب أخر للقلق فقد تم تعقب العلماء الإسرائيليين أيضاً إلى منطقة قريبة لاختبار الأسلحة الكيماوية والبيولوجية الفرنسية فى الصحراء . ويتذكر « برجيونى » (وتساءلت هل ينظر الإسرائيليون إلى الأسلحة الكيماوية والبيولوجية لملء الفجوة حتى يحصلوا على القنبلة ؟ واعتقدنا أنهم قد يحصلون على قدرات الأسلحة البيولوجية والكيماوية). وتم اقتسام هذه المعلومات على الفور مع « ايزنهاور » فى البيت الأبيض .

واستمر الإسرائيليون والفرنسيون يتابعون طلعات « يو ٢ » إلا أنهم استمروا أيضا فى العمل بأقصى قدر من السرية فى « ديمونة » كما لو كان لا يوجد أى شخص فى الخارج يفهم ما يدور هناك . وقد منع العاملون الفرنسيون فى « ديمونه » من الكتابة مباشرة للأقارب والأصدقاء فى فرنسا وأى مكان أخر ولكن كانوا يرسلون خطاباتهم إلى مكتب بريد زائف فى أمريكا اللاتينية . وكانت الخطابات من فرنسا إلى إسرائيل تسير فى نفس الطريق . وجمعت لجنة الطاقة الذرية الفرنسية المعدات المتطورة للمفاعل ومصنع إعادة المعالجـة فى مركز سرى فى ضـاحية باريسية ونقلت بالشـاحنات والقطارات والسفن .

وقدمت أثقل المعدات مثل خزان المفاعل ، لمسئولى الجمارك الفرنسية كمعدات خاصة بتحلية مياه البحر متجهة إلى أمريكا اللاتينية . كما احتاجت

إسرائيل شحنة غير قانونية من الماء الثقيل ، وكان من غير العملى الاعتماد على عملية الماء الثقيل التى اخترعت فى معهد « فايتسمان » لبطئها الشديد ، واتجهت مثل غالبية القوى النووية فى العالم إلى النرويجيين ، الذين كانوا قبل الحرب العالمية الثانية قد اخترعوا وسيلة كهربائية لإنتاج كميات ضخمة من الماء الثقيل . وظلت النرويج بين كبار مصدرى الماء الثقيل فى الخمسينات وتضمنت صفقاتها للجنة الطاقة الذرية الفرنسية شرطا واحدا ألا ينقل الماء الثقيل إلى دولة ثالثة . وتم تجاهل هذا الشرط ونقلت طائرات سلاح الجو الفرنسى سرا أربعة أطنان من الماء الثقيل خزنت فى براميل ضخمة إلى إسرائيل فى وقت ما عام ١٩٦٠. وانشئت فى النهاية شركة فرنسية وهمية باسم « شركة الأبحاث للتمويل والمشروعات » للقيام بالاتصالات المكثفة والمفاوضات مع الحكومة الإسرائيلية ومختلف المقاولين الفرعيين الإسرائيليين الذين يبنون « ديمونه » بالفعل . ولم تحدث مشكلة أمن بين المقاولين الصفار ، فكل العقود تمت عبر بيريز وزملائه فى الماباى . وكانت أضخم شركة هندسية إسرائيلية فى « ديمونه » وهى « سوليل بون المحدودة » من حيفا على ارتباط وثيق مع حزب ماباى. واعترف الإسرائيليون الذين شاركوا فى المراحل الأولى من تشييد « ديمونه » بأنه طبق نظام مكثف وتقليدى لتحويل اعتمادات العقود إلى الحزب .

وظلت هذه التكاليف المالية والتكلفة الباهظة لـ « ديمونه » مصدرا دائما للاستياء داخل الحكومة الإسرائيلية التى كانت فى صراع لملاحقة مصر فى البناء العسكرى السريع فى الشرق الأوسط . فقد حصلت مصر على أولى مقاتلاتها السوفييتية المتقدمة من طراز « ميج ٢١ » فى ١٩٦٠ واستمرت إسرائيل فى شراء أحدث الطائرات من فرنسا . وحصلت الدولتان على القاذفات من شركائهم الدوليين وكلتاهما استمرتا فى الأبحاث الخاصة بنظم إطلاق الصواريخ الباليستية . وفى عام ١٩٦١ وصل الإنفاق العسكرى المصرى لما يقرب من ٣٤٠ مليون دولار وهو ما يقترب من ضعف ما تنفقه إسرائيل .

ووجد أكثر المنتقدين للبرنامج النووى الإسرائيلى - ومن بينهم « ليفى أشكول » وزير المالية و « بنحاس سابير » وزير التجارة والصناعة وهما الرجلان المسيطران على عمليات ميزانية إسرائيل طوال ١٥ عاما ، أن البناء

العسكرى المصرى أكبر حجة دامغة ضد استثمار الأموال فى « ديمونه » .

ومن المستحيل تحديد تقدير دقيق عن كم ما أنفقته إسرائيل فى هذه السنوات على القنبلة ، ولم يعلن مطلقا العقد الذى أبرمته إسرائيل مع الفرنسيين عام ١٩٥٧ لبناء « ديمونه » . وحدد تقدير تقريبى نشرته الصحافة الإسرائيلية فى ديسمبر ١٩٦٠ تكلفة المفاعل وحده بمائة وثلاثين مليون دولار . ونشر « توماس جراهام » أحد خبراء منع الانتشار النووى والمسئول السابق فى وكالة الحد من التسلح ونزع السلاح الامريكية دراسة مفصلة عن تكاليف إنشاء مركز نووى واستنتج « جراهام » أن فرنسا أنفقت ما يتراوح بين ١٠ و ١٥ مليار دولار لتجميع قدرتها الهجومية بما فى ذلك الأسلحة النووية الحرارية وانفق نصف هذا المبلغ على أنظمة النقل . وبالمثل فإنه سيتعين على الهند أن تستثمر ما يتراوح بين ١٠ إلى ٢٣ فى المائة من ميزانيتها الدفاعية السنوية فى المجال النووى - كما كتب جراهام - إذا أرادت تحقيق وضع تتمتع خلاله بقوة نووية كاملة .

وتركز الهدف الإستراتيجى الإسرائيلى فى الحصول على قدرة هجومية مضمونة بأسلحة نووية حرارية وأنظمة نقل من صواريخ وطائرات قادرة على الوصول للأهداف في الاتحاد السوفييتى . وارتفعت تكلفة هذه الطموحات نظراً لأن جزءاً كبيراً من المنشأة فى « ديمونه » بما فى ذلك مصنع إعادة المعالجة الكيميائية تم بناؤه تحت الأرض . وأدت صعوبات العمل تحت الأرض فقط إلى زيادة فلكية فى التكاليف المرتفعة بالفعل للتخلص من النفايات والتهوية وأمن العاملين وتضمنت بعض العوامل الملموسة فى زيادة نفقات الالتزام بدفع مرتبات جيدة للعمال فى إسرائيل التى يسيطر عليها اتحاد العمال والاعتماد على المواطنين الأجانب مثل الفرنسيين وإجراءات الأمن المشددة اللازمة لحماية منشأة سرية . وبلغ التزام إسرائيل النهائى بدون شك لمليارات عديدة من الدولارات .

وأدرك « بن جوريون » أن إتمام « ديمونه » سيصبح ممكنا فقط إذا مولت من خارج الميزانية الإسرائيلية . وكان الحل البدء فى حملة جمع تبرعات من أجل القنبلة فى الخارج . وأشارت تقديرات المخابرات الأمريكية إلى أن إسرائيل كانت قد بدأت بالفعل فى تلقى مئات الملايين سنويا من المنح

والمســـاهمات من اليهـود الأمريكيين وحدهم . وقرر «شيمون بيريز» فى وقت ما عام ١٩٦٠ تشكيل مجموعة خاصة من المتبرعين الموثوق بهم الحكماء عرفت وفقاً لمصادر إسرائيلية باسم « لجنة الثلاثين » . وقد طلب من يهود أغنياء بعينهم فى جميع أنحاء العالم من بينهم « البارون أدموند دى روتشيلد » من باريس و « إبراهام فينبورج » من نيويورك ، بهدوء أن يجمعوا المال الذى وصـفه « بيريز » ببرنامج (الأسـلحة الخاصـة) وقامـوا بذلك بالفعـل ، وبعد سنـوات يصرح « بيريز » فى حـديث صحفى بأنه (لم يأت بنس واحـد لـ « ديمونة » من الميزانية الحكومية . ومول المشروع من المساهمات التى جمعتها من المليونيرات اليهود الذين تفهموا أهمية الموضوع . وجمعت أربعة ملايين دولار) كما قال « بيريز » : (حضر المليونيرات اليهود إلى « ديمونة » . وأبلغتهم بما يحدث هنا) . وأكد مسئولون حكوميون إسرائيليون سابقون أن مجموعة واحدة على الأقل من المساهمين الأجانب سمح لها بزيارة « ديمونه » بعد إتمامهـا .

ولم تكن تكفى الأربعين مليون دولار التى جمعهـا « بيريز » . وقـدر مسئولون إسرائيليون أنه من منتصف ١٩٦٠ أصبحت إسرائيل تنفق ليس عشرات الملايين ولكن مئات الملايين من الدولارات سنويا على برنامجها النووى ومثلت عملية « شامير » نسبة صغيرة من الاعتمادات وتحملت الحكومة الباقى . وظل إصرار « بن جوريون » على استثمار هذا النوع من المال فى القنبلة مصدرا مريرا للصراع داخل الحكومة وحزب الماباى .

وظهرت أسباب غير الجانب المالى للاعتراض على القنبلة . فقد اعتقد الرجال العسكريون من الطراز القديم مثل « ايجال آلون » الذى قاد القوات خلال حرب الاستقلال و « إسحق رابين » قائد عمليات الجيش الذى قاده مصيره - فيما بعد - ليصبح رئيس الأركان و « أريل شارون » الجنرال الإسرائيلى وقائد القوات الخاصة أن ميزة إسرائيل الضرورية على العرب هى نوعية قواتها العسكرية وتدريبها . وبالنسبة لهؤلاء فإن الأسلحة النووية ليست أكثر من عامل مواز . فمصر مسلحة بالقنبلة ستكون أكثر خطورة بكثير من مصر محدودة بالأسلحة التقليدية حتى بكميات ضخمة . وإذا امتلكت إسرائيل

أسلحة نووية فإنه سيكون من المستحيل - كما يفيد تحليلهم - أن يمنعوا مصر أو الدول الأخرى فى الشرق الأوسط من حيازتها .

وطرح حجة دامغة أخرى ضد « ديمونة » المديرون الصناعيون فى البلاد طوال أوائل الستينات حيث إن المفاعل ومصنع إعادة المعالجة ، الذى أوشك على الاكتمال ، قد استمر فى الاحتياج لتجنيد مزيد من العلماء والفنيين . وبدأت إسرائيل فى الحقيقة تواجه ما وصل إلى عملية محلية لاستنزاف العقول. وفى أواخر الستينات أصبح المسئولون فى وزارتى الصناعة والتجارة ينتقدون علنا انخفاض مستوى الأبحاث الصناعية فى الدولة . وانخفض بشدة كم الاعتمادات الحكومية المخصصة لهذه الأبحاث وبدأت الصناعة تتخلف كثيرا عن العلم . واستمرت الاختراعات العلمية فى الظهور ولكن كان هناك عدد محدود من الشركات الهندسية القادرة على تحويل هذه الأفكار إلى سلع مفيدة يمكن للمنتجين البدء فى إنتاجها .

واعترف مسئول عمل فى « ديمونة » فى هذه السنوات بالممارسات السلبية فى عمليات التوظيف وكيف أصبحت للصناعة الكيماوية فى البلاد الأولوية الرئيسية . يتذكر مسئول سابق يفخر (لقد قمنا بالإغـارة على كل مكان فى البلاد . واستنزفنا النظام الصناعى الإسرائيلى) ، وكانت المنشأة الوحيدة خارج الحدود مفاعل الأبحاث الصغير فى « ناحال سوريق » بالقرب من معهد فايتمسان . وقال المسئول السابق : إنه فى ذروة العمل قام ألف وخمسمائة عالم إسرائيلى بالعمل فى « ديمونة » .

وظهر أول دليل واضح على عدم ارتياح « ديجول » تجاه الالتزام النووى الفرنسى مع إسرائيل فى مايو عام ١٩٦٠ حين أبلغ « موريس كوف دى مورفيل » وزير الخارجية الفرنسى السفير الإسرائيلى فى فرنسا بأن فرنسا تريد أن تعلن إسرائيل أمر مفاعل « ديمونة » وتوافق على إخضاعه للتفتيش الدولى مثل التفتيش الذى يخضع له « ناحال سوريق » . ومضى « كوف دى مورفيل » يقول : إنه بدون هذه الإجراءات فإن فرنسا لن تقدم المواد الخام للمفاعل . وقرر « بن جوريون » التوجه إلى فرنسا لعقد اجتماع قمة . ومضت الأمور على نحو طيب بين الزعيمين . فقد وصف « ديجول » فيما بعد

« بن جوريون » فى مذكراته بأنه (واحد من أعظم السياسيين فى عصرنا .. ومنذ اللحظة الأولى شعرت بالإعجاب المتعاطف لهذا المقاتل البطل . وجسدت شخصية إسرائيل التى ظل يحكمها منذ اليوم الذى سبق إنشاؤها ونضالها) . ووجد « بن جوريون » بدوره « ديجول » (شخصاً يتمتع بالحيوية والإنسانية ويتمتع بروح مرحة وهو حساس للغاية وعلى قدر كبير من الحنان والكرم) .

وتوضح مذكرات « بيرتراند جولد سميث » التى قدمها المؤلف عن الاجتماع أن « ديجول » المتورط فى الجزائر كان قلقا تجاه احتمال تفجر فضيحة دولية إذا اكتشف علنا التورط الفرنسى فى « ديمونة » . ووفقا للمذكرات شرح « ديجول » الأمر بقوله : (إذا كانت فرنسا هى الدولة الوحيدة التى تساعد إسرائيل فى حين لم تساعدها الولايات المتحدة أو بريطانيا أو الاتحاد السوفييتى أى طرف أخر للحصول على القنبلة فإنها ستضع نفسها فى موقف دولى مستحيل) . وكان هنـــاك سبب أخر للقلق (فلا يوجد شك أنه إذا حصلت إسرائيــل عــلى القنبلة الذرية فإن مصر ستحصل هى الأخرى على واحدة) .

وتمثل السبب الحيوى لقلق « ديجول » فى مصنع إعادة المعالجة الموجود تحت الأرض والذى تم بناؤه وفقا للقواعد والخطط الفرنسية ، فلم يكن يريد أن يكون مسئولا ، على أن يصبح حصول إسرائيل على القنبلة أمرا حتميا . وكان يتعين أن تتوقف المعونة الفرنسية فى بناء هذا المصنع . وطرح « بن جوريون » رؤيته للتهديد العربى ولكن أصر « ديجول » على أن رئيس الوزراء الإسرائيلى (يبالغ فى خطر التدمير والتهديدات . فلن نسمح بأى حال أن تتعرضوا لمذبحة .. فسوف نقوم بحمايتكم . ولن نسمح بسقوط إسرائيل) وعرض « ديجول » بيع مزيد من المقاتلات لإسرائيل .

وخرج ديجول من هذا الاجتماع مقتنعا ، كما كتب فى مذكراته ، بأنه أمر بتوقف كل العمل فى مصنع إعادة المعالجة) وقد وضعت نهاية للممارسات السيئة للتعاون التى وضع على أساس عسكرى بعد حملة السويس بين تل أبيب وباريس وهو التعاون الذى اطلع اسرائيل وزودها باستمرار بكل مستويات الخدمات والمواد الفرنسية . لذلك حدثت بالتحديد عملية وقف للمعونة التى نقدمها بالقرب من « بير سبع » لمصنع خاص بتحويل اليورانيوم إلى بلوتونيوم

يمكن أن تخرج منه فى يوم مشرق قنابل نووية) . وإذا كان قرار « ديجول » قد صدر فإنه تم تجاهله . وتأخر عمل « سانت جوبان » فى مصنع إعادة المعالجة تحت الأرض لعامين أخرين ولكن فى عام ١٩٦٢ وصل مقاول فرنسى جديد وأنهى العمل .

وشعر « بن جوريون » بالرضا لوعود « ديجول » باستمرار المعونة العسكرية ولكنه لم يكن راغبا فى مبادلة القنبلة الإسرائيلية بالطائرات الفرنسية. وطوال الأشهر القليلة التالية تمكن « شيمون بيريز » من التوصل لحل وسط فى محادثاته مع « كوف دى مورفيل » التى تركزت على ما يصل إلى كذبة إسرائيلية وهى كذبة ستسيطر على موقف إسرائيل المعلن بشأن الأسلحة النووية لعشرات السنين . فقد أكد الإسرائيليون لفرنسا أنهم ليس لديهم نية لإنتاج قنبلة ذرية ولن يقوموا بأى إعادة معالجة للبلوتونيوم . وتم التوصل لحل وسط يقضى بأن تستمر الشركات الفرنسية فى تقديم خام « اليورانيوم » وأجزاء المفاعل التى صدرت الأوامر بشأنها بالفعل وعدم المطالبة بالتفتيش الخارجى . وتعلن إسرائيل عن وجود المفاعل النووى وتستمر فى البناء فى « ديمونة » بدون مساعدة رسمية من الحكومة الفرنسية .

وبعد انتهاء اجتماع القمة هذا لم يفعل « بن جوريون » أى شئ ليغير الوضع القائم فى « ديمونة » . كما لم تفعل الحكومة الفرنسية و « ديجول » . واحتفظت شركات التشييد الفرنسية الخاصة والعاملون بها بوجود ضخم فى « ديمونة » حتى عام ١٩٦٦ واستمروا فى الحصول على مقابل مجز وفقا للعقود القائمة .

٦

الإعـــــلان

بحلول ديسمبر ١٩٦٠ كان « جون فينى » قد أمضى ثلاث سنوات مراسلا فى مكتب واشنطن الخاص « بنيويورك تايمز » وغطى ثلاث قضايا نووية ولجنة الطاقة الذرية . واعتبر « فينى » الذى عينه رئيس المكتب « جيمس ريتسون » بعد أن عمل فى وكالة « يونيتد برس انترناشيونال » ، إضافة قوية للفريق الصحفى ، ولكنه كان عليه أن يثبت جدارته .

وجاءت رواية فينى الصحفية فى أواخر هـذا الشـهر وكمـا يتذكر فينى : « لقد سلمت لى على طبق من فضة » .

وكان ناقل الرسالة « آرثر كروك » صحفى التايمز المهيب يعد حينئذ عميد كتاب الأعمدة فى واشنطن والذى اقترب من مكتب فينى بعد ظهر أحد الأيام ، وفى ذلك الوقت فإن المندوبين الشباب مثل فينى كانوا يعتبرون كروك شخصا بعيد المنال وزاد من هذا الاحساس وجبات الطعام اليومية التى كان يتناولها مـع كبار المسئولين الحكوميين فى نادى المتروبوليتان الخاص ، الذى لا يفصله عن البيت الأبيض إلا بضعة بنايات فقط .

وقال كروك : « عزيزى فينى ، أعتقد أنك اذا اتصلت بجون ماكون فإن لديه خبرا لك » . وكان « جون ماكون » رجل الأعمال الجمهورى الثرى من كاليفورنيا رئيسا للجنة الطاقة الذرية وأقام فينى علاقة وطيدة معه . وفهم فينى على الفور الموقف وفكر فى أنهم يريدون نشر خبر . وكنت الرجل المناسب وكروك الوسيط » . أجرى فينى المكالمة ودعى الى مكتب ماكون .

ويتذكر « فيني » قائلا : « لقد كان ماكون مجنونا ، مجنونا هائجا . فقد بدأ الحديث وقال « لقد كذبوا علينا » .

– من ؟

– « الاسرائيليون ، فقد أبلغونا بأنه مصنع للمنسوجات » .

وقال « ماكون » ان هناك معلومات جديدة عن قيام اسرائيل ببناء مفاعل نووى فى النقب بمساعدة فرنسية . وأراد ماكون من فينى أن ينشر القصة ، وأبلغ الموضوع التالى لفينى الذى نشر على الصفحة الأولى من التايمز فى ١٩ ديسمبر على الشعب الأمريكى بما قام « أرت لونداهل ودينو برجيونى » بابلاغه للبيت الأبيض منذ أكثر من عامين ويفيد بأن اسرائيل ، بمساعدة الفرنسيين ، تبنى مفاعلا نوويا لانتاج البلوتونيوم ، وكتب فينى ليعكس بأمانة ما أبلغه به « ماكون » وقال : « لم تعلن اسرائيل مطلقا أى شىء عن المفاعل كما أنها لم تبلغ الولايات المتحدة سرا بالأمر ، ويوجد شعور بالقلق يتم اخفاؤه بألم بين المسئولين بأن اثنين من أصدقاء الولايات المتحدة الدوليين وهما فرنسا واسرائيل تركاها جاهلة بكل شىء » .

كما أشارت مقالة « فينى » الى أن ماكون سأل اسرائيل عن المعلومات الجديدة ولكنه أضاف : « رفض السيد ماكون الخوض فى التفاصيل » . ولكن هذا أسلوب نموذجى بالنسبة لمسئول فى واشنطن : فقد حصل فينى على القصة وتمكن ماكون من التنصل من مسئولية اعطائها له .

وأصبحت عملية التسريب التى قام بها ماكون لفينى المسمار الأخير فى نعشه كمفوض للجنة الطاقة الذرية حيث أعلن بعد عدة أيام استقالته فى برنامج « واجه الصحافة » الذى تبثه شبكة « إن بى سى » يوم الأحد . وقد كتبت مقالة فينى فى نفس اليوم . وبدا « فينى » مقتنعا ، كما أراد « ماكون » أن يبدو ، بأن غضب المفوض ناجم عن المعلومات التى توصل لها أخيرا ، وهى معلومات جديدة عن الاسرائيليين . ويتذكر فينى الأمر قائلا : « تركنى ماكون بانطباع بأنهم فجأة اكتشفوا أن الاسرائيليين يكذبون عليهم » .

ودفع فينى ثمنا أفدح مما تصور لقصته المدوية ، فقد كانت ادارة « أيزنهاور » تستخدمه والنيويورك تايمز لتحقيق ما كان كبار مسئوليها

مترددين فى القيام به بأنفسهم علنا ، وهو اغتنام فرصة ضد الاسرائيليين بسبب ديمونه ، وكان ماكون يبلغ بانتظام بأمر البرنامج النووى الاسرائيلى بعد أن حل محل « لويس شتراوس » كمفوض للجنة الطاقة الذرية فى يوليو ١٩٥٨ وهو الأمر الذى لم يكشفه لفينى . ولم يكن هناك دليل على أن « شتراوس » الذى تلقى مذكرات منتظمة عن ديمونه من « أرثر لونداهل ودينو برجيونى » تقاسم شخصيا معلوماته مع ماكون . ولكن لونداهل وبرجيونى قاما بذلك . وكان ماكون بصفته رئيسا للجنة الطاقة الذرية عضوا فى اللجنة الاستشارية للمخابرات الأمريكية أعلى مجموعة عمل حينئذ والتى كانت - وفقا لوالترالدر المسئول السابق فى الـ « سى . آى . إيه » الذى ظل معاونا لماكون فترة طويلة - مسئولة عن العمل منذ البداية » .

فماذا دفع ماكون (الذى توفى فى أوائل ١٩٩١ بعد مرض عضال مزمن) ينضم الى الادارة فى رد الفعل المفاجىء على المعلومات التى ظلت تتوالى لسنوات ؟ لقد وصف « والتر الدر » الذى كتب التاريخ السرى لفترة عمل ماكون فى الـ « سى . آى . إيه » ، ماكون بأنه ملتزم بمبدأ عدم الانتشار النووى ومدرك أيضا للحقيقة الواقعة الخاصة ببقاء شهر واحد على انتهاء فترة حكم « أيزنهاور » التى دامت ثمانى سنوات فى البيت الأبيض . ولذلك لم يكن هناك وقت أفضل للعمل ، وقال الدر ؟ : « لقد اعتقد أن هذه هى مهمته أن يجعل الرأى العام يعرف بالأمر » . وأضاف أن هناك مسألة أخرى تتعلق بضجر ماكون من الكذب الاسرائيلى المستمر بشأن ديمونه « وكانت هذه فرصة للنيل منهم » .

وفى ديسمبر ١٩٦٠ حقق العمل فى "ديمونه" تقدما لدرجة أن قمة المفاعل أصبحت ظاهرة من الطرق القريبة فى النقب ولذلك كانت أكثر عرضة لأن يلتقط صورها الملحقون العسكريون وفى هذا الوقت ، أصاب الاضطراب برنامج « يو - ٢ » وبدأ تراجعه فى مايو ١٩٦٠ حين تم اسقاط « جارى فرانسيس بورز » فوق الاتحاد السوفييتى . وأفسدت ثورة رئيس الوزراء « نيكيتا خروتشوف » تجاه الحادث الذى أدى لوقوع البيت الأبيض فى سلسلة من الأكاذيب ، أفسدت قمة « أيزنهاور » فى باريس التى كان مقررا إجراؤها بعد أسابيع قليلة ودفعته فى النهاية لالغاء جميع عمليات الاستطلاع الجوى

فوق روسيا ، ويتذكر « أرثر لونداهل » هذه الأشهر على أنها « مليئة بالاضطراب والاتهامات » ، ولم تقلل كارثة « بورز » من الحقيقة المتمثلة فى تحقيق « أيزنهاور » و « خروتشوف » تقدما منتظما طوال العام السابق فى صياغة معاهدة شاملة لحظر جميع الاختبارات النووية ، وظلت هذه الاختبارات متوقفة على الجانبين حتى سبتمبر ١٩٦١ ، وأدى هذا النجاح الى حساسية زائدة على الحد تجاه الانتشار النووى وقد يكون أيضا لعب دورا فى القلق المفاجىء تجاه ديمونه ، وقد يكون التوقيت عاملا أخر : فمع انتهاء فترة هذه الادارة ، فلم يعد هناك سبب قوى للقلق من الضغوط الداخلية من جانب جماعات الضغط اليهودية .

وأيا كان السبب فإنه حتى قبـل اسـتدعاء « ماكون » لفينى ، حدث جهـد منسق على مستويات القمة فى الحكومة لاجبار اسرائيل على الاعتراف بما تقـوم به فى ديمونه . ولن يحـدث هـذا الاجماع على الهدف والاطلاع واسع النطاق عـلى المعلومات الحساسة الخاصة بديمونة بعد هذا التـاريخ على الاطلاق .

وفى يوم ظهور « ماكون » فى برنامج واجه الصحافة ، غمرت واشنطن طوال عشرة أيام على الأقل بمعلومات جديدة عن ديمونة ورغبة جديدة فى القيام بشىء حيالها . وحتى « كريستيان هيرتز » وزير الخارجية الملتزم والمتخم بالعمل دائما اشترك فى الأمر ، ويتذكر « ارمن ماير » المسئول الكبير فى وزارة الخارجية الذى سيعين بعد فترة قصيرة سفيرا فى لبنان ، دهشته فى أوائل ديسمبر حين وجد أن « هيرتز » يبدو وقد فوجىء حين تلقى صورة للمفاعل التقطت من أحد الطرق السريعة ، وتجاوز « هيرتز » وكيل الوزارة الذى تولى المنصب الكبير بعد وفاة « جون فوستر دالاس » فى مايو ١٩٥٩ الحدود واتصل بافراهـام هارمان السـفير الاسرائيلى للحصـول على تفسـير ، ويقـول مـاير : « أتذكر أننى اندهشت لأنه شعر بأنه يمكنه اصطياد الاسرائيليين وكانت تلك المرة الوحيـدة التى رأيته فيهـا غاضبا حقا ، فمن المؤكد أن شيئا قد حدث فى الحقـل النووى أعطـاه الأمان لأن يثير القضـية . فقـد شـعر أنه على أرض مقدسة » .

وفى الواقع فإن « هيرتز » قام بفحص مستقل خاص به . وبعد أن تلقى المعلومات بفترة قصيرة ، طالب أحد المعاونين بالاتصال بالفرنسيين ومعرفة ما اذا كانوا حقا يساعدون الاسرائيليين وأدرك معاونه « فيليب فارلى » المتمرس الذى خدم منذ ١٩٥٦ كمساعد خاص لـ « جون فوستر دالاس » ، أن السؤال المباشر لن يفيد . وأثار « فارلى » القضية بهدوء مع نائب للسفير الفرنسى واقتنع بأن المخاوف من وجود صلة فرنسية لها ما يبررها وأبلغ هيرتز بذلك . ويتذكر « فارلى » أن نائب السفير « تحدث عن كل شىء جيد ولكن الأسلوب الذى تصرف به ... » من خلال صيغ النفى المنمقة هو الذى أثار الشكوك ، وكانت الخطوة التالية اجراء مناقشة مع السفير الذى أصر على أن ديمونه « مجرد مفاعل للأبحاث » وكان « فارلى » خبيرا بما يكفى لأن يدرك أن المفاعل فى ديمونة ضخم للغاية لأن يكون مقتصرا فقط على الأبحاث ، وبعد مناقشة فى مجلس الأمن القومى أصدر البيت الأبيض توجيهات لهيرتز بتوجيه احتجاج دبلوماسى رسمى للفرنسيين ، ولحسن الحظ كان وزير الخارجية الفرنسية « كوف دى مورفيل » فى واشنطن لحضور اجتماع . وقد تم الاتصال به ، كما يقول « فارلى » ولكنه أكد لوزارة الخارجية أن المفاعل الاسرائيلى غير خطر وأن أى بلوتونيوم ينتج فى عملياته سيعاد الى فرنسا بأمان . ويقول « فارلى » الذى لم يزل ساخطا فى حواره بعد ثلاثين عاما : « لقد كذب علينا تماما بكل بساطة » . ويضيف « فارلى » انه فى هذا الوقت بالطبع لم يكن قد بدأ هو وزملاؤه فى الجهاز البيروقراطى اكتشاف مدى نفاق « كوف ذى مورفيل » فلم تكن لديهم أى فكرة أن فرنسا هى التى جعلت القنبلة الاسرائيلية أمرا ممكنا .

وتم استدعاء السفير الاسرائيلى فى ٩ ديسمبر ، وفى غضون أيام صعدت الادارة قضية ما يحدث فى ديمونه لما يقترب من مستوى الأزمة . وتم على عجل استدعاء أعضاء اللجنة المشتركة لمجلس الشيوخ والنواب للطاقة الذرية من عطلة أعياد الميلاد لحضور اجتماع سرى يلقى خلاله مسئولو الـ « سى . آى . إيه » ووزارة الخارجية تقارير سرية عن ديمونه . كما رتب مدير المخابرات « ألان دالاس » كى يتم اطلاع الرئيس المنتخب « جون كنيدى » بالأمر . وبدا واضحا أن أى شىء من ذلك ، سواء توجيه احتجاج رسمى

لفرنسا أو اطلاع اللجنة المشتركة والرئيس المنتخب ، لم يكن ليحدث بدون الموافقة الصريحة لـ « دوايت أيزنهاور » .

كما شاركت واشنطن حلفاءها في قلقها وكانت تلك الاحصاءات هي التي دفعت القلق الدبلوماسي بشأن ديمونه ليحتل الصفحات الأولى .. وتفجرت القصة في الصحف العالمية في ١٦ ديسمبر حين نشرت صحيفة « ديلي اكسبريس » اللندنية ذات القطع الصغير ، قصة كبيرة تقول « ان المخابرات البريطانية والأمريكية تعتقد أن الاسرائيليين في طريقهم لانتاج أول قنبلة تجارب نووية » . وكتب التقرير « تشابمان بينشر » المعروف بعلاقاته الوثيقة بالمخابرات البريطانية والتجمعات النووية ، وبالفعل كان بينشر قد حصل على معلومات سرية من شخصية كبيرة في أبحاث الأسلحة الذرية البريطانية الذي نبع قلقه من أن أي قنبلة اسرائيلية ستكون بالضرورة « قذرة » بمعنى أنها ستسفر عن كم ضخم من الرذاذ المشع . وقال بينشر في حوار تم تليفونيا ، أن خطوته التالية هي الاتصال بشخص على صلة قديمة معه في الموساد لتوضيح الأمر . وقال بينشر : « لدي صلة جديدة للغاية بالموساد ولدي أصدقاء جيدون للغاية في لندن فقد استفادوا من جهودي لفترة طويلة - باعطائهم معلومات مضادة للفلسطينيين » . وقد بنيت علاقة بينشر بالموساد على أساس أنهم على حد قوله « اذا أمدوني بمادة رديئة فان الأمر سيرتد اليهم » .

وسيؤدي قيام « ماكون » بتسريب القصة لجون فيني ثم تصريحاته القوية في برنامج « واجه الصحافة » وتصرفاته التالية في إدارة « كنيدي » حيث حل محل « آلان دالاس » كمدير للـ « سي . أي . إيه » في خريف ١٩٦١ ، لأن يتهمه البعض بأنه معاد للسامية ، ولا يوجد أي أساس معروف لهذه الادعاءات ومع ذلك فإن « ماكون » حين أصبح رئيسا جديدا للـ « سي .أي. أيه » بدا معارضا قويا لأي انتشار نووي ، وهاجم مرارا الفرنسيين والاسرائيليين ، كما شعر بالغضب لقيام الفرنسيين والاسرائيليين بالكذب بشأن تعاونهم في النقب ونظر لاذعان واشنطن لهذه الأكاذيب باحتقار ، ويتذكر « مايرون كراتزر » مدير الشئون الدولية للجنة الطاقة الذرية أن زميلا في وزارة الخارجية اتصل به قبل لقاء الوداع لماكون في برنامج « واجه الصحافة » ليطالبه بمناشدة ماكون التقليل من شأن المسأله الاسرائيلية ، ونقل « كراتزر » الطلب وانفجر ماكون

غاضبا ، ويقول « كراتزر » : « لقد قال لى (لم أعش طوال هذه السنوات لأخرج من منصبى دون أن أقول الحقيقة) ... » . ويقـول « كراتزر » ان أحـد أهــداف « ماكون » كان إجبـار الاســرائيليين عـلى قبـول التفتيش الدولى على ديمونه .

وفى اسرائيل بدأ نائب وزير الدفاع « شيمون بيريز » بعد أن حذره مسبقا السفير « هارمان » ، ومن المحتمل الموساد أيضا ، العمل لاصدار رواية تصلح كغطاء للعملية . فقد سادت شكوك واسعة النطاق فى مكتب رئيس الوزراء من تسرب الحقيقة حول "ديمونه " الى الصحافة الفرنسية بواسطة بعض الرجال حول « ديجول » ، واستمر الفرنسيون فى مناشدة الاسرائيليين الاعلان عن وجود المفاعل منذ قمة يونيه بين ديجول وبن جوريون . وبالنسبة للاسرائيليين ظلت خيانة الحليف دائما هى الأمر المتوقع ، وأصبح هدف بيريز الفورى هو الابقاء على حلمه وحلم بن جوريون ماضيا فى طريقه ، وكانت المخاطر كبيرة ، فأى اعلان ممتد عن ديمونه يهدد واحدا من أبرز نجاحات اسرائيل الدولية ، وهى شراء عشرين طنا من الماء الثقيل فى العام السابق من النرويج من أجل استخدامها ، كما أكدت اسرائيل للنرويجيين فى تشغيل محطة طاقة نووية تجريبية فى ديمونه . وحصلت النرويج على تعهد بالاستخدام السلمى للمياه وحق التفتيش على الماء الثقيل وهو الأمر الذى سيتم مرة واحدة طوال الثلاثين عاما التالية ، وبدا واضحا أن صفقة العشرين طنا تزيد كثيرا على الكم المطلوب لتشغيل مفاعل طاقته ٢٤ ميجاوات ، وهى شكوى اذا تم اعلانها فستلحق آثارا مدمرة بعد الاحتجاجات العالمية على ديمونه .

وفى ٢٠ ديسمبر اجتمع « بيريز » مع المعاونين فى وزارة الدفاع الذين يعرفون بأمر ديمونة ولخص الروايات المختلقة التى يمكن أن تكون موقف بن جوريون المعلن حول القضية ، وتتلخص فى أن المفاعل فى "ديمونه " جزء من برنامج طويل المدى لتطوير صحراء النقب وقائم فقط للأغراض السلمية . وقال « بيريز » إن أولئك الذين يدعون إلى التفتيش « هم نفس الأشخاص الذين يؤيدون تدويل القدس » .

وفى اليوم التالى وصف بن جوريون على الملأ لجميع أعضاء الكنيست ما يتم بناؤه باسم اسرائيل فى ديمونه فى النقب على أنه مفاعل طاقته ٢٤

ميجاوات « مخصصا تماما للأغراض السلمية » ، وهناك منشأة أخرى على أرض "ديمونه " أضاف رئيس الوزراء أنها « معهد علمى لأبحاث المنطقة الجافة الحارة » . وحين تكتمل قال بن جوريون ان المنشأة بالكامل « ستفتح للطلبة من الدول الأخرى » . وكانت تلك المرة الأولى التى تبلغ بها أعضاء البرلمان الاسرائيلى رسميا ببناء المفاعل ، وحين سئل بالتحديد عن التقارير المنشورة فى أوربا والولايات المتحـدة نفاهـا بن جوريون تماما ووصفها بأنها « إما أكاذيب متعمدة أو غير واعية » .

وظل بن جوريون يعامل الكنيست كما فعل دائما حين يصل الأمر لقضايا خاصة بأمن الدولة ، بصفته جهاز تشاور بلا فائدة ، يناقش ويتحدث بدلا من أن يأخذ موقفا . ولم يكن وزملاؤه يعتقدون ببساطة أن الكنيست الثرثار يملك دورا بارزا يمكن أن يلعبه حين يتعلق الأمر بقضايا الأمن . ولم يكونوا يحتقرون الكنيست الذى تم قبول مناقشاته بشأن القضايا الأخرى باحترام ، ولكن اعتبروا أنفسهم براجماتيين ، يؤمنون على عكس الكنيست بالعمل أولا والحديث بعد ذلك . وقبل أعضاء الكنيست من جانبهم وجهة نظر بن جوريون بأنه من غير الملائم تأكيد حقوقهم التشريعية فى جدل حول ديمونه . ولم يجرؤ عضو واحد على أن يسأل السؤال الواضح : اذا لم يكن المفاعل فى ديمونه أكثر من مجرد وسيلة أبحاث سلمية - كما يصر بن جوريون علنا - فلماذا الحاجة لاحاطته بهذا القدر من السرية ؟ وقد كان الكنيست فقط متلهفا على قبول أى بيان حكومى ينفى نية انتاج أسلحة نووية .

وحتى نفى « أرنست ديفيد بيزجمان » الدائم لأى خطة لانتاج القنبلة تم قبوله دون مناقشة على الرغم من أن تورط « بيرجمان » الكامل فى صنع القنبلة كان معروفا على نطاق واسع . فقد كان « بيرجمان » فى وضع محرج كرئيس وعضو وحيد للجنة الطاقة الذرية الاسرائيلية على الرغم من عدم وجود أعضاء يتولى رئاستهم لعدة سنوات ، فقد ترك جميع الأعضاء الستة الآخرين مواقعهم فى منتصف الخمسينيات ، وأشار الدارسون وملفات المخابرات الأمريكية لترك هؤلاء لمواقعهم على نحو متكرر كدليل على الخلاف الخطير داخل المؤسسة العلمية الاسرائيلية حول خطط « بيرجمان » بشأن ديمونه ، ولم يكن هذا هو السبب فى غالبية الأحوال ، فقد انتقل أعضاء اللجنة بشكل

جماعى الى قسم الفيزياء فى معهد « فايتسمان » ، وفقا لمصادر اسرائيلية ، لأن كبار المسئولين الحكوميين المعارضين للتطور النووى مثل « ليفى أشكول » و « بنحاس لافون » ، وزير الدفاع حينئذ ، رفضوا تخصيص ميزانيات أبحاث خاصة بهم . وسيبرز اثنان من الأعضاء السابقين فى اللجنة ، خلال الستينيات ، كمنتقدين للبرامج النووية وانتهى الأمر بآخرين مثل « أموس ديشاليت » أبرز عالم فيزياء نووية اسرائيلى ، ليصبح متورطا بشدة فى ديمونه .

ولم تتم معارضة البيانات الاسرائيلية في الأيام والأسابيع التالية من جانب ادارة « إيزنهاور » التى بعد أن فجرت أول مناقشة علنية للقنبلة الاسرائيلية ، تراجعت على الفور فى وجه النفى الاسرائيلى الصفيق . وانضم البيت الأبيض فى بيان وزع على الصحافة فى اليوم التالى لخطاب بن جوريون الى الكنيست فى قبول الرواية الكاذبة الخاصة بديمونة كحقيقة واقعة ، وذكر « أن الحكومة الاسرائيلية قدمت تأكيدات بأن مفاعلها الجديد مخصص تماما لأغراض الأبحاث لتطوير المعارف العلمية وخدمة احتياجات الصناعة والزراعة والصحة والعلوم ... وتعلن اسرائيل أنها سترحب بأية زيارات يقوم بها الطلبة والعلماء من الدول الصديقة للمفاعل بعد اتمامه » . وأضاف البيان الذى وافق عليه الرئيس شخصيا « من الجدير بالاشارة ما تم اعلانه من أن البرنامج الذرى الاسرائيلى لا يمثل أى سبب للقلق بشكل خاص » .

واستمر تراجع الادارة فى اليوم التالى وأصبحت مهمته الآن الحد من الانتقادات العالمية الموجهة لاسرائيل . وأشارت مذكرة سرية أرسلت من وزارة الخارجية الى السفارات الأمريكية فى جميع أنحاء العالم الى أن الحكومة « تعتقد أن البرنامج الذرى الاسرائيلى لا يمثل ، كما أعلن ، أى سبب للقلق على نحو خاص » . وأصبح مسئولو الوزارة الذين انقسموا فى القرار الأول فى وقت سابق من نفس الشهر بالضغط على اسرائيل ، يشعرون الآن وفقا للمذكرة التى تم الاطلاع عليها بمقتضى قانون حرية المعلومات « بقدر كبير من البلبلة بسبب القدر الكبير من الاهتمام الأمريكى بالبرنامج الذرى الاسرائيلى الذى تسرب الى الصحافتين الأمريكية والعالمية . وقد بذلت الجهود لخلق جو من الاثارة أكثر من نشر الحقائق ، كما أوضحت الحجج الاسرائيلية . وسوف تفعل

الوزارة ما فى وسعها فى واشنطن وتأمل فى التعاون على « تهدئة المناخ الحالى » . ويحدد تعبير « تهدئة المناخ السائد » سياسة الحلم الأمريكى تجاه القنبلة الاسرائيلية .

وصدر احتجاج أخير سرى . ففى ٦ يناير ١٩٦١ أدلى « كريستيان هيرتى » بخطاب الوداع كوزير للخارجية فى جلسة مغلقة للجنة العلاقات الخارجية فى مجلس الشيوخ (تم نشر الخطاب عام ١٩٨٤) ، وبرزت مسألة ديمونه ، وكان « هيرتى » يناقش العامل الجديد « المقلق » فى الشرق الأوسط حين قاطعه السيناتور الجمهورى المحافظ « بورك هيكينلوبر » من ايوا قائلا : « اننى أعتقد أن الاسرائيليين كذبوا علينا مثل لصوص الجياد فيما يتعلق بهذا الأمر لقد زوروا وأساءوا وأفسدوا الحقائق فى الماضى . وأعتقد أنه من الخطير للغاية ... أن نسمح لهم بالتصرف على هذا النحو فيما يتعلق بهذه المنشأة النووية بالتحديد التى يقومون ببنائها سرا والتى ينفون لنا باستمرار وبصفاقة أنهم يقومون ببنائها » . وكان « هيكينلوبر يدرك » ماذا يتحدث عنه ، ففى هذا الوقت كان رئيسا للجنة المشتركة للطاقة الذرية .

كما كان السيناتور القوى يعلم أنه يقوم فقط بتفجير قنبلة دخان فى جلسة سرية ، فلن يكون هناك أحد فى ادارة « إيزنهاور » الضعيفة يستطيع أن يفعل أى شىء أكثر من مهاجمة اسرائيل . وأضاف « هيكينلوبر » « اننى لن أطالبك سيدى وزير الخارجية بالاجابة وأتمنى أن أكون مخطئا » . وسوف تترك ديمونه للحكومة الجديدة بقيادة « جون كنيدى » .

٧

الولاء المزدوج

كان « لويس شتراوس » سلف « جون ماكون » كرئيس للجنة الطاقة الذرية تجسيدا لمقاتل الحرب الباردة فى الخمسينات ، نصيراً أمريكيا متحمساً يعارض بقوة إنتشار الأسلحة النووية . وبالتأكيد عرف « شتراوس » بأمر « ديمونة » الكثير ، كما عرف أى شخص فى مجتمع المخابرات ، حين غادر لجنة الطاقة الذرية فى عام ١٩٥٨ . ولا يوجد دليل مع هذا ، على أنه طرح أسئلة عن برنامج الأسلحة الإسرائيلى خلال وجوده فى الحكومة كما لم يعرف عنه أنه ناقش مسألة « ديمونة » مطلقا بعد أن ترك المنصب . ومن المرجح إلى حد بعيد أنه لم يبلغ « ماكون » ، الرومانى الكاثوليكى المخلص بالأمر .

واختار « شتراوس » عدم الحديث عن برنامج إسرائيل النووى لأنه ، كيهودى ، لديه مشاعر عميقة تجاه الإبادة الجماعية ، وافق عليه وتعارضت مشاعره الخاصة القوية تجاه إسرائيل وحاجتها للأمن بقوة مع صورته العامة كيهودى متفهم للغاية أغضب الكثيرين ، أصاب آخرين بالدهشة ، بإصراره أن على ينطق اسمه « شتراوس » .

واعتبر « شتراوس » ، رجل البنوك المستثمر المحافظ القادم من فرجينيا الذى وصل لرتبة ادميرال فى قوات الاحتياط فى البحرية خلال الحرب العالمية الثانية ، أن الترسانة النووية الأمريكية ضرورية من أجل البقاء فى مواجهة الاتحاد السوفييتى ، ولم يكن الذين اختلفوا معه مخطئين فقط ولكنهم كانوا شيوعيين سذجا . وقد ترك شركته فى وول ستريت بعد الحرب ليعمل حتى عام ١٩٥٠ فقط كواحد من الأعضاء المؤسسين للجنة الطاقة الذرية ، وهى وكالة

فيدرالية مستقلة انشئت لتكون قيمة على المواد النووية الأمريكية ، مثل الهيئة الهندسية فى مانهاتن التابعة للجيش التى تولت المسئولية الإدارية عن عمل « أوبينهايم » السرى فى لوس الاموس .

ووجد « شتراوس » وزملاؤه الخمسة أنفسهم أن أولى أولوياتهم جمع المواد الانشطارية ، كما أصبحوا مسئولين عن تشغيل المفاعلات النووية فى البلاد وتطوير القنابل الذرية . وأصبحت السيطرة المدنية على الترسانة النووية كاملة إلى حد أن اللجنة لم تبلغ فى البداية الجيش سواء بعدد أو قوة القنابل المصنعة واثارة فوضى مع التخطيط المبكر للحرب النووية لهيئة الأركان المشتركة . (تتولى وزارة الطاقة النـــووية المسئولية عن إنتـــاج الأســلحة النووية اليوم) .

برز « شتراوس » سريعا ليكون الرجل القوى فى اللجنة وأصبح أكثر نفوذا فى عام ١٩٥٣ حين طالبه « ايزنهاور » بالعودة إلى لجنة الطاقة الذرية رئيسا لها وأيد « شتراوس » قيام المدنيين الذين يطلعون على المعلومات النووية بأداء قسم الولاء . وأصر على استمرار التجارب النووية وناقش علنا أولئك الذين زعموا أن الغبار الناجم عن الاختبارات ضار بصحة الإنسان . كما حارب ضد محاولات إدارة « ايزنهاور » للتفاوض لإبرام معاهدة لحظر التجارب النووية أو أية اتفاقيات أخرى للأسلحة النووية مع الاتحاد السوفييتى . ووقف « شتراوس » مع أعضاء الحكومة والكونجرس الذين سعوا لمنع نقل معلومات الأسلحة للحلفاء الأوربيين خشية أن يصل إليها السوفييت .

وفى الوقت نفسه دعا لبرنامج إدارة « ايزنهاور » (الذرة من أجل السلام) الذى دعا لإمداد حلفاء أمريكا بالتكنولوجيا النووية الأمريكية والوقود النووى – فى ظل إجراءات أمن دولية – لتطوير الاستخدام السلمى للطاقة الذرية . وكان الافتراض الذى ظهر أنه مخطئ على نحو سافر ، يفيد أن الدول الأصــغر فور إمدادها باليورانيوم المخصــب أو البلوتونيوم المطلوب لتشغيل محطة طاقة نووية ، لن يكون لديهــا أى دافــــع أو رغبة في إنتاج أســــلحة نووية . وكـــان « شتراوس » بما لا يدعو للدهشة ، مؤيداً للمشروع الخاص ، وبذل جهدا شاقا لضــمان السماح للصناعة وليس الحكومة ، لبناء وتشــغيل محطات الطاقة النووية .

اشتهر رئيس لجنة الطاقة الذرية بصفة خاصة بين غالبية الأمريكيين بكراهيته « لروبرت أو بنهايمر » الذى فجر ثورة فى أوائل الخمسينات بمطالبته الولايات المتحدة بوقف سباق التسلح بالتخلى عن إنتاج القنبلة الهيدروجينية . وفى عام ١٩٥٤ قاد « شتراوس » معركة مريرة وناجحة لحرمان « أو بنهايمر » من تصريحه الأمنى ، واستحوذت جلسات الاستماع التى تركزت فى النهاية حول ولاء وأمانة « أو بنهايمر » تجاه اهتمامات الأمة . ولم تكن أنشطة « شتراوس » ضد « أو بنهايمر » دائما معلنة وكشفت أدلة فيما بعد أن « شتراوس » طالب مكتب التحقيقات الفيدرالى ليراقب تحركات « أو بنهايمر » ومراقبة تليفونه بما فى ذلك اتصالاته مع محاميه فى محاولة للتأكد من رفض تصريحه الرسمى .

وضمنت خط « شتراوس » وسلوكه العام الشائك ألا يحظى بالإعجاب الكامل من أى شخص رغم أنه لعب دوراً رئيسيا فى السياسة النووية الأمريكية حتى وفاته فى عام ١٩٧٤ عن ٧٧ عاما . وحتى أقرب معاونيه اعتبروه منعزلاً ومغروراً وشكاكا واعتبر كثيرون آخرون مطلبه بأن يسمى « شتراوس » كدليل على أنه مدافع عن اليهود . ولم يكن أى من هذا يثير اهتمام « دوايت ايزنهاور » الذى وثق فى حكمه وسيصفه فيما بعد بأنه من بين (الشخصيات الحكومية الكبرى) للحضارة الغربية . وعرض « ايزنهاور » عليه سلسلة من الوظائف العليا بعد أن قرر فى عام ١٩٥٨ ترك لجنة الطاقة الذرية – كوزير للخارجية أو رئيس فريق العاملين فى البيت الأبيض ورفض « شتراوس » ، وأخيرا أقنعه بأن يشغل منصب وزير التجارة . وتحولت جلسات الاستماع لتأكيد تعيينه عام ١٩٥٩ إلى كارثة – حيث اتهمته لجنة التجارة فى مجلس الشيوخ فى نزاهته – ورفضت تعيينه بشكل مهين . وكان المرشح الوحيد لمنصب وزارى الذى لا يتأكد تعيينه خلال فترتى رئاسة « ايزنهاور » وثامن مرشح يرفض تعيينه فى التاريخ الأمريكى .

وظل « شتراوس » ثابتاً فى كراهيته للاتحاد السوفييتى بعد أن ترك الحياة العامة وأعلن أمام لجنة الكونجرس خلال جلسات الاستماع بشأن الحظر المقترح على التجارب النووية من جانب إدارة « كيندى » (لست متأكدا من أن خفض حدة التوتر الأمريكى – السوفييتى أمر جيد بالضرورة) كما

استمر فى تأييد استخدام الطاقة الذرية ، وفى عام ١٩٦٤ قام بزيارة لإسرائيل ، كانت الأولى على ما يبدو ، للتشاور مع الحكومة حول محطة مقترحة لإقامة محطة لتحلية المياه تعمل بالطاقة النووية .

وفى أثناء عمله فى لجنة الطاقة الذرية اجتمع شتراوس الذى حضر غالبية المؤتمرات الدولية حول الاستخدامات السلمية للذرة ، والتقى مع « ارنست ديفيد بيرجمان » ونشأت صداقة بينهما . هذه العلاقة لم يعرف بها الكثيرون ، فحتى كاتب سيرة « شتراوس » وابنه « لويس » الذى اطلع على جميع أوراق والده الشخصية لم يعرف أن الرجلين قد التقيا .

ولا شك أن تطور الصداقة مع « بيرجمان » أقوى دليل على تعاطف « شتراوس » مع البرنامج الإسرائيلى للأسلحة النووية . وفى خريف عام ١٩٦٦ استخدم « شتراوس » نفوذه لمنح « بيرجمان » منحة عمل لمدة شهرين كعالم زائر فى معهد الدراسات المتقدمة الواقع فى « برينستون » . وقد انضم « شتراوس » الذى لم يتخرج مطلقا فى الجامعة لمجلس الأوصياء على المعهد خلال الحرب العالمية الثانية واستمر واحدا من كبار المساهمين وجامعى التبرعات له . ونادراً ما تعامل المعهد مع الكيميائيين - فأعضاؤه كانوا من الفيزيائيين وعلماء الرياضيات - ولكن حطمت القواعد من أجل « شتراوس » . وكان « بيرجمان » شخصية تشعر بالمرارة فى هذا الوقت ، حيث اضطر للاستقالة من مناصبه فى وزارة الدفاع ، وكرئيس للجنة الطاقة الذرية الإسرائيلية بعد اعتراضه المستمر على قرار رئيس الوزراء « ليفى اشكول » بتأجيل إنتاج الأسلحة النووية على نطاق شامل والذى يعود إلى حد ما للضغوط التى مارسها « ليندون جونسون » .

ويستعيد « كارل كايش » المدير الجديد للمعهد حينئذ الأحداث قائلا : (لقد مارس « شتراوس » ضغوطا لدى من أجل « بيرجمان » وأبلغنى أنه عالم متميز) ويضيف « كايش » : إنه علم بعد وصول « بيرجمان » فقط شخصيته الحقيقية وطبيعة ما يقوم به . ولم يكن « بيرجمان » متحمسا للعمل و (كان يأتى ليجلس ويتحدث معى وبدا واضحا أنه و « شتراوس » على صلة وثيقة ، كما بدا واضحا أنه يعمل فى برنامج الأسلحة النووية الإسرائيلى . وكان يشعر بالارتياح تجاه البرنامج) . كما ظهر بوضوح إن « بيرجمان » كان يبلغ

« كايش » بكل ما اطلع عليه « شتراوس » . ولم يصب « كايش » خبير الاقتصاد السياسى المتميز الذى كان نائب مساعد الرئيس للشئون الأمنية ، بالدهشة حين علم أن إسرائيل مهتمة بالقنابل النووية ، ولكن أصيب بصدمة كبيرة حين علم أن « شتراوس » الذى يبدو متأرجحا تجاه يهوديته وبالتالى معارضاً لانتشار تكنولوجيا الأسلحة النووية ، يؤيد سرا تسليح إسرائيل بالأسلحة النووية ، ومن المحتمل أنه نظرا للاضطراب الذى ساد حياة « شتراوس » السياسية ، فلم تسنح فرصة للرأى العام والصحافة كى تتعرف إلا على قدر ضئيل من مشاعره الخاصة فيما يتعلق بيهوديته واحساسه بالذنب تجاه عدم قيامه ببذل مزيد من الجهد خلال الثلاثينات لإنقاذ اليهود الذين تعرضوا للإبادة الجماعية .

ولم يكن هناك فى الواقع أى غموض حول يهوديته . فقد أصبح « شتراوس » منذ عام ١٩٣٨ زعيما لطائفة « ايمانوال » أضخم وأبرز معبد اصلاحى فى مدينة نيويورك . وفى عام ١٩٥٧ ، تلاعب « ايزنهاور » لفترة قصيرة بفكرة تعيينه وزيرا للدفاع ولكنه قرر أن يهوديته ستسبب مشكلات عديدة مع الدول العربية فى الشرق الأوسط . ومع هذا فإن أنشطة « شتراوس » لحساب الوطن اليهودى لم تعرف ، على ما يبدو حتى لأقرب المقربين فى لجنة الطاقة الذرية . وفى مذكراته ، التى نشرت عام ١٩٦٢ ، كتب « شتراوس » بمرارة عن محرقة النازى وأولئك الذين لم يبذلوا جهداً لإنقاذ أقرانهم بمن فيهم هو شخصياً وقال : (إن السنوات الممتدة منذ عام ١٩٣٣ وحتى اندلاع الحرب العالمية الثانية ستظل بمثابة كابوس بالنسبة لى ، ومنيت الجهود المحدودة التى بذلتها للتخفيف من احساسى بالفشل الكامل ، واسفرت فقط عن انقاذ أفراد قلائل للغاية مع الأسف) . وفى عام ١٩٣٣ طلبت اللجنة اليهودية الأمريكية من « شتراوس » أن يحضر مؤتمرا دولياً فى لندن حول مأساة اليهود. وهناك التقى مع الدكتور « حاييم فايتسمان » ، واستمع كما اتفق المشاركون فى المؤتمر ، على ضرورة جمع مبلغ ضخم من المال من الولايات المتحدة لإعادة توطين ما يقدر بعدة ملايين من اليهود . وكان « شتراوس » المعارض القوى حينئذ لدولة يهودية فى فلسطين ، العضو الوحيد الذى يعلو صوته بالمعارضة فى المؤتمر ، وهو موقف أسف عليه بعد ذلك . وبعد

ست سنوات سيمضى « شتراوس » كثيراً من الوقت ويبذل الكثير من الجهد فى محاولة فاشلة لإقناع الحكومة البريطانية بمنح منطقة ضخمة من إفريقيا المحتلة لإعادة توطين اليهود الأوربيين وغير اليهود على السواء . وقبل بدء الهجوم النازى بعدة أشهر لم تعد الأموال مشكلة فقد وافق « شتراوس » وزملاؤه الأمريكيون ومن بينهم « بيرنارد باروخ » الممول ، على إمكان جمع ٣٠٠ مليون دولار . وكان الوقت متأخراً وبدت مشاعر « شتراوس » القوية تجاه هذا الفشل وفشل القيادة العالمية واضحة فى مذكراته وقال : (اجتاحت موجة الحرب القارات والمحيطات واغلق العالم المصدوم عينيه شكلا وموضوعا تجاه مأساة الكائنات التعسة التى يتم اجتياحها) .

ومثل كثير من اليهود ، ظل « شتراوس » معاديا للصهيونية طوال حياته ولكنه حظى بثقة زملائه فى لجنة الطاقة الذرية الإسرائيلية بالانضمام إليهم علنا فى صلاتهم فى جنيف خلال مؤتمر الأمم المتحدة للاستخدامات السلمية للطاقة النووية عام ١٩٥٥ فى الوقت الذى عقد فيه أضخم مؤتمر علمى دولى . وشارك فيه أكثر من ألف وخمسمائة مندوب يمثلون سبعين دولة من بينها إسرائيل التى رأس وفدها « ارنست بيرجمان » ، وتلقى « موشى شاريت » وزير الخارجية حينئذ تقريراً كاملاً . كما أشار فى يومياته ليوم ١٨ سبتمبر عام ١٩٥٥ ، من نائبه الذى اعتقد أنه من المهم إبلاغ « شـاريت » أن ثلاثة آلاف من المندوبين يهود . وكتب « شاريت » أنه رغم هذا العدد الضخم فإنه حين نظمت الجالية اليهودية فى جنيف قداساً خاصاً مساء يوم الجمعة شارك فيه فقط الوفد اليهودى فى المؤتمر وأدميرال « شتراوس » رئيس الوفد الأمريكى) .

ومع ذلك بذل « شتراوس » جهدا شاقا أثناء وجوده فى واشنطن لكبح مشاعره القوية تجاه كونه يهودياً وتجاه المحرقة الجماعية على الرغم من أن الكثيرين من زملائه السابقين من لجنة الطاقة الذرية أشاروا فى أحاديث صحفية إلى عدائه الذى لا يلين للألمان وتردده فى التعامل مع الألمان فى أى قضية . ومع ذلك لم يجد « مايرون كراتزر » الذى ظل مسئولاً لفترة طويلة فى لجنة الطاقة الذرية . وهو الآخر يهودى ، ما يشير إلى أن الرئيس السابق واظب على تقليد الصوم فى يوم كيبور أو يوم الغفران أكثر الأعياد اليهودية

قداسة . وطلب « ايزنهاور » من « شتراوس » بعد تقاعده أن يرأس الوفد الأمريكى لاجتمـاع دولى فى فيينا ، ويتذكر « كـراتزر » أنه فى يوم كيبـــور (لم يظهـــر « شـــتراوس » فقد قام ببساطة بالتزام العــزلة فى غـرفته فى هذا اليوم) .

ولا يمكن تجاهل خلفية « شتراوس » ومشاعره تجاه المحرقة الجماعية فى تحليل سبب عدم إبلاغه أى شخص ، وخاصة ماكون ، بأمر « ديمونة » . وسواء كان هذا عادلا أم لا ، فإن (الولاء المزدوج ، الذى جسدته أفعال « شتراوس ») فى ظل مصدر قلق حقيقى لمجتمع المخابرات الأمريكية منذ إنشاء إسرائيل عام ١٩٤٨ فعلى سبيل المثال ظل اليهود الأمريكيون ممنوعين لسنوات من التعامل مع القضايا الإسرائيلية داخل مقر وكالة المخابرات الأمريكية . ولم يكن أى من رؤساء المحطة أو العملاء الذين عينوا فى إسرائيل من اليهود فى المراحل الأولى . واعترف بغضب أحد اليهود ، شغل بعد عشـرات السنين منصبا عاليا فى وكالة المخـابرات الأمريكية ، بأنه حين وصل (كان جميع اليهود الأوغاد يقدمون التقارير أو أعمالاً مشابهة) ولم يكن هذا المسئول مصيباً تماماً ، ولكن حتى هؤلاء اليهود القلائل الذين صعدوا للقمة ، مثل « ادوارد بروكتور » الذى شغل منصب نائب رئيس الوكالة فى منتصف السبعينات لم يطلعوا على جميع الملفات الحساسة الخاصة بإسرائيل . كما استبعد اليهود من دورات تدريس العبرية (التى سميت حينئذ اللغة العربية الخاصة) فى وكالة الأمن القومى وكان هذا التدريب بالطبع شرطاً مسبقاً للتعيين فى محطات وكالة الأمن القومى المخصصة لاغراض الاتصالات الإسرائيلية . وتم فرض حظر صريح فى « وكالة مخابرات الاتصالات » التابعة للبحرية (التى عرفت باسم مجموعة الأمن البحرية) ، على تعيين أى يهودى للعمل فى أى قضية مرتبطة بالشرق الأوسط .

وساد ومازال يسود إيمان واسع النطاق بين مسئولى وزارة الخارجية الأمريكية بأن أى تقارير دبلوماسية تنتقد إسرائيل ستسلم فى غضون أيام إلى السفارة الإسرائيلية فى واشنطن . وفى عام ١٩٦٣ وافقت إدارة « كيندى » بصورة غير رسمية مع إسرائيل على عدم قيام أى من الدولتين بالتجسس ضد الأخرى وسعى مسئول أمريكى كان معاوناً سابقا لـ « كنيدى »

لإبرام هذا الإتفاق فى محاولة للحد من حجم الاختراق الإسرائيلى فى أمريكا .

والحقيقة أن اليهود وغير اليهود على السواء كانوا يغضون البصر حين يتعلق الأمر بالقدرة النووية الإسرائيلية . والإشارة إلى الولاء المزدوج باعتباره مشكلة يهودية فقط يعد نظرة ضيقة ، فالناجون اليهود الذين أصبحوا مواطنين إسرائيليين بمعاناتهم وعذابهم خلال الحرب العالمية الثانية شعروا ومازالوا يشعرون بالإعجاب تجاه الأمريكيين من جميع النوعيات . والأثر المباشر « للولاء المزدوج » أصبح شكلاً من أشكال الرقابة الذاتية التى منعت الحكومة الأمريكية من التعامل بعقلانية ومنطقية مع القضايا السياسية والاستراتيجية التى يثيرها تسلح إسرائيل بالسلاح النووى . والقضية ليست ما إذا كان قد تم تحطيم القواعد والقوانين ، ولكن القضية هى استخدام القليل من المسئولين الذين يؤيدون إسرائيل - يهودا كانوا أم غير يهود - لمناصبهم فى محاولة الحصول على صورة دقيقة وكاملة للبرنامج النووى الإسرائيلى . ولم يحاول أى شخص ووقف هـذا . واتهم هؤلاء المسئولون الحكوميون فى مجال منع الإنتشار النـووى الـذين حاولوا معـرفة مايتعين أن يعرفـوه عن « ديمونه » بأنهـم (متعصبون) ولذلك غير فهم جديرين بالثقة .

ومع ذلك فكون المرء يهودياً يثير بشكل حتمى أسئلة ، حتى بين أكثر الرجال عدلاً ، فقد أطلع « دينو برجيونى » « شتراوس » بانتظام على معلومات الطائرة « يو ٢ » ولكنه وجده غامضا حين وصل الأمر للمعلومات الخاصة بالمفاعل النووى الإسرائيلى وكان لدى « برجيونى » أسبابه الخاصة لإثارة التساؤلات حول « شتراوس » ويقول : (لم أعرف مطلقا فيم يفكر كما لم أفهمه مطلقا وكنت أتلقى رد فعله الذى يكتفى بالتعليق بكلمة واحدة هى « حسنا ») وكان يعلم أن هناك أدلة تشير إلى أن يهوداً أوربيين وأمريكيين متورطون مباشرة فى تمـويل وبنـاء مفـاعل « ديمونة » منـذ البـداية . ويضيف « برجيونى » : (كان هناك حماس وبصفة خاصة بين يهود نيويورك . وكان الشـعار المعتاد « انك تحمى إسرائيل » وأى شـخص فى مجتمـع المخـابرات لا يفعل ذلك يتعرض للمعاناة) .

وفى أحاديث اجريت خصيصا لهذا الكتاب مع كبار المسئولين فى برنامج الأسلحة النووية الأمريكى ، – مثل « لويس شتراوس » – الذين أمضوا جزءاً من حياتهم فى صنع القنبلة ، لم يعرب أى منهم عن مشكلة فى طموحات إسرائيل النووية . وتحدث أغلبهم عن صداقات شخصية وثيقة مع فيزيائيين إسرائيليين عملوا فى برنامج الأسلحة الإسرائيلى . ولم يكن فى وسع أى شخص لديه خبرة واطلاع « لويس شتراوس » أن يتملكه أى شك فى دلالة إنشاء مفاعل سرى فى النقب . وتعترف أرملته ، التى مازالت مفعمة بالنشاط فى عام ١٩٩١ وهى فى الثامنة والثمانين ، بأن زوجها الذى كان كتوما للغاية بشأن عمله كان سيوافق على محاولة إسرائيل الدفاع عن نفسها . ولا يوجد شك فى هـذا ، كما أدرك « شـتراوس » أن عـالم فيـزياء نووية يهـوديا يدعى « ريموند فوكس » خلق حالة ذعر بهجرته إلى إسرائيل فى عام ١٩٥٧ من كاليفورنيا حيث اطلع عـلى معلـومات عن تصـميم الأسـلحة فى معمـل « لورنس ليفرمور » القومى منشأة الأبحاث النووية التى تديرها جامعة كاليفورنيا لحساب لجنة الطاقة الذرية . ومن الممكن أن تصبح أسرار « فوكس » بالنسبة للإسرائيليين فى « ديمونة » قيمة ولا تقدر بثمن .

وقد يكون عدم قيام « شتراوس » بمناقشة « ديمونة » مع « جون ماكون » قد تم انطلاقا من اعتقاد بأن عليه التزاما لضمان عدم تكرار ما حدث لليهود فى أوربا على يد هتلر . ومن المحتمل أنه اعتقد أنه يكفر عما لم يفعله أو لم يمكنه أن يفعله لمساعدة يهود أوربا قبل الحرب العالمية الثانية . وطرحت اختيارات مماثلة طوال السنوات الثلاثين التالية من جانب اليهود وغير اليهود فى الحكومة الأمريكية الذين غضوا أبصارهم حين تعلق الأمر « بديمونة » فهل كانو مذنبين بانتهاجهم سلوكا مزدوجاً ، كما تساءل « برجيونى » وآخرون فى مجتمع المخابرات ، وهل فشل « لويس شتراوس » الذى توقع أسوأ الأشياء حين وصل الأمر لولاء أشخاص مثل « روبرت أو بنهايمر » فى الوفاء بالتزامات منصبه فى ضوء المعلومات المعروفة عن « ديمونة » والالتزام بإبلاغ خلفه بها .

ومن المفهوم أن الكثير من اليهود الأمريكيين يؤمنون بأن مسألة « الولاء المزدوج » قضية يجب عدم إثارتها علنا . ويخشون من أن أى مناقشة للتأييد

اليهودى لإسرائيل على حساب الولايات المتحدة سيعنى معاداة السامية ، والخوف من أن يقتنع غير اليهود بأن أى تأييد يهودى لإسرائيل يتقدم على الولاء للولايات المتحدة . وتدور قضية ثانية فى ضوء التأييد اليهودى لإسرائيل حول ما إذا كان أى اعلان عن قدرة إسرائيل النووية سيثير مخاوف جديدة بين الدول العربية من وجود مؤامرة يهودية عالمية مما يضاعف الجهود العربية للحصول على القنبلة .

وتقف فى مواجهة هذه المخاوف عدة تساؤلات ، فهل يمكن أن يتحمل العالم الادعاء بأن إسرائيل ليست قوة نووية لأن اتخاذ موقف آخر سيثير مشكلات عويصة ؟ وهل يمكن لأى اتفاقية دولية للحد من انتشار الأسلحة النووية أن تطبق إذا لم يتم الإبلاغ بالكامل عن عدد القنابل الإسرائيلية ؟ وهل يمكن التوقع حقا أن تتجاهل الدول العربية امتلاك إسرائيل للأسلحة الذرية فقط ، لأن الأسلحة لم يعلن عنها ؟ وهل من الضرورى معاملة إسرائيل وفقا لمعيار أخلاقى مختلف عن باكستان وكوريا الشمالية أو جنوب إفريقيا فقط بسبب الدعم العاطفى الواسع النطاق الذى تتمتع به فى أمريكا ؟

ويسود الاقتناع بين العديد من كبار مسئولى منع الانتشار النووى فى الحكومة الأمريكية مع بداية التسعينات بضرورة إبقاء الشرق الأوسط المكان الوحيد الذى يمكن استخدام الأسلحة النووية به . وقال خبير شارك فى دراسات حكومية عن القضية النووية فى الشرق الأوسط طوال عشرين عاما (إن إسرائيل تملك إستراتيجية نووية موضوعة بعد تفكير عميق وإذا تعرضت لخطر كاف فإنها ستستخدمها) .

ويجد بعض معاونى « شتراوس » السابقين صعوبة فى الاعتقاد بأن يهوديته كانت السبب وراء ابلاغه أو عدم إبلاغه « لجون ماكون » بـ « ديمونه » ويعتقد « آلجى ويلز » مدير الشئون الدولية فى لجنة الطاقة الذرية فى منتصف عام ١٩٥٨ حين تولى « ماكون المنصب خلفا لـ « شتراوس » ، أن هناك أسبابا أكثر تفاهة لتجاهل « شتراوس » مسئولية منصبه كرئيس للجنة الطاقة الذرية ويقول : (لماذا كان يتعين على « شتراوس » إبلاغ « ماكون » ؟ فلم يكن الرجلان على صلة وثيقة . وكلاهما كانت لديه « أنا » متضخمة . ولا يمكننى تخيلهما رفقاء ويتناولان شراباً معاً) .

ومن وجهة نظر « ويلز » فسواء أبلغ « شتراوس » « ماكون » أم لا فإن ذلك لم يكن بالأمر المهم . فقد زار « ويلز » إسرائيل عام ١٩٥٨ ويتذكر أنه أدرك حينئذ ، مثله مثل أى مسئول حكومى اختار أن يفعل ذلك ، أن إسرائيل تبنى مفاعلا نووياً . وإذا كان « ماكون » قد أصيب بالدهشة حين علم بأمر المفاعل فى أواخر عام ١٩٦٠ فإنه (لم يحاول أن يدرك الأمر قبل ذلك) .



٨

نضـــال رئاسى

اتفق « ابراهام فينبورج » مع « لويس شتراوس » فى إيمانه بالعمل خلف الستار لحساب إسرائيل ، ولكن « فينبورج » تحرك بأسلوب لم يكن فى وسع « شتراوس » - بفكر منفرد وحماسى ، فقد ساعد فينبورج - وهو من أبناء نيـويورك كون ثروته من تجـارة الجـوارب والملابس - فى تمويل حـملة « هارى ترومان الرئاسية عام ١٩٤٨ التى بدت مشئومة ، وبحلول حملة الرئاسة عام ١٩٦٠ أصبح أهم جامع تبرعات يهودى للحزب الديمقراطى . ولم يكن هناك شئ خبيث فى الرسالة : فالـدولارات التى جمعها كانت تعنى استمرار دعم الحزب الديمقراطى لاسرائيل .

كما كان « فينبورج » لاعبـا إذا صح استخدام الكلمة ، تقاسم الأحلام المبكرة لصديقه الحميم « ارنست ديفيد بيرجمان » بتسلح اسرائيل بالسلاح النووى وقدم علنا كرئيس منظمة العهد الاسرائيلى فى الوقت الذى ساهم فيه سراً فى جمع بضعة ملايين من الدولارات المطلوبة لبناء المفاعل المثير للجدل ومصنع إعادة المعـالجة فى ديمونة . قبل « فينبورج » حقيقة ضرورة تمويل العمليات المكلفة الموسعة فى ديمونة خارج عملية الميزانية الاسرائيلية وقد كان هناك الكثير من المنتقدين للبرنامج النووى داخل وخارج اسرائيل ولجمع المال بأى طـريق آخـــر ، وأدى الإعــــلان غير المرغـوب فيه فى نهاية عهد إدارة « ايزنهاور » فقط إلى زيادة تصميم « بن جوريون » و« بيريز » على حمـاية السر . وكان « فينبورج » أكثر من مـجرد جامع تبرعات فى كل هذا ، فقد أصـبح مؤيدا في الداخـــل « لبن جـــوريون » و « بيريز » مع تعيين الرئيس « كنيدى » « لجون ماكون » مديرا للمخابرات المركزية في سبتمبر سنة ١٩٦١ ، مما أكد موقفه كمـعارض قـــوى للقنبلة الاســرائيلية . وجدت بصفة خاصة

ارتباطا وثيقا مع « بيريز » ، ويقول « فينبورج » لقد جاء إليّ عادة من أجل المال .فإذا أعطاني المنصب وساعدته ، وظل « فينبورج » فخوراً بدعمة لاسرائيل والبرنامج السرى لأسلحتها . وكانت أعنف معاركه لحساب اسرائيل فى أوائل أيام إدارة « كنيدى » حين نجح فى المساهمة فى القضاء على أصرار « كنيدى » على السماح لفريق تفتيش أمريكى بالاطلاع على ديمونه دون إعاقة . وثبت نجاح « فينبورج » فى عملية السياسة الأمريكية ، ويوضح قائلا : « كان طريقى للنفوذ التعاون وفقا لما يحتاجونه من أموال الحملة » .

وجاء تذوق « فينبورج » للسلطة السياسية للمرة الأولى فى الأيام الأخيرة لحملة « ترومان » ضد « توماس ديوى » محافظ نيويورك الجمهورى الذى بدا أنه سيفوز بانتخابات ١٩٤٨ . ويوضح قائلا : « فى بداية تعاملى السياسى مع « ترومان » شعرت أنها مهمة كل يهودى يريد أن يساعد اسرائيل » ودعى « فينبورج » كعضو فى لجنة تمويل الحملة الديمقراطية إلى إجتماع في البيت الأبيض مع الرئيس الذى فاز بإعجاب عالمى واسع النطاق من جانب اليهود لقراره بالاعتراف بدولة اسرائيل فى وقت سابق من العام نفسه . ويتذكر « فينبورج » قول « ترومان » : « إذا اضطررت للمقامرة لقامرت على نفسى - إذا كان فى إمكانى أن أطوف البلاد بالقطار » . وقال الرئيس إنه سيتعين جمع مائة ألف دولار على الأقل ،وأبلغ فينبورج معاونى « ترومان » أنه يمكنه ضمان جمع المال مع نهاية اليوم وبعد ذلك رتب لترومان حملته بالقطار ليلتقى مع الزعماء المحليين لليهود فى كل محطة « ليعاد تزويده بالوقود » أو بعبارة أخرى تزويده بتبرعات إضافية .

ومن بين مقتنيات « فينبورج » الثمينة خطاب شكر وإشادة بخط اليد من « ترومان » فى سبع صفحات . ويقدر « فينبورج » ماجمعه وزملاؤه اليهود « فى الضاحية باربعمائة الف دولار » خلال حملة القطار عام ١٩٤٨ - وأدرك « ترومان » القواعد ، وفى مرحلة متأخرة ناقش تعيين « فينبورج » سفيراً لدى إسرائيل . ورفض « فينبورج » ، وقال : « لقد أبلغته بأنه يجب عدم تعيين أى يهودى سفيراً لدى اسرائيل حتى يحل السلام » .

ولم يعثر على رواية « فينبورج » عن جمع الأموال « لهارى تورمان » فى أى كتب تاريخية معاصرة عن هذه الفترة ، ولايمكن التأكد منها تماما مثلما

هو الحال بالنسبة لأنشطته اللاحقة فى جمع التبرعات لديمونه . وتتوافر أدلة قوية ، مع ذلك على أن دور « فينبورج » كان محورياً كما ذكر . فعلى سبيل المثال ، يملك « كلارك كليفورد » المحامى الشهير فى واشنطن الذى كان معاونا « لترومان » ومدمنا للعبة البوكر ، ذكريات كثيرة عن تدخل « فينبورج » فى حملة القطار . ولم يشارك « كليفورد » فى عملية جمع التبرعات للحزب الديمقراطى ولكنه علم خلال رحلة القطار أن الحملة تفتقر إلى المال . ويتذكر أن استمرار الحملة « كان أمرا فى غاية الصعوبة على أى شخص . ولم نتمكن من العثور على أى شخص يعتقد أنه فى إمكاننا الفوز وظهرت الكارثة وشيكة « أوكلاهو ماسيتى » حين أبلغت إحدى شبكات الإذاعة ، وهذا قبل عصر التليفزيون الحملة بأنها لن تبث على الأمة خطاباً هاماً « لترومان » بشأن سياسته الخارجية « مالم يدفع لها مقدما الثمن وأصابنا هذا بالصدمة » . ويضيف « كليفورد » : « الأمر كان سيبدو محرجاً إلى أبعد حد فقد احتاج الأمر لستين ألف دولار على الفور نقدا ، وفكر ترومان فيمن يمكنه اللجوء إليه ، وتحدث الرجل بعد ذلك عن أن أبى « فينبورج » هو الذى هرع لنجدته . ودائما ما أمنح أبى فضلاً فى إنقاذ هذا البرنامج بصفة خاصة وإنقاذنا من الإحراج . فقد هرع بصدق للمساعدة » .

كما أقسم « فينبورج » بالنشاط فى جمع التبرعات لأدلاى «ستيفنسون » المرشح الديمقراطى الخاسر فى انتخابات ١٩٥٢ و ١٩٥٦ . وكان مساندا قويا للسيناتور « ستيوارت سيمينجتون » الديمقراطى من ميسورى للفوز بترشيح الحزب لانتخابات الرئاسة وسيبرز « سيمينجتون » فيما بعد كمؤيد قوى لتسليح اسرائيل نوويا – ومن المفارقات وكواضع تشريع في مجلس الشيوخ للحد من إنتشار هذه الأسلحة ، ولم يلعب « فينبورج » دوراً فى الحملة التمهيدية « لجون كنيدى » للحصول على ترشيح الحزب الديمقراطى مثل كثير من اليهود ، حيث بدا مقتنعا بأن والد « كنيدى » كان معادياً للسامية . فقد حارب « جوزيف » « كنيدى » المليونير العصامى والكاثوليكى البارز ضد دخول الحرب مع المانيا أثناء شغله منصب سفير « فرانكلين روزفلت » لدى انجلترا قبل الحرب العالمية الثانية . وبعد أسابيع قليلة من ترشيح الديمقراطيين « لكنيدى » ، اتصل حاكم « كوناكتيكات » « ابراهام ربيكوف » مدير حملة

« كنيدى » فى مؤتمر الحـــزب الديمقراطى « بفينبــورج » مع ذلك . ويتذكــر « ربيكوف » قائلا : « كنت اليهودى الوحيد معه واكتشفت أن اليهود يؤيدون أى شـــخص خلاف « جون كنيدى » . وأبلغت « كنيــدى » بأننى ســأتصـل بأبى « فينبورج » الذى أعتقد أنه يهودى مهم . ورتبت إجتمـاعا « مـع كنيدى » فى حجرة فينبورج فـى فنـدق « بيير » ودعونا جميع اليهود البارزين وحضر نحو عشرين من رجال المال والأعمال البارزين .

وكانت تلك جلسة عصيبة . فقد كان كنيدى قد عاد لتوه من عطلة قصيرة فى مجمع العائلة فى « هياتيس بورت » بولاية « ماسوشيتس » وكان « ديوى ستون » الشخصية البارزة فى بوسطن هو الذى طرح السؤال الأول ، كما يتذكر « فينبورج » ، قال « جاك » إن الجميع يعرفون سمعة أبيك فيما يتعلق باليهود و « هتلر » وأى شخص يعلم أن التفاحة لاتسقط من الشجرة وبدت إجابة « كنيدى » فى الصميم « إنك تعلم أن والدتى جزء من هذه الشجرة أيضا » وفهم « ريبيكوف » ، الذى سينضم لوزارة « كنيدى » ، الرسالة « إن خطايا الأب لايتحملها الأبن » ولحسن حظ « كنيدى » ، بدت الرسالة كافية للبقـــاء فى غرفة منفصـلة مـع « ربيكوف » انتظـارا للحكم ، حينمـا يذكر « فينبورج » ووافقت المجموعة على تقديم مساهمة أولى قيمتها نصف مليار دولار لحملة الرئاسة على أن يليها المزيد . وقال « فينبورج » « لقد أبلغت على الفور « كنيدى » علـى الفوز وبدا صـوته محشرجا . فقد تأثر بهذا الفضل .

ولم يكن « كنيدى » بأى حال معترفا بالجميل فى اليوم التالى وهو يصف الجلسة « لتشارلز بارليت » كاتب الأعمدة الصحفية وصديقه الحميم . فقد توجه بسيارته إلى منزل « بارليت » فى شمال غربْ واشنطن وأجبر صديقه على القيام بجولة على الأقدام حيث روى صورة مختلفة تماماً لاجتماع الليلة السابقة . ويتذكر « بارليت » « أنه كمواطن أمريكى بدا ثائراً من أن تأتى إليه جماعة صهيونية ، « إننا نعلم حملتك تعانى من مشكلة . ونحن مستعدون لأن ندفع فواتيرك إذا سمحت لنا بأن نسيطر على سياستك تجاه الشرق الأوسط » وأمتعض « كنيدى » أيضاً كمرشح للرئاسة من الأسلوب الذى عاملوه به وأبلغ « بارليت بغضب » لقد ارادوا السيطرة على » .

كما يذكر « بارليت » أن « كنيدى » أقسم إذا أصبح رئيسا بأنه سيفعل

شيئا تجاه الاحتياج الدائم لأى مرشح للمال وما ينتج عن ذلك من الخضوع لمطالب المساهمين . أوفى « كنيدى » فى الواقع على هذا الوعد قبل نهاية عامه الأول فى المنصب ، وعين لجنة من الحزبين فى أكتوبر لوضع توصيات حول سبل توسيع « القاعدة المالية لحملتنا الرئاسية » وفى بيان صادر من القلب أكبر بكثير مما يمكن أن يتصور العامة أو الصحافة انتقد الوسيلة الحالية لتمويل الحملات بوصفها « غير مرغوبه إلى حد بعيد وغير صحية » لأنها تجعل المرشحين « معتمدين على مساهمين ماليين كبار ذوى مصالح خاصة » وأعلن « كنيدى » أن انتخابات الرئاسة هى « أعلى اختبار للعملية الديمقراطية » فى الولايات المتحدة - وكان « كنيدى » سابقا عصره مع ذلك فلم تسفر مقترحات تمويل الحملات عن شىء .

ومن المستحيل التوفيق بين الروايات المختلفة الخاصة بسلوك « كنيدى » تجاه الاجتماع الذى عقد فى غرفة « فينبورج » فى فندق « بيير » . ولكن تبقى الحقيقة أنه على الرغم من كلمات « كنيدى العنيفة « لبارليت » فإن تأثير أبى « فينبورج » داخل البيت الأبيض ظهر للوجود فى نهاية العام الأول لكنيدى فى المنصب ، ولم يبذل الرئيس الشاب جهدا كبيراً لتقليصه خلال العامين التاليين . وبدأ واضحا أن أحد العوامل سياسى . وقد صوتت نسبة (٨١ ٪) من اليهود لصالح « كنيدى » عام ١٩٦٠ بالمقارنة بالذين صوتوا لصالحه من الكاثوليك (٧٣ ٪) وكانت أصوات اليهود هى التى منحت « كنيدى » تفوقا ضئيلاً على « نيكسون » بلغ ١١٤ ألفا و٥٦٣ صوتا ، وحصل « فينبورج » على مكافأة محدودة بعد الانتخابات ، وقد عين الرئيس شقيقه المحامى « ويلفريد » قاضيا فيدراليا . ويذكر « ريبيكوف » « إن فينبورج كان يريد شيئا واحدا . أن يضع شقيقه على المقعد الفيدرالى . وقد حضرت الإجتماع مع « كنيدى » وأوصيته بالقيام بهذا الإجراء . وتم كل شىء ، وقال الرئيس إن اليهودى الوحيد الذى أيدنى فى وقت مبكر من الحملة كان « أبى فينبورج » ، وبدت قضية النفوذ السياسى اليهودى والقنبلة الاسرائيلية معقدة ، وخلال هذه السنوات التزام « جون كنيدى » عقليا وعاطفيا بوقف انتشار الأسلحة النووية . ويتذر « كارل كايسن » الذى انتقل من جامعة « هارفارد » إلى مجلس الأمن القومى عام ١٩٦١ « أنه كان يوجد

موضوعان إذاجعلت الرئيس يبدأ يواصل الحديث عنهما فإنه يمكنه أن يواصل الحديث لساعات ، احدهما كان مستوى الذهب والثانى منع الإنتشار النووى » ويجب أن تكون الذرائع السياسية التى جعلته متأثراتجاه « ديمونه » محبطة . وفى النهاية وافق « كنيدى » على سلسلة من عمليات التفتيش لحفظ ماء وجه أمريكا على المنشآت النووية الاسرائيلية ، على الرغم من أن لفظ « تفتيش » لايعبر بعدالة عما سمح به الاسرائيليون .

ولخصت مشاعر « كنيدى » المعقدة تجاه النفوذ السياسى اليهودى والقضية الاسرائيلية فى تعيينه لمعاونه السابق فى الحملة ماير « مايك » « فيلدمان » معاونا للرئيس للشئون اليهودية والاسرائيلية . واعتبر الرئيس « فيلدمان » الذى ذاع تأييده القوى لاسرائيل ، الشرير المطلوب الذى يعد موقعه الكبير الفاضح فى البيت الأبيض هو الدين السياسى الذى يجب تسديده . ويتذكر « فيلدمان » أن الرئيس استدعاه فى اليوم التالى للتنصيب وأمره بالاطلاع على جميع برقيات وزراء الخارجية والبيت الأبيض عن الشرق الأوسط ، وقلت سيدى الرئيس لقد جئت بانحياز كبير تجاه إسرائيل « وابلغنى ولهذا السبب أطالبك بالاطلاع عليها » . « وخلقت علاقة « فيلدمان » الخاصة فوضى داخل البيت الأبيض كما كان « كنيدى » يدرك أن هذا سيحدث . وسعى كبار مستشارى الرئيس وبصفة خاصة « ماك جورج باندى » مستشار الأمن القومى بلا جدوى أن يقطع صلة « فيلدمان » بفيض الأوراق الخاصة بالشرق الأوسط وعادة ماكانت النتيجة فوضى بيروقراطية ويعترف « كايسن « اليهودى » لم يكن فريق العاملين فى البيت الأبيض فى عهد « كنيدى » منسجما ، وساورت « باندى » الشكوك بشدة تجاه « فيلدمان » وبدا قلقا تجاهى وتجاه « بوب كومر » وهو يهودى أخر عضو فى مجلس الأمن القومى عُين ليتابع جنوب أسيا . ويتذكر « روبرت كوبر » الذى سيصبح فيما بعد مسئولا عن برنامج الصلح فى فيتنام الجنوبية نائبا عن « ليندون جونسون » ، يتذكر حالة التوتر ويقول « وضع « ماك باندى » قاعدة دائمة . فلم يرسل أى شىء « لفيلدمان » لأن الأخير تورط فى قضايا لم تكن تعنيه . وبدا من الصعب تحديد الفارق بين مايقوله « فيلدمان » ومايقوله السفير الإسرائيلى » .

ومن المحتمل أن أعضاء فريق المعاونين فى البيت الأبيض أخذوا توجهاتهم فى التعامل مع « فيلدمان » من سلوك الرئيس الشاب . فلم يكن فى وسع « كنيدى » الذى أمد « فيلدمان » بصلاحيات خاصة ، أن يقاوم تقديم الملاحظات من خلف ظهره . ويذكر « تشارلز بارليت » تفسير « كنيدى » للحظة جميلة فى « هاينيس بورت » فى صباح يوم السبت الوقت التقليدى للقداس فى المعبد اليهودى ، بالادلاء بتعليق « ذى مغزى فقد قال « إننى أتصور « مايك » وهو يعقد اجتماعا للصهاينة فى غرفة مجلس الوزراء » ، وعبر « روبرت كنيدى » عن رؤية ساخرة مماثلة عن « فيلدمان » فى حديث نشرته فى عام ١٩٨٨ مكتبة « جون كنيدى » . وأشار « كنيدى » فى حديثه عن فيلدمان أن شقيقه الأكبر ، الرئيس كان يقدر عمل « فيلدمان » ولكنه أضاف أن اهتمامه الأول كان باسرائيل أكثر من اهتمامه بالولايات المتحدة » .

ولم يكن لدى « فيلدمان » أية أوهام تجاه اغتيابه داخل البيت الأبيض ولكن نفوذه الواضح جعله أمرا محتملاً ، فواصل العمل كمبعوث خاص « لكنيدى » لدى الحكومة الاسرائيلية فى العديد من القضايا الحساسة بما فيها الأسلحة النووية . وسمح له بزيارة « ديمونه » فى ١٩٦٢ وتعرف عن قرب كما أعتقد المحيطون بالرئيس على اعتزام اسرائيل إنتاج القنبلة .

وأصبحت القنبلة الاسرائيلية وما يتعين القيام به حيالها من ثوابت البيت الأبيض وجزء من جدول الأعمال السرى للرئيس سيظل مخفيا طوال الثلاثين عاما التالية ولم يقل أى من كتّاب السيرة الذاتية لفترة رئاسة كنيدى بما فيها تلك التى كتبها « أرثر شيليرنجر » « وتيودرسورنس » الذى كان مستشارا خاصا للرئيس وكاتب خطبه ، أى شئ عن اسرائيل المسلحة تسليحا نوويا أو حتى يشير إلى أبى فينبورج . واستمرت معلومات « يو٢ » التى جمعها فى وكالة المخابرات « أرثر لوندا هل » و « دينوبرجيونى » تعامل بشكل أكثر من مستوى سرى للغاية وتركت فجوة فى المعرفة بعين الجهاز البيروقراطى ورجال القمة . وحدث بشكل حتمى بسبب ذلك نتائج هزلية .

فبعد تنصيب « كنيدى » بفترة قصيرة ، عينت وزارة الخارجية « ويليام كرروفورد » وهو موظف شاب فى الخارجية ، مدير للشئون الاسرائيلية ويتذكر

« كرفورد » أنه فى البداية نجح الملحق الجوى الاسرائيلى فى تهريب صورة ملتقطة عن بعد لقبة مفاعل « ديمونة » . ويقول « كروفورد » « بدا الأمر كما أنه لم تكن هناك معلومات سابقة وكما لو كان الأمر برمته مفاجأة للبيت الأبيض وأجهزة المخابرات وغيرها » . وعقدت اجتماعات حول المعلومات الحساسة الجديدة . « وكان الأمر مثيرا . وقررنا أن هذا ليس ماتبلغنا به اسرائيل » .

وطولب « كروفورد » بوضع خطاب للرئيس « بن جوريون » . وأكد الخطاب أن موقف أمريكا العالمى تجاه منع الانتشار النووى « سيتعرض للخطر إذا تبنت دولة يعتبر أنها تعتمد علينا ، مساراً مستقلاً » وقال « كروفورد » وتركزت النقاط المهمة الأخرى « طلبا للتفتيش وحق نقل النتائج إلى « عبد الناصر » وكانت الفكرة هى تكرار التأكيد للمصريين على أن ديمونه ليست منشأة عسكرية ومنع مصر من البدء فى أبحاثها النووية . وأن يقوم فريق مستقل من الخبراء من وكالة الطاقة الذرية الدولية الوكالة المشرفة على هذه الأمور مقرها « فيينا » بعملية التفتيش على « ديمونه » ، ووافقت اسرائيل من حيث المبدأ على السماح للوكالة الدولية بأن تحل محل الولايات المتحدة فى التفتيش مرتين سنويا على مفاعلها الصغير فى « ناحال سوريق » . ويذكر « كروفورد » لقد قمت بصياغته بدقة . وكان أهم خطاب فى حياته حتى هذه المرحلة من حياتى العملية « وسلم الخطاب لمكتب « جورج بول » وكيل وزير الخارجية حينئذ وأعيدت كتابته ثم تم إرساله ويقول « كروفورد » فى وقت قصير جاء رد طويل للغاية من « بن جوريون » فى صفحات وصفحات ، ولم ينشر خطاب « بن جوريون » « لكنيدى » سواء من جانب الولايات المتحدة أو اسرائيل ولكن « كروفورد » بعد نحو ثلاثين عاما ، لم يواجه مشكلة فى تذكر نبرته « لقد كان صعبا أن أرى مايقول . وبدا مراوغا ولم يقل أن يسير فى الطريق النووى وذكر « اننا دولة صغيرة محاطة بالاعداء » ... الخ . ومن المحتمل أنه تضمن تلميحات لمظلة نووية من خلال عبارات على غرار « هل يمكننا الاعتماد على الولايات المتحدة ؟! » ويقول « كروفورد » فى هذا الرد الأول لم يوافق « بن جوريون » على قيام الوكالة الدولية للطاقة الذرية بالتفتيش على « ديمونه » .

وسيعقّد برنامج القنبلة الاسرائيلية ، واستمرار تبادل الخطابات بشأنها علاقة « كنيدى » « بن جوريون » وفى النهاية يسممها ، فقد تم صد رئيس الوزراء الاسرائيلى فى سعيه للقيام بزيارة رسمية لواشنطن ولكن وبمساعدة « فينبورج » احتمال القيام بزيارة للولايات المتحدة فى مايو ١٩٦١ أما المناسبة المحددة فقد كان اجتماع أقيم مساء أحد الأيام تكريما له فى « جامعة برانديز » بالقرب من بوسطن ونجح « فينبورج » فى إقناع الرئيس بالموافقة على عقد اجتماع خاص مع « بن جوريون » فى فندق « والدورف أستوريا » فى نيويورك . وطالب « كنيدى » المتوتر أبى « فينبورج » بالبقاء ، ورفض الأخير ولكنه وافق على أن يقدمهما لبعضهما البعض ، وبالمثل أبدى « بن جوريون » قلقا بشأن الإجتماع خشية أن يؤدى استمرار الضغط الأمريكى تجاه مشروع الأسلحة النووية الاسرائيلية إلى خلاف غير مرغوب وكانت « ديمونه » تقف بالفعل على أرضية سياسية مهتزة بين الأجنحة المتعددة داخل اسرائيل ويمكن أن يصبح أى خلاف بين « بن جوريون » و « كنيدى » بشأنها ذا آثار مدمرة . ودفع هذا القلق رئيس الوزراء الاسرائيلى لأن يعين الكيميائى « أموس ديشاليت » ليصاحب عالمين أمريكيين بارزين هما « أى . رابر » من جامعة كولو « رابروجين ويجنر » من « برينستون » لزيارة مفاعل « ديمونه » الذى لم يكتمل بعد فى وقت ما من أوئل ١٩٦١ . ولم يبلغ أى منهما عن اكتشاف دليل على وجود منشأة خاصة بالأسلحة ، وكان الاجتماع مع « كنيدى » سبباً لإصابة رئيس الوزراء الاسرائيلى بالاحباط الشديد ، ولم يكن هذا فقط بسبب المسألة النووية . وأبلغ « بن جوريون » فيما بعد كاتب سيرته الذاتيه « أنه بدا لى كصبى يبلغ من العمر ٢٤ عاما وقلت لنفسى كيف يمكن إنتخاب رجل صغير السن إلى هذا الحد رئيسا ؟ وفى البداية لم أخذ هذا مأخذ الجد » . (وقد صدم أيضا نيكيتا خروشوف رئيس الوزراء السوفييتى الذى التقى « بكنيدى » فى الشهر التالى فى قمة « فيينا » بحداثة سن « كنيدى » وقلة خبرته) . ولم يذع أى تسجيل للقاء « كنيدى » و « بن جويورن » ولايعرف أى مصدر موثوق به يدرى بما دار حول المسألة النووية . ويتذكر « بن جوريون » فيما بعد أنه أكد مرة أخرى أن « ديمونه » قد بنى فقط للأغراض البحثية . وطرح « كنيدى زيارة « رابرو ويجنر » لديمونة وأعرب عن رضائه

باعترافهما بأن المفاعل مخصص للأغراض السلمية . وشعر « بن جوريون » بالارتياح وقال « فى الوقت الحالى على الأقل تم إنقاذ المفاعل » .

وكانت مصر موضوعاً مهما آخر فى هذه القمة ، وبدا « كنيدى » مصمما على تحسين العلاقات مع حكومة عبد الناصر وحدد الرئيس سياسته الجديدة . وجدد « بن جوريون » طلب اسرائيل الثابت بشراء صواريخ أرض - جو الأمريكية من طراز هوك . حيث إن صواريخ هوك كانت ضرورية لمواجهة وصول طائرات الميج السوفييتية إلى مصر ووعد « كنيدى » بدراسة الأمر .

وجاءت أكثر اللحظات التى يذكرها « بن جوريون » حين أوشك على مغادرة غرفة الفندق . فقد طالبه « كنيدى » بالعودة » مرة أخرى ليبلغه « بأمر مهم » . وكانت رسالة سياسية حيث قال » إننى أدرك أننى انتخبت بأصوات اليهود الأمريكيين وأنا أدين لهم بالنصر فاخبرنى هل هناك شىء يتعين علىّ أن أفعله ؟ » ولم يكن « بن جوريون » قد حضر إلى نيويورك ليساوم الرئيس على أصوات اليهود فرد قائلا « يجب أن تفعل كل ماهو جيد من أجل العالم الحر » وأبلغ معاونيه بعد ذلك : « بدا بالنسبة لى رجل سياسة » وقدم « بن جوريون » الذى اشتهر « بين أصدقائه بلقب « برجى » شـكاوى مماثلة لأبى فينبورج الذى قـال : لم تكن هناك وسيلة لوصـف العـلاقة بين « كنيـدى » و « بن جوريون » لأنه لم يكن هناك سبيل على الأقل فيما يتعلق بـ « برجى لنرى على الأقل ببرجى . فقد كان يتميز بالسلوك التقليدى لأى يهودى عتيق الطراز تجاه الشباب . ولم يحترمه كشاب « وكان هناك عامل إضافى هو « جوزيف كنيدى » فبرجى قد يكون شريراً وكان يشعر بالكراهية لهذا الرجل العجوز » .

ارتبطت شكوى « بن جوريون » من « كنيدى » ، واستمرار الضغط بشأن ديمونه دون شك بجدول أعمال مهم كان فى حيز التنفيذ ففى ابريل أمضى مسئول نرويجى يدعى « جينز هوج » أسبوعين قام فيها بعملية تفتيش نرويجية للماء الثقيل الذى بيع لاسرائيل ولم يكن من الممكن أن تتم عملية التفتيش التى تابعها عن قرب « ارنست بيرجمان » على نحو أفضل . ولم تكن ديمونه ، قد بدأت العمل بعد ، فقد كان الماء لايزال فى براميل الشحن ، مخزنا بطريقة مأمونة تماما بالقرب من مفاعل أبحاث « ناهال سوريق » الصغير البرىء فى « روهوقوت » وبدا تقرير « هوج » لوزارة الخارجية النرويجية خاليا

من النقد فى قبوله بكل تأكيدات « بيرجمان » . وكتب هوج « حسب معلوماتى فإن اسرائيل لم تحاول أن تخفى أنها تبنى مفاعلا ... فقد قدم البروفيسور « بيرجمان » فى وقت سابق معلومات لزملائه فى الولايات المتحدة عن المفاعل إلا أن إسرائيل لم تبلغ أمريكا رسميا بشأن المفاعل . ومن المحتمل أن يكون هذا هو السبب الاساسى فى الثورة التي وقعت فى أمريكا بشأن المفاعل ، وفى نقطة أخرى نقل عن بيرجمان تفسيره عن استخدام الماء الثقيل النرويجى فى مفاعل أبحاث طاقته ٢٤ ميجاوات سيكون نموذجا لمفاعل طاقة أضخم بكثير تعتزم أنشاءه . وفى مذكرة لوزارة الخارجية أضاف « هوج » « اسرائيل مهتمة بأن تجعل موقع بناء المفاعل هادئا وتريد انتهاء أى ثورة فى هذا الشأن » .

وبعد الزيارة التى تمت « لكنيدى » بشهرين فى يوليو ١٩٦١ حضر « بن جوريون » وكبار معاونيه مراسم اطلاق أول صاروخ اسرائيلى عرف باسم « شافيت٢ » فى صحراء النقب أحيط بدعاية ضخمة وعادة ما كانت تتم هذه الأحداث العسكرية سراً ، ولكن زعماء حزب الماباى مع اقتراب موعد الانتخابات العامة فى منتصف أغسطس قرروا أن يتم على الملأ بعد أن تلقوا تقارير بأن مصر تخطط لإطلاق بعض صواريخها فى ٢٣ يوليو فى الذكرى التاسعة للانقلاب الذى جاء فى النهاية بناصر إلى السلطة . وتردد أن الصاروخ « شافيت ٢ » ذو المراحل المتعددة وقوة الدفع القوية الذى انطلق لمسافة خمسين ميلا فى طبقات الجو العليا ، صُمم ليقيس الرياح فى الطبقات العليا كجزء من سلسلة من التجارب للجنة الذرية الاسرائيلية وبعد ذلك صرح « ارنست بيرجمان » لصحيفة علمية « أننا غير مهتمين عمليا بهيبة الفضاء ولكن في الجوانب العلمية من الأمر » . وتلقت مجتمعات المخابرات الأمريكية وأعداء اسرائيل العرب الرسالة : فالمسألة فقط مسألة وقت ومال قبل أن تتبع اسرائيل نظاما صاروخيا قادرا على نقل رءوس نووية وكان « بيرجمان » قد خلق جزءا صغيراً أخر لمصباحه النووى .

ولم يكن « كنيدى » رغم تعليقاته « لبن جوريون » مقتنعا على الإطلاق بعمليات التفتيش التى قام بها « رابى ووجنر » وأفادت بأن ديمونة ليست منشأة لإنتاج الأسلحة النووية . وبدا تسلح اسرائيل بالسلاح النووى يلوح فى الأفق

ويمكن أن يهدد الاستقرار فى الشرق الأوسط فى وقت يرغب فيه الرئيس فى ابرام معاهدة مع الاتحاد السوفييتى لحظر التجارب على الأسلحة النووية فى الجو . ولم يكن هناك أى مؤشرات على أن « بن جوريون » الذى لم يعترف بأى شىء سيتراجع . وبدأ رئيس الوزراء الاسرائيلى فى اتصالات سرية متتالية مع البيت الأبيض ، كما أشار للرئيس « الشاب » وأوضح « كنيدى » لمعاونيه أنه وجد هذه الخطابات هجومية .

وبدون شك أصبحت مخاوف الرئيس تجاه القنبلة الاسرائيلية عاملا فى تعيينه المفاجىء « لجون ماكون » ليحل محل « آلان دالاس » كرئيس لوكالة المخابرات الأمريكية فى أعقاب أزمة خليج الخنازير . وبدت هناك أسباب سياسية عديدة لعدم تعيينه ، فلم يكن « ماكون » فقط جمهورياً بارزاً ولكنه هاجم صراحة معاهدة حظر التجارب التى كان يتوق البيت الأبيض بشدة إلى إبرامها مع الاتحاد السوفييتى . ويكتب « ارثر شيلزنجر » أن « كنيدى » الحساس بشكل واضح تجاه قضيته المفضلة دعا « ماكون » لاجتماع خاص استمر ساعتين « بدعوى معرفة آرائه بشأن التجارب النووية » ولايوجد تسجيل معلن عما ناقشه الرجلان على الرغم من وصول خطاب « بن جوريون » المثير للضيق قبل عدة أيام فقط وأعلن الاتحاد السوفييتى استئناف التجارب النووية منهيا التأجيل الودى لها بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى . وعلى أى حال فقد أبلغ « ماكون » « والدالدر » مساعده التنفيذى فى وكالة المخابرات الأمريكية بعد ذلك أن « كنيدى » شكا له من أنه يتلقى جميع أنواع النصائح المتضاربة حول جميع القضايا النووية « بما فى ذلك القنبلة الاسرائيلية . وطالب « كنيدى » « ماكون » بإعداد تحليل مكتوب عن القضية وتقديمه بعد عدة أسابيع . وفعل « ماكون » ، ولدى عودته طرح الرئيس التقرير جانبا وقال « أعطوه لفريق المعاونين » وعرض على « ماكون » منصب مدير المخابرات الأمريكية . كما طالبه بأن « يكتم خبر تعيينه » لأن هؤلاء الاوغاد الليبراليين فى الدور الأسفل – يقصد فريق العاملين فى مجلس الأمن القومى برئاسة « باندى » – سيشكون من القرار » .

وسواء ادرك « كنيدى » هذا أم لا فإنه وجد خليلا ، فقد كان لدى « ماكون » أهداف سياسته الخاصة والتى تتفق إلى حد كبير مع سياسات

الرئيس الشاب ويقول « الدر » « أتسم « ماكون » بالعناد إلى أقصى حد فيما يتعلق بالتفوق النووى الامريكى ولكن ثالوثه ضم الكنيسة الكاثوليكية ومنع الانتشار النووى » . ولم تكن اسرائيل المسلحة تسليحاً نوويا تتفق مع هذه الرؤية « فقد اعتقد إن القنبلة الاسرائيلية ستؤدى إلى تصعيد ، وعندئذ قد تفقد بترول الشرق الأوسط لسنوات » . وبالطبع ، كانت هناك مزايا أخرى أعجبت « كنيدى » الضخمة « فماكون » سينضم للإدارة بمصداقيته الضخمة لدى الصحافة والكونجرس وبصفة خاصة « دوايت ايزنهاور » الذى يعيش حياة التقاعد فى « جاتس شورج » بولاية « بنسيلفانيا . ويتذكر « الدر » أن « كنيدى » لم يتخذ خطوة ضخمة فى السياسة الخارجية دون أن يبحثها مع « ايزنهاور . فقد كان مرعوبا من أن يقف « أيك على الجانب الآخر . » وقد شغل الدر قبل تقاعده من العمل فى المخابرات الأمريكية المركزية منصب السكرتير التنفيذى للمجلس الوطني للمخابرات الخارجية .

وشكا « كنيدى » فى أحد اجتماعاته الأولى مع « ماكون » بعد قبول الأخير للمنصب من خطابات « بن جوريون » الأخيرة التى تضمنت رفضاً للتفتيش الدولى على « ديمونة » وهو الطلب الأساسى للبيت الأبيض الذى وضعه على الورق أن خطاب « بن جوريون » كان هشا ولم يكن قويا ، وتحدث عنه « كنيدى » « لماكون » الذى قال « أكتب له مذكرة عنيفة ، واذكر له الالتزامات الدولية للولايات المتحدة وشكوكنا تجاه الفرنسيين وحدد الحدود » . واتبع الرئيس نصيحة « ماكون » وتلقى ما اعتبرة رداً فظاً آخر ، ويقول « الدر» الذى أمضى سنوات بعد رحيل « ماكون » من المخابرت المركزية يعد ويرتب جميع ملفاته الشخصية السرية « أن بن جوريون قال بالفعل « إن هذا ليس من شأنك » » . وعند هذا الحد أصر » ماكون » على ضرورة « أن يتولى الرئيس ذلك الأمر لأن الملحقين العسكريين ووزارة الخارجية لايمكنهما القيام بذلك » . ويتذكر الدر أن « ماكون » قال للرئيس فى أشارة إلى ضرورة تلقيه ردا على أهم الأسئلة الخاصة بديمونه والخاصة بما إذا كان يوجد مصنع لاعادة المعالجة الكيميائية هناك « اترك الأمر لى » وفعل « كنيدى » وبدأ ماكون عملية ذات اتجاهين .

وتمثلت الخطوة الأولى فى سلسلة أخرى من مهام الطائرة « يو ٢ » وكان النظير الخطر والطموح لها محاولة تسلل جواسيس داخل « ديمونة » وإذا ساعدهم الحظ داخل مصنع إعادة المعالجة المشتبه فيه . وقال « الدر » « لقد كانت عملية خطيرة وحتى رؤساء المحطة وفى اسرائيل ومناطق أخرى فى الشرق الأوسط لم يعلموا بها . وادرناها بدقة من مكتب « ماكون » ، وتلخصت أوامر « ماكون » كما يتذكر مساعده التنفيذى السابق فى أن ماكون الذى ادرك أن الاسرائيليين يراقبون بشدة ضباط المخابرات الأمريكية داخل بلدهم ، أبلغ رجاله « لايمكننا القيام بمهمتنا بدون ترك أثار ، فحاولوا أن تؤدوها بأفضل مايمكن » وقد مثلت إدارة عمليات المخابرت الأمريكية داخل اسرائيل مخاطرة كبيرة لما يعرف « ماكون » و« كنيدى » بالتأكيد لأن أى كشف عنها سيؤدى إلى رد فعل داخلى عنيف داخل أمريكا . وكما يمكنها أن تنهى الجدل حول ماذا تفعله اسرائيل ولاتفعله فى « ديمونه » .

ولم تتعرض العملية للخطر ، ولكنها لم تنجح وفشل عملاء المخابرات المركزية المجندين من دولة أجنبية فى الدخول ويعترف « الدر » لايمكننى القول أنه كان لدينا عميل شاهد قنبلة بعيينه داخل « ديمونه » .

ومرة أخرى أثبتت « يو ٢ » أن الصور حتى الحساسة منها غير كافية . وفى ديسمبر ١٩٦١ شكل مسئولو المخابرات المركزية وكالة جديدة هى المركز القومى لتفسير الصور وتولى مسئوليته « ارثر لونداهل » وكلفه بمهمة توفير المزيد من الصور الأكثر تقدما للمخابرات . وقدم المركز فى البداية كميات من الصور المتنوعة غير المتناسقة من اسرائيل لم تضم « ديمونه » ولكن كل المنشآت النووية الأخرى المحتملة ، ويتذكر « الدر » « لقد كانت كبيرة للغاية وأعجب بها « كنيدى » والمشكلة الوحيدة تمثلت فى أن المجموعة الجديدة من الصور لم تحقق الكثير لتحريك القضية الأساسية . فلم تكن هناك وسيلة لمعرفة ما يدور تحت الأرض فى « ديمونه » . ويضيف الدر « أن هذا يبنى على الدليل الذى قدمه ، فلا يوجد دليل خارجى على وجود قدرة نووية ولايوجد دليل على وجود مصنع أسلحة » ويضيف « الدر » ومع ذلك استمرت شكوك « ماكون » وقال للرئيس « فى ضوء سلوك الاسرائيليين تجاه عمليات التفتيش لايمكنك الوثوق بهم . » وظلت ديمونة عائقا كبيراً أمام أحد الطموحات الأولى الأخرى

لسياسة « كنيدى » الخارجية وهى تحقق التقارب مع عبد الناصر . فقد أدت زيادة المعونة الاقتصادية وسلسلة الخطابات الخاصة لإثارة الدفء فى العلاقات فى منتصف ١٩٦٢ ، وأكد كبار المسئولين المصريين للبيت الأبيض من جديد أنهم أيضا يفضلون تحسين العلاقات فى إطار عدم الانحياز ورد عبد الناصر الذى أزعجه للغاية تحول اسرائيل لقوة نووية على ماكشف عنه ديمونه فى ديسمبر ١٩٦٠ بأن أعلن اصرار مصر على عدم السماح لاسرائيل بأن تتفوق عليها ، وقال إذا اقتضت الضرورة فإن مصر ستهاجم وتدمر « قاعدة العدوان حتى إذا كان الثمن أربعة ملايين قتيل » وأثيرت مسألة ديمونه مراراً فى مؤتمرات جامعة الدول العربية حول قضايا الدفاع والسياسة الخارجية خلال ١٩٦٢ دون اتخاذ قرار باستثناء اتفاق العرب على التصميم علي بناء قدرتهم من الأسلحة التقليدية . وأعادت إدارة « كنيدى » التأكيد على أنها ستواصل الضغط حتى تحصل على حقوق التفتيش على ديمونه من جانب الوكالة الدولية للطاقة الذرية وستعمل ملخصا بالنتائج لناصر بموافقة اسرائيل .

ولكن ظل ضمان حقوق التفتيش مستحيلا . فلم تكن لدى بن جوريون أية نية للسماح بتفتيش شرعى لأسباب واضحة وكان خط دفاعه الأول واضحا وهو الضغط السياسى فى شخص « أبى فينبورج » . ويتذكر « فينبورج » لقد حاربت أقوى معاركى فى حياتى لتجنيبهم التفتيش الشامل وتدخلت بعنف . ليس مرة واحدة ، ولكن ست مرات » ., وقد أبلغ سراً عن طلبات التفتيش من جانب ماير « فيلدمان » نقل شكاواه السياسية من خلاله ، وقال إنه لم يناقش الأمر على الإطلاق مع الرئيس وكانت الرسالة خبيثة : فالاصرار على التفتيش على ديمونه سيؤدى إلى انخفـــاض التأييد فى حملة انتخـابات الرئاسة عــام ١٩٦٤ . وقال « فينبـــورج إن هــذه » الرسالة أعطيت مباشرة « لروبرت ماكنمارا » وزير الخارجية و « بول نيتز » الذى كان معاونا كبيرا فى مجال الدفاع ، ولقد التقيت بهما وأبلغتهما بأنه يتعين عليهم عدم الخوض في هذه المسألة » ولم يذكر « نيتز فى حديث أجراه فيما بعد هذا الاجتماع ولكنه تذكر مواجهة مباشرة بعد ذلك مع « فينبورج » حول ديمونة . وأراد الاسرائيليون شراء طائرات متقدمة أمريكية « وقد رفضت هذا مالم يوضحوا حسن النية بشأن ديمونه ثم اقتحـــم المدعو « فينبورج » مكتبى فجــأة وقال « لايمكنك أن

تفـعل ذلك بنا ، وأجـبت قائلا « لقد فعـلت بالفعل » وقـال « فيبنورج »
« سوف أعمل على تخطى قرارك » وأذكر أنني طردته من مكتبى » ، وأضاف نيتز بعد ثلاثة أيام تلقيت مكالمة من « ماكنمارا » وقال إنه صدر إليه تعليمات بابلاغى بتغيير رأيى وبيع الطائرات . وفعلت » وتردد نيتز لبرهة وأضاف « كان فينبورج » يملك النفوذ واستغله وأصبت بالدهشة لأن ماكنمارا فعل ذلك »
واكتفى ماكنمارا حين سئل فيما بعد عن الواقعة باجابة موجزة قائلا « يمكننى أن أفهم سبب رغبة حصول اسرائيل على القنبلة . حيث توجد مشكلة أساسيه هناك ، فوجود إسرائيل ظل علامة استفهام فى التاريخ وهذه هى القضيةالأساسية » .

ومع ذلك لم يتمكن « فينبورج » « وبن جوريون » فى النهاية من التغلب على ضغوط الرئيس المستمرة من أجـل التفتيش على ديمونه . ولم يترك نفـى « بن جوريون » العلنى القوى بدائل كثيرة للحكومة : فرفض التفتيش سيقلص مصداقيه الحكومة وأيضا يعطى زخما للاطراف المناهضة للتسلح النووى داخل اسرائيل التى بدأت تبرز على السطح ، ففى أواخر عام ١٩٦١ جمعت مجموعة من العلماء والدراسين الإسرائيليين ، من بينهم عضوان سابقان فى لجنه الطاقة الذرية التى رأسها بيرجمان صفوفها لتشكيل لجنة من أجل جعل الشرق الأوسط خاليا من السلاح النووي . وكانت أجندة المجموعة الجديدة واضحة وهى وقف أبحاث اسرائيل فى البديل النووى وكشف نطاق السرية الذى يحيط بالانشطة فى ديمونه ، وفى ابريل ١٩٦٢ أعلنت الجماعة أنها تعتبر إنتاج أسلحة نووية « يمثل خطرا على اسرائيل والسلام فى الشرق الأوسط . وناشدت الأمم المتحدة بالتدخل لمنع الإنتاج النووى ، كما وجه آخرون يعرفون مايحدث فى ديمونة انتقـادات حادة . فقد شكا « بنحـاس لافون » وزير الدفاع السابق الذى كان متحمسا لبناء المساكن لاستيعاب بعض المهاجرين الوافدين ، بسخرية لأحد المسئولين فى ديمونه فى أوائل ١٩٦٢ أننا ننزع خمسة ملايين دولار من خطة توطين الجليل (فى شمال اسرائيل) وبدلا من ذلك تنتج قنبلة » .[وبدا واضحا أن أهم عامل فى قرار « بن جوريون » السماح بالتفتيش هو قرار إدارة كنيدى في منتصف ١٩٦٢ بالموافقة على صفقة صواريخ هوك أرض – جو لاسرائيل . فقد أمدت الولايات المتحدة

اسرائيل بتدريب عسكرى متخصص ومعدات اليكترونية حساسة فى الماضى ولكن صفقة صواريخ هوك - التى اعتبرت سلاحا متقدما ، كانت بمثابة تخل كبير عن السياسة القديمة بعدم بيع أسلحة لاسرائيل وتثير الأمل فى أن تؤدى فى المستقبل إلى إمكان الحصول على أسلحة هجومية أمريكية . وأمضت الادارة شهوراً فى دراسة وتحليل لصفقة هوك ، ووضعت الاساس السياسى فى الشرق الأوسط محاولة لتجنب انفجار سياسى فيه ، يذكر « أرمن ماير » الذى يشغل حاليا منصب مساعد نائب وزير الخارجية لشئون الشرق الأدنى وجنوب أسيا ، إن رسالة رئاسية خاصة حول اسرائيل ارسلت فى يونيه إلى إجتماع إقليمى فى أثينا للسفراء الأمريكيين العاملين فى الشرق الأوسط ذكر فيها « كنيدى » « من الضرورى بالنسبة له أن يفعل شيئا خاصا لاسرائيل » والتمس الرئيس نصيحة المجموعة بشأن أربعة بدائل يذكر ماير « أن جميعها سيترك آثارا سلبية فى العالم العربى » واختار السفراء صفقة هوك بوصفها « أقلها إضرارا » بالمصالح الأمريكية واتفق على ابلاغ مصر والدول العربية بها مسبقا .

ومالم يبلغه « كنيدى » لسفرائه أن حقوق التفتيش على ديمونه معرضة للخطر ، ونقلت الرسالة شخصيا إلى « بن جوريون » بواسطة « ماير فيلد مان » الذى انتقل في آغسطس ليبلغ الحكومة الاسرائيلية بالصفقة وبأن « جاك كنيدى » يريد العودة ، وقال « فيلدمان » حين سئل عن مهمته أنه « سيكون من الصعب تصور أن التفتيش على ديمونه سيكون « الأجراء المقابل » لصواريخ هوك . وأوضح فيلدمان أن الأمر أكثر من محاولة لأن نوضح لكم إلى أى مدى نحن مجاملون فهذا مانريد » وقالت اسرائيل هذا صديق جيد وسوف نسمح لك بالدخول وتم اصطحاب فيلدمان فى جولة خاصة داخل المفاعل هذا الأسبوع .

وقدمت واشنطن تنازلا ضخما واحدا ، فلم يعد يتعين أن تقوم الوكالة ، الدولية للطاقة الذرية بالتفتيش على ديمونه ، فقد أصر بن جوريون فى خطاباته الخاصة مع كنيدى على أن عمليات التفتيش هذه ستعد إنتهاكا لسيادة إسرائيل ، وفى النهاية وافق البيت الأبيض على ارسال فريق امريكى داخل ديمونه . وتم تخفيف هذا الاتفاق بتنازل آخر فى جوهره لضمان الا

تكون العملية أكثر من إبراء للذمة كما يدرك الرئيس وكبار مستشاريه ، وسيتعين على فريق التفتيش الأمريكى أن يحدد مسبقاً مواعيد زياراته وبالقبول التام من جانب اسرائيل . ولن يسمح بأخذ عينات لفحصها . ولم يقدم « بن جوريون » على أية مخاطرات ، فالمفتشون الأمريكيون وأغلبهم خبراء فى مجال إعادة المعالجة النووية سيطلعون على مكان بديل ولن يدركوا ذلك مطلقا .

وكانت الخطة الاسرائيلية المبنية على أساس خطط قدمها الفرنسيون كانت نشيطة فقد شيدت غرفة تحكم مزيفة فى ديمونه مزودة بالكامل بأجهزة مزيفة تعمل بالكمبيوتر ولجان التحكم المزيفة التى تبدو ملائمة لمفاعل طاقته ٢٤ ميجاوات ، وكما زعمت اسرائيل عن ديمونه ، حين تبدأ العمل بكامل طاقتها . وعقدت جلسات عمل مكثفة فى غرفة التحكم المزيفة ، فى محاولة من جانب الفنيين الاسرائيليين لتجنب أى خطأ حين يصل الأمريكيون . وتمثل الهدف فى إقناع المفتشين بعدم وجود مصنع لإعادة المعالجة الكيمياوية أو أن إقامته ممكنة . ومصدر الخوف الكبير الوحيد كان إمكان سعى الأمريكيين لتفقد مركز المفاعل بشكل مادى وبالتالى يكتشفون أن ديمونه تستخدم كميات كبيرة من الماء الثقيل التى تم الحصول عليها بطريقة غير قانونية من فرنسا والنرويج وتقوم بتشغيل الهدف على نحو واضح بطاقة تزيد كثيرا على الأربعة والعشرين ميجاوات المعترف بها ، واتفق على عدم السماح لفريق التفتيش بدخول مركز المفاعل « لأسـباب أمنية » ومن وجهة نظر « أبى فينبورج » فإن مطلب كنيدى العنيد من أجـل التفتيـش لم يترك بديلاً لاسرائيل : « كان جزءا من عملى أن أبلغهم سرا بأن كنيدى يصر على ذلك . حتى يمكنهم تزويده بعمـل متقن » .

وأمضى الفريق الأمريكى وفقا لأسلوب سيتكرر حتى تتوقف عمليات التفتيش فى ١٩٦٩ عدة أيام فى ديمونه ، وتسلقوا الكثير من الدعامات حيث لم يكن العمل قد انتهى بمنشآت عديدة ولكنهم لم يجدوا أى شىء . ولم يشكوا فى أن مركز المفاعل غير مسموح بالوصول إليه ولم يظهروا أى دليل على أنهم يشكون بأى حال فى غرفة التحكم . وقام الاسرائيليون بتوزيع عدد من المهندسين فى منطقة معزولة فى غرفة التحكم لمراقبة الآلات والتأكد من عدم حدوث أى شىء غير عادى .

وأدى عدم تحدث أى من الأمريكيين العبرية أو التمتع بالقدرة على فهمها إلى تسهيل عملية التمويه بصورة أكبر . ويذكر مسئول اسرائيلى سابق أن مهمته تركـزت فى تفسير مايدور للفريق الأمريكى . وقال المسـئول « لقـد كنت جـزءاً من فريق التمويه . وفور أن يبدأ أحد المهندسـين فى الحديث أمام الأمريكيين أكثر مما ينبغى فأننى آمره فيمـا يبدو حوارا عبرياً بألا يجيب عن هذا السـؤال . وحينئذ يتصـور الأمريكيون أننى أقـوم بالترجمـة .

ورأس الوفد الامريكى « فلويد كولر جونيور » أحد كبار الخبراء فى علم إعادة المعالجة النووية أصبح فيما بعد نائباً لمدير قسم التكنولوجيا الكيمياوية فى معمل أوك ريدج القومى فى تينسى حيث تم تخصيب أول كمية من اليورانيوم للأسلحة النووية الأمريكية . وقال كولر إنه فى هذا الوقت أبلغ البيت الأبيض بأن المفاعل الذى تفقده مع زملائه ليس أكثر من « مفاعل نوعى وجميع العناصر محسوبة ومزودة بالبيانات » وبدا كولر الذى تقاعد فى ١٩٨٩ من منصبه كرئيس لمعهد أبحاث الطاقة الكهربائية فى « بالوا التو» بولاية كاليفورنيا ، مندهشا ولكن ليس مصابا بالصدمة لدى ابلاغه بأن فريقه تعرض للخديعة بادخاله غرفة تحكم مزيفة . ويوضح الامر قائلا « من المستحيل أن تصنع نظاما يبدو أنه يتحكم فى شىء حين لايكون فى الواقع بذلك » ويضيف أن غرف التحكم الوهمية استخدمت بفعالية على نطاق واسع لأغراض التدريب فى أنظمة المفاعلات على المستوى العالمى . وشعر « كولر » بقدر أكبر من الانزعاج حين علم أنه بحلول عام ١٩٦٠ توصل فريق تفسير صور المخابرات المركزية لنتيجة تفيد بأنه تم تخصيص موقع فى ديمونه لمصنع إعادة المعالجة الكيمياوية ، وحاول حتى قياس كمية من النفاية الناجمة عنه ، قال إن هذه المعلومات لم تقدم له رغم أنه كان يتعين تقديمها .

ووصف « كولر » بأن الخداع الاسرائيلى كان حتميا ولكن ليس ضروريا . ويوضح « من المستحيل إن تقوم باكتشافات أثرية عما يدور من خلال آثار الأقدام فقط ، لم يكن هناك أى شخص يتمتع بقدر كبير من الحكمة » . واعتبر عمليـة التفتيش التى قام بهـا جزءا من لعـبة لإيجاد وسـائل لعـدم الوصول لنقطة اتخاذ اجراء » هذا برنامج الأسلحة النووية الاسرائيلى . ويقول

إنه غير مقتنع اليوم على الاطلاق بأن اسرائيل كانت مخطئة فى تطوير ردعها المستقل .

ويتذكر « كولر » ، « إنهم كانوا مصابين بالهلع من احتمال تعرضهم للقصف » . وبعد التفتيش فى عـام ١٩٦٢ قـال « سـألنى اسرائيلى بطرح السؤال الخـاص بمـظلة نووية أمريكيـة لدى عـودته إلى واشـنطن . وكتب « كولر » تقريره السرى حول عملية التفتيش خلال توقفه فى أثينا وروما وضمنتها كما يقضى واجبه أشارة للقلق الاسرائيلى ، وقد اتصلت بى المخابرات المركزية فور خروجى من الطائرة فى واشنطن » ويضيف أنه نقل سريعا من أجل استجوابه . ولم يتردد مزيد من الحديث عن المظلات النووية فى عمليات التفتيش التالية . وفى النهاية سأل « كولر » نفسه السؤال التالى : هل تبادر الولايات المتحدة بشن حرب نووية لحماية أى دولة فى الشرق الأوسط أو الهند أو باكستان أو الأرجنتين ؟ أننا جميعا فى مأزق . ويتعين أن نكون حريصين فى إلقاء اللوم . فقد تكون قصة ولكن لايوجد صواب أو خطأ » .

وكانت المقايضة المستمرة على ديمونه عاملا فى احباط طموحات ادارة كنيدى للمبـادرة بحل قضـية اللاجئين الفلسـطينيين ومثل جمـيع الرؤسـاء الامريكيين منذ ١٩٤٨ جاء كنيدى للسـلطة باعتقاد بأنه يمكنه إحلال سـلام يستمر طويلا فى الشرق الأوسـط ، وكعضـو فى مجلس النواب والشيوخ ظل كنيدى دائما مؤيدا معروفاً لاسرائيل إلا أنه أعرب مرارا عن تفهمه لطموحات القومية العـربية ومتعاطفا مع مأساة اللاجئين الفلسطينيين . فعلى سبيل المثال أعلن فـى خطـابه أمام مجمـوعة يهودية فى فبراير ١٩٥٨ أن قضية اللاجئين « يجب أن تحل من خلال المفاوضات وإعادة التوطين والمعونة الدولية من الخارج . إلا أن الاعتراف بالمشكلة يختلف تماما عن القول بأن المشكلة يمكن أن تحل بدون تدمير اسرائيل ... ويجب على إسرائيل وحدها أن تحلها » .

وفوجىء أنصار العرب فى وزارة الخارجية بشكل يثير الارتياح فى أوائل ١٩٦١ بحصولهم على وعد من البيت الأبيض يفيد « أرمن مايور » بأنه يؤكد « أن حصول كنيدى على ٩٠ فى المائة من أصوات اليهود لايعنى أنه أصبح فى جيبهم » . وطلب كنيدى أفكاراً مجددة واقترحت الوزارة القيام

بمحاولة لحل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين فى الضفة الغربية وقطاع غزة الناجمة عن انتصار الحرب العربية . الاسرائيلية عامى ١٩٤٨ / ١٩٤٩ . فقد وافقت الأمم المتحدة على قرار ١٩٤ بعد الحرب على ضرورة منح اللاجئين بديل العودة إلى اسرائيل إذا رغبوا فى ذلك .

وظهرت وزارة الخارجية بتحرك جديد ، يتم سؤال اللاجئين كل على حدة فى استطلاع سرى عما اذا كانوا يريدون العودة لوطنهم السابق فى اسرائيل وتقوم اسرائيل بتعويض الذين يرفضون . العودة لوطنهم السابق بسبب مصادرة ممتلكاتهم ومنحهم فرصة للهجرة إلى دولة عربية أخرى أو أى مكان فى العالم ، وقد ردد العرب احتجاجات أخرى مريرة خلال سنوات « ايزنهاور» بسبب الفشل فى تطبيق قرار الأمم المتحدة . وأوضحت دراسات وزارة الخارجية عن قضية إعادة التوطين أن عدد الفلسطينيين الذين يفضلون العودة إلى مواطنهم التى استولت عليها اسرائيل يتراوح بين ٧٠ و ١٠٠ ألف، وهو عدد يبدو من السهل التعامل معه ، كما سيمنح الاسرائيليون حق الاعتراض على أى فلسطينى عائد فى محاولة لتعليل الأخطار على الأمن .

وقد ناقش كنيدى مبادرته العربية مع « بن جوريون » الذى لم يكن متحمسا لها على الاطلاق فى اجتماعهما فى نيويورك فى مايو ١٩٦١ . وبعد أسابيع قليلة ، أمر كنيدى وزارة الخارجية ببذل جهد ضخم وسري للغاية من أجل تطبيق قرار ١٩٤ المتجدد المتنوع من خلال الثمانية عشر شخصا، ويقول « ماير » إن الدول العربية قبلت تسوية عملية وأيدها البيت الأبيض ويبدو ماير الذى خدم كسفير فى الاردن وايران واليابان قبل تقاعده من الخدمة فى وزارة الخارجية فى ١٩٧٢ مقتنعا اليوم بأن قرار « بن جوريون » بعدم نسف مشروع إعادة التوطين جاء على أساس اعتقاده بأن العرب لن يقبلوا مطلقا إجراء مفاوضات مباشرة حول قضية مع اسرائيل ، فمن وجهة نظرهم فإن أى مناقشة لعملية التعويضات تكون مساوية للاعتراف الرسمى باسرائيل . وحين لم يحدث الرفض العربى المتوقع ، حتى اللحظة الأخيرة قال ماير « إن اسرائيل أصيبت بالرعب » . وأثارت موجة من الضغط السياسى المكثف من جانب اليهود الامريكيين على البيت الأبيض ، وفى النهاية ، تراجع كنيدى الذى

كان بالفعل فى حرب مع « بن جوريون » حول ديمونه ، مما أثار احباط مؤيديه فى وزارة الخارجية لقيامه بذلك وأصبح على الفلسطينيين أن يظلوا لاجئين بلا وطن فى منازلهم القذرة فى الضفة الغربية وقطاع غزة . وقال ماير « أعتقد أنه كان يمكن تجنب كل هذه الأعمال الإرهابية والمآسى الأخرى ، إذا مضينا قدما فى تنفيذ المشروع فى هذا الوقت » ولكن فى هذا الوقت بدأ الحصول على الموافقة على القيام بالتفتيش على ديمونه أكثر أهمية .

٩

سنوات الضغط

استمر جون كنيدى الذى بدا ملتزما بقوة بمبدأ منع الانتشار النووى طوال ١٩٦٢ في الضغط على « بن جوريون » بشأن التفتيش الدولى واستمرار تلقى تأكيدات حساسة ومداهنة من جانب رئيس الوزراء بأن اسرائيل ليست لديها أية نية فى أن تصبح قوة ذرية . والرئيس لم يكن يتمتع بالقدر البعيد من الذكاء السياسى ، كما أبلغ صديقه « تشارلز بارليت » ليفهم ، أن هؤلاء الاسرائيليين « الأوغاد كذبوا علىّ دائما بشأن قدراتهم النووية » . وكان أحد الحلول هو المساهمة فى إحراج « بن جوريون » الذى كان منغمساً في أخطر أزمة سياسية فى حياته السياسية ، من السلطة وبعد أعياد الميلاد في عام ١٩٦٢ بعدة أيام ، قام كنيدى بما يصل إلى حد إجراء مباشر ضد زعامة رئيس الوزراء الاسرائيلى . فقد وجه الدعوة لوزير الخارجية « جولدا مائير » ، واحدة من كبار منتقدى « بن جوريون » داخل الوزارة وحزب الماباى لمنزله فى « بالم بيتش » بفلوريدا لإجراء محادثات خاصة استمرت سبعين دقيقة . ولم تخف « جلودا مائير امتعاضها لسماح « بن جوريون » لمعاونيه « شيمون بيريز » « وموشى ديان » بالعمل من خلف ظهر وزيرة الخارجية ، وبدت مقتنعة هى والأعضاء الأخرون فى الحزب الذين ولدوا فى أوربا الشرقية ، مثل « ليفى أشكول » وزير الخزانة ، بأن تفضيل « بن جوريون » الاعتماد على الشباب مثل « بيريز وديان » نابع فقط من أنهما سيكونان أكثر ترددا فى معارضته .

ولا تتضمن المذكرة غير السرية حول اجتماع « كنيدى - مائير » أي إشارة محددة للأسلحة النووية (وحذفت بعض الصور لأسباب تتعلق بالأمن القومى) ولكن لم يكن هناك شك كبير فى أن كنيدى أثار القضية . كما توضح المذكرة أن كنيدى أدلى بتعليق خاص غير تقليدى بشأن دفاعات اسرائيل .

وقال « نحن نطالب بتعاون اسرائيل بنفس الأسلوب الذى نتعاون به معها للمساعدة فى تلبية احتياجاتها . وبدون شك فإن اسرائيل تشعر بأنها معرضة لخطأ شديد ... وقد يبدو أن موقفنا تجاه هذه الأمور هو مطالبة اسرائيل بالتخلى عن هذه الاهتمامات . والسبب فى ذلك ليس عدم صداقتنا مع اسرائيل ولكن من أجل مساعدتها على نحو أكثر فعالية . وأعتقد أنه واضح تماما أنه في حالة أى غزو فإن الولايات المتحدة ستتحرك لمساعدة اسرائيل . ونحن نملك هذه القدرة وهى تتزايد « وكانت هذه لغة لم يسمعها أى اسرائيلى على الإطلاق من « دوايت ايزنهاور » .

وبعد دقائق ، وكما أعرب « كنيدى » الذى توقع الأزمة الحادة التى سيخلقها اللاجئون فى الضفة الغربية وقطاع غزة ، عن أسفه لفشل خطة إعادة توطين العرب وأوضح أن إدارته لن تتخلى عن محاولة إيجاد حل لوضع اللاجئين . وأضاف أن الولايات المتحدة « مهتمة حقا باسرائيل ... ومانريده من اسرائيل نابع من أن علاقتنا متبادلة بين الجانبين . ويعتمد أمن اسرائيل على المدى البعيد جزئيا على ماتفعله مع العرب ولكن أيضايعتمد علينا » .

ويعد التزام كنيدى تجاه « جولدا مائير » وقراره ببيع صواريخ هوك نقطة تحول فى السياسة الخارجية الأمريكية تجاه اسرائيل - وهو تحول يشار إليه حتى اليوم . وعرض كنيدى قد يكون كافيا إذا كان هدف إسرائيل إقامة علاقة مشاركة عسكرية مع الولايات المتحدة إلا أن احتياجات اسرائيل كانت جوهرية أكثر .

وظل « جون ماكون » قلقاً تجاه القنبلة الاسرائيلية وفشل وكالته فى تحديد ما إذا كان مصنع إعادة المعالجة مدفونا تحت الأرض فى ديمونه . كما كان أكثر صراحة من أى شخص آخر من المقربين لكنيدى تجاه القضية ، ففى حفل عشاء حزبى فى واشنطن عام ١٩٦٢ وجه اللوم رسميا « لتشارلز لوسى » المسئول الكبير فى وزارة الخارجية الفرنسية ، لدور فرنسا فى القنبلة الاسرائيلية . وكان « لوسى » الذى قدم كنائب للسفير فى واشنطن فى أواخر الخمسينات وسيصبح سفيرا فى عام ١٩٦٥ ، يجلس بالقرب من « ماكون » الذى سأله فجأة « حسنا سيد لوسى هل تبنى بلادك مصنعا لإعادة المعالجة لحساب الاسرائيليين ؟ « ورد لوسى بالموقف الفرنسى المعلن تجاه القضية »

لا « نحن نبنى مفاعلا » وأدار ماكون بعد ذلك ظهره « للوسى » ولم يتحدث معه طوال المساء فيما يعتبر موقف إزدراء في ضوء الاحترام الشديد الذى توليه فرنسا للرئيس وزوجته اللذين يعشقان فرنسا وثقافتها .

وظل كنيدى يثير على الدوام القضية النووية فى مناقشاته مع كبار المسئولين الاسرائيليين ويتلقى دائما ردودا ملتهبة . وفى أبريل ١٩٦٣ طار « شيمون بيريز » إلى العاصمة ليتباحث مع البيت الأبيض حول صفقة هوك الوشيكة ، وسأله مباشرة الرئيس عن النوايا الاسرائيلية . وقال كنيدى إن القنبلة الاسرائيلية « ستخلق وضعا خطرا للغاية . ولهذا السبب نحن اجتهدنا فى مراقبة جهدكم فى المجال النووى . فماذا يمكنك أن تبلغنى عن هذا الأمر » وكانت إجابة « بيريز » هى اختلاق ماسيصبح رد إسرائيل الرسمى لسنوات تالية وقال « يمكننى أن أبلغك مباشرة بأننا لن ننتج أسلحة ذرية فى المنطقة . وبالتأكيد لن نكون أول من يفعل ذلك . فلسنا مهتمين بذلك . وعلى العكس نحن نهتم بعدم تصعيد التوتر الناجم عن التسلح ونؤيد حتى البديل لنزع السلاح الكامل . »

وازداد افتقاد الإدارة للمعلومات المحددة عن نوايا اسرائيل ، حدة كما علم الرئيس ، بتأييد عدد كبير من كبار أعضاء الكونجرس لمبدأ تسلح اسرائيل بالسلاح النووى . فقد ناقش « بيريز » قبل عدة أيام من لقائه بالرئيس ، مسألة الأسلحة النووية مع « ستيوارت سيمينجتون » أحد مؤيدى كنيدى العضو البارز فى لجنة خدمات الدفاع فى مجلس الشيوخ ، ويقول « بيريز » إنه تم إبلاغه « لاتكونوا مجموعة من الحمقى . ولاتتوقفوا عن إنتاج قنابل ذرية ولاتستمعوا للإدارة وافعلوا ما تعتقدون إنه أفضل الأمور » .

وكانت إسرائيل تفعل هذا تماما واستمر اكتمال المصنع الفيزيائى فى ديمونه . ودخل المفاعل على مرحلة حساسة ، حيث بدأ فى القيام برد فعل متسلسل مستمر ، فى وقت ما فى ١٩٦٢ دون أى مشكلات ذات تأثير واضح وأصبح قادرا على أن يعمل بقدرة تزيد على سبعين ميجاوات وهو ما يزيد كثيرا على طاقة الأربعة وعشرين ميجاوات التي اعترفت بها علنا حكومة « بن جوريون » . وكان تشغيل المفاعل بدرجة حرارة أعلى سيؤدى إلى إنتاج

المزيد من البلوتونيوم أكثر من طاقة إعادة المعالجة ومخزون أكبر من الأسلحة النووية مما يتصور شخص من الخارج . وفى وقت لاحق من هذا العام بدأت شركات البناء الفرنسية الخاصة فى ديمونه التى ظلت دائما متلهفة على العمل ، مرة أخرى فى البناء فى مصنع إعادة المعالجة الكيميائية الحيوى تحت الأرض رغم إصرار « ديجول » على أن فرنسا ليس لديها أى صلة بالقنبلة الاسرائيلية . وسيواصل الفرنسيون العمل بمعدل سريع فى الأيام الثلاثة التالية بتكلفة باهظة وينهون مصنع إعادة المعالجة ومعالجة النفايات وتجهيزات الأمن الضرورية . وعاد الفنيون والمهندسون الفرنسيون الذين كانوا قد بدأوا فى مغادرة المكان ، مرة أخرى بقوة إلى « بير سبع » التى ظل تعدادها يزيد بقوة حتى وصل إلى سبعين ألفا فى ١٩٧٥ .

وواصل العلماء الاسرائيليون والفرنسيون التعاون فى موقع الاختبارات النووية الفرنسية فى الصحراء مع تزايد التجارب فى اتجاه الأسلحة . وفى أواخر عام ١٩٦١ بدأت فرنسا سلسلة من التجارب تحت الأرض وطورت سلسلة من الرؤوس الحربية الصغيرة لاستخدامها فى الطائرات ثم فى الصواريخ . وجرى المزيد من التجارب فى أوائل الستينيات على نظام صاروخ أكثر تطورا من طراز « شافيت » بدون اعلانها وتصور محللو المخابرات المركزية أن الصاروخ طويل المدى مخصص لأغراض عسكرية ، وفى عام ١٩٦٣ دفعت اسرائيل ١٠٠ مليون دولار لشركة « داسو » الفرنسية الخاصة وهى واحدة من أنجح شركات الطائرات والصواريخ فى العالم من أجل التطوير المشترك وتصنيع ٢٥ صاروخا اسرائيليا متوسط المدى وكان التصور أن يكون الصاروخ الذى سيعرف فى مجتمع المخابرات الأمريكية باسم « جيريتشو ١ » قادرا على حمل رءوس حربية نووية صغيرة المدى يبلغ ٣٠٠ ميل .

وفى ربيع ١٩٦٣ ظلت علاقة كنيدى مع « بن جوريون » فى طريق مسدود بسبب ديمونه وأصبحت الاتصالات بين الطرفين تزداد مرارة ولم تعلن أى من هذه الرسائل . وقد صاغ ردود « بن جوريون » الكيميائى « يوفال نيمان » وضابط مخابرات وزارة الدفاع الذى تورط بشكل مباشر فى برنامج الأسلحة النووية . ويذكر « نيمان » « أنها لم تكن ردودا ودية بعد أن كان كنيدى يكتب بأسلوب هجومى . وكانت الرسائل موجعة » .

وتأكد الرئيس أن رئيس الوزراء دفع ثمن تحديه ففى أواخر ابريل توحدت مصر وسوريا والعراق لتشكل « الاتحاد العربى » الذى لم يستمر لفترة طويلة ومثل هذه الوحدة اعتبرها « بن جوريون » كابوسا . وتحول بشكل غريزى إلى واشنطن واقترح فى خطاب للرئيس أن تضم الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى صفوفهما ليعلنان على الملأ حماية السيادة الاقليمية وأمن كل دولة من دول الشرق الأوسط وقال « بن جوريون » « إذا كان فى مقدورك تخصيص ساعة أو ساعتين لمناقشتى فى الوضع والحلول المقترحة فإننى مستعد لأن أطير إلى واشنطن للقائك وبدون أن يعلن ذلك » فرفض كنيدى عرض « بن جوريون » للقيام بزيارة رسمية وأعرب عن « تحفظات حقيقية » كما ذكرت سيرة « بن جوريون » ، تجاه أى بيان مشترك حول القضية مع السوفييت ، وبعد خمسة أيام ، أرسل « بن جوريون » المحبط رسالة ثانية لكنيدى جاء فيها « سيدى الرئيس إن شعبى يملك الحق فى الوجود ... وهذا الوجود معرض للخطر « وطالب الولايات المتحدة بأن توقع معاهدة أمنية مع اسرائيـل . ومرة أخرى جاء الرد بالنفى وبدا واضـحا لحزب الماباى أن زعامة « بن جوريون » وعنـاده بشأن ديمونه تطرح عوائق خـطيرة فى واشنطن واعترفت « جولدا مائير » لكاتب سيرة « بن جوريون » « لقد أدركنا هذه العواقب ... ولم نقل أى شىء على الرغم من تساؤلاتنا » .

وبعد عدة أسابيع فى ١٦ يونيه ١٩٦٣ استقال « بن جوريون » فجأة من منصبة كرئيس للوزراء ووزير للدفاع وانتهت فترة ظل فيها أكثر المسئولين تأثيرا فى اسرائيل طوال ١٥ عاما .

ووصفت الروايات العديدة لاستقالة « بن جوريون » بدقة بروز الفضائح وانعدام ثقة الرأى العام والاستقطاب التى تميزت بها سنوات حكمه الأخيرة . وأصبحت فضيحة لافون الناجمة عن سلسلة من أنشطة التخريب قبل حرب السويس داخل مصر ، فى أوائل الستينيات تسيطر على قدر كبير من جدول الأعمال العام داخل إسرائيل مع ظهور حقائق جديدة تفيد بأن مسئولين صغار فى وزارة الدفاع من الممكن أن يكونوا قد زوروا الوثائق وأدلوا بشهادات مضللة فى محاولة لاتهام « بنحاس لافون » وزير الدفاع السابق بإصدار الأمر بالقيام بالعملية . وكان لافون الذى مازال واحدا من أكثر أعضاء حزب الماباى تأثيرا ،

يشغل حينئذ منصب رئيس « الهيستادروت » اتحاد نقابات العمال القوى الذى ضم ٨٥ فى المائة من قوة العمل فى اسرائيل إلى نقاباتهم ، ويسيطر على قطاع ضخم من الصناعة الاسرائيلية ، وطالب لافون « بن جوريون » بتبرئته ورفض الأخير ونقل لافون قضيته إلى لجنة الشئون الخارجية والدفاع فى الكنيست وفور طرحها فى الكنيست أتهم لافون « بن جوريون » و« بيريز » و « ديان » بتقويض السلطة المدنية على الجيش ثم تأكد من أن ادعاءاته تسربت إلى الصحافة . وبهذه الاجراءات حطم لافون قاعدتين مقدستين فى السياسة الاسرائيلية ، فقد ناقش مسائل خاصة بالدفاع علناً وفشل فى الابقاء على الخلاف الحزبى سرا . وكانت الخطوة التالية هى تشكيل لجنة على مستوى مجلس الوزراء بتحريض من « ليفى أشكول » كان عليها أن تصدر توصيات للتحقيق فى إدعاءات لافون . إلا أن اللجنة بدلا من تناول القضية المطروحة برأت لافون من المسئولية عن إصدار الأمر بالقيام بالعملية الفاشلة فى مصر .

اتهم « بن جوريون » اللجنة بتخطى التفويض الممنوح لها واستقال مرة أخرى وطالب بتشكيل حكومة جديدة فى محاولة لإبطال القرار . وقد عارض الكثيرون من معارضى « بن جوريون » بالتحديد « ليفى أشكول » و بنحاس سابير » ، أيضا انتهاكات لافون للأعراف السياسية وتحركوا بنجاح لإقلاته من منصبه فى « الهيستادروت » . وبدا الهدف الأول لقيادات حزب الماباى فى هذا الوقت أن يلقوا بالفضيحة المرهقة وراء ظهورهم ، قبل أن يصبح المواطن الاسرائيلى المحبط بشأن استمرار النقاش العلنى للعديد من الأسرار الحكومية ، مقتنعا بأن الماباى غير قادر على إدارة البلاد بشكل فعال . واستمر « بن جوريون » الذى ذكر أنه من المؤكد أن شخصا ما قد كذب ، على إصراره مع ذلك على ضرورة إجراء تحقيق قضائى . واعتبره الرأى العام رجلاً عجوزاً عنيداً يحاول أن يجعل القضية حية ، وألحقت الفضيحة الضرر بسمعته وجعلت مابدت وسائله الديكتاتورية فى إدارة الحكومة أكثر عرضة للخطر من ذى قبل ، وكان المنتصرون بوضوح فى الفضيحة هم « أشكول » و « سابير » و « جولدا مائير» الذين برزوا بمرتبة أعلى لدى الرأى العام وبإصرار متجدد على عدم السماح لـ « بن جوريون » بتخطيهم لصالح

ديان ، وبيريز . وانضم ديان وبيريز إلى صفوف الخاسرين مع بن جوريون فلم يصبح ديان مطلقا رئيسا للوزراء فى حين انتظر بيريز عشرين عاما ليتولى المنصب .

وبرزت فضيحة أخرى على السطح فى عامى ١٩٦٢ و ١٩٦٣ حين أفادت أنباء بأن مصر بمساعدة بعض العلماء الألمان الغربيين ، ماذكرت الإدعاءات انها صواريخ متطورة قادرة على ضرب اسرائيل . واتخذت جولدا مائير ومؤيدوها موقفا متشدداً تجاه الأنشطة المصرية - الألمانية الغربية ، وحذرت من أن التحالف يمثل خطرا على أمن اسرائيل القومى وكان « بن جوريون » أكثر تشككا تجاه التهديد الذى يمثله تعاون مصر مع العلماء الألمان الغربيين ، وفى تصرحاته العلنية أكد على أن ألمانيا الغربية قدمت مساهمات ضخمة لأمن اسرائيل . وما لم يعرفه الرأى العام أن « بن جوريون » قد انهى لتوه مفاوضات سرية ناجحة مع المستشار الألمانى الغربى « كونراد اديناور» من أجل الحصول على أسلحة حديثة من بينها أسلحة صغيرة وطائرات هليكوبتر وقطع غيار . وبالنسبة لـ « بن جوريون » أصبحت توجد الآن « ألمانيا أخرى » تختلف تماما عن ألمانيا عهد « هتلر » وأكثر استعداداً بكثير من فرنسا وامريكا على إمداد اسرائيل بالسلاح ، وتم تجاهل وجهة نظر بن جوريون فى أعقاب الحمى الصحفية حول المعونة الألمانية لمصر وحديث الصحف عن « الإشعاعات القاتلة » الألمانية وتجدد « الحل النهائى » والتى تحولت جميعها لتصبح أمورا مبالغا فيها . وتحولت الحملة العامة ضد المساعدة الالمانية الغربية لمصر لموجة من الانتقاد والهجوم لـ « بن جوريون » لذكره وجود « ألمانيا أخرى » وشارك فى الهجوم زملاء « بن جوريون » فى حزب الماباى وبخاصة « جولدا مائير» التى كانت مثل كثير من الاسرائيليين لاتريد أى تعامل مع الألمان .

وبدا الخلاف حول « لافون » والمانيا الغربية أكثر من كاف لإقناع « بن جوريون » بمغادرة الحياة العامة والعودة مرة أخرى إلى مستعمرته فى الصحراء . وكان الرجل العجوز الذى أصيب بالارهاق والذهول بعد سنوات من القيادة يتطلع لكتابة مذكراته وروايته عن تاريخ اسرائيل والصهيونية فلم يكن هناك سبيل للرأى العام الاسرائيلى ، الذى افرط فى الروايات عن « لافون »

والفضيحة الألمانية ، ليشك فى وجود عامل آخر فى استقالة بن جوريون وهو الخلاف المرير مع « كنيدى حول تسلح اسرائيل النووى » .

وكان ليفى اشكول رئيس الوزراء الجديد ، مثل « بن جوريون » قادما من أوربا الشرقية فقد ولد ١٨٩٥ وانتقل إلى فلسطين وانضم للحركة الصهيونية فى سن مبكرة ولكن لم توجد أوجه تشابه أخرى كثيرة . فأشكول كان أكثر ديمقراطية فى السياسة ، من الناحية الشخصية وكذلك فى نزعته للتوصل لحل وسط ، وهو الشيء الغريب على « بن جوريون » ، عاد إلى قيادة الحكومة وحزب الماباى . وتحرك أشكول كثيرا للتخفيف من قبضة الحكومة على الصحافة وأنشا هيئة إذاعة مستقلة للتخفيف من قبضة الرقابة الحكومية على شبكة االتليفزيون الرسمية وهى اصلاحات قاومها « بن جوريون » بشدة . وأكثر الأمور أهمية تمثلت فى أن أشكول أمضى عامه الحادى عشر كوزير للمالية مناضلاً فى أغلب الأحيان ضد تمويل ديمونه ، وبدا أقل التزاما بالمقارنة بـ « بن جوريون » تجاه فكرة انفاق مئات الملايين من الدولارات سنويا على النشاط النووى بما يلحق الضرر بما يعتبره ومؤيده أكثر احتياجات اسرائيل إلحاحاً وهى أسلحة أفضل وتدريب أعلى للجيش والقوات الجوية .

ولم يضع كنيدى الذى أطلع على تقارير المخابرات التى توضح أن اسرائيل البعيدة تماماً عن تخفيف سرعة برنامجها النووى خلال فترة رئاسته بل تتوسع فيه ، لم يضع وقتا قليلا فى مطالبة الحكومة الاسرائيلية الجديدة ، بضبط النفس فيما يتعلق بالمجال النووى ، وأكدت رسائله السرية من جديد على ضرورة التفتيش الدولى على ديمونة والتى بدأت بعد فترة قصيرة من تولى أشكول مهام منصبه . وقد تدعم إيمان الرئيس فى الحد من التسلح فى أوائل خريف ١٩٦٣ بالرد الامريكى الايجابى على تصديق مجلس الشيوخ على معاهدة فرض حظر محدود على التجارب فى الجو وتحت السماء وفى الفضاء الخارجى واعتبر اللوبى اليهودى أن استمرار الدعم السياسى لنزع السلاح النووى لاينطوى على كثير من الحكمة كما كان الصاروخ الاسرائيلى « جيريتشو - ١ » عاملا آخر فى استمرار ضغط البيت الأبيض . واعتبر الخبراء الأمريكيون نظام التوجيه الخاص بهذا الصاروخ غير مستقر إلى حد كبير وغير دقيق مما يفيد وفقا للنتائج التى توصل اليها المحللون أن نوعا

واحداً من الرءوس النووية ذات معنى .

وانطلق ضغط كنيدى المستمر على اسرائيل من اعتقاده بأن اسرائيل لم تنتج بعد أى أسلحة نووية وأنه لايوجد بعد مركز للانشطار وتوجد ادلة على أنه فور بدء الاسرائيليين بالفعل فى تصنيع القنابل كما فعل الفرنسيون ، كان الرئيس مستعدا لأن يكون عمليا كما يتعين عليه أن يكون . وفى الوقت الذى ظل فيه كنيدى يعارض بشدة تسليح اسرائيل نوويا حتى النهاية فإنه غيرّ فكره بشأن قنابل ديجول . وشارك دانيال الزبرج الذى سينشر فيما بعد أوراق البنتاجون عن حرب فيتنام فى قضايا على أعلى مستوى تتعلق بالاسلحة النووية فى عام ١٩٦٣ كنائب فى مكتب شئون الاستراتيجية الدولية فى البنتاجون . ويتذكر رؤية مذكرة تحمل عنوان « سرى للغاية ، يقـرأ فقط بالعين » موجهة من ماك جورج باندى للرئيس تلخص تغييرا فى السياسة تجاه فرنسا . ويتذكر « الزبرج » أن مذكرة باندى قالت « يتعين علينا رغم كل شىء التعاون من الفرنسيين والسماح باستخدام مركز تجارب نيفادا لإجراء الاختبارات تحت الارض » وفى هذا الوقت رفض الفرنسيون التوقيع على معاهدة الحظر المجددة للتجارب وأعلن ديجول أن فرنسا ستستمر فى إجراء التجارب على قنابلها فى الجو . وبدا أن الهدف الواضح لكيندى هو ضم فرنسا لمعاهدة حظر التجارب . سواء وقعت عليها رسمياً أم لا . وظلت مذكرة باندى عالقة بقوة فى ذاكرة الزبرج حيث يعود تاريخها إلى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٣ يوم اغتيال كيندى فى دالاس بولاية تكساس .

وقد ظل خليفة كيندى « ليندون جونسون » مثل الكثير من نواب الرؤساء ، على غير علم بقضايا الأمن القومى من جانب الرئيس وكبار المعاونين ويذكر ضابط كبير سابق فى المخابرات الأمريكية « أن جونسون بدا مذعورا حين قامت الوكالة بإطلاعه على الأمور . فلم يكن يعلم أى شىء عن المشكلة ولعن كنيدى لحجب المعلومات عنه » .

وقد كانت علاقات جونسون باسرائيل قوية قبل فترة طويلة من شغله منصب الرئيس . واهتم اثنان من أقرب مستشاريه هما « ابر فورتس » الذى عين فيما بعد لرئاسة المحكمة العليا و « ادوين فيسيل » بقوة بأمن اسرائيل رغم انهما عمليا لم يكونا متدينين . كما كان جونسون على دراية بقدرات أبى

فينبورج الذى يعرفه شخصيا ، على جمع التبرعات منذ سنوات ترومان وكان فينبورج من بين الذين جمعوا التبرعات لحملة جونسون الناجحة لدخول مجلس الشيوخ عام ١٩٤٨ كما كانت توجد صلة أوثق ، مع ذلك ، ترتبط تماما بعملية جمع التبرعات ، فقد زار جونسون معسكر اعتقال النازى فى داشو أثناء قيامه برحلة ضمن وفد للكونجرس لتقصى الحقائق فى نهاية الحرب العالمية الثانية ، وأبلغ زوجته « ليدى بيرد » بعد سنوات أحد المؤرخين فى تكساس وعقب وفاة جونسون أنه عاد « مضطربا للغاية ومصاباً بحالة من الرعب الشديد والاشمئزاز مما رآه فأن تستمع للروايات شىء وأن ترى هذه الأمور شىء مختلف تماما . » ولاتوجد أى صور عن الزيارة ولكن ملفات جونسون فى الكونجرس تحتوى مجموعة كاملة من صور الجيش الامريكى بعد تحرير معسكر الموت بيومين فى ٣٠ ابريل ١٩٤٥ .

بل إن حساسية جونسون تجاه مأساة اليهود الأوربيين قبل الحرب العالمية الثانية حين ناشده مؤيدوه اليهود فى منطقته أن يخترق بصفته عضوا شابا فى الكونجرس قيود الروتين ويحصل لعدد من اللاجئين الألمان الفارين بحياتهم على حق اللجوء فى أمريكا وفور وصول اللاجئين إلى البلاد بذل جونسون جهداً شاقاً لابقائهم ، وتوضح ملفاته فى الكونجرس أن اريك لينزدورف القائد الموسيقى البارز كان بين الذين منع جونسون ترحيلهم - فقد قدم لينزدورف أول حفل له خلب الالباب مع اوبرا ميتروبوليتان فى نيويورك فى عام ١٩٣٨ وكان من المقرر ترحيله فى وقت لاحق من العام حين تنتهى تأشيرته الممتدة لفترة ستة أشهر ، وكان ترحيله إلى النمسا بعد دخول النازى إلى فيينا يعنى الموت البطىء فى معسكر اعتقال . وفاز جونسون باحترام الجالية اليهودية فى تكساس ودعمها المالى بتوليه المسئولية عن قضية لينزدورف وآخرين وايجاد سبيل للتحايل على القوانين .

وظل الرئيس جونسون وفياً لأصدقائه القدامى فبعد توليه منصبه بخمسة أسابيع أهدى المعبد اليهودى الجديد « أجوداس أخيم » « لشخيمر نوفى » حليفه السياسى القديم فى تكساس والزعيم الصهيونى الذى كان رئيسا للجنة البناء . وكان أول رئيس أمريكى يفعل ذلك ، ومع ذلك لم يتنبه للأمر سوى عدد قليل من الصحف . وفى كلمة تقديمه التفت نوفى الذى كان يوما

ما رئيسا اقليميا فى الجنوب الغربى للمنطقة الصهيونية تجاه الرئيس الأمريكى وقال « لايمكننا أن نوفيه حقه من الشكر على جميع اليهود الذين أخرجهم من المانيا أيام « هتلر » وأوضحت « ليدى بيرد » فيما بعد « أن اليهود اندمجوا فى قاعدة الحكم طوال سنوات حكمه »

وانشغل ليندون جونسون سريعا بحرب فيتنام وما اعتبره نضال دولة ديمقراطية صغيرة ضد قوى الشيوعية . ولكن تمت المحافظة على الاهتمام باسرائيل كديمقراطية محاصرة تتصدى للاتحاد السوفييتى وعملائه فى العالم العربى . ودفعت مشاعر جونسون القوية تجاه اسرئيل وإيمانه بأن الأسلحة السوفيتيية تغير ميزان القوة فى الشرق الأوسط ، الرئيس لأن يصبح أول رئيس أمريكى يمد اسرائيل بأسلحة هجومية وأول من يلزم امريكا علنا بالدفاع عنها . وفى النهاية سيسود الانقسام صفوف الجالية اليهودية الامريكية بسبب استمرار جونسون فى حرب فيتنام حيث أكد العديد من الزعماء اليهود أن دعم جونسون الراسخ لاسرائيل يستحق الولاء له فيما يتعلق بفيتنام فى حين واصل آخرون معارضة الحرب كمبدأ .

وفى السنوات الأولى لرئاسته مع ذلك ردد جونسون سياسة كيندى بحث اسرائيل باخضاع ديمونه لتفتيش الوكالة الدولية للطاقة الذرية ، وانطلق تأييده لمنع الانتشار النووى والرغبة فى إنهاء الحرب الباردة من إيمانه بأنه يمكنه تحقيق هدفه النهائى المتمثل فى إمكان مد الصفقة الجديدة « لجميع الامريكيين ، فقط من خلال تخفيف حدة التواترات الدولية » ولم يكن تسلح اسرائيل نووياً مقبولا لأنه يمكن أن يعنى تسلح مصر نوويا وتزايد التورط السوفييتى فى الشرق الأوسط ومن المحتمل اندلاع الحرب .

١٠

الخيـــار شـــمشون

تركز هدف « ليفى أشكول » فى ايجاد طريق وسط بين البيت الأبيض باصراره على التفتيش الـدولى والجنـاح المنـاصر للـــبديل النـووى فى حـزب « الماباى » بقيادة « ديفيد بن جوريون » الذى حول عقب تقاعده إصراره على وجود ترسانة نووية اسرائيلية الى معركة سياسية أخيرة .

ولم تكن مشكلة رئيس الوزراء ما اذا كان يتعين القيام بالتسلح النووى ولكن متى وبأية تكاليف فى ضوء الحاجة الملحة المطلوبة لتدريب وتسليح الوحدات التقليدية فى الجيش والبحرية والقوات الجوية .

وظهر الجدل حول البديل النووى على السطح فى صحف اسرائيل بلغة تعمد أن تكون غير مؤذية قبل فترة طويلة من تولى « أشكول » المنصب ، فعلى سبيل المثال استغل « شيمون بيريز » و « موشى ديان » رئيس الأركان السابق ثم وزير زراعة « بن جوريون » ، جنازة زعيم صهيونى بارز فى منتصف ١٩٦٢ لتحذير نظرائهم اليهود من أن وجود اسرائيل مرتبط « بالانجازات التكنولوجية للسبعينيات » والاسـتثمار فى « معـدات المسـتقبل » . وفى أبريل ١٩٦٣ كتب « ديان » مقالا لصحيفة « معاريف » المسائية يحث صناعة السلاح الاسرائيلية لتحقيق التفوق على جهود الرئيس المصرى « جمال عبد الناصر » لبناء أسلحة نووية . وكتب ديان : « فى عصر الصواريخ ذات الرءوس التقليدية يجب علينا أن نطور باتقان هذه الأسلحة حتى لا نتخلف عن الركب » .

وبدا « بن جوريون » أكثر صراحة فى حديث مع كاتب الأعمدة « سى ال سولزبرجر » من صحيفة « نيويورك تايمز » بعد أن ترك منصبه بخمسة أشهر ، ونقل سولزبرجر عن بن جـوريون قلقه تجـاه تسلح مصر بالصواريخ وأضاف :

« نتيجة لذلك ألمح بن جوريون يتجهم الى أنه فى المستقبل القريب وبانتهاء مفاعل ديمونة فان اسرائيل قد تبدأ تجارب على الأسلحة الذرية » . ولم يعد فى الامكان استبعاد الطاقة النووية ونقل عن رئيس الوزراء السابق قوله « ذلك يعود لأن « ناصر » لن يستسلم ، كما أنه لن يخاطر بشن الحرب مرة أخرى قبل أن يتأكد أن فى وسعه الانتصار ، وهذا يعنى الأسلحة الذرية وهو يملك صحارى شاسعة يمكنه أن يجرى التجارب بها . ولا يمكننا اجراء تجارب هنا». ونشر عمود « سولزبرجر » يوم السبت ١٦ نوفمبر ١٩٦٣ ، ووصل على عجل الى بن جوريون الذى كتب فى نفس اليوم خطابا لرئيس تحرير « نيويورك تايمز » ينفى فيه أنه أشار بأى حال أو ألمح للأسلحة النووية خلال حديثه مع « سولزبرجر » .

وتحركت حكومة « أشكول » تحت ضغط الرئيس « كينـدى » أولا ثم من « جونسون » للمحافظة على الغطاء الرسمى ولم تكن لديها أية أحاسيس بشأن المبالغة فى القيام بذلك . وفى ديسمبر ١٩٦٣ أبلغ « شيمون يفتاخ » مدير البرامج العلمية لوزارة الدفاع ، علنا مجموعة من الكتاب العلميين الاسرائيليين أن المفاعل المتقدم فى ديمونة سينتج البلوتونيوم كمنتج ثانوى كما تكهنوا . ومع ذلك أصر « يفتاخ » على أن الحكومة الاسرائيلية ليست لديها خطط لبناء مصنع منفصل لاعادة معالجة البلوتونيوم كيماويا . وفى هـذا الوقت أصبح « يفتاخ » الذى تدرب فى معمل أرجوى القومى واحدا من أبرز خبراء اسرائيل فى كيمياء البلوتونيوم ، وعلم أن شركات البناء الفرنسية بدأت مرة أخرى فى العمل فى مصنع اعادة المعالجة تحت الأرض فى ديمونة .

ولم يعرقل تردد « أشكول » تجاه التزام اسرائيل بانتاج أسلحة نووية على نطاق واسع التقدم السريع فى ديمونة . ففى منتصف ١٩٦٤ كان العمل قد بدأ فى المفاعل منذ عامين وانتهى العمل الأساسى فى مصنع اعادة المعالجة بمعامله التى تعمل بالتحكم عن بعد وآلاته التى تعمل بالحاسب الآلى وأصبح مستعدا لبدء انتاج البلوتونيوم المستخدم فى الأسلحة من قضبان وقود اليورانيوم التى يستهلكها المفاعل . وفى النهاية المنشآت النووية الاسرائيلية مصنع لتجميع الاسلحة فى حيفا فى الشمال ومجمع للتخزين النووى مزود

بتحصينات جيدة فى قاعدة تل نوف الجوية بالقرب من ريجوفوت وتعد اجراءات الامن المشددة سبيل حياة داخل المجمع النووى وبخاصة فى ديمونة الذى خضع للحراسة الدائمة للقوات الاسرائيلية وأنظمة التعقب الالكترونية وشاشات الرادار المرتبطة ببطارية صواريخ ، ومنعت جميع الطائرات بما فى ذلك تلك التابعة لسلاح الجو الاسرائيلى من التحليق فوق المنشأة وأن القيام بذلك أمر محفوف بالمخاطر .

وتقول مصادر اسرائيلية مطلقة أن الفنيين والفيزيائيين فى ديمونة أجروا على الأقل اختبارا واحد ذا طاقة تفجير منخفضة بالقرب من الحدود المصرية - الاسرائيلية فى صحراء النقب . وتنتج هذه التفجيرات المعروفة فى مجتمع الأسلحة « بالتفجير صفر » طاقة انشطارية منخفضة ولكن غير ذى جدوى وتعتبر مقياسا موثوقا به تماما لنظام تجميع الأسلحة بالكامل ، وتردد أن الاختبار هز أجزاء فى سيناء .

وفى أوائل عام ١٩٦٥ أزال اكتمال مصنع اعادة المعالجة ، تحت الأرض ، آخر عائق أمام طموحات اسرائيل النووية ، كما رفع من درجة الجدل المستمر داخل الحكومة حول القضية ، كما جعل اكتمال مصنع اعادة المعالجة ضرورة ألا تسفر زيارات « كولر » السنوية لديمونة عن أى شىء أمرا أكثر الحاحا وضرورة تحسين اجراءات التمويه الاسرائيلية وتطويرها على يد « بنيامين بلومبرج » وزملائه فى مكتب المهام الخاصة ، وقد بحثت عمليات التفتيش الدولية من جانب الوكالة الدولية للطاقة الذرية وتم رفضها خلال سنوات حكم « كيندى » . وفى منتصف الستينيات طرح مديرو ديمونة وسيلة جديدة لإخفاء عملها الذى يتم تحت الأرض ، وصدرت الأوامر لأعضاء وحدة الاستطلاع رقم ٢٦٩ التابعة لهيئة الأركان العامة لجيش الدفاع الاسرائيلى وهى أكثر الجماعات السرية تميزا فى البلاد بالتوجه للمنشأة النووية قبل وصول فريق تفتيش كولر بعدة أسابيع وأبلغوا بضرورة أن يحضروا معهم - كما يقول عضو سابق فى المجموعة - « ثمانى شاحنات محملة بالنجيل ، واستغلت للتمويه » . ويضيف : « ظلت مهمتنا طوال عشرة أيام تغطيه الممرات والمستودعات بالقاذورات والعشب والحشائش . وحين وصل الوفد كنت أقف

وأروى النجيل الذى بدا كما لو كان هناك منذ سنوات » . وظل هذا المشهد حيا فى ذاكرته لأنه لم ير العشب من قبل .

ولا يوجد دليل على أن المخابرات الأمريكية والرئيس « جونسون » كان لديهما أية فكرة عن مدى التقدم الذى حققته اسرائيل فى طريق الانضمام للنادى النووى . وتوضح الوثائق المتوافرة أن رجال الرئيس نجحوا بطريقة ما فى اقناع أنفسهم بأنه باستمرار التركيز على تفتيش الوكالة الدولية كحل فانه ستتلاشى جميع الأسئلة المحيرة حول ديمونة والانتشار النووى الاسرائيلى ، ووجهت الدعوة لأشكول للقيام بزيارة رسمية فى عام ١٩٦٤ هى الأولى التى يقوم بها لواشنطن رئيس وزراء اسرائيلى وتوضح الوثائق الرئاسية المنشورة فى ملف مكتبة « ليندون جونسون » فى جامعة تكساس أن البيت الأبيض اعتقد أن « أشكول » يمكن غوايته بالوعد بالحصول على أسلحة أمريكية مقابل فتح ديمونة للوكالة الدولية للطاقة الذرية . وفى الواقع كان رجال الرئيس يعملون فى ظل تعتيم فرضوه على أنفسهم حين تعلق الأمر بديمونة . فقد كانوا مقتنعين بأن اسرائيل تملك الكفاءة الفنية لانتاج قنبلة ووضعها فى رأس حربى ولكن لم يكن على ما يبدو أحد يعلم ما اذا كانت اسرائيل تعتزم جديا أن تفعل ذلك أم لا . وبدا كما لو كان البيت الأبيض يعتقد أنه توجد حقا ذرتان إحداهما سلمية .

واعترف « ماك جورج باندى » مستشار الأمن القومى الذى انغمس فى قضية الأسلحة الاسرائيلية منذ أوائل عام ١٩٦١ ، لجونسون بأنه لا يملك أى معلومات عن نوايا اسرائيل النووية كما تفيد وثائق البيت الأبيض ، وذلك فى مذكرة تلخص التهديد المحتمل الذى تمثله أنظمة الصواريخ المصرية لاسرائيل ، وأبلغ « باندى » الرئيس فى ١٨ مايو قبل أسبوعين من زيارة « أشكول » أن البلدين فى وسعهما انتاج الصواريخ « والفارق أن الاسرائيليين يمكنهم صناعة رءوس نووية يزودون بها صواريخهم . فى حين لا يمكن للجمهورية العربية المتحدة أن تفعل ذلك . والقضية الحقيقية هى ما اذا كانت اسرائيل ستطور قدرة نووية » . وبدا أمر لا يصدق أن يجعل « باندى » وزملاءه ماذا تفعل اسرائيل بمفاعل نووى سرى فى النقب .

وأراد « أشكول أن يشترى دبابات (إم - ٤٨) الأمريكية وسعد حين وافق « جونسون » قبل قمتهما على استخدام مكانة منصبه فى اقناع ألمانيا الغربية ببيع دبابات (أم - ٤٨) لاسرائيل من مخازن حلف شمال الأطلنطى بها . وهذه الصفقة رغم أنها غير مباشرة تعد أول صفقة لأسلحة هجومية ، ستفتح خط الأسلحة الأمريكية ، ووضع رجال « جونسون » اجراء احتياطيا فى حالة رفض « أشكول » للتفتيش الدولى كما توقع الكثيرون منهم ، فقد أرادوا الحصول على موافقة اسرائيل بابلاغ الدول العربية بنتائج عمليات التفتيش السنوية التى يقوم بها « لويد كولز » .

وتركزت مهمة « أشكول » من الحضور الى أمريكا فى الحصول على ما يمكن أن يحصل عليه من أسلحة والتزامات أمريكية - بدون أن يقدم تنازلات حقيقية بشأن ديمونة وهو الأمر الذى لم يكن فى الواقع يمكنه القيام به . وكان قد ابلغ البيت الابيض قبل وصوله بانه سيستمر فى الموافقة على عمليات التفتيش التى يقوم بها كولر على ديمونه ، ولكنه لا يرغب فى مناقشة أى شىء يتعلق بالوكالة الدولية للطاقة الذرية ، وقد عرضت إسرائيل الحجة المعلنة ، وتقضى بضرورة ألاتجبر على وضع معاملها القومية تحت إشراف الوكالة الدولية حتى تفعل جميع القوى النووية فى العالم ذلك . ولم تكن الصين وفرنسا طرفين فى الاتفاقية وكانت هناك قضية ثابتة ، تم استنباطها بنفس القدر وهو الخلاف الذى ظلت الوكالة الدولية للطاقة الذرية مثل الأمم المتحدة تثيره بانتظام بشكل عنصرى ضد إسرائيل لصالح الدول العربية . فقد كان بالطبع البعض داخل إسرائيل يعتقدون تماما أن هذه التفرقة قائمة ولكن لم يكن له أى صلة بأسباب عدم الترحيب بالوكالة الدولية وعارض اشكول تماما أطلاع العرب بأى شىء وأصبح يتعين على فريق العاملين فى البيت الابيض ان يمارس عملية مساومة شاقة بشأن قضية العرب والوكالة الدولية للطاقة الذرية ، وضم وفد «اشكول » « بيريز » الذى يعارض بقوة التفتيش الدولى وأقتسام أى شىء يتعلق بديمونة مع العرب . ومع ذلك أقترح روبرت كومر أحد المعاونين فى مجلس الامن القومى فى مذكرته لجونسون قبل القمة ، ان يحاول الرئيس تغيير رأى أشكول بشأن القضيتين وقال « نحن نأمل فى ان تبلغ اشكول شخصيا ، بأنهم يجب ان يتحركوا بفعالية الآن » وهو ذلك فيما يتعلق بتفتيش الوكالة

الدوليـة « وبدون تطبيق ذلك بأى شكل من الاشكال فان إسرائيل ستصبح قوة نووية ، ويجب ان يعترف المـرء ان تشغيل مفـاعل بالاضافة إلى نظـام الدفع الصاروخى المستقبلى يصل إلى نتيجة حتمية تفيـد بأن إسرائيـل على الاقل تضع نفسها فى موضع يسمح لهـا بأن تكون قوة نووية . وهـذا قـد يكون له أخطـر العواقب على العلاقات الامريكية الإسرائيلية ، وكلمـا أسرعنا بمحـاولة منع هـذا الامر كانت الفرصة أفضل امامنـا . وهـذا هـو السبب فى ضرورة اثارتك للامر حتى إذا لم يكلل بالنجـاح ، فانه سيبلغ إسرائيل بحسم باننا قد نعود للقضية من جديد » .

وحول نقل المعلومات الخاصة بديمونة للعرب قال كومر « اننا مقتنوعون تماما بان رغبة إسرائيل الواضحة فى الابقاء على حالة التكهن لدى العرب خطيرة للغاية . فان تبدو كقوة نووية حين لا تكون هكذا مما يثير المشاكل . وقد يدفع ناصر إلى تحرك أحمق » .

ولم يكن لدى كومر الذى عمل لسنوات فى الـ «ســى أى ايه » قبل ان ينضم لمجلس الامن القومى برئاسة باندى ، أوهام كثيرة تجاه ما يدور تحت الارض فى ديمونه فى هذا الوقت . ويتذكر بحيوية مناقشة موضوع مشروع القنبلة النووية الإسرائيلية مع رئيسه «جون ماكون» وقال « علمنا ان البرنامج مستمر .فلم يبلغونا مطلقا انهم سيتوقفون » .

ولم يكن لتوصياته للرئيس ، كما كان يتعين عليه ان يدرك ، أية فرصة لان يقبلها الاسرائيليون كما انها لم تحقق فائدة كوسيلة للتفاوض فان « اثارة ضجة » من اجل « انذار » إسرائيل لن يوقف القنبلة .

ويوضح ملخص منشور لحوار جونسون اشكول فى ١ يونيه ان جونسون بالفعل اتبع نصيحة فريقه كما لو كان هو أيضا يؤمن بان واشنطن يمكنها التفاوض مع إسرائيل للتخلى عن ترسانتها النووية . وأكد جونسون فى حديثه مع أشكول على ان التفتيش الدولى لديمونه سيهدىء العرب ويقلل من سرعة سبـاق الصـواريخ فى الـشرق الاوسـط . وقـالت المـذكرة الرسـمية عن الحـوار « أوضح الرئيس ان العرب سيربطون حتمـا بين صواريخ إسرائيل وامكاناتها النووية . وهـذا هو السبب فى اننا نرى ان إشراف الوكالة الدولية للطاقة الذرية

فى صالح إسرائيل ونحن نرغب فى ان نذكر رئيس الوزراء اننا نعارض بقوة الانتشار النووى » .

كما ذكر الرئيس اشكول أن الاتحـاد السوفيتى أصبح اكثر من مجرد عامل فى الشرق الاوسط وان تأكيد اسرائيل مجـددا بشأن ديمونة يمكن ان يقطع مسافة كبيرة فى ابقـاء الروس خارج المنطقة . ولخص كومر القضية للرئيس فى اليوم التالى لاجتمـاع اشكول قائلا « قال بيريز أمس إن اسرائيل غير قلقة كثيرا بشأن صواريخ الجمهورية العربية المتحدة الحالية ولكن بشأن نوعية أفضل يمكن ان يزود السوفييت ناصر بهـا . وهـذه هى وجهة نظرنا ايضا بالكامل فاذا اعتقـد « ناصر » أن اسرائيل تملك صواريخ أفضل من صواريخه ولم يتم طمأنته بشأن ديمونة فانه سيضطر لشراء صواريخ من السوفييت بمقابل ولذلك يجب ان تحث اشكول على الموافقة على تقديم تأكيدات جديدة عن ديمونه وعلى قواعـد اشراف الوكالة الدوليـة للطاقة الذرية وسيساهم هذان الاجراءان فى تقليص نزوع ناصر للحصول على أسلحة قاتلة بمساعدة الاتحاد السوفييتى . وتعد حجة أشكول الذى قال « هل نطمئن عدوا قصير النظر » .

وأضـاف كومر « بشكل اجمالى ، نحن نفهم لماذا تزيد مخاوف اسـرائيل التى تعيش تحت السلاح ، بشأن مستقبلها عن واشنطن . ولكن فى امكان اسـرائيل الاعتماد عليهـا . وكل ما نطلبـه من مقابل هى ان تعترف اسرائيل بمصـالحنا العربية ، هدفنا المشترك إبقاء السـوفييت خـارج الشـرق الاوسط » .

وبالطبع فان اسرائيل مستعدة للعمل باى صورة للحصول على مزيد من الاسلحة الامريكية ولكن لا يمكنها مطلقا « الاعتماد » على أمريكا لحماية مستقبلها . وأشار تعليق كومر للرسالة الاساسية لقمة يونيه ، وهى رسالة رددت التأكيد التى اعطاها جون كينـدى بشكل خاص لجـولدا مائير قبل عامين: فالولايات المتحدة يمكنها ان تصبح المورد الرئيسى للاسلحة لاسرائيل مادامت اسرائيل لا تنتج أسلحة نووية . وهذا الاقتراح الذى لم يتم العثور عليه فى أى وثائق معلنة فى مكتبة جونسون هو الذى تحكم فى قمة يونيه . وأصبح عرض البيت الابيض معروفا سريعـا لديفيد بن جوريون وارنست ديفيد بيرجمان الذى

اعتبر مثل هذا الالتزام من جانب حكومة اشكول - كما يقول مسئول اسرائيلى سابق - « أمرا يعرض أمن اسرائيل للخطر » .

ولم تصل مناشدات جونسون بشأن التفتيش الدولى واقتسام المعلومات مع العرب لشيء ولكن وعده باستمرار الدعم بالاسلحة أصبح عاملا فيما أصبح مع خريف ١٩٦٤ قضية استراتيجية رئيسية لدولة اسرآئيل : حين تبدأ الانتاج الضخم للترسانة النووية . ولم يكن اشكول رجل سلام باى حال من الاحوال ، فلم يكن لديه على سبيل المثال اى تردد تجاه استمرار برامج الاسلحة الكيماوية والبيولوجية الاسرائيلية القائمة ويتذكر احد معاونيه السابقين بفخر « من المحتمل انه يبدو لك الان معتدلا ولكن كان مثل جميع زعمائنا فى ذلك الوقت ، وغدا براجماتيا فهو رجل نشأ فى جيل شهد المحرقة الجماعية والشيوعيون فى روسيا والعرب جميعا يريدون تدمير اليهود » .

وكانت شكوك اشكول تجاه ديمونه عملية فقط : فديمونه كانت تتكلف ٥٠٠ مليون دولار سنويا بما يزيد على ١٠ فى المائة من الميزانية العسكرية الاسرائيلية ، وكان ما يهمه المال الذى لا ينفق على أى شيء آخر ، فكان اشكول يقول « لا أملك المال لها . فكم طفلا سيصبح بلا حذاء ؟ وكم طالبا لن يذهب الى الجامعة ؟ ولا يوجد أى تهديد . فلن يصبح أى من جيراننا قوة نووية . فلما يجب نحن ان نكون » .

وأدى سؤال اشكول الى سلسلة من الموتمرات السرية للغاية على أعلى مستوى حول القنبلة في أواخر سنة ١٩٦٤ واوائل سنة ١٩٦٥ فى مدراشا منتجع الموساد خارج تل ابيب . وحضر الاجتماعات كبار المسئولين فى الاحزاب السياسية الرئيسية والعديد من خبراء الدفاع ويتذكر أحد المشاركين « لم تكن القضية ما اذا كنا سنصبح دولة نووية أم لا ولكن متى » .

وقد أقنع مؤيدو ديمونه غالبية اعضاء القيادة بان الاسلحة النووية وحدها ستوفر عامل ردع نهائيا وكاملا للتهديد العربى والاسلحة النووية وحدها يمكنها اقناع العرب - الذى يدعمهم الدعم الاقتصادى والعسكرى السوفييتى المتزايد - بانه يتعين عليهم شجب جميع خطط الفتح العسكرى لاسرائيل والموافقة على تسوية سلمية ومن خلال الترسانة النووية لن يحدث مذابح ذاتية أخرى فى التاريخ الاسرائيلى وذلك فى اشارة الى قرار اكثر من تسعمائة من المدافعين

اليهود ، المعروفين بالمتحمسين بالانتحـار فى عام ٧٣ بعد الميلاد بدلا من الاعتراف بالهزيمة على أيدى الرومان .

وأكد مؤيدو السلاح النووى ان « الخيار شمشون » سيكون فى موضعه ، وشمشون كما ذكرت التوراه وقع فى ايدى الفلسطينيين بعـد معركة دموية وتم عرضه بعد فقأ عينيه لتسلية العامة فى معبـد داجون بقطـاع غزة ، وطلب من الرب ان يعيد اليه قوته للمرة الاخيرة وصرخ « على وعلى أعدائى الفلسطينيين » وبهذه الصرخة أزاح اعمدة المعبد مما أدى لانهياره وقتل نفسه وقتل اعداءه . وبالنسبة لمؤيدى السلاح النووى فى اسرائيل فان « الخيار شمشون » أصبح وسيلة أخرى لأن يعلنوا «ان ذلك لن يحدث مرة أخرى » .

وتخطت الحجة أثرها على استعداد الجيش فقد كانت تلك سنوات النمو الاقتصادى والتوسع التجارى الضخم داخل اسرائيل ، وظلت ديمونة تمتص العمالة ذات المهارة الفائقة ، من وجة نظر العـديد من المديرين الصناعيين الذين شكوا للحكومة باستمرار من هذا الامر دون جـدوى . ولم يكن هناك على سبيل المثـال صناعة كمبيوترفى اسرائيـل حتى أواخـر الستينيات على الرغم من ان مسئولى المخـابرات الاسرائيلية وضـعوا اسرائيل لسنوات كرواد على المستوى الدولى مع اليابان والولايات المتحدة من حيث القـدرة على تصميم ووضع برامج الكمبيوتر .

ومن المؤكد الى حد بعيد أن التكاليف المادة والاجتماعية بعيدة المدى كانت مصدر قلق « اسحق رابين » الرئيس لهيئة أركان الجيش و «ايجال ألون» أحد المستشارين المقربين لأشكول وقائد قوات بالماتش غير النظامية السابق قبل حرب الاستقلال عام ١٩٤٩ ، أما الأمر الثانى الأقل الزاما للعسكريين فتعلق بالحجة الأخلاقية ضد القنبلة التى أثارها بعض اليساريين والأكاديميين وترى أن أبناء الشعب اليهودى كضحايا للمحرقة الجماعية لديه التزام لمنع تحول الصراع العربى الاسرائيلى الى حرب دمار شامل . ولم يقلل أصحاب هذا الرأى من خطر سباق الاسلحة التقليدية ، ولكنهم كما كتب سيمحا فلابان المتحدث المتحمس باسمهم « المزايا النوعية لاسرائيل - سواء التنظيم والتماسك الاجتماعى والتعليم والقدرات التكنولوجية أو الذكاء والحس الاخلاقى يمكن استغلالها كخطط فى حرب تقليدية يخوضها الرجال .

وبدا أحد الأسباب تعقيد المناقشة متمثلا فى الصحافة العربية والإسرائيلية التى نشرت بانتظام انباء مبالغا فيها عن أسلحة الدمار الشامل لكل طرف . ففى إسرائيل نشرت تقارير تنذر بالخطر عن الدعمين الصينى والسوفييتى لانتاج قنبلة نووية مصرية . وفى المقابل ألمحت مصر علنا إنها تلقت إلتزاما سوفيتيا بمساعدتها فى حالة التعرض لهجوم نووى إسرائيلى وحذر الرئيس حمال عبد الناصر فى حديث من أن « الحرب الوقائية » هى الرد الوحيد على إسرائيل المسلحة نوويا . لقد كانت فترة كتب عنها سميحا فلابان فيما بعد ، حوصرت خلالها مصر وإسرائيل فى دائرة شريرة من التوتر والشك وكانتا تفعلان كل شىء ممكن لنبوءة محققة » .

وتفهم المسئولون فى القمة فى اسرائيل الفارق بين المفاهيم المعلنة والحقائق السرية . فقبل مؤتمر مدراشا على سبيل المثال اعد بنيامين بلوميرج تحليلا يقدر ان العالم العربى لن يتمكن من انتاج سلاح نووى متقدم قبل ٢٥ عاما ، حتى عام ١٩٩٠ . ، كان التقرير مهما لاشكول الذى كان يدرس مع انعقاد المؤتمر ثلاثة خيارات ، هى اعطاء اشارات البدء فى انتاج القنبلة وتخزينها أو البديل النووى مع تصنيع المكونات والاجزاء دون تجميعها أو القيام بمزيد من الابحاث ويذكر مسئول اسرائيلى « لقد قال نحن لسنا فى عجلة فسوف يستغرق الامر من العرب ٢٥ عاما » « واختار اشكول الاستمرار فى الابحاث واستخدام هذا الوقت الاضافى فى التقدم مرحلة - لتخطى مرحلة سلاح البلوتونيوم الخام الذى فجرته الولايات المتحدة فى ناجازاكى الى تصميمات لرءوس أكثر فعالية ، كانت هناك حجة ملزمة أخرى مع قضية المال من أجل حد العمل فى ديمونة على الأبحاث فلم تكن اسرائيل قد امتلكت بعد طائرات أو صواريخ بعيدة المدى قادرة على توجيه القنبلة بدقة لأهداف داخل الاتحاد السوفييتى الذى ظل دائما الهدف النووى للرئيس الاسرائيلى فقد اعتقد القادة الاسرائيليون ان العرب لن يجرؤا على شن حرب ضد اسرائيل بدون المساندة السوفييتية .

واستغل ليفى اشكول قرار مدراشا في استثمار استراتيجى فقد ابلغ واشنطن بأنه سيرجىء اتخاذ قرار بشأن الترسانة النووية مقابل التزام بامداد اسرائيل بأسلحة هجومية توازى نوعية الاسلحة التى يمد بها الاتحاد السوفييتى مصر وكان هذا اكثر مما يكفى لجونسون الذى بدأ يعقد الاهتمام

بمرور كل عام فى شن الحرب السياسية على اسرائيل بسبب القنبلة وكافأ الرئيس اشكول على عدم التأجيل باصدار الاوامر عام ١٩٦٦ ببيع ٤٨ مقاتلة تكتيكية متقدمة من طراز ايه - ٤ أى سكاى هوك قادرة على حمل حمولة ثمانية آلاف رطل لاسرائيل . وقد حققت الادلة الالتزامات الاقتصادية والعسكرية فى الشرق الاوسط من رفض جونسون مطالبة الاسرائيليين بالمزيد فيما يتعلق بالقضية النووية . فقد تحركت موسكو لتشجيع الاشتراكية والوحدة العربية . وبالنسبة لجونسون فان هذا يعنى ان الحرب الباردة تتحرك الى العالم العربى واسرائيل تقوم بدور الوكيل لامريكا .

واثار قرارأشكول بتأجيل القضية النووية ثائرة بن جوريون الذى مازال يستشعر الندم والالم لاسلوب تناول حزب الماباى لفضيحة لافون . وفى النهاية سيقارن بن جوريون علنا اشكول بنيفيل تشامبرلين رئيس الوزراء البريطانى الذى حاول كسب ود أدولف هتلر قبل الحرب العالمية الثانية وفى يونيه سنة ١٩٦٥ تحدث ن جوريون بقتامة عن قيام اشكول « بتعريض أمن البلاد للخطر » واستقال بشكل مسرحى من حزب الماباى وشكل حزبا جديدا عرف باسم رافى « وهو لفظ يعنى قائمة عمال اسرائيل » . وانضم اليه بيريز المتردد الذى أصبح وسيط سلطة رافى وديان القلق الذى استقال مؤخرا من منصبه كوزير للزراعة وتركز امل بن جوريون فى ان يتمكن حزب رافى من الحصول على ٢٥ مقعدا فى الكنيست المكون من ١٢٠ مقعدا ويبرز كقوة كبيرة فى السياسة الاسرائيلية .

وغير بن جوريون ورفاقه الى الابد التركيبة السياسية لاسرائيل . فسوف يصبح رافى الآن حزبا معارضا ويلعب دورا انتمى بشكل تقليدى للجماعات اليمينية . وتركز السبب الفورى لانشقاق بن جوريون عن حزب الماباى فى استمرار غضبه تجاه لافون ولكن حزب رافى تحت قيادة بيريز اتخذ موقفا اكثر عداء فيما يتعلق بقضايا الدفاع وبخاصة الاسلحة النووية . وكان ارنست بيرجمان عضوا مؤسسا اخر فى « رافى » ومرة أخرى استولى على اذان بن جوريون ويذكر شخصية اسرائيلية « أن بن جوريون كان يردد أراء بيرجمان طوال الوقت » حول مخاطر عدم المبادرة بانتاج ترسانة نووية ، وبرزت القضية كمسألة سيطرت على انتخابات عام ١٩٦٥ على الرغم من انه تم تناولها بلغة

شفرية . فقد امتلأت الصحف الاسرائيلية بانتقادات بيريز وبن جوريون لما اشاروا له بالعبرية لما يعنى « الموضوع الحساس » أو « مرثية الاجيال » . كما انتقد زعماء « رافى » باستمرار ما وصفوه بتعبير مخفف « خطأ اشكول الفادح » وهى لغة يفهمها الكثيرون داخل اسرائيل انها تشير الى تردد اشكول تجاه فتح خط تجميع الاسلحة النووية فى ديمونة ، ولم ينقل أى من هذه الامور صحفى امريكى أو أى صحفى آخر ويبدو ان الصحفيين الاجانب فى اسرائيل لم يفهموا الامر الذى يدور حوله النقاش حقا . كما لم تكشف ذلك المخابرات الامريكية ، وكانت تلك انتخابات بغيضة تميزت بالاهانات والاتهامات من جميع الاحزاب واشار محام بارز على صلة وثيقة بجولدا مائير الى بن جوريون بوصفه « جبانا » وحزب رافى « كجماعة نازية جديدة » . وفهم كثير من الاسرائيليين بشكل لم يكن فى وسع أى اجنبى ان يفهمه ، ان الجدل ليس حول سياسة الدفاع أو القنبلة ولكن حول ايمان بن جوريون الثابت بان اسرائيل يمكنها البقاء فقط بالاعتماد على الدولة وليس الروح التطوعية التقليدية للحركة الصهيونية ومن وجهة نظر بن جوريون فان الكيبوتزات وحزب الماباى والهاجاناة من ايام حرب ١٩٤٨ الذين كانوا جميعا من متطوعين يؤمنون بالقضية يجب ان يفسحوا الطريق للمؤسسات العالمية والتعليم العام العالمى والتصعيد على اساس المناقشة وليس الانتساب الحزبى . والتحمت العديد من جوانب هذا الجدل ، على الاقل بالنسبة لمنتقديه ، فى تأييد بن جوريون الذى لا يتزعزع للترسانة النووية . واعتبر معارضوه فى انتخابات ١٩٦٥ ان ديمونة ليست أكثر من تجمع للعلماء والبيروقراطيين المتنافسين بدون انتماء ايديولوجى خلقوا سلاحا قويا بعيدا عن الموافقة والرقابة العامة ، وكانت الانتخابات بالنسبة للكثيرين على الاصح خط الدفاع الاخير فى الصراع بين اسرائيل مستمرة فى الاعتماد على الروح المخلصة للمتطوعين واسرائيل معتمدة على استخدام العلم والمعرفة الايجابية والدولة .

وأصيب بن جوريون وحزبه رافى باحباط مرير من الانتخابات بعد ان حصلوا على سبعة مقاعد فى الكنيست وهو ما لم يكن يكفى لتمتع بن جوريون بقاعدة نفوذ ، وظهرت الانتخابات كاستفتاء قاس على حلمه بالعودة الى السلطة وانتهاء دوره فى الحياة العامة فى اسرائيل .

كما فسر ليفى اشكول الانتخابات بانها استفتاء على اسلوب تناوله للمسألة النووية : فديمونة ستظل عملية فى مرحلة الاستعداد . وبدا أن البلاد رفضت اسلوب « امكانيـة الانتـاج » الفعـال الكافى لـ « بن جوريون وبيريز وديان » لصالح الديمقراطية الاشتراكية والروح التطوعية لجناح مائير - اشكول فى حزب الماباى . وكانت هذه هزيمة لـ « بن جوريون » وأنصاره .

وفى ربيع ١٩٦٦ لم يعد ارنست ديفيد بيرجمان ليتحمل المزيد وقدم استقالته تحت ضغط من منصبه كمدير للجنة الطاقة الذرية الاسرائيلية التى لم تكن تضم أى اعضاء ومن منصبيه الرفيعين كمسئول عن الدفاع - واعتبر الكثيرون فى حكومة اشكول ان هذه الاستقالة تأخرت كثيرا ، وبدا هذا واضحا فقد شعر بيرجمان بالغضب والألم حين حضر مسئول من وزارة الدفاع الى منزله فى غضون ساعة من استقالته ليستعيد سيارته الحكومية . وتحرك أشكول سريعا ليجعل منصب بيرجمان أقل استقلالية وانتقلت المسئولية الديمقراطية للجنة الطاقة الذرية من وزارة الدفاع الى الفريق المعاون لرئيس الوزراء شخصيا واصبح أشكول نفسه رئيسا للجنة موسعة اعطيت روحا جديدة وستأخذ اعلى سلطة اسرائيلية من الآن فصاعدا القرارات الخاصة بمستقبل الاسلحة النووية فى اسرائيل . وتراجع بيرجمان المستاء مع مساعده لويس شتراوس الى معهد العلوم المتقدمة فى جامعة برينستون ولكن ليس قبل الادلاء بحديث الى صحيفة معاريف الاسرائيلية واسعة الانتشار وتقدم رواية نيويورك تايمز عن هذا الحديث مثالا كلاسيكيا للحديث المزدوج العلنى والفكر المزدوج الذى احاط بالقضية النووية فى اسرائيل والصحافة الامريكية حيث قالت « ان العالم بيرجمان يلمح الى ان أشكول أقل تعاطفا مع التخطيط العلمى بعيد المدى من رئيس الوزراء السابق ديفيد بن جوريون الذى كان البروفيسور بيرجمان على صلة وثيقة به وتحدث عن افتقاد الاعتمادات للابحاث وخطر الاعتماد على المصادر الاجنبية » .

ومع ذلك انتقلت مسألة الاسلحة النووية حتى اذا اعتبرت « تخطيط علمى بعيد المدى » لتناقشه فى العلن داخل اسرائيل ، وفى الولايات المتحدة حيث اصبحت السياسة الخارجية سريعا مهمومة بحرب فيتنام فإن البديل النووى الاسرائيلى استمر قضية خاصة بالاعضاء الكبار المطلعين فى الحكومة الذين لم يكونوا يتحدثون .

١١
ممارسة اللعبة

عكست البيروقراطية النفاق والازدواجية فى قمة الحكومة الأمريكية تجاه تحول إسرائيل حتميا فى النهاية للتسلح النووى . ففى منتصف الستينات تحددت خطوط اللعبة : فالرئيس « جونسون » ومستشاروه يدعون أن عمليات التفتيش الأمريكية دليل على أن إسرائيل لا تنتج القنبلة وتترك التأييد الأمريكى ليمنع الانتشار النووى دون أى إعاقة بعد إعادة التأكيد عليه مؤخرا .

وأدرك الرجال والنساء الذين يحللون معلومات المخابرات ويرفعونها لعلية القوم ، كما علم ارثر لونداهل ودينو برجيونى فى وقت سابق أنهم لن يكسبوا كثيرا إذا نقلوا المعلومات التى لا يريد أهل القمة أن يعرفوها . ومع ذلك كانت المعلومات متوافرة .

فقد كانت هناك الكثير من المعلومات المعروفة عن صواريخ جيريتشو الإسرائيلية التى قامت شركة داسو بتجميعها سريعا . ويقول محلل فنى على المستوى الأوسط فى الـ « سى أى إيه » : (لقد كان يربطنا خط مباشر مع الله. وكان لدينا كل شئ . ليس فقط من الفرنسيين ولكن من الإسرائيليين أيضا . وسرقنا بعض المعلومات وكان لدينا جواسيس . وتمكنت من وضع نموذج للنظام وقمت حتى بتصميم ثلاث رؤوس حربية له . نووية وكيماوية وشديدة الإنفجار . كلعبة . وكنا نتنبأ بما يمكنهم القيام به) . وقال مسئول الـ « سى أى إيه » السابق إن ما كان فى وسع إسرائيل أن تقوم به كان إطلاق وتفجير رأس نووى بنجاح . وظهرت المشكلة فى نقل المعلومات ويضيف (لم اتمكن مطلقا من نشر أى شئ رسميا) من جانب الـ « سى أى إيه » لتوزيعه على الحكومة) ولكن لم يتحدث أى شخص عن الأمر) وذكر المسئول أنه قرر أن يسلم نسخة من تقرير المخابرات لمسئولين كبار فى البنتاجون ووزارة الخارجية رغم أن هذا يعرضه لفقدان وظيفته . (وأذكر أنه

لدى اطلاع ادميرال بوكالة مخابرات الدفاع لم يكن مستعدا لتصديق الأمر وقد نجحت فى إقناعه ولكنه تقاعد ولم يهتم أى شخص آخر) .

وحتى جيمس جيسوس انجلتون مدير التخابر المضاد فى الـ « سى أى إيه » الذى كان مسئولا أيضا عن العلاقة مع إسرائيل واجه مشكلاته حين وصل الأمر إلى القنبلة الإسرائيلية . ويبدأ انجلتون المتقلب فى شكل اسطورى يثير الخوف بإصراره على السرية وهلعه من الاختراق السوفييتى للوكالة . وكان استاذا فى القنوات الخلفية والتقارير « التى تقرأ فقط » وأدى عجزه المتزايد عن التعامل مع العالم الحقيقى فى النهاية إلى اقالته فى أواخر عام ١٩٧٤ ولكن اخطاءه الواضحة فى التخابر المضاد لم تمتد على ما يبدو إلى إسرائيل . واعترف مسئولو المخابرات السابقون الذين لم يدخروا جهدا فى احاديثهم السابقة معى فى انتقاد وسائل انجلتون الشاذة فى التخابر المضاد ، بأنه تعرف بصورة صحيحة فى تعامله مع إسرائيل . وعمل انجلتون على نحو وثيق مع أعضاء المقاومة اليهودية فى إيطاليا أثناء خدمته مع مكتب الخدمات الاستراتيجية فى نهاية الحرب العالمية الثانية وكانت هذه مرحلة مثيرة حين تم نقل الآلاف من اللاجئين اليهود الناجين من معسكرات الاعتقال من أوربا إلى فلسطين التى كانت خاضعة حينئذ للسيطرة البريطانية .

وكان أحد أقرب الزملاء لانجلتون مائير (ميمر) ديشاليت زعيم المقاومة ومسئول المخابرات الإسرائيلى الذى عين فى واشنطن فى عام ١٩٤٨ . وكان ديشاليت الأخ الأكبر لاموس ديشاليت الكيميائى الذى فعل الكثير لتطوير الترسانة النووية الإسرائيلية قبل وفاته بالسرطان فى عام ١٩٦٩ . وشارك انجلتون مائير ديشاليت اراءه عن التهديد السوفييتى والعربى لإسرائيل ، وجعلته اتصالاته الشخصية ومشاعره القوية اختيارا منطقيا لتولى مسئولية العلاقة بين الـ « سى أى أيه » والحكومة الإسرائيلية وهى واحدة من أهم مسـئولياته فى الخمسينات وأوائل السـتينات فى ذروة الحـرب الباردة بسـبب استمرار تدفق اللاجئين من الاتحاد السـوفييتى واوربا الشـرقية على اسرائيل . وادار انجلتون ونظراؤه الإسرائيليون (خطوط الفئران) كما عرفت عملية الاتصال باللاجئين اليهود ويدرك الكثيرون فى الـ « سى أى أيه » أن عمليـات اللاجئين اليهود هى التى قدمت للغـرب فى السنوات الأولى بعد الحـرب بأهم الرؤى الداخـلية عن الكتلة السـوفييتية . ومولت

اعتمـــادات الطـــوارئ في الـ « سي أي أيه » بعض البرامج سرا كجزء من « جبل كي كي » .

ومع ذلك لم يمنع حب انجلتون لإسرائيل وأراؤه عن العرب والقضية السوفييتية من أن يحقق كمسئول عن التخابر المضاد مع أي يهودي إسرائيلي أو أمريكي يشك في أنه ينقل معلومات سرية . وكانت التكنولوجيا النووية إحدى علامات الاستفهام الكبيرة . فقد علمت الـ « سي أي أيه » من تحليلاتها للغبار الناجم عن الاختبارات النووية الفرنسية في الصحراء أن الرءوس المتطورة الفرنسية بشكل متزايد صغيرة الحجم مصممة على أساس تصميم أمريكي . ويذكر مسئول سابق في المخابرات النووية الأمريكية أنه وزملاءه (أصيبوا بالجنون) نتيجة الشك في أن تكون المساهمات الفرنسية في « ديمونه » قد تضمنت الاطلاع على معلومات التصميم المختلة من المعامل النووية في لوس ألاموس وليفرمور بولاية كاليفورنيا .

ولم يعثر على دليل وجود صلة ولكن محققي المخابرات أصيبوا بالدهشة حين اكتشفوا في نهاية التحقيق «كيوس» مخبأ للملفات الشخصية لانجلتون مؤمن بشريط أسود كشف ما كانت دراسة طويلة ، وما يثير شكوكا كبيرة ، عن اليهود الأمريكيين في الحكومة ، وأوضحت الملفات أن انجلتون أقام ما يصل إلى حد خلية من الموقع واليهود من كبار المسئولين في الـ « سي أي، أيه » وأماكن أخرى للذين أطلعوا على معلومات سرية ذات فائدة لإسرائيل . وحقق شخص ما يشغل منصبا حساسا وكان نشطا للغاية في الشئون اليهودية في حياته الشخصية - ومن المحتمل أن بعض عائلته كانوا صهاينة - انجازا كبيرا فيما وصل إلى قائمة يهودية .

ويتذكر محقق حكومي أثناء حديثه عن ملفات انجلتون في حديث صحفي عام ١٩٩١ دهشته لدى اكتشافه أنه حتى التوجه لمعبد كان أساسا لإثارة الشكوك ويضيف المحقق بتهكم (لقد تذكرت التعديل الأول للدستور وأنت تعلم أنه ينص على حرية الدين) وأشارت جداول انجلتون إلى أنه في وقت ما أن أي شخص تحوم حوله الشكوك التي تعتبر كبيرة على النطاق اليهودي يخضع لتحقيق شامل . ويتساءل المحقق (هل كان هناك فحص لخلفيته فقط أو كانت هناك عمليات مراقبة اليكترونية وبشرية ، لا أعلم ولكنني غضبت ولكن في الوقت

نفسه اعتبرت ذلك غير منطقى لأن الكثيرين من اليهود كانوا يساعدون إسرائيل). وفى النهاية لم تتم مزيد من التحقيقات لملفات انجلتون أو حتى انتبهت إليها لجان المخابرات فى مجلس الشيوخ والنواب (وقررنا أن نفعل أى شئ بها).

وأخضع انجلتون ساموبل هلبورن اليهودى الذى عمل لسنوات مساعدا تنفيذيا لمدير الخدمات السرية فى الـ « سى أى أيه » لتحقيق مستمر . وتمتع هلبورن من خلال منصبه الذى يعد الأعلى من نوعه الذى يصل إليه يهودى فى مجال العمليات السرية بفرصة الاطلاع على اسم وتاريخ كل اجنبى تجنده الـ « سى أى أيه » . وكان والده هانوتش بولنديا أصبح عضوا نشطا فى الحركة الصهيونية قبل الحرب العالمية الثانية وبعد أن ذهب لفلسطين عمل بشكل وثيق مع « بن جوريون » وموشى شاريت وأخرين بعد تشكيل دولة إسرائيل . ويذكر هليودن ضاحكا (لقد نظر إلى جيم بجدية شديدة حقا ولكنى أبلغته « إننى لن ألطخ مكتبك » فلم يتصل بى الإسرائيليون مطلقا . فلماذا يجب أن يفعلوا ذلك حين أكون جالسا فى الطابق الثالث من مبنى الـ « سى أى أيه » وجيم فى الطابق الثانى ؟).

وفعل انجلتون أكثر من مجرد جمع المعلومات عن اليهود الأمريكيين . فقد كان مسئولا عن طريق برنامج كيوس عن عملية أكثر سرية للـ « سى أى أيه » تتعلق بشراء الوكالة لحركة لجمع القمامة فى نيويورك . كانت للشركة التى عرفت داخل الـ « سى أى أيه » باسم المالك ، عقود لرفع القمامة من العديد من سفارات دول العالم الثالث ومن بينها السفارة الإسرائيلية . وكانت إحدى محطاتها مكاتب بناى بريث المنظمة اليهودية التطوعية القوية فى منطقة وسط المدينة فى واشنطن ذات الأنشطة الممتدة فى أنحاء العالم وسيتم ترتيب القمامة بنظام وتحليلها للعثور على أى معلومات محتملة .

وجعلت اتصالات انجلتون الشخصية الوثيقة بعائلة ديشاريت واخرين فى إسرائيل من الحتمى أن يعلم بالبناء الذى يتم فى النقب ، ويتذكر مسئول كبير أن أول تقرير مخابرات وضعه انجلتون عن إسرائيل فى أواخر الخمسينات ولم يكن بقناة سرية وكان هذا يمكن أن يتوافر لأولئك الراغبين فى المعرفة داخل إدارة العمليات التابعة للـ « سى أى أيه » وهى الوحدة المسئولة عن العمل

السرى . وقال المسئول الكبير (ليس لدى أدنى فكرة عن مصادره . ومن المحتمل أنه لم يبلغ المدير) . وطوال السنوات القليلة التالية استمر انجلتون فى تقديم المعلومات عن « ديمونة » ولكنه لم يعلم أو على الأقل لم يبلغ عن مدى الخداع الذى تمارسه إسرائيل على واشنطن بشأن تقدمها فى مجال الأسلحة النووية .

وبالطبع فإن انجلتون حصل على تقارير فصلية فى أواخر الخمسينات وأوائل الستينات من لونداهل أو برجيونى عن المعلومات التى جمعتها طلعات « يو ٢ » فوق النقب ولكنه لم يظهر اهتماما كبيرا بها . وكان موطن قوته المعلومة البشرية أو « الإنسانية » كما يصفها مجتمع المخابرات ، وليس التخابر الفنى مثل صور « يو ٢ » ويذكر برجيونى : (لقد كان شخصا غريبا حقا . فقد التقى معه وأطلعه على المعلومات يسأل أسئلة قليلة وتتركه وأنت لا تعلم مطلقا بماذا يفكر . واحيانا يقوم بإطفاء أنوار مكتبه تماما ويضئ شمعة فقط لقد كان شبحا حقيقيا) .

ورغم غرابته وحريته فى العمل فإن القنبلة الإسرائيلية وضعت انجلتون فى وضع حرج . فتقاريره عن « ديمونة » التى دعمتها معلومات « يو ٢ » لم تسفر عن أى تقدير رسمى من الـ « سى أى أيه » بأن إسرائيل ستصبح قوة نووية . وكانت هذه التقديرات الرسمية التى توزع على الرئيس وكبار المسئولين الحكوميين الآخرين ، مسئولية المحللين فى مكتب التقديرات القومية فى الـ « سى أى أيه » ويتذكر مسئول سابق فى المخابرات (أن جيم ظل يقول « نعم لقد حصلوا عليها » فى حين يقول المحلل « لا أعتقد ذلك ») ولم يعتقد المحللون مطلقا فى أن مصادر انجلتون البشرية موثوق بها وقد كانت الظنون المختلفة تجاه مصادر المخابرات البشرية اسلوب حياة فى الـ « سى أى أيه » . وفى عام ١٩٦٥ يقول المسئول إنه تدفقت كمية مكثفة من التقارير من مصادر بشرية عن ديمونه واثيرت المسألة النووية مرة أخرى مع كبار المحللين « وابلغونى إنه حتى اذا امتلكت إسرائيل القنبلة فانها لن تستخدمها مطلقا .» .

وأصيب مسئول المخابرات الذى يتذكر القضية فى أحد الاحاديث ، بالغضب مرة أخرى تجاه المحللين « لقد كانوا أغبياء . وكان يتعين عليك ان تصنع القنبلة تحت أنوفهم قبل ان يصدقوا وجودها . ولم يكن لديهم أى فهم لإسرائيل لقد كانوا أغبياء للغاية »

و عدد التحليلات فى مسألة القنبلة الإسرائيلية . التى اصدرها فى أوائل الستينات مكتب التقديرات القومية غير معروف ولكن المذكرة المتوافرة مذهلة للغاية تجاه السلوك الإسرائيلى . ويرجع تاريخ المذكرة وهى بعنوان « عواقب حصول إسرائيل على قدرة نووية » إلى ٦ مارس سنة ١٩٦٣ وتوافرت بعد نحو عشرين عاما فى مكتبة جون كنيدى بدون أى حرب . واستنتج التقدير القومى ان اسرائيل فور حصولها على قدرة نووية « ستستخدم جميع السبل تحت قيادتها لاقناع الولايات المتحدة بالاذعان بل وتأييد حيازتها .. يمكن توقع استخدام إسرائيل للحجة التى تقول ان حيازتها تمت من اجل المشاركة فى جميع المفاوضات الدولية المتعلقة بالقضايا النوويـة وبنزع السلاح .» . وكان الخطأ المذهل في تحليل «الســى أى ايه » هو احترامه الاساسى : ان إسرائيل ستعلن عن قدرتها النووية أو تجعلها معروفة بشكل رسمى . فالحقيقة كانت العكس تماما فلم تكن لدى إسرائيل نية لان تعلن حيازتها للقنبلة خشية الاعتراض الامريكى واليهودى العالمى الذى سيؤدى إلى شجب دولى وتقلص الدعم المالى لديمونه .

ومضت هذه التحليلات الخاطئة من « الســى أى ايه » فى طريق طويل تجاه ابقاء المسئولين فى القمة فى حالة جهل بما لا يريد أى شخص اخر ان يعلمه . وعارضت علنا إدارة جونسون مثل سابقتها انتشار الاسلحة النووية فى أى مكان فى العالم وإعتراف المسئولين بقنبلة إسرائيلية كان سيطرح امام واشنطن مشكلة غير مرغوب فيها - فاما فرض عقوبات ضد إسرائيل أو ان تتعرض للاتهام بأنها تتعامل بمعيار مزدوج تجاه المسألة النووية .

ولم تكن إسرائيل تعتبر قوة نووية فى ١٨ أكتوبر سنة ١٩٦٥ حين فجرت الصين أول قنبلة نووية بعد طول انتظار وأكد مجددا الرئيس جونسون الذى كان يفصله ثلاثة أسابيع فقط من تحقيق انتصاره الساحق على السناتور بارى جولد ووتر من اريزونا فى معركة الفوز بترشيح الحزب الجمهورى ، أكد مجددا التزامه بمنع الانتشار النووى فى خطاب اذيع على الامة وقال « هذا الاسبوع دخلت اربع قوى فقط هى الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى وبريطانيا العظمى وفرنسا عالم التفجيرات النووية الخطر ، وايا كانت خلافاتها فالأربعة دول جادة ووقورة ذات خبرة طويلة كقوى عظمى فى العالم الحديث . ولكن الصين الشيوعية لا تملك هذه الخبرة .. فجهدها المكلف المتطلب براعة يغرى دولا أخرى بالقيام بنفس الحماقة « وقال الرئيس » ان الانتشار النووى

ضـار بالجنس البشرى بأكمـله .. ويجب ان نواصل العمل ضـده وسوف نفعـــل » .

وقد يكون الرئيس اعتقد في كلماته الحماسية ، ولكن لم يكن الحال كذلك بين جميع مستشاريه . فبعد ستة اسابيع ناقش ماكجورج باندي وروبرت ماكنمارا ووزير الخارجية دين راسك ما اعتبروه سياسة الإدارة الحقيقية فى إجتماع سرى حول منع الانتشار النووى . ومن بين الذين سجلوا ملاحظات مهمة جلين سيبورج رئيس لجنة الطاقة الذرية الذى سجل الجلسة فى مذكراته التى ظهرت عام ١٩٨٧ تحت عنوان : « صعود المد » ولم تحظ باهتمام كبير .

وقال راسك انه يعتقد أن السؤال الاساسى هو ما اذا كان يجب علينا حقا ان نتبنى سياسة لمنع الانتشار النووى تقضى حقا بعدم حيازة أى دولة خلاف الخمس الحالية على اسلحة نووية ، هل نحن واضحون من ان هذا يجب ان يكون هدفا رئيسيا للسياسة الامريكية ؟ فعلى سبيل المثال الا يحتمل ان نرغب فى تبنى موقف يسمح للهند أو اليابان بالقدرة على الرد النووى على التهديد الصينى ؟وذكر راسك امكان وجود مجموعة من دول الاسلحة النووية الاسيوية مشيرا إلى ان القضية الحقيقية هى بين الدول الاسيوية وليس بين الدول الشمالية والاسيويين .

« واعتقد ماكنمارا ان الامر سيحتاج إلى عقود كى تصبح الهند أو اليابان قوة ردع مقبولة ومع ذلك فقد اعتقد ان سؤال راسك يجب اخضاعه للدراسة . وأوضح ان تبنى سياسة لمنع الانتشار النووى من جانب الولايات المتحدة قد يتطلب منا ضمان امن الدول التى تشجب الاسلحة النووية ».

« واعربت شخصيا عن شكى في ضرورة دراسة سياسة التغاضى عن مزيد من الانتشار النووى وقلت إنه فور بدء عملية السماح باستثناءات فاننا سنفقد السيطرة وسيؤدى هذا حتما إلى مشكلة خطيرة ... »

« وحذر باندى من ضرورة التزام الهدوء تجاه مناقشتنا للاسئلة الاساسية عما اذا كان يتعين ان نؤيد السياسة الامريكية لمنع الانتشار النووى . لان كل شىء يتصور ان هذه هى سياستنا . وأى إيماءة للقلة ستكون مصدر قلق شديد فى جميع انحاء العالم ، وأضاف ماكنمارا اننا يجب ان نرقب تسرب المعلومات من الاجتماعات المماثلة . واتفق مع باندى على عدم السماح بتسرب المعلومات عن مناقشة الالتزام بمنع الانتشار النووى .»

وكان جون ماكون مدير المخابرات المركزية الذى يعانى من إحباط متزايد من كبار المسئولين الامريكيين المقاومين لأى حديث يحاول الاقناع بتوسيع النادى النووى وأقر ماكون بمرارة بخسارة جون كنيدى ولم تكن علاقته بليندون جونسون حميمة بنفس القدر ولم تكن نصائحه تقابل دائما بالترحاب وكان حل ماكون للقنبلة الصينية (المشكلات مع فيتنام الشمالية) يتلخص فى إرسال السلاح الجوى . ويذكر والت « لقد اثار ماكون الجحيم » بشأن القنبلة الصينية » وإراد الاذن بأن تطير طائرات يو٢ فوق مناطق الاختبارات ورفض طلبه » . ولم يكن مدير « السى أى ايه » مثبط الهمة وطرح بعد ذلك « فكرة ما سوف يحدث اذا تدخلنا ودمرنا القدرة الصينية ؟ » ويتذكر دانيال ايلزبورج حديثا متشابها فى الدوائر العليا فى البنتاجون « لقد كنا نقول ، فى الواقع اذا كنا قد تمكنا من ايقاف القنبلة الروسية لجنبنا العالم العديد من المشكلات . فحصول السوفييت على القنبلة أمر سيىء للغاية .» واعتقد احدهم استخدام قاذفات بلا علامات لمهاجمة الصينيين وبذلك تجنب تحديد المسئولية . ولكن تحكمت العقول الاهدأ « ويقول ايلزبورج بدت المهمة كبيرة للغاية إلى حد رفضها تماما » .

واستقال ماكون من منصبه كمدير « للسى أى إيه » فى سنة ١٩٦٥ برغم تأييده لاستمرار تصعيد جونسون للموقف فى فيتنام وأوضح لزملائه « حين أفشل فى اقناع الرئيس بقراءة تقاريرى فان الوقت يكون قد حان للذهاب » . وادرك ماكون ان عمليات التفتيش التي يقوم بها فلويد كولر لا تحقق الكثير كما ادرك ماذا يعنى رفض إسرائيل المستمر للسماح بالتفتيش الدولى الكامل . ويقول الدرولكن مدير « السى أى ايه » وجد ان جونسون لا يفهم عواقب قضية التفتيش ولا يريد ان يسمع أى شىء عنها . وفى نهاية فترة خدمة ماكون بدا مقتنعا كما يقول الدر إن ليندون جونسون كرئيس لديه ثلاثة اهتمامات اساسية » دخوله الانتخابات ونجاحه مع الكونجرس وكيفية الخروج من فيتنام » .

وكان هناك اهتمام رابع هو ادراك جونسون ان سياسات منع الانتشار النووى الجيدة أدت إلى سياسات سيئة . فالرئيس لم يكن فى حاجة لان يذكره أى شخص بان أى إجراء جاد للضغط على الإسرائيليين فيما يتعلق ببرنامج اسلحتهم النووية سيؤدى إلى عاصفة حارقة من احتجاجات اليهود الامريكيين الذين ايد الكثير من زعمائهم باستمرار رئاسته وحرب فيتنام كما تلقى تذكرة

أخرى عن الخط السياسى لمنع الانتشار النووى من لجنة خاصة وشكلها بعد اسبوعين من الاختبار الصينى خصيصا لهذا الغرض وعادت اللجنة المتميزة التى يرأسها روسويل جيلبا تريك نائب وزير الدفاع فى عهد كنيدى فى ٢١ يناير سنة ١٩٦٥ فى اليوم التالى لتنصيب جونسون بتقرير يعد اتهاما للسياسة السابقة والحالية . وحذر من ان العالم « يقترب سريعا من نقطة اللاعوده فى فرض السيطرة على انتشار الاسلحة النووية وحث الرئيس على ان يزيد من مجال وكثافة جهودنا اذا اردنا ان نتمتع باى فرصة للنجاح وذلك بصورة عاجلة للغاية » . كما ايد التقرير تشكيل مناطق خالية من السلاح النووى فى أمريكا اللاتينية والشرق الاوسط وافريقيا بما فى ذلك إسرائيل ومصر . واكثر الاشياء اهمية أنه أقترح ضرورة إعادة الرئيس النظر فى ضوء منع الانتشار النووى إلا فى الخطة الامريكية المثيرة للجدل الخاصة باقامة قوة دولية تعطى إعضاء حلف شمال الاطلنطى بما فى ذلك المانيا الغربية حق الاشتراك فى إصدار القرار بشن حرب نووية . وكانت إشارة أى سؤال عن القوة متعددة الجنسيات مصدر حساسية فقد كان الاتحاد السوفييتى يصر على ان أى معاهدة مقترحة لمنع الانتشار النووى يجب ان تمنع وجود قوة نووية اوربية منفصلة لانها لا تعتبر سوى وسيلة لتزويد المانيا الغربية بالقنبلة .

وفى اجتماع عقد فى البيت الابيض مع الرئيس قدم كل من أعضاء اللجنة على حدة قائمة بسلسلة الاولويات المسلحة . تتضمن تشجيع فرنسا على إعادة قوة الردع الخاصة بها لبطارية الصواريخ النووية الخاصة بحلف شمال الاطلنطى مما دفع الرئيس لأن يشير بسخرية ، كما يذكر جلين سيبورج ، إلى ان تطبيق تقرير اللجنة سيكون أمرا مرضيا للغاية وحذر جونسون ومعاونوه فى الاجتماع الذى ضم ماك جورج باندى ودين راسك ، جيلبا تريك وأعضاء لجنته بعدم مناقشة التقرير مع أى شخص أو حتى الاعتراف بأن وثيقة مكتوبة سلمت للبيت الابيض ، مازال تقرير جيلبا تريك سريا للغاية حتى اليوم . وإشار سيبورج الذى حضر الاجتماع فى مذكراته إلى ان راسك حين سأله الرئيس عن رأيه وصف التقرير بأنه « قابل للانفجار مثل القنبلة النووية وان اعلانه قبل أوانه سيجعل العجلة تدور بشكل غير مرغوب - فيما يتعلق بالقوة متعددة الجنسـيات والمفاوضات المستقبلية حول معـاهدة منع الانتشار النووى . ورغم وعد الرئيس باجـراء مزيد من المشـاورات مع جيلباتريك فإن التقرير لم يؤد إلى شىء .

وحدثت الكارثة السياسية من وجهة نظر البيت الابيض فى يونيه حين وضع السيناتور المنتخب حديثا روبرت كنيدى كلمته فى مجلس الشيوخ على اساس توصيات لجنة جيلباتريك التى لم تكن بعد معروفة وتحظى بالتجاهل . وحث كنيدى الذى أثار عادة شقيقه المتوفى ، الرئيس ليعلو على القضايا الفورية ويبدأ فى التعامل مع الانتشار النووى وقال « إن نجاح جهودهم يعتمد على المستقبل الذى سنقدمه لابنائنا . ويجب ان تكون الحاجة لوقف انتشار الاسلحة النووية الاولوية المركزية للسياسة الامريكية » . وطالب كنيدى بالتحديد جونسون بأن يبدأ مفاوضات عالمية من أجل معاهدة شاملة لحظر التجارب وأقترح ضرورة أن تضم هذه المحادثات الصين الشيوعية وأحد حلفاء فيتنام الشمالية وانتقد جونسون بشكل غير مباشر لانغماسه تماما فى فيتنام بقوله نص لا يمكن أن نسمح بمطالب السياسة اليومية بان تعوق جهودنا بحل مشكلات الانتشار النووى . ولا يمكننا حتى إحلال السلام فى الجنوب الشرقى الذى لن يسكت حتى تصبح الاسلحة النووية بعيدة عن متناول اليد » وبالطبع فان جونسون صدم لما أعتبره عن اقتناع تام تسريبا للتقرير من جانب جيلباتريك لكنيدى ورد بالغاء الكلمات الخاصة بمنع الانتشار النووى من خطاب كان مقررا أن يلقيه فى اليوم التالى لخطاب كنيدى . وطوال الاشهر التالية ، يذكر جلين سيبورج ، أنه لم يسمع أى شىء آخر عن تقرير جيلباتريك من البيت الابيض واستمر التعامل مع منع الانتشار النووى لموضوع يلائم فقط مسئولى الحد من التسلح فى وكالة الحد من التسلح ونزع السلاح الذين لم تكن نصيحتهم ، ايا كانت ، ذات ثقل كبير فى البيت الابيض . والتزم الرئيس جونسون الصمت عامين قبل ان يوافق فى محادثات سرية مع السوفييت على الغاء القوة متعددة الجنسيات وتمهيد الطريق لمعاهدة منع الانتشار النووى عام ١٩٦٨ وأعطاء مسئولى الحد من التسلح فى الحكومة نصرا مهما .

وفى منتصف الستينات بدأ الاتحاد السوفييتى يصعد برنامج معونته العسكرى والاقتصادى فى الشرق الاوسط وأعتبر البيت الابيض برئاسة جونسون إسرائيل بشكل متزايد ذات أهمية كبيرة للغاية فى التحرك الامريكى الاقليمى . واصبح من الحتمى ان يبدأ الاهتمام الكبير وعديم الجدوى بالتفتيش الدولى على ديمونه فى التضاؤل فى عام ١٩٦٧ مع بدء وصول طائرات «أيه أى سكاى هوك » إلى إسرائيل ، مع استمرار عمليات التفتيش الروتينية لفلويد كولر ومع تورط أمريكا بدرجة متزايدة فى الحرب فى جنوب شرق أسيا .

ومع ذلك ظهرت مؤشرات معلنة قوية على أن إسرائيل لم توقف التخطيط لانتاج القنبلة ففى منتصف سنة ١٩٦٦ تلكأت الحكومة الإسرائيلية فى قبول معونة أمريكية محتملة قيمتها ٦٠ مليون دولار لبناء محطة نووية لتحلية المياه والطاقة كانت الضرورة ملحة لاقامتها لأن المعونة أرتبطت بالتزام إسرائيلى بالسماح بالتفتيش الدولى على ديمونه وأعلن جونسون واشكول اتفاقا تمهيديا لبناء المحطة فى ١٩٦٤ وسط طنطنة ضخمة ، وأوضحت الدراسات التالية أن المنشأة يمكنها إنتاج مائتى ميجا طن من الطاقة و١٠٠ جالون من الماء المحلى يوميا . وجعل اصرار الامريكيين المستمر على التفتيش الدولى الإسرائيليين يتراجعون بدون أى تفسير واضح عن اتمام المشروع وظل مشروع تحلية المياه يدرس طوال السنوات العشر التالية إلا أنه لم تقبل مطلقا الشروط الامريكية ولم يتم مطلقا بناء المحطة . وحث مؤيدو البديل النووى فى حزب رافى مثل بيريز وبيرجمان إسرائيل على رفض المعونة الامريكية للمحطة واتهموا الولايات المتحدة علنا بمحاولة انتهاك السيادة الاسرائيلية بربط معونتها بالتفتيش الدولى على ديمونه .

وسرا شك بيريز وبيرجمان اللذان ظلا مؤثرين رغم تركهما المنصب فى إن الولايات المتحدة تملك جدول أعمال سريا بدعمها محطة التحلية : وهو تحويل الاعتمادات المالية الإسرائيلية والطاقة البشرية والموارد من ترسانة إسرائيل النووية على امل ان تضطر إسرائيل فى وقت ما إلى الاختيار بين الأسلحة النووية والطاقة النووية .

وجاء فى يوليو سنة ١٩٦٦ خلال مناقشة فى الكنيست حول آخر عمليات التفتيش على ديمونه من جانب فلويد كولر ، التى بدأ مسئولون أمريكيون يقدمون نتائجها التى لا تشير لوجود دليل على تصنيع القنبلة ، لجون فينى فى النيويورك تايمز ولمصر كما أعتقد بعض الإسرائيليين . وفى المناقشة قدم شيمون بيريز تقريرا عن مشاركته مؤخرا فى مؤتمر دولى للأسلحة النووية وقال أنه تمت مناقشة الشرق الأوسط وذكر « وجدت لحسن الحظ أنه لا يوجد امكان للحد من انتشار الأسلحة النووية فى المستقبل القريب ، ليس بسبب إسرائيل ، ولكن ، لأن القوى الكبرى لا تتفق فيما بينها .. ولقد سعدت لدى اكتشافى ان

غالبية الخبراء فى هذا الموضوع لا يعتقدون إنه من الممكن اصدار قرار السلاح النووى من الشرق الاوسط بمعزل عن سباق الاسلحة التقليدية ..» وفى حقيقة الأمر كان بيريز يدافع عن قرار إسرائيل بعدم الخضوع لطلبات واشنطن الخاصة بتفتيش الوكالة الدولية للطاقة الذرية على أساس أن العرب يملكون تفوقا فى الاسلحة التقليدية واستخدمت نفس الحجة الولايات المتحدة والحلفاء قبل عدة سنوات وهى تفوق حلف وارسو فى الدبابات والقوات من أجل تبرير وجود الصواريخ النووية فى أوربا .

وفى أواخر الستينات تحول الجزء الأكبر من التحليل المبدئى للمعلومات النووية من « الســى أى أيه » إلى معامل التصميم والتنفيذ الهندسى الخاصة بالأسلحة النووية فى لوس الاموس وسانديا وبعد ذلك ليفرمور حيث وحدات المخابرات التى شكلت بعد الحرب العالمية الثانية . وأصبح الخطر المتزايد للانتشار النووى واضحا بشدة خلال إدارة كنيدى حين نجحت مجموعة علماء كانت فى إنتظار الموافقة لبدء العمل فى لوس الاموس فى تصميم قنبلة نووية من المعلومات المتوافرة واستمرت أهداف المعامل الاساسية هى المفاعلات ومراكز الأبحاث فى الاتحاد السوفييتى والصين ولكن بدأت وحدات المخابرات فى النهاية مراقبة نقل التكنولوجيا النووية وتلك الدول التى أعتبرت دول أعلى كما أصبحت الدول الموشكة على الوصول للمرحلة النووية تعرف فيما بعد . وقال مسئول شارك بشكل وثيق « لقد حصلنا على معلومات ضخمة » تخطت صور القمر الصناعى والاتصالات التى تم اعتراضها . فقد كان لدينا أشخاص عملوا داخل مفاعلات فى الاتحاد السوفييتى والصين وتمكنا حتى من صنع نماذج هيكلية لانظمة أسلحتهم - بداية من الرأس النووى وحتى المحطة النووية . وكجزء من العمل أمرت بأن الخص حائزى القنبلة وأولئك الذين على وشك حيازتها فى المستقبل القريب ويذكر المسئول أن إسرائيل ظلت دائما فى قمة قائمته تليها جنوب أفريقيا » لقد كنا نراقب العلاقة بين فرنسا وإسرائيل وجنوب أفريقيا وكانت تلك هى العلاقات التى تربط بينها » .

كما تضمنت مهمته مراقبة تدفق خام اليورانيوم لإسرائيل من دول موردة مثل الإرجنتين وجنوب أفريقيا . وهذا الخام المعروف باسم ، الكعكة الصفراء ،

استخدم كوقود خام لمفاعل الماء الثقيل فى ديمونه فى منتصف الستينات ، وكانت هناك منافسة شديدة لأن بيعه عمل مربح لم يكن نقله فى شحنات تبلغ عشرة أطنان تخضع لمراقبة الوكالة الدولية للطاقة الذرية فى فيينا ووصلت الشحنة الاولى المعروفة من الخام من جنوب أفريقيا إلى اسرائيل فى ١٩٦٣ وبما أنها تبلغ عشرة أطنان فلم يتم الابلاغ عنها بشكل بارز . وفى السنوات التالية مع ذلك بدأت شحنات سرية تصل من جنوب أفريقيا إلى ديمونه عادة تحت حراسة وحدة للعمليات الخاصة من قوات الدفاع الإسرائيلية . وكان هدف إسرائيل منع أى شخص من الخارج من أن يعرف ان المفاعل يعمل بضعف أو ثلاثة أضعاف طاقته المعلنة ويستهلك كميات أكبر من خام اليورانيوم ، ولذلك فهو قادر على إعادة معالجة كميات أكثر من البلوتونيوم . وأصبحت بعض هذه الشحنات التالية على الاقل الواردة من جنوب أفريقيا معروفة فى أواخر الستينات لضباط المخابرات فى لوس الاموس وسانديا الذين يراقبون عن كثب ، بالاقمار الصناعية والوسائل الأخرى ، غالبية مناجم اليورانيوم الرئيسية فى العالم . ولكن بعد الانتصار الإسرائيلى الساحق فى حرب الايام الستة ١٩٦٧ أصبحت المعلومات عن ديمونه وإمكاناتها النووية مقسمة إلى إجزاء مستقلة على درجة عالية ، حيث قرر البيت الابيض الوقوف بشكل أكثر صراحة فى صف إسرائيل فى الشرق الأوسط ولذلك أصبح الحصول على معلومات أكثر صعوبة . ويذكر مسئول « أننا علمنا بشحنات الكعكة الصفراء . ولكن لم يسمح لنا بالاحتفاظ بملف عنها . فلم تكن ببساطة جزءا من السجل . وفى كل مرة تبدأ فى متابعتها يقول شخص ما فى النظام « هذا غير مسموح به » .

واستمرت طلعات الطائرة « يو٢ » ولكن لونداهل وبرجيونى نقلا إلى مناصب أخرى فى تفسير الصور ولم يعودا معينين مباشرة فى الشئون النووية الإسرائيلية وبدأت كميات أكبر من المعلومات تجمع بواسطة نظامى القمرين الصناعيين كورونا وجامبيت اللذين بعد التجربة والخطأ بدأ فى منتصف الستينات فى إنتاج صور على درجة عالية من الكفاءة من مداريهما فى الفضاء الخارجى . وأصبحت أى معلومة مهمة عن إسرائيل تذهب إلى ليفرمور ولوس الاموس عبر مكتب العلوم والتكنولوجيا فى «السى أى أيه » الذى يرأسه كارل دوكيت والذى بدأ المركز القومى لتفسير الصور برئاسة لونداهل يرسل له التقارير .

وقد تم تجنيد دوكيت فى الوكالة فى ١٩٦٣ من مقر قيادة الصواريخ التابع للجيش فى ترسانة ردستون فى الباما وتجنيد مدنى فى الجيش فى أنظمة الصواريخ السوفييتية كان يتم استشارته بانتظام فى السنوات السابقة من جانب لونداهل وبرجيونى حول معلومات صور « يو٢ » ولكن لم يكن يبلغ بأى شىء عن المعلومات الخاصة بديمونه وانعكست الآية فور انضمام دوكيت « للسى أى أيه » حيث تمتع القدرة على الاطلاع على المعلومات الاسرائيلية وفى البداية ، يتذكر برجيونى انه عقدت أجتماعات طويلة فى الامسيات ، عادة حول عدد من اكواب الشراب ، يناقش خلالها دوكيت وزملاءه صراحة ما توصلوا إليه طوال اليوم وفى النهاية توقفت هذه الاجتماعات . ويقول ببر جيونى أن دوكيت كان سريع الدراسة « فمع منتصف الستينات أصبح خبيرا بكل شىء » . وأدرك لونداهل وبرجيونى سريعا أن دوكيت لم يعد يشاركهم كل المعلومات عن القنبلة الإسرائيلية – فلم تعد الحاجة تقتضى أطلاعهما على الأمر لقد كانت نهاية عهد .

وقد يكون التعتيم على لونداهل وبرجيونى قد الحق الخسارة الأكبر بدوكيت وزملائه فى مكتب العلوم والتكنولوجيا أكثر مما كانوا يدركون : فهذان الاثنان كانا الذاكرة المؤسسية لمعلومات « يو٢ » عن ديمونه فلم يتم كتابة أى من هذه المعلومات على الورق قبل سنة ١٩٦٠ وقال برجيونى « كان دوكيت يعرف القليل عما حدث من قبل . ولم يسألنى مطلقا ولم أبلغه على الاطلاق . وكان لونداهل يقول دائما « ان هذا أمر حساس للغاية » . وفى السنوات التالية حتى أن أكبر المسئولين فى الحكومة الامريكية يعلمون القليل عن طلعات يو٢ قبل عام سنة ١٩٦٠ فوق ديمونه ، وبدا أن الافتقاد للتاريخ المكتوب يعنى أنه لا يوجد شىء فى الملفات . وكانت تلك هى الحالة الأولى من حالات الانفصال التى ستسيطر على عملية تقدم المعلومات الخاصة بديمونه .

١٢
السفير

بدأ والوورث باربر السفير الأمريكى فى اسرائيل مفروضا على الاسرائيليين وكان دبلوماسيا طويلا خجولاً ثقيل الوزن بدرجة كبيرة شهيته نهمه للطعام ومصاب بانتفاخ حاد فى الرئة يزين حنجرته دائما بالعطر يرتدى حللا بيضاء مائلة الى الصفرة وأحذية ذات اللونين البنى والأبيض ويسير بخطوة متثاقلة . ولم يكن باربر يتحدث العبرية ومع انتهاء فترة وجوده فى اسرائيل لم يتصل كثيرا بأهل البلد ، نادرا ما حضر مناسبات تعليمية أو ثقافية أو إجتماعية . ومع ذلك أحبته القيادة الإسرائيلية وظل كذاك منذ أن عينه جون كنيدى فى ١٩٦١ وظل فى منصبه طوال الاثنى عشر عاما التالية ولم يخدم سوى ثلاثة سفراء أمريكيين فترة أطول من فترة خدمته فى منصب واحد . وتقاعد باربر الذى ظل أعزب طوال حياته فى منزل العائلة فى جولستر بولاية ماساشوسيتس ومعه دراية مكثفة عن قدرة اسرائيل النووية .

ولم يكن استمرار باربر لفترة طويلة سفيرا هو الباب لمعلوماته وكفاءته التى كانت غير عادية ولكن جاء هذا نتيجة إدراكه متى يقبل أو لا يقبل تأكيدا اسرائيليا ذا قيمة ورغبة فى تشغيل السفارة الامريكية كفرع ، اذا اقتضت الضرورة من وزارة الخارجية الاسرائيلية . وعادة ما ذكر السفير مرءوسيه المتسائلين أنه ليس خادما لوزارة الخارجية أو الوزير ولكن رجل الرئيس يتمتع بتفويض شخصى فى سفارة هامة وهى مهمة سنتحى جانبا حين يؤمر بذلك ، ويسمح البيت الأبيض للسفير الاسرائيلى لدى واشنطن بادارة السياسة الحقيقية من خلف ظهره .

وكخريج من أكسيتر وهارفارد فإن باربر كان عادلا وودودا بشكل لا يمكن اخطاؤه نحو مرءوسيه وفى سنواته الست الأولى كسفير حين قدمت بعض أكثر المعلومات دقة عن ديمونه الى واشنطن نادرا ما تدخل فى عمل الذين يعملون فى سفارته ولكن التقارير لم تترك أى أثر واختفت ببساطة فى الربكة

البيروقراطية ولم يفعل باربر أى شىء لابقائها على قيد الحياة وبعد حرب الأيام الستة فى ١٩٦٧ أمر العاملين معهم رغم اعتراض أحد كبار المعاونين، بوقف التقارير عن الأسلحة النووية فى اسرائيل .

وكان عمل باربر فى هذه المرحلة يعرض ليندون جونسون ورجاله للتعرف على الحقائق التى تفرض اتخاذ اجراء والتزم بتعليمات رئيسه وكان الأفضل بين الدبلوماسيين الأمريكيين والأسوأ أيضا .

وظل دور باربر المهم فى تاريخ العلاقات الأمريكية الاسرائيلية ، ومعرفته بالقدرة النووية الاسرائيلية ، خافيا بسبب اصراره على عدم التعرض للأضواء. فقد كان شخصية مجهولة بالفعل للمراسلين الأمريكيين فى اسرائيل ، ونادرا ما التقى بهم على عكس غالبية السفراء ولم يدل بحديث مسجل مطلقا . وورد اسمه ست مرات فقط فى فهرست النيويورك تايمز السنوات من ١٩٦١ حتى ١٩٦٦ وهى فترة الاضطراب السياسى التى برزت فيها الولايات المتحدة كمورد رئيسى للسلاح الاسرائيلى بعد نشاط دبلوماسى مكثف ، وكانت عزلته أسطورية فـ سفارته ، المبنى المكون من خمسة طوابق بالقرب من الشاطىء فى تل أبيب ولم يكن النظام اليومى لباربر يتغير ويضطرب سوى بسبب الأزمات الدولية أو زيارات وزير الخارجية الزائر وكبار مستشارى البيت الأبيض ، فقد كانت السيارة تقله الى جراج السفارة فى التاسعة صباحا حيث يستقل مصعدا الى مكتبه فى الطابق العلوى ويظل هناك حتى الظهر ثم يستقل المصعد الى الجراج ويعود الى منزله ، ويمارس بعد الظهر رياضة الجولف فى بعض الأيام حين يسمح الطقس ثم يسترخى فى حمام السباحة به ويمارس هواية البريدج فى بعض الأمسيات . وحين يستضيف باربر زواره وهو ما كان يحدث فى أحيان نادرة طوال سنوات ، فعادة ما كانوا يضمون اليهود البارزين الزائرين مثل أبى فينبورج وفيكتور روتشيلد من لندن ومثل هذه المناسبات ، كما شرح باربر فى إحدى المرات لويليام دال الذى وصل فى ١٩٦٤ كنائب رئيس إحدى البعثات ، هى وسيلته فى القيام بمهمته المباشرة من جانب ليندون جونسون ، وأضاف باربر : « إننى أنفذ أوامر جونسون الذى قال لى « لا اهتم بأى شىء آخر عما يحدث لاسرائيل ولكن مهمتك أن تبعد عنى اليهود » وكل شىء أفعله يهدف الى أبعاد اليهود عن الرئيس . وان أجعلهم سعداء » وردا على سؤال أحد الوافدين الجدد الى السفارة عن عدم رده على برقيات

وزارة الخارجية قال اننى أعود كل عام الى واشنطن لأرى الرئيس واننى أتلقى أوامرى منه مباشرة وليس من هؤلاء التافهين فى وزارة الخارجية ، كما كان ينزع الى الابتعاد عن استخدام نظام تليفونى جديد أدخلته وزارة الخارجية ويهدف الى حماية المحادثات من التصنت . وقال لأحد معاونيه « اذا كان فى امكانهم أن يتحدثوا اليك من خلال خط تليفونى مأمون فانه يتعين عليك أن تنفذ ما يطلبونه » . وحث مرارا بيل دال على ارسال تقارير السفارة بالبريد وبخاصة اذا كانت المعلومات تتناقض مع المصالح الاسرائيلية لأن « اسرائيل لديها أصدقاء فى جميع أقسام وزارة الخارجية » وسوف تعترض الاتصالات .

ولم يكن هناك أى صلة بين صغار أعضاء السفارة والسفير وكان يمكن أن تمر شهور أو أكثر دون أن يروه ، وخصص الاجتماع الأسبوعى الذى يعقده باربر لفريق العاملين فقط لكبار معاونيه . ويذكر مساعد شخصى أن باربر سأله فى ١٩٦٧ بعد ست سنوات من تعيينه سفيرا عما اذا كان ممكنا أن يصرف شيكا فى السفارة . ويضيف معاونه « فلم يكن قد دخل مطلقا الى الدور الثانى من مبنى السفارة » حيث يوجد مكتب الصراف . ومع ذلك نظر اليه كثير من مرءوسيه برعب ، ويقول جون هادن الذى رأس محطة السراى إيه فى تل أبيب فى منتصف الستينيات « لقد كان أروع رجل تعرفت عليه فى الحكومة فقد كان محترفا حقيقيا ، ولم تكن الصداقة فى الكتب التى بحوزته . والاحترام كالة أفضل . ولم يكترث بالأصدقاء » . ولم يكن أكثر المقربين لباربر من مواطنيه الأمريكيين ولكن من كبار مسئولى الحكومة الاسرائيلية بمن فى ذلك جولدا مائير التى أصبحت رئيسة للوزراء عام ١٩٦٩ والماجور جنرال أهارون ياريف مدير المخابرات العسكرية اعتبارا من ١٩٦٤ حتى ١٩٧٢ .

وبالطبع لم يكن أى مسئول اسرائيلى يتحدث مع أجنبى عن الأسلحة النووية ولكن شاركهم باربر فى النهاية هذا التابو .

ومع ذلك فان رجال باربر هم الذين أبرقوا قبل حرب يونيه ١٩٦٧ بأن اسرائيل أكملت التصميم الأساسى للأسلحة وقادرة على تصنيع رءوس حربية لتركيبها على صواريخ كما يحتمل أن تكون اسرائيل قد امتلكت قنبلة بدائية مصنعة أو قنبلتين جاهزتين للانطلاق ولكن ، وهو ما لم يكن فى وسع السفارة أن تدركه ، لم يكن رئيس الوزراء أشكول قد اتخذ قرارا بالبدء فى الانتاج على نطاق واسـع .

ولم يكن التجسس على ديمونه مسئولية المخابرات المركزية كما هو الحال في غالبية الدول الأجنبية ولكنه ترك لملحقي الجيش والبحرية والسلاح الجوى الأمريكى فى السفارة وتضمنت مهام التجسس الخاصة بالوكالة مراقبة الأنشطة السوفييتية وامداد أى ضابط يريد القيام برحلة فى عطلة نهاية الأسبوع مع عائلته الى النقب بكاميرات خاصة وأفلام وزجاجات نبيذ مجانية . واعترف الضباط الأمريكيون أن القيود التى فرضت فى عام ١٩٦٣ على عمليات السى آى أيه داخل اسرائيل بمثابة رشوة تهدف الى تجنب أى حرج غير مرغوب فيه للحكومة الاسرائيلية التى أصبح يتعين الحد من اختراقها المكثف للحكومة الأمريكية ، ويوضح دبلوماسى أمريكى كبير « لقد قدمنا مساعدة كبيرة لاسرائيل ، فيما يتعلق بامدادهم بالمعلومات الضرورية ولكننا أدركنا أننا اذا لم نفعل فسوف يحصلون عليها بوسيلة أو أخرى . ولم تسفر عمليات التجسس القليلة التى نظمتها الـ « سى آى إيه » قبل ١٩٦٣ عن شيء ويرجع هذا جزئيا الى طبيعة الشبكة الأمنية المتينة فى اسرائيل وأيضا بسبب قدرة اسرائيل على مراقبة أنشطة الأمريكيين المعينين فى اسرائيل . فقد كانت ومازالت اتصالات السفارة الأمريكية جميعا بالمواطنين أو المسئولين الحكوميين الاسرائيليين تصب فى مكتب اتصال خاص فى وزارة الخارجية الاسرائيلية وكان مفهوما أن مسئولى المخابرات والمسئولين العسكريين الأمريكيين الذين يحاولون انتهاك نظام الاتصال سيراقبون عن كثب . وفى ضوء صعوبة القيام بعمل سرى داخل اسرائيل فان عمل رئيس محطة السى اى أية تقلص الى مجرد كتابة عمليات التقييم السياسية والبقاء على اتصال وثيق بنظرائه فى الموساد والمخابرات العسكرية . وظلت اسرائيل - بالفيض المستمر من اللاجئين اليهود من الاتحاد السوفييتى وأوربا الشرقية - أهم دولة من حيث جمع المعلومات عن الاتحاد السوفييتى ولكن تركت هذه المعلومات لجيمس انجلتون ورجاله فى واشنطن . وكان من الصعب أحيانا على وافد جديد مثل جون ماكون المحافظة على هذه الأمور فى مسارها الصحيح .

وكان ماكون مازال متلهفا على أن تثبت وكالته لما كان يدرك أنه حقيقى وهو أن محطة اعادة المعالجة الكيميائية موجودة تحت الأرض فى ديمونة . ويتذكر بيتر جيسوب رئيس محطة الـ « سى آى إيه » فى أوائل الستينيات انه صدرت اليه أوامر قاطعة بالتوجه الى روما فى بداية عهد ماكون حيث من

المقــرر أن يلتقى المدير الذى كــان يقوم بجــولة واسعة يتفقد فيهــا منشآت الـ « سى آى إيه » فى أوربا مع البابا وفى هذا الوقت وقبل اختراع الطائرة النفاثة كانت هذه الرحلة تستغرق ساعات طوالا ولكن لم يكن أمام ماكون سوى فترة قصيرة ويتذكر جيسوب « أنه كان فى عجلة من أمره وأبلغنى أن الرئيس كنيدى يعتقد أن أخطر مشكلة تواجهنا هى انتشار الأسلحة النووية » وأراد ماكون أن تتم الاجابة عن الأسئلة الخاصة باسرائيل وحث رئيس المحطة على أن يقوم « فريقه » بالعمل . وفى هذا الوقت كما يقول جيسوب المذهول كان فريقه فى محطة الـ « سى آى إيه » مكونا من اثنين من المعاونين . وعلى الرغم من الصعوبات واصل الرجال فى السفارة الأمريكية الراغبين مثل غالبية الناس فى أن يتقنوا عملهم بأكبر قدر ممكن من المحاولة وايجاد ما يمكنهم الوصول اليه عن ديمونة . وكان الاقتراب منه متعة وينطوى على قدر من الخطورة . فقد عاقب باربر أحد الضباط بعد أن ألقى القبض عليه الاسرائيليون وبحوزته شبكة لصيد الفراشات خارج سياج الأسلاك الشائكة المحيط بديمونه ، ولكنهم أحيانا ما أضافوا معلومات قيمة ، وكان الكولونيل كارميلو البا الملحق العسكرى للجيش الأمريكى لدى اسرائيل فى منتصف الستينيات ومثل الملحقين الآخرين من الســفارات الغربية أمضى العديد من عطــلات نهــاية الأسبوع بالقيام بجولات فى النقب بكاميرته المــزودة بعدســات تليســكوبية بعيـــدة المدى ، ويتذكر البا « كل ماكنت أفعله هو التقاط الصور » وكان يقوم بذلك مرة واحدة شهريا على الأقل ويشحن الفيلم إلى واشنطن بدون رد فعل - حتى أظهرت إحدى صوره « دليلا على وجود نشاط فى ديمونه وأضاف البا إن الدخان كان يتصاعد منه وفى النهاية اهتمت السى أى أيه بالامر » ودخلت ديمونه مرحلة حرجة وواصلت السفارة مراقبتها . وارسل جون هادن الذى بدأ رحلته كرئيس لمحطة ال « سى أى أيه فى ١٩٦٣ ، إحدى عطلات نهاية الأسبوع إلى بير سبع لرفع أسماء الفرنسيين على صناديق البريد فى المجمعات السكنية فى المدينة ، وكانت محاولة تحديد الذين يقومون بأى عمل فى ديمونه هدفا ثابتا . ولم يتدخل باربر فى عملية التعقب ، فقد حصل ويليام دال بصفته ثانى أكبر دبلوماسى أمريكى على مساحة واسعة فى إدارة الأمور اليومية للسفارة وشجع فريقه على اكتشاف مايمكنهم الوصول إليه . وكان الملحق العلمى فى السفارة فيزيائيا يدعى ويال ويبر تر ويبر الذى

شارك دال اهتمامه بديمونه وعمل ويبر الذى حصل على الدكتوراه فى الفيزياء من جامعة يال بشكل وثيق مع جون هادن فى انتهاك واضح لمرسوم صادر عن وزارة الخارجية يمنع الملحقين العلميين من الاشتراك فى عمل المخابرات . كما اعتمد ويبر على عملية جمع المعلومات التي قام بها ميل البا وشجع كولونيل الجيش على التعاون مع نظيريه البريطاني والكندى فى جمع مزيد من المعلومات .

وكانت هذه عملية تعقب وحصل الرجال فى السفارة على فترة راحة قصيرة فى ١٩٦٦ من مصدر غير مرجح ، يهودى أمريكى يعيش فى اسرائيل ، فقد أبقى دال وبقية العاملين فى السفارة على علاقات طيبة ىكما يفعل الدبلوماسيون الامريكيون فى جميع أنحاء العالم ، مع العديد من المواطنين الامريكيين الذين اختاروا الحياة فى الخارج . وأصبح الامريكيون فى اسرائيل يدعون بشكل روتينى لحفلات ورحلات السفارة بالاضافة إلى تصوير الأفلام الامريكية . وأصبح دال وزوجته بصفة خاصة أصدقاء لدكتور ماكس بن عالم الفارماكولوجى من برينستون الذى ساعد الاسرائيليين فى إنشاء معهد الفارماكولوجي (العقاقير) تحت اشراف الأمم المتحدة . ويتذكر دال فى صباح أحد الأيام جاء ماكس إلى السفارة وقال « لدى قصة اريد أن اورويها لك فقد دخلت إلى ديمونه واطلعت على المنشآت النووية . وأننى مقتنع بأن اسرائيل تنتج رءوسا نووية » ، ويتذكر بحيويه أنه حين تم الاتصال به بعد ذلك رحلته لديمونه وقد أصبح صديقا حميما ومصدر ثقة ارنست بيرجمان لدرجة دعوته لأن يطلع مباشرة على المفاعل . ورغم أنه درس الفيزياء فى « برينستون وجد أن الزيارة مثيرة « ولكن مربكة » فلم أفهم منها الكثير « مع ذلك لم يكن هناك أي قلق تجاه الانتشار النووى ولكن إيمانه بأن الولايات المتحدة لاتساعد اسرائيل فى طريقها الجاد للحصول على القنبلة لقد اعتقدت أنه يتعين علينا أن نفعل شيئا حيال ذلك - وامدادهم بالمساعدة » وتحدث إلى دال ثم وافق على مناقشة ماعمله على مستوى أرقى مع بوب ويبر ورتب دال الاجتماع . وأوضح بن بعد سنوات أن هدفه من إثارة القضية مع دال وويبر لم يكن للابلاغ عن تقدم إسرائيل النووى كما تصور دال على ما يبدو ولكن محاولة نقل رسالة إلى واشنطن عن الانجازات فى ديمونه ويتذكر : هدفى كان أن أرى كيفية قيام الولايات المتحدة بمساعدة اسرائيل . وحاولت أن أفتح طريقا » .

وشعر دال أن لديه مايكفى لابلاغه . وأحضر ويبر وأخرين إلى أكثر غرف السفارة أمانا - وهى غرفة مزودة بطبقة عازلة من الرصاص معروفة باسم « الفقاعة » ووضعت المجموعة تقريرا سريا للغاية إلى واشنطن يلخص معلوماتهم . وكانت رسالته الأساسية كما يتذكر دال ، « أن اسرائيل تستعد لتركيب الرءوس الحربية على الصواريخ حتى يمكنها سريعا تجميعها إلى أسلحة تقوم الطائرات بنقلها » . وكان يتعين أن يوافق السفير المصاب بالرعب على التقرير . ويتذكردال أن « باربر تردد ثم قال « حسنا أعتقد أن الوقت قد حان استمروا فاننى أعتقد أنهم يستحقون ذلك فلترسلوه » وقدم دال التقرير باحساس بالنجاح ويعتقد دال أنه كان أكثر التقارير التي ارسلتها السفارة عن ديمونه دقة . وسأل دال : إذن ماذا حدث ؟ لاشىء على الاطلاق ولم يستجب أى شخص وفى النهاية حل شخص أقل اهتماما بديمونه محل ويبر كملحق علمى واستقال كولونيل البا من منصبه كمساعد لهيئة الاركان المشتركة .

ويقول دال إن مازاد من الاحباط تقديم يهودى أمريكى آخر للمزيد من المعلومات تكشف النوايا الاسرائيلية . فقد كانت السفارة تستضيف مجموعة من مسئولى الحكومة الامريكية في إجتماع اقليمى للملحقين الامريكيين الاقتصاديين والتجاريين ونظم حفل . فى تل أبيب مع المسئولين التجاريين الاسرائيليين وفى اليوم التالى اتصل ايوجين برادرمان مان مساعد نائب وزير الخارجية للشئون التجارية ، بدال وأبلغه أن « احد الاسرائيليين فى الحفل أبلغنى بأن مهمته الأولى كيهودى أمريكى هى مساعدة حكومة الولايات المتحدة فى قبول الأسلحة النووية الاسرائيلية » . ويقول دال « إن برادرمان بدا ثائرا للغاية وقال لى « إننى أمريكى أولا ولست يهوديا أولا» وأوضح لى أن فعل الشىء الصواب بهذه المعلومات ، وعند هذه النقطة ادرك أن رواية برادمان ستصل لطريق مسدود وقال « إننى لم أفعل أى شىء بها . فقد كنت ادرك أنها لن تفيد » .

وكانت هناك قضايا أخرى بالطبع ، فى السفارة . فقد قررت اسرائيل فى أوائل يونيه ١٩٦٧ القيام بعمل وقائى ضد الحشد العربى فى سيناء ودخول الحرب . ووصل التوتر الدائم الذى استمر عاما إلى ذروته قبل أسبوعين بقرار مصرى بمحاصرة ميناء ايلات . وارسل ناصر المتمتع بثقة زائدة قواته لاحتلال شرم الشيخ فى الطرف الجنوبى لشبه جزيرة سيناءلسد

طريق السفن الاسرائيلية إلى مضيق تيران الذى يؤدى من البحر الأحمر إلى خليج العقبة ثم ايلات .

واعتبرت اسرائيل الاجراء المصرى من أعمال الحرب ولكن تحت ضغط من جانب إدارة جونسون بعدم شن الهجوم ترددت حكومة اشكول وتعرض رئيس الوزراء الذى يواجه الرأى العام الراغب فى المبادرة بشن العرب مع الحرب ، لانتقادات شرسة لعدم حسمه للأمر وإخفائه للخبرة العسكرية السياسية وفى ظل التقارير الواردة إلى البيت الأبيض عن وجود مؤامرة للقيام بانقلاب عسكرى ، اضطر اشكول فى أواخر مايو للجوء إلى اعدائه السياسيين بمن فيهم ديان ومناحم بيجين وتشكيل حكومة وحدة وطنية . وبالنسبة لبيجين الذى شغل منصب وزير بلا وزارة فإن هذا التعيين أصبح يعنى دخوله الخدمة فى الحكومة الاسرائيليية للمرة الأولى فى حياته السياسية . وكان تعيين ديان وزيرا للدفاع أمرا أكثر صعوبة على اشكول ففى حقيقة الأمر كانت تعنى اعترافا بأنه غير قادر على قيادة الأمة فى زمن الحرب - فقد حظى ديان بصورته الرومانسية بالاعجاب بين صفوف الشعب وهو مالم يكن يتمتع به أشكول المتردد ووصل إلى منصب وزيرالدفاع مزودا بقوة سياسية ضخمة وزاد من احتمالات هيمنة حزب رافى المتشدد المؤيد للسلاح النووى بزعامة ديفيد بن جوريون مرة أخرى على الشئون العسكرية الاسرائيليية .

وأصبح الجيش بقيادة رئيس الأركان اسحاق رابين مستعدا . وبادرت اسرائيل بالهجوم فى ٥ يونيه وحققت انتصارها المذهل فى ستة أيام واحتلت شبه جزيرة سيناء المصرية وقطاع غزة والضفة الغربية لنهر الأردن ومرتفعات الجولان السورية وأكثر الأمور إثارة تمثل فى تحقيق حلم دام ألفى عام باخضاع مدينة القدس القديمة للسيطرة اليهودية . الا أن إسرائيل وجدت نفسها فجأة تسيطر على مليون فلسطينى آخرين .

وأمضى باربر الجزء الأكبر من الحرب فى غرفة الحرب الاسرائيلية وشارك فى حالة الفرح الشديد التى اجتاحت الأمة وكثيرا من الامريكيين بسبب الانتصار الاسرائيلى المذهل . ولم يكن هناك إدعاء للموضوعية فى تقاريره لواشنطن فآراؤه وآراء القيادة الاسرائيلية بدت متطابقة . وعلى سبيل المثال حث باربر واشنطن على عدم ابراز الهجوم الاسرائيلى بالصواريخ والقنابل علي السفينة الامريكية ليبرتى وهى سفينة تابعة للمخابرات البحرية ، فى اليوم

الثالث للحرب . وكانت ليبرتى ترفع علما امريكى وتراقب حركة الاتصالات فى المياه الدولية للشرق الأوسط قبالة ساحل اسرائيل وحددت كسفينة امريكية قبل الهجوم الذى اسفر عن مقتل ٣٤ وإصابة ١٧١ ، وأثار الحادث الاستياء في جميع أروقة الحكومة الأمريكية ، ومع ذلك لم يكن باربر غاضبا ، وتوضح برقية منشورة فى ملف ليبرتى أنه بعد ساعات من الحادث أبرق بأن اسرائيل لاتعتزم الاعتراف بالحادث وأضاف « أننى أناشدكم بقوة تجنب الدعاية فاقتراب ليبرتى من مسرح العمليات يغذى الشكوك العربية من وجود مؤامرة أمريكية اسرائيلية ... وقد أصيب الاسرائيليون بشكل واضح بالصدمة بسبب الخطأ ويوجهون اعتذارات صادقة » .

وفى نهاية الحرب استدعى باربر بيل دال وأبلغه بتغيير في السياسة فيما يتعلق بجمع المعلومات عن ديمونه . وأصبح يتعين على دال إبلاغ الملحقين العسكريين فى السفارة بعدم تقديم تقارير عن ديمونه وعدم ملاحقة الاسرائيليين باجراء عمليات مع نظرائهم البريطانيين أو الكنديين . وأبلغ باربر دال « أن اسرائيل ستكون حليفتنا الرئيسى ولايمكننا اضعافها بالتعامل مع آخرين » وكانت هناك رسالة ثانية كما يتذكر دال « فقد قال باربر : البترول العربى ليس في نفس أهمية اسرائيل بالنسبة لنا لذلك فإننى سأقف بجانب اسرائيل فى جميع تقاريرى وقد يكون على حق فمنذ هذا التاريخ أصبح وإلى باربر مختلفا تماما » .

واعترض دال على التغيير فى السياسة « وساءت علاقتنا » وبعد ذلك حاول باربر تعديل تقرير جيد عن صلاحية دال وظل مقتنعا بأن خلافهما حول ديمونه قد أضر بحياته العملية (فقد عين سفيرا فى جمهورية وسط أفريقيا فى ١٩٧٣ . ومع ذلك دون دال تقرير معلومات أخر فى السفارة عن ديمونه . ووصل فى خريف ١٩٦٧ هنرى كيسنجر الأستاذ بجامعة هارفارد ومستشار ادارة جونسون بشأن فيتنام والذى سيصبح وزيرا للخارجية فيما بعد ، وصل إلى تل أبيب لإعطاء دروس فى كلية الدفاع الاسرائيلية تستمر أسابيع . وفى نهاية الفصل الدراسى توجه كيسنجر إلى مكتب دال فى السفارة وأعلن حاجته لارسال برقية عاجلة على أعلى قدر من السرية إلى البيت الأبيض ويتذكر دال أنه كتبها كاملة وأعطاها لى لإرسالها وقد كانت تحذيرا عن ديمونه ويتذكر دال بحيوية واستنتاجها النهائى الذى نص على أنه نتيجة « للفصل الدراسى الذى

قضيته هنا ، فأنني مقتنع بأن اسرائيل تقوم بتصنيع رءوس نووية » . ويتذكر بصفاء ذهن تحذير كيسنجر له وقولهى « سوف أعاقبك بشدة إذا تسرب هذا الأمر » .

« وكانت هذه أولى أوامرى من كيسنجر » وبعد مغادرة اسرائيل قدم دال سلسلة من التقارير الروتينية عن ختام فترة الخدمة لوالت روستو مستشار جونسون للأمن القومى وعدد من كبار المسئولين الحكوميين ولم يكن مثيرا كما يقول « ألا يسألنى شخص عن القنبلة الاسرائيلية . » وحاول مرة أخرى فى منصبه التالى فى مجلس التخطيط السياسى بوزارة الخارجية إثارة الأسئلة حول ديمونه ولكنها أسفرت عن نفس النتيجة . ومن بين مهامه الأولى فى المجلس ، الذى يعد مركز التفكير فى الوزارة وضع ورقة عن منع الانتشار النووى وأراد أن يضمنها فصلا عن ديمونه ولكن لم يصرح له بمناقشة القضية مع أعضاء لجنة الطاقة الذرية فى الكونجرس . وحين أحتج أعلن مسئول كبير فى وزارة الخارجية أن القنبلة الاسرائيلية هى أكثر أمور السياسة الخرجية حساسية فى الولايات المتحدة . ولم تشر دراسته النهائية لديمونه .

وباستمرار باربر فى موقعه طويلا اختفت القنبلة الاسرائيلية بعد حرب ١٩٦٧ كقضية بارزة في السفارة الامريكية . وأصبحت ديمونه مكانا مجهولا والقنبلة الاسرائيلية كأن لم تكن . وفي وقت مامن هـذا العام دعت اسرائيل ارنولد كراميش ، الخبير الامريكى في دوائر الوقود النووى لزيارة المفاعل ويتذكر كراميش « ارتكبت خطأ فقد أجريت مكالمة لباربر فلم يكن بوسعنا أن نزور المكان معا لأن ذلك سينطوي على الاعتراف بديمونه « وكان كراميش يزور اسرائيل كزميل فى معهد الدراسات الاستراتيجية فى لندن . وقد قرأ كراميش عن عمليات التفتيش الأمريكية في نيويورك تايمز وأثار حجة واضحة وقال : « أننى حتى لست مسئولا زائرا » ولم يتزحزح السفير وقرر كراميش عدم تحدى نظريته المشكوك فيها « ولم يذهب للمفاعل »

واتبع جوزيف زورهيلين الذى حل محل بيل دال كنائب لرئيس البعثة خط السفير وكان أيضا أقل اهتماما بهذا الموضوع . ويوضح زورهيلين « أن باربر لم يكن على علم كبير بأي شىء فني مثل كلمات على غرار محطة إعادة المعالجة أو نحوها وبالطبع كان يعلم أن شيئا مجنونا يحدث في ديمونه وقد وضع الفرنسيون غمامه على أعيننا كما فعل ذلك الاسرائيليون » إلا أن زورهيلين يضيف : إن وجهة نظر السفارة ترى أن اسرائيل حظيت عن عمد

بقدر كبير من القلق الدولى تجاه سياستهم إقناع الآخرين بامتلاكهم للقنبلة وكان هذا تشويها للمعلومات ويقول « على أى حال فإن القضية النووية لم تكن في ذهننا فقد كان أمامنا حرب استنزاف » وفي ذلك يشير زورهيلين إلي المعارك الجوية ومعارك المدفعية التى تم تصعيدها بانتظام أواخر الستينات وأوائل السبعينات بين اسرائيل ومصر التي دعم الاتحاد السوفييتى جيشها وسلاحها الجوي بشكل ضخم بعد حرب الأيام الستة .

وبعد تنصيب الرئيس ريتشارد نيكسون في يناير ١٩٦٩ أصبح باربر أقل اهتماما بديمونه فقد تخلص من القضية ويتذكر ضابط سابق كبير فى المخابرات الأمريكية أنه تم استدعاء مجموعة من فريق المعاونين لامداد باربر الموجود فى هذا الوقت في نيويورك تقريرا خاصا عن برنامج الأسلحة النووية الاسرائيلى وقال المسئول استمع له باربر إلى النهاية وقال بعد ذلك « أيها السادة إننى لا أومن بكلمة مما تقولون » « وأصيب المسئول بالدهشة فقد قدم نفس التقرير لباربر فى اسرائيل دون معارضة قبل عدة أشهر وانتحى بباربر جانباً وقـال : « سيدى السفير أنك تعلم آنه حقيقى ، ورد باربر إذا اعترفت بذلك فانه يتعين عليه أن أتوجه للرئيس واذا اعترف به فسوف يتعين عليه أن يفعل شيئا حيال الأمر . والرئيس لم يرسلنى هناك لتزويدة بالمشاكل فهو لايريد أن يتم إبلاغه بالأنباء السيئة » .

وكان لدى باربر الكثير من الأسباب الجيدة لعدم رغبته فى إبلاغ الرئيس نيكسون بالأنباء السيئة . فحالة إنتفاخ الرئه التي يعانى منها ازدادت سوءاً وأصبح يعاني بشكل متزايد من الخوف المرضى من الموت كما يقول زرو هيلين . وظل محتفظاً بخيمة أكسوجين بجوار فراشه . كما واصل السفير عاداته فى الاهمال فى العمل . ويتذكر زورهيلين مناسبتين فقط في عملهما معاً الذى دام خمس سنوات انتظر فيها باربر فى السفارة بعد موعد مغادرته المعتاد في منتصف النهار .

وتملك السفير البدين رعب شديد فى أوائل فترة رئاسة نيكسون من إحتمال ابلاغه باختياره ليشغل أكبر منصب سفير تمتعاً بالهيبة فى وزارة الخارجية وهو منصب السفير الأمريكى لدى موسكو فالمرشح لهذا المنصب وكما هو الحال بالنسـبة لمثل هـذه المناصب فإنه يخضع للموافقة الطبية ولكن - وكما يقول « زورهيلين » لم يكن باربر قد خضع لمثل هذا الكشف الطبى في

وزارة الخارجية منذ سنوات وكان يدرك أنه لن يتخطاه بنجاح . ويضيف كنا نتخلص من هذا الأمر من خلال طبيب اسرائيلى يكتب تقريرا كل عامين يفيد بأن « السفير قادر على الوفاء بمهام منصبه » وارسل الرد مصحوبا بالشكر لوزارة الخارجية على ثقتها وكان باربر يقول « طوال سبع سنوات قضيتها هنا حققت وضعا فريدا » . وسمح لباربر في النهاية بالاستمرار في موقعه .

وفى عام ١٩٧٠ شارك باربر فى واحدة من المناسبات النادرة التى ظهر فيها حيث شارك مع رئيسة الوزراء جولدا مائير في افتتاح مدرسة امريكية في تل أبيب وهنأ جولدا مائير لحضورها وقال « ارغب فى أن أعرف كيف أؤثر على رئيسة الوزراء فيما أطلبه منها » وردت قائلة « سأكشف السر لك الأن فيجب فقط أن تطالبنى بأن أفعل ما أريد أن أفعله . »

وحين تعلق الأمر بديمونه فإن باربر أراد ماتريد اسرائيل وكان تأييده لاسرائيل عميقاً ومخلصاً ، ومع ذلك فإن العديد من زملائه السابقين في وزارة الخارجية اصيبوا بالذهول والألم حين وافق فى ٣ ابريل ١٩٧٤ ، بعد عام من تقاعده على أن يصبح عضواً فى الفرع الامريكي لبنك لويمي ، البنك الحكومى الاسرائيلى . ولم يكن هناك شيء غير قانونى فى ذلك ، لكن الكثير من مسئولى وزارة الخارجية يعتبرون أن مثل هذه المناصب تطرح تضاربا واضحاً .ولم يكن باربر بالتحديد ليهتم كثيراً بما يفكر فيه زملاؤه وظل عضواً فى مجلس الإدارة حتى وفاته .

١٣

قـرار اسرائيلى

فى اوائل ديسمبر سنة ١٩٦٧ تلقى ايجال آلون بطل حرب سنة ١٩٤٨ والمؤيد لاعادة توطين الضفة الغربية رؤية سرية لمستقبل اسرائيل النووى . وقد هزه ذلك لدرجة البكاء . فقد دعى مع مجموعة من المعاونين لتفقد الاعمال الاولى فى أول حقل للصواريخ النووية الاسرائيلية ، تحت التشييد فى مكان مجهول يعرف على الخريطة باسم هيربات زاتشرياه ، فى سفح جبال صهيون غرب القدس وسوف تدفن المخابىء المخفية بخبرة كبيرة ، التى لم تكتشفها المخابرات الامريكية طوال سنوات ، تحت الارض فى نهاية طريق بلا علامات مزود بكاميرات الدوائر المغلقة .

ومثلت المخابرات أفضل تكنولوجيا أنشأتها شركة تخطيط المياه المملوكة للدولة « تاهال » التى كانت تتفاوض حينئذ مع شاه ايران لبناء خط انابيب البترول سعة ٤٢ بوصة لنقل البترول الايرانى الي ميناءى ايلات وأشدود الاسرائيليين . امتدت البراميل الملساء التى ستطلق من خلالها الصواريخ داخل البلاد بأطوال خطوط الانابيب . كانت سنوات طويلة تفصل اسرائيل عن الحصـول عـلى قدرة صـواريخ نووية ، فقـد كان أول اختبـار لصـاروخ « جيريتشو » قد تم بنتائج متضاربة فقط قبل عدة أشهر . واجه الصاروخ الذى انتج بالاشتراك مع شركة داسو الفرنسية ، مشكلات فى التوجيه ولم يكن بعد قادرا على المكان الموجه له .

ومع ذلك فإن هذه المخابىء الأولى مثلت كما فهم آلون بوضوح ، نوعا جديدا من الأمن العسكرى للأمة ، ويذكر مراقب اسرائيلى « ان الابتهاج كسا وجه آلون . فها هنا رجل حارب فى سنة ١٩٤٨ بمدفع نصف آلى فقط ، وبعد عشرين عاما تنتج اسرائيل صواريخ نووية . فنحن شعب عاد للحياة من الموت. ففى جيل واحد أصبحنا مقاتلى ، وأسبارتاكوس عصرنا » .

ولم يتمكن ألون من مقاومة التباهى بما شاهده . فبعد عدة ايام ، أصاب زملاءه فى الوزارة بالصدمة حين حذر مصر فى خطاب عام فى حيفا من ان اسرائيل سترد باستخدام اسلحة متطورة على أى هجوم مصرى على تجمع سكانى ، وقال « إن أى سلاح تتمكن مصر من انتاجه أو شرائه بمساعدة قوى عظمى يمكننا مواجهته أحيانا بمساعدة قوة عظمى واحيانا بدون هذه المساعدة » وبصفته عضوا فى اللجنة المختارة لقضايا الامن القومى التابعة لمجلس الوزراء فإن آلون كان يتمتع بمصداقية كبيرة . ولكن لم يعترف أى مسئول اسرائيلى علنا بوجود نظام صاروخى نووى ، وهاجم المسئولون الحكوميون سر تأكيدات ألون الخفية بوصفها انتهاكا للأمن كما انتقد فى الصحف علنا لخلقها حالة رعب .

وقد تصور برنامج الصاروخ الاسرائيلى الذى اطلق عليه الاسم الشفرى ، « المشروع ٧٠٠ » قبل عدة سنوات ارنست ديفيد بيرجمان ليكون المرحلة الاخيرة المكلفة نحو الخيار شمشون . ويتذكر مسئول اسرائيلى سابق مشاهدة أشكال تشير الى ان القيمة الاجمالية طويلة المدى ، اذا أمرت بها لجنة الامن القومى لرئيس الوزراء ، ستكون ٨٥٠ مليون دولار وهو ما يزيد على ميزانية الانفاق الدفاعى الاسرائيلى ، وكانت العناصر الاخرى للبرنامج النووى تتخطى حتى التكلفة الباهظة للصواريخ وظلت التكلفة الاجمالية للبرنامج النووى حاجزا كبيرا لانتاج القنبلة واكبر عقبة أمام المسئول الذى تولى فى أواخر الستينيات مسئولية المستقبل النووى لاسرائيل وهو وزير الدفاع موشى ديان .

وكان هناك هدف استراتيجى من زيارة آلون لزاتشارياه ، فقد تغطى ديان بالعصابة السوداء على عينه وميله نحو اثارة ألون وخرج من حرب الستة أيام كبطل عالمى ، كما منحت ظروف ما بعد الحرب ديان وزملاءه من مؤيدى البديل النووى فرصة متجددة لأن يدينوا علنا الهدف الضخم لقنابلهم المتوقعة وهو الاتحاد السوفييتى ، وكان ديان من بين الأوائل الذين تنبأوا فى وزارة أشكول بأن السوفييت - بحثا عن أى موطىء قدم - يمكنهم الوصول اليه فى صراعهم الأيديولوجى مع الولايات المتحدة وسيملأون فراغ القوة فى الشرق الأوسط ويصبحون التهديد الرئيسى لاسرائيل ، وفى أوائل يوليو حذر ديان فى حديث مع صحيفة « فرانكفورتر الجمانية » الألمانية الغربية بأنه اذا اختار السوفييت الوحدة مع العرب ضد اسرائيل فانه « لن يتردد لحظة فى أن ينصح

حكومته بمحاربة الروس وهزيمتهم مثـل العرب تمـاما ... فاسرائيل ليست فى حاجة لأن يرهبها أى انسان » .

وكان ديان يعكس بوضوح إحســاس العزلة الذى شق طريقه داخل المستويات العليا فى القيادة الاسرائيلية ، نظريته لم يتم الاحساس بها منذ أزمة السويس عام ١٩٥٦ ، فقد رد « شارل ديجول » على الحرب باتهام اسرائيل بأنها المعتدى وألغى جميع صفقات السلـاح لاسرائيل وأنهى ١٢ عاما من الدعم الفرنسي الوثيق لاسرائيل . كما أجل « ديجول » عملية الشحن الوشيكة لخمسين طائرة مقاتلة من طراز « ميراج - ٣ » تم شراؤها من قبل ، كما زعم للصحفيين أنه لم يعلم بعقد « داسو » مع اسرائيل حتى تم أول اختبار لصاروخ « جيرتشو إل » على الرغم من أن الشركة الفرنسية ستواصل العمل مع الاسرائيليين لعام أخر فى برنامج الصواريخ .

ومضى السوفييت وأتباعهم فى الكتلة الشرقية باستثناء رومانيا أبعد من ذلك ، فقد جمدت جميع العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل . كما بدأ السوفييت على الفور اعادة تسليح عملائهم العرب . وقام الرئيس « نيكولاى بودجورنى » بزيارة رسمية مظفرة الى القاهرة فى أواخر يونيو وحياه مئات الآلاف من المصريين ، وبدأت طائرات محملة بالأسلحة السوفييتية الوصول بعد ذلك بفترة قصيرة لتبدأ عملية مكثفة وسريعة لملء مخـازن الأسلحة المصرية الخاوية التى ستجدد جميعها بأسلحة جديدة فى غضون عـام . وفى النهاية أرسلت موسكو المستشارين السوفييت وطائرات ميج ذات مستوى الأداء المتقدم الى مصر ، وفى المقـابل حصل الروس على معــاملة خاصة فى أربعـة موانى على البحر المتوسط وسيطرة فعلية على سبع قواعد جوية مصرية . كما كان السوفييت على نفس القدر من السخاء فى دعمهم لسوريا والعراق الخاسرين الآخرين مع الأردن فى حرب الستة أيام .

واعترضت المخابرات الاسرائيلية الاتصـالات التى تمت على مستوى عال بين القاهرة ودمشق وموسكو التى كـانت مليئة بالحديث عن الحرب التالية فى الشرق الأوسط وقليل من المناقشة عن الحرب الأخيرة ، وفجأة انتشر الأسطول الروسى بقوة أكبر فى البحر المتوسط بوجود سفينتين أو ثلاث متمركزة قبالة الساحل الاسرائيلى ، فى محاولة واضحة لاعتراض الاتصالات الاسرائيلية ، لم يتم الرد على هذه الاستفزازات كما تراها اسرائيل ، من جانب القوة العظمى الأخرى الولايات المتحدة .

وفى أواخر أغسطس عام ١٩٦٧ اجتمعت الدول العربية يدعمها التأييد السوفييتى ونصيحته فى أول اجتماع قمة بعد الحرب فى الخرطوم واتفقت على ما سيصبح معروفا « باللاءات الثلاثة » لا للسلام ولا للمفاوضات ولا للاعتراف .

وازداد توجه « ديان » نحو القنبلة باقتناعه بأن اسرائيل لا يمكنها الاعتماد على أمريكا لردع هجوم سوفييتى . ففى سنة ١٩٦٦ أمضى فترة كصحفى فى فيتنام الجنوبية وأبلغ فيما بعد « والتر روستون » مستشار الأمن القومى فيما بعد بأنه « خرج وقد انتابه قلق شديد بمدى تصميم الولايات المتحدة على الوفاء بالتزاماتها » . ففى أى أزمة يمكن أن تدعم واشنطن اسرائيل أو لا تدعمها ، كما حدث فى السويس ، وذلك وفقا لتقديرات البيت الأبيض لمصالحه الدولية والاقليمية ، واعتقد « ديان » أن موسكو بالمثل ستكون مستعدة لتقديم المعونة للعرب ليس من أجل اهتمامها العميق بالشرق الأوسط ولكن لحماية هيبتها ومصالحها الدولية . وأيا كانت دوافعهم فإن « ديان » بدا مقتنعا بأن القوتين العظميين ستمليان الأحداث فى الشرق الأوسط ما لم تصل اسرائيل الى الاكتفاء الذاتى من حيث التسليح . ويرى « ديان » أن بقاء اسرائيل يعتمد الآن على قدرتها على انتاج الأسلحة النووية على نطاق واسع وتوجيهها الى الاتحاد السوفييتى ، كما حددت فرنسا هدفها فى قوتها ليكون موسكو .

وتركزت مهمة ديان فى أواخر ١٩٦٧ وأوائل ١٩٦٨ فى اقناع زملائه من أعضاء الوزارة بأنه اذا تم اقناع السوفييت بأن التهديد الاسرائيلى مؤكد فإنهم قد يقررون أن الأمر لا يستحق نشوب حرب فى الشرق الأوسط . كما أن قنبلة اسرائيلية موثوق بها ستردع السوفييت من اتخاذ أى خطوات فى الشرق الأوسط تعرض بقاء اسرائيل للخطر مثل الموافقة على امداد الدول العربية بالسلاح النووى . ويرى سيناريو « ديان » أن عملاء المخابرات الاسرائيلية سيبلغون سرا نظراءهم السوفييت فور بدء عمل التجميع فى ديمونة بأمره . وحين تنتج اسرائيل أول قنابلها فانه سيتم أيضا ابلاغ موسكو وتذكيرها أنه لا يوجد سبيل لايقاف موسكو الموساد من تهريب سلاح نووى عبر الحدود بسيارة أو داخل ميناء سوفييتى بواسطة زورق ، أما بالنسبة لبقية العالم بما فيه الولايات المتحدة ، فسيظل هناك غموض يتم دراسته حول مسألة ما اذا كانت

اسرائيل تملك القنبلة . وولدت الحجة للاحتفاظ « بقنبلة اسرائيلية فى القبو » .

وحصل « ديان » على دعم لعملية الحشد فى وقت ما فى الأشهر الأخيرة من عام ١٩٦٧ حين علم الاسرائيليون من المخابرات الأمريكية أن الاتحاد السوفييتى أضاف أربع مدن اسرائيلية كبرى هى تل أبيب وحيفا وبير سبع وأشدود لقائمة أهدافه النووية . وعلى ما يبدو أنه تم الحصول على هذه المعلومات ذات الحساسية القائمة بصورة غير رسمية ويوضح عضو سابق فى الفريق المعاون لرئيس الوزراء أشكول : « لقد حصلنا على هذه المعلومات بطريقة غير مباحة » ولم يقدم أية تفاصيل أخرى .

وقدم « هنرى كيسنجر » الذى كان حينئذ مستشار السياسة الخارجية لحاكم نيويورك « نيلسون روكفلر » فى حملته للحصول على ترشيح الحزب الجمهورى دعما آخر . فقد التقى « كيسنجر » فى فبراير ١٩٦٨ مع مجموعة من الدارسين الاسرائيليين فى منزل الجنرال « ايلاد بيليد » مدير الكلية العسكرية الاسرائيلية فى القدس حيث كان قد قام بالتدريس فى العام السابق. ويقول « شلومو أرونسون » الأكاديمى الذى كتب عن السياسة النووية الاسرائيلية أن كيسنجر كان مثيرا حين قال ان الولايات المتحدة لن « ترفع إصبعا من أجل اسرائيل » اذا اختار السوفييت التدخل مباشرة « على سبيل المثال بهجوم سوفييتى ضد قواعد السلاح الجوى فى سيناء » . ونقل « أرونسون » الذى حضر الاجتماع عن « كيسنجر » اعلانه ثلاثة أمور « أن هدف أى رئيس أمريكى هو منع الحرب العالمية الثالثة ، وثانيا أن أي رئيس أمريكى لن يخاطر بوقوع الحرب العالمية الثالثة من أجل الأراضى التى تحتلها اسرائيل وثالثا أن الروس يعلمون ذلك » .

وفى أوائل عام ١٩٦٨ بدا واضحا أن الانتصار الساحق فى حرب الأيام الستة لم يحل أيا من مشكلات اسرائيل السياسية والعسكرية فى الشرق الأوسط . وطار « اسحق رابين » رئيس هيئة أركان الجيش الى واشنطن فى منتصف ديسمبر ١٩٦٧ وقال الكثير فى اجتماع مع الجنرال « ايرل ويلر » رئيس هيئة الأركان المشتركة . وأشار « ويلر » فى مذكرة سجلت عن الاجتماع ونشرت فيما بعد ووضعت فى ملف فى مكتبة « ليندون جونسون » بدأ رابين الحوار بأن أوضح أن اسرائيل تجد نفسها فى وضع فريد بعد انتصارها فى الحرب ولكن لا تعيش فى سلام » وأبلغ رابين ويلر « ان اسرائيل فى وضع أقل

تميزا الآن مما كانت عليه قبل ٥ يونيه حين بدأت الحرب فالسوفييت لا يريدون تسوية سلمية . فهدفهم هو الابقاء على جو التوتر حيث يمكنهم زيادة اعتماد عربى متزايد على القوة والنفوذ السوفييتيين برؤية نحو المحافظة على المميزات السوفييتية فى المنشآت البحرية والجوية ، وفى النهاية السيطرة على البترول العربى » .

وردت الجالية اليهودية الأمريكية على نصر يونيه المثير بفيض من المال والزيارات المتزايدة وانتعشت السياحة فى أواخر ١٩٦٧ ، وحدث نفس الشىء للاقتصاد الاسرائيلى ، وقال السفير « ووالورث باربر » لفريق العاملين فى السفارة الأمريكية فى تل أبيب الشاعرين بالشك ، ان نجاح اسرائيل دعم علاقته بواشنطن . ومع ذلك أثبتت أمريكا عدم القدرة على الاعتماد الأساسى عليها كحليف فى أعين « ديان » والعديد من مؤيديه فى ديمونه ومجالات أخرى، وذلك قبل شهر من نشوب حرب الأيام الستة حين لم ترد على أغلاق « ناصر » لمضيق تيران ومحاصرة ايلات . وأوضحت وثائق وزارة الخارجية الاسرائيلية أن « دوايت أيزنهاور » وعد كتابة بعد أزمة السويس عام ١٩٥٦ بأن الولايات المتحدة ستستخدم القوة اذا اقتضت الضرورة للابقاء على المضيق مفتوحا . وطالبت اسرائيل « جونسون » بتنفيذ الالتزام بعد حصار « ناصر » وشعرت بالخيانة بعد أن علمت أن وزارة الخارجية اعتبرت التزام « أيزنهاور » لاغيا بتركه للسلطة فى أوائل عام ١٩٦١ ، وتم ابلاغها أن اتفاقية يصدق عليها مجلس الشيوخ الأمريكى فقط هى الملزمة لأى ادارات تالية . وبدون أن تدرى واشنطن كانت ألعوبة فى أيدى ديان وطموحاته النووية .

ومع ذلك لم تكن اسرائيل قوة نووية كاملة : فلم يأمر أى مسئول المفاعل ومحطة اعادة المعالجة أن تبدأ فى انتاج البلوتونيوم . واستمرت المخاوف المالية تزعج القيـادة ، ويتذكر مسئول اسرائيلى رؤية تقديرات تشير الى أنه بحلول أوائل السبعينيات فإن البرنامج الكامل للأسلحة النووية بما فى ذلك الصواريخ والرءوس الحربيـة سيلتهم أكثر من عشرة فى المائة من اجمالى ميزانية اسرائيل - أو ما يقرب من مليار دولار . وأمن « بنحاس سابير » الذى اعتبر بين القيادة الاسرائيلية المسئول الاقتصادى لحزب العمل المشكل حديثا ، بقوة بضرورة أن تحقق القروض والاستثمارات الحكومية تطورا فى التنمية

الاقتصادية ولذلك لم يكن تخصيص الدولارات لديمونه أمرا ذا معنى بالنسبة له. واعتبر أن حصول اسرائيل على القنبلة سيؤدى فقط الى نزاعات مع الولايات المتحدة ويقلل تدفق المساهمات الأمريكية .

ويتذكر مسئول اسرائيلى أن « ديان » اتخذ قرارا حساسا فى أوائل ١٩٦٨ . فقد اتصل « بسابير » وطالبه بأن يمضى يوما معه كما فعل تماما مع « ألون » وتوجه الرجلان الى « ديمونه » ويقول المسئول الاسرائيلى ان «ديان» جعله يشاهد كل شىء من الألف الى الياء . ولم يكن أى شخص قد شاهد منشأة اعادة المعالجة بأكملها . وبدا « سابير » مثل القطة التى وجدت قشدة لبن طازج . وعاد وقال لـ « ألون » الذى مازال يعارض الالتزام النووى الكامل : « هل رأيت المكان بأكمله ؟ لقد شاهدته وأنت لا تعلم أى شىء . وبعد الآن لن تحدث مذابح أخرى » .

وفى وقت ما فى أوائل ١٩٦٨ أمرت « ديمونة » أخيرا ببدء الانتاج على نطاق كامل وبدأت فى انتاج ما يتراوح بين أربعة وخمسة رءوس حربية سنويا – وبلغ عدد القنابل مع بدء حرب يوم « كيبور » فى أكتوبر ١٩٧٣ أكثر من ٢٥ قنبلة فى الترسانة ، ولا يوجد دليل على أن مجلس الوزراء الاسرائيلى اتخذ قرارا رسميا بشأن « ديمونة » ، ومع هذا فان الانتاج فى خط التجميع الأول للقنبلة سواء تم حظره رسميا أم لا ، أصبح أمرا معروفا فى الدوائر العليا من مسئولى الأمن القومى وحظى بإشادة واسعة النطاق ، ويتذكر مسئول اسرائيلى أنه تم فتح زجاجات الشمبانيا فى « ديمونه » وفى بعض المكاتب الحكومية فى تل أبيب والقدس حين وردت المعلومات عن تجميع القنبلة الأولى ، وكان يعتقد على نطاق واسع أن أول رأس حربية حفرت عليها عبارة بالانجليزية والعربية تعنى « لن يحدث بعد الآن » .

ويوضح مسئول سابق فى الحكومة الاسرائيلية الاجراء البيروقراطى وراء قرار بدء خط التجميع فى « ديمونة » بقوله ، برجفة وابتسامة أن « موشى ديان » قرر من جانب واحد أنه يملك تأييد كبار رجال المال ويملك كل السلطة التى يحتاجها – كوزير للدفاع – لتحويل اسرائيل الى قوة نووية ، وطرح « أموس ديشاليت » تكهن مماثل فى هذا الوقت للدكتور «ماكس بن» صديق « أرنست بيرجمان » الأمريكى . ويذكر بن : « كنا نتحدث عن ديمونة » وقال أموس (انه الشخص الذى يتصرف من تلقاء نفسه) .. »

وباتخـاذ القرار أخيرا ضم الجهـاز البيروقراطى صـفوفه كما يفعل الاسرائيليون دائما فى شئون أمن الدولة ، وكانت الضرورة الملحة الأولى تتمثل فى الحصول على اليورانيوم الخام - وكميات كبيرة منه ، وعلمت الموساد بوجود مئات الأطنان من الخام فى مخزن بالقرب من « انتويرب » ببلجيكا متوافرة من أجل شرائها فى أوربا ، ولكن البديل لم يكن قائما نظريا : فمثل هذه الصفقات فى أوربا تخضع لرقابة « يوراتوم » السوق المشتركة للوكالة النووية ، وكان من غيـر المتوقع الموافقة على مثـل هذه الصفقة الضخمة لاسرائيل ، فلم تكن « ديمونه » بعد كل هذا ، خاضعة للاشراف الدولى . وحتى اذا كان من الممكن ترتيب هذه الصفقة ، فلم يكن هناك أحد فى اسرائيل مستعدا ليترك العالم يعرف بأن « ديمونة » تشترى إمدادات من اليورانيوم تكفى ثمانى سنوات ، وهى المفاعل الذى يسود اعتقاد بأن طاقته تبلغ ٢٤ ميجـاوات ولا يسـتهلك أكثر ٢٤ طنـا من الخـام ، وتمثل الحل الذى طرحتـه « الموساد » فى الاتصال بأحد عملائها فى ألمانيا الغربية فى مارس ١٩٦٨ مطالبته بابرام صفقة اليورانيوم مقابل ٤ ملايين دولار بزعم أنه يمثل شركة كيماويات ايطالية فى ميلانو ، ووافقت « يوراتوم » على الصفقة فى أكتوبر وشحن اليـورانيوم من « انتويرب » على متن سـفينة أعيد تسميتها « شيربرج إيه » . وكـان عميلا اسرائيليا فى مكـان ما بتركيـا قـد اشترى هذه السفينة بأموال الموساد . وتفيد التقارير المنشورة التى أكدها مسئولون اسرائيليون أنه فور خروج السفينة الى عرض البحر تم نقل خام اليورانيوم على متن سفينة شحن اسرائيليـة تحرسـهـا الزوارق الحربيـة ونقـل الى اسرائيـل . وعـلمت « يوراتوم » فى غضون عدة أشهر باختفاء الشحنة الضخمة من خام اليورانيوم ولم يمض وقت طويل حتى بدأت المخابرات الأوربية والأمريكية تقدم تقارير داخلية عن تورط الاسرائيليين فى الأمر . واستغرق الأمر تسع سنوات مع ذلك قبل أن تصل قصة اليورانيوم المسروق الى الصحافة وأصبحت الفضيحة فى النهـاية موضوع كتـاب صـدر عام ١٩٧٨ بعنوان « فضـيحة بلامبات » ، وتمثل رد فعل اسرائيل على الكتاب وعلى التقارير الصحفية السابقة على صدوره فى الاستمرار فى امتلاكها أى قدرة نووية ، ولم يبدو أن أحد يهتم بالأمر سوى عدد قليل من أصحاب الاجتماعات العامة وعدد محدود من الصحفيين .

١٤
هدية رئاسية

بعد حرب الستة أيام ورغم الشكاوى الإسرائيلية من التهديد السوفييتى المتزايد فى الشرق الاوسط . تحولت إدارة جونسون مرة أخرى لتبدو حليفا غير دائم فى أعين اسرائيل حيث انضم الرئيس - القلق من أجل تجنب قطيعة مع العالم العربى - إلى ديجول وحظر جميع شحنات الاسلحة لإسرائيل لمدة ١٣٥ يوما . ويشير الإسرائيليون الشاعرون بالمرارة إلى أن أمريكا فعلت ذلك فى حين واصل السوفييت إعادة امداد حلفائهم ، كما تحاشى جونسون أى التزام معلن قوى بالدفاع عن إسرائيل فى أى أزمة . فقد سأله دان راثر صحفى شبكة « سى بى أس » فى المؤتمر الصحفى لنهاية العام عما اذا كانت الولايات المتحدة متمسكة « بنفس نوعية الالتزام الثابت بالدفاع عن إسرائيل ضد الغزو كما فعلنا فى فيتنام الجنوبية » ولم ترض اجابته سوى عدد ضيئل من الإسرائيليين حيث قال « لقد أوضحنا اهتمامنا المحدد تماما باسرائيل ورغبتنا فى المحافظة على السلام فى هذه المنطقة من العالم بكل الوسائل . ولكن نحن لا تربطنا بهم معاهدة أمنية مشتركة كما هو الحال فى جنوب شرق آسـيا » .

ومع ذلك بدأ رئيس الوزراء أشكول متلهفا على القيام بزيارة رسمية لواشنطن فى يناير سنة ١٩٦٨ للمناشدة من أجل بيع طائرات « أف ٤ » لتحقيق توازن مع إمداد الاتحاد السوفييتى لمصر بطائرات ميج . وكانت الطائرة « أف ٤ » أكثر الطائرات تقدما فى الترسانة الامريكية وتحجج البنتاجون ووزارة الخارجية بأن إسرائيل ليست فى حاجة لهذه الطائرات من أجل المحافظة على التفوق العسـكرى على المصريين الذين تعتبـر طائراتهم « الميج ٢١ » ذات مدى أكثر محدودية وأقل قدرة ، كما يعنى ادخال طائرات أف ٤ المتقدمة فى الشرق الاوسط تصعيدا غير ضرورى وبدون سابق إنذار

وستظل إسرائيل متفوقة بقاذفات « أيه ٤ سكاى هوك » التى حصلت عليها من قبل . إلا أن جونسون أو بعض كبار مسئوليه – على ما يبدو – لم ييأسوا من محاولة اقناع إسرائيل بالموافقة على معاهدة منع الانتشار النووى ويرغبون فى مقايضة خمسين طائرة من طراز « أف ٤ » بهذه الموافقة . وفى مذكرة قبل القمة قدمت لجونسون فى ٥ يناير سـنة ١٩٦٨ ناقش والت روستـو قائمتين « ماذا نريد » و « ماذا سنعطى» وتضمنت قائمة « ماذا نريد » تذكرة روستو بأننا نعتقد أن لدينا معاهدة مقبولة لمنع الانتشار النووى . ونعتقد ان ذلك سيخدم أمن إسرائيل على المدى البعيد . ونتوقع أن توقعها إسرائيل » ، وتتضمن قائمة « ماذا نعطى » ٢٧ طائرة أخرى من طراز سكاى هوك ، ووعدا . بخفض المدة اذا احتاجت إسرائيل إلى طائرات فانتوم » .

وكان اقتراح روستو بامكان الربط بين صفقة فانتوم ومعاهدة منع الانتشار النووى هزلية اذا وضع فى الاعتبار التزام إسرائيل بديمونة والمعلومات الامريكية الوفيرة التى قدم معظمها سفارة والى باربر فى تل ابيب عن هذا الالتزام . وبعد سنوات طويلة وفى حديث صحفى اعترف روستو بأنه كانت لديه بعض الشكوك تجاه أهداف إسرائيل النووية وقال « اذا سألتنى عما كنت أعتقده فى الستينات فإننى أقول إننى تصورت أنهم يتحركون ليضعوا أنفسهم فى وضع يسمح بامتلاك القنبلة . فالجميع كانوا يعرفون ما كانت تقوم به إسرائيل » .

وظهر افتقار مماثل للواقعية فى أسلوب تناول البيت الابيض لصورة أوسع للشرق الاوسط كما لخصتها مذكرة روستو فى ٥ يناير « لا يمكننا تأييد إسرائيل التى تقف ساكنة .. فالعرب يحتاجون إلى الامل فى الحصول على تنازلات إسرائيلية فى مسائل اللاجئين والقدس والسماح للاجئين الجدد بالعودة إلى الضفة الغربية وتجنب اجراءات دائمة فى الأراضى المحتلة » وستظل القضايا هى نفس القضايا طوال الثلاثة والعشرين عاما التالية على الاقل .

وكان يتعين على روستو أن يدرك أن الجيش الإسرائيلى وصل إلى حالة ثورة فعلية مع نهاية حرب الأيام الستة فى المناطق الجديدة المحتلة فى القدس والضفة الغربية ومرتفعات الجولان ودمر البيوت العربية وقام بنهبها ، فى محاولة واضحة لدفع الفلسطينيين والعرب الآخرين خارج أراضيهم إلى داخل الاردن وسوريا ودمر أكثر من مائة منزل عربى فى مدينة القدس القديمة فى

اليوم الأول بعد الحرب على أيدى القوات الإسرائيلية العاملة تحت المصابيح القوية بواسطة البولدوزورات ، وأوضح تيدى كوليك فى عام ١٩٧٨ فى مذكراته لماذا كانت هذه العجلة ضرورية « فقد كان احساس المسيطر هو أنه يجب أن نفعلها الآن فقد يكون الأمر مستحيلا فيما بعد ويجب أن تتم » . واستخدمت البولدوزورات والديناميت بضراوة بصفــة خاصة فى جميع أنحاء الضفة الغربية ، ففى قرية قلقلية غربى نابلس دمر ٨٥٠ منزلا من منازلها البالغ عددها ألفا خلال ثلاثة أيام من الاحتلال الإسرائيلى . واتهم موشى ديان فى وقت لاحق الجنود الإسرائيليين بالقيام بأعمال « عقابية » فى القرية وأمر بتوفير الاسمنت والسلع الأخرى للقرويين لاعادة بناء منازلهم . ومرت فترة قصيرة بعد الحرب تساءل فيها العديد من كبــار المسئولين الإسرائيليين ، صراحــة ، عــن الحكمــة مــن الابقــاء على الاراضى المحتــلة من بينهــم ديان وبن جوريون . ووجــدوا أن الحرب وفرت لإسرائيل فرصــة فى مقايضة الأرض بالســلام الدائــم وعــادة مــا كــان بن جوريون يقول لأتباعه أن اليهود حكام يتسمون بالخسة « وصرح بن جوريون لصحفى أمريكى « سيناء ؟ ... غزة الضفة الغربية فلتذهب جميعها . فالسلام أكثر أهمية من الاملاك . ونحن لا نريد أراضى » . وأعرب ليفى أشكول عن شكوكه الخاصة لأبى فينبورج الزائر بعد أسابيع قليلة من الحرب وقال باليهودية « ماذا أفعل بمليون عربى ؟ إنهم يتناسلون كالارانب » .

ونافست هذه المخاوف العملية الآراء الدينية والفلسفية للصهاينة الرجعيين الذين أمنوا مثل مناحيم بيجين ومعلمه المخلص فلاديمير جابوتنسكى ، أن التوسع الإسرائيلى الأخير فى الضفة الغربية ليس قضية سياسية ولكنه ضرورة تاريخية ، فالضفة الغربية هى موطن الشعب اليهودى والمنطقة جزء من إسرائيل الكبرى وهى لم تحتل خلال الحرب ولكن تم تحريرها ، وظهر الموقف الرجعى ليكون سياسة الحكومة على امتداد السنوات . وألقى العناد الإسرائيلى تجاه إعادة الاراضى ورغبة العرب الذين اعادوا تسليح أنفسهم من أجل الأخذ بالثأر ، بظلال قاتمة على قرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢ الذى دعا للانسحاب الإسرائيلى من الأراضى المحتلة فى مقابل التزامات عربية بالسيادة الاقليمية والسلام . ووافق مجلس الامن التابع للأمم المتحدة على القرار بالاجماع فى أواخر نوفمبر سنة ١٩٦٧ .

ولم تكن الأمور لتسوء أكثر من ذلك ، من وجهة النظر الإسرائيلية ، فى قمة جونسون - اشكول فى أوائل سنة ١٩٦٨ فى مزرعة للرئيس فى تكساس فقد جلس اشكول ومستشاروه ومن بينهم أفرايم أفرون السفير الإسرائيلى فى واشنطن الذى كان شخصية مفضلة لدى جونسون ، فى مناقشات استمرت يوما كاملا قدم فيها سلسلة من مسئولى مجلس الشيوخ ووزارة الخارجية الحجج ضد بيع طائرات «أف ٤» لإسرائيل . ويتذكر هارى ماكفيرسون أحد مستشارى الرئيس « أن جونسون كان يحاول جرهم من أجل الموافقة على معاهدة منع الانتشار النووى . وأخيرا هب واقفا وقال « هيا بنا جميعا كى نتبول » وبالفعل توجهنا إلى دورة مياه ضخمة وتبولنا جميعا . ولدى مغادرة جونسون لدورة المياه رأى أفرايم يبدو بائسا . وسأله « ماذا هناك يا افرى » ورد الاخير « نحن لن نحصل على طائراتنا الـ إف ٤ » فقال جونسون « سوف تحصلون على طائرات « أف ٤ » ولكن يجب أن أحصل على شىء من اشكول . ولكن لا تبلغه بذلك » .

وأعتقد ماكفيرسون وأفرون أن تعليق جونسون يصل إلى حد الالتزام ولكن ما أراد جونسون أن يحصل عليه لم يكن فى وسع إسرائيل أن تعطيه . ويتذكر أحد أنصار ديان حالة اليأس تجاه ما بدا أن ضغطا أمريكيا لايلين من أجل عمليات تفتيش الوكالة الدولية للطاقة الذرية ، ويقول « لقد اكتشفنا أننا نقف وحدنا » .

وبدا رجال ديان متشائمين للغاية . فقد كان لإسرائيل أفضل صديق يمكنها العثور عليه وهو الرئيس . وفى غضون أسابيع بعد القمة مع أشكول تلقى جونسون تقريرا « للسى . أى . أيه » استنتج للمرة الاولى أن إسرائيل صنعت أربعة رءوس حربية نووية . وأمر ريتشارد هيلمز مدير « السى . أى . أيه » . بدفن التقرير وأطاع هيلمز الأمر كما كان يفعل دائما .

ولم يكن تقييم « السى . أى . أيه » نتيجة أى اختراق للمخابرات كما يقول كارل دوكيت - الذى أصبح فى سنة ١٩٦٨ مساعد مدير الوكالة للعلوم والتكنولوجيا - ولكن نشأ من خلال حفل عشاء مع ادوارد تيلور عالم الفيزياء النووية البارز الذى كرس جزءا كبيراً من حياته لانتاج الاسلحة . واطلع دوكيت تيلور فى الماضى ، وكما اعترف فإنه مدين له . فقد رتب تيلور لعشاء خاص لينقل رسالة محددة . ويتذكر دوكيت « لقد بدا مقتنعا بأن إسرائيل تملك الان

العديد من الاسلحة مستعدة للانطلاق » وأوضح تيلور أنه عـاد لتوه من إسرائيل ، حيث أن لديه شقيقة تعيش فى تل أبيب وكان زائرا دائما لها ، حيث يتمتع بعلاقات عديدة فى الجاليات العلمية ومجال الدفاع . وقال دوكيت « لقد تحدث مع العديد من أصدقائه القدامى وكان قلقا » . وكان تيلور حريصا لأن يقول إنه ليس لديه أى معلومات محددة عن الاسلحة النووية الإسرائيلية . وابلغ تيلور دوكيت أنه يفهم أن الوكالة تنتظر اختبارا إسرائيليا قبل أن تقوم بأى تقييم نهـائى عن القدرة النوويـة الإسرائيلية . واذا كان الأمـر كـذلك فـإن « السـى أى أيه » ترتكب خطأ ويتذكر دوكيت أن تيلور أوضح » أن الإسرائيليين يملكونها ولن يقوموا باختبارها . فقد يكونوا مخطئين فى بضعة كيلو طن من قوة القنبلة التى لم تختبر ولكن ماذا يهم فى ذلك ؟ » . (وقد تأثر دوكيت كما أراد تيلور وقال « لقد كانت هذه أكثر الادلة اقناعا التى حصلت عليها طوال عملى فى « السـى أى أيه » ونقل الحوار إلى هيلمز فى اليوم التالى : وذكر « يمكننى أن أؤكد لك أن الجميع قلقون » . وكان مكتب العلوم والتكنولوجيا قد وزع قبل ذلك مباشرة تقريرا سريا للغاية عن منع الانتشار النووى وقرر دوكيت أن هذه المعلومات المواكبة للأمور الموجودة فى التقرير والذى عرف فى مجتمع المخابرات باسم « مذكرة لحامليها » سيتم توزيعه . ويتذكر دوكيت « لقد كان مختصرا للغاية والنتيجة مفادها أن الإسرائيليين يملكون أسلحة ذرية .»

وكان العامل الاخير فى هذا الاستنتاج الاعتقاد السائد على نطاق واسع داخل الوكالة بأن الإسرائيليين كانوا بشكل ما وراء اختفاء مائتى رطل من اليورانيوم المخصص للاستخدام فى الاسلحة من شركة المواد والمعدات النووية ، وهى محطة خاصة للتخصيب النووى فى أبولو فى بنسلفانيا . وأصر مالك الشركة زالمان مودر فاى شابيرو وهو يهودى مخلص لديه علاقات وثيقة داخل إسرائيل ، أن اليورانيوم - الذى أبلغ للمرة الاولى شابيرو عن اختفائه فى سنة ١٩٦٥ ، كان عاديا ومنتجا ثانويا حتميا لمهمة التخصيب المعقدة . وكان اعتقاد دوكيت وكثيرين أخرين فى المخابرات مختلفا . واعترف دوكيت بأنه لم يملك دليلا على أن يورانيوم شابيرو نقل إلى إسرائيل . ولكنه « وضع تصورا » يفيد بأنه نقل أثناء إعداد التقرير الإسرائيلى الحديث » وبافتراض وجود المادة الخام فإن إسرائيل قد تكون أنتجت اربعة اسلحة بمادة شابيرو » . وكشفت النسخة الاولى للمذكرة الخاصة بحامليها أنه يوجد دليل جديد يشير

إلى أن إسرائيل تملك مابين ثلاثة واربعة اسلحة نووية وبدون تقرير تيلور والشكوك حول شابيرو . و يعترف دوكيت بأن « السـى أى أيه » لم تملك الكثير لتواصل عملها . فلم تتمكن الوكالة من تحديد ما إذا كانت إسرائيل قد بنت – كما تثور الشكوك – محطة لاعادة المعالجة تحت الارض فى ديمونه . كما لم تتمكن الوكالة من اختراق أى من القيادات العسكرية أو وكالات المخابرات لإسرائيل . ولم ينشق أى إسرائيلى إلى الولايات المتحدة مزود بمعلومات نووية . كما لم تفد كثيرا وكالة الامن القومى وعمليات التنصت الاليكترونية التى تقوم بها وذلك على الرغم من أنها – كما يقول دوكيت – قدمت ادلة مبكرة تشير إلى أن بعض طيارى السلاح الجوى الإسرائيلى قاموا بطلعات تجريبية لاطلاق قنابل تكون لها ما يبررها فقط إذا كان يتعين اسقاط اسلحة نووية .

وكما كانت الأدلة ضئيلة فإن دوكيت أصبح مستعدا لأن يذكر فى تقرير مكتوب سرى للغاية أن إسرائيل قوة نووية . وبدأ التقدير بعد مراجعته أكثر من مجرد حساس إلى حد ما ، كما أدرك دوكيت ، وقد أوضح الأمر أولا لديك هيلمز وأبلغ رئيس « السـى أى أيه » دوكيت بعدم نشر التقرير بأى شكل ، وأعلن أيضا أنه سيكون الرسول الذى يحمل الانباء السيئة . ونقل هيلمز معلومات دوكيت إلى المكتب البيضاوى وسلمها للرئيس وانفجر جونسون – كما روى هيلمز فيما بعد لدوكيت – وطالب بدفن الوثيقة قائلا « لا تبلغ أى شخص آخر حتى وزير الخارجية دين راسك ووزير الدفاع روبرت ماكنمارا .» وفعل هيلمز كما أمر تماما ولكن ليس بدون ذعر « ويدرى هيلمز أنه سيقع فى مشكلة مع رأسك وماكنمارا إذا علما بأنه حجب المعلومات »

وكان هدف جونسون من حجب معلومات هيلمز ومخابراته ، واضحا فلم يكن يريدأن يعلم ما تريد « السـى أى أيه » إخباره به لأنه فور علمه بالمعلومات سيتعين عليه أن يتصرف وفقا لها . وفى عام ١٩٦٨ لم تكن لدى الرئيس أى نية للقيام بأى شىء لايقاف القنبلة الإسرائيلية كما ادراك هيلمز ودوكيت ووالوورث باربر ووليام دال وعدد قليل آخر فى الحكومة الأمريكية .

وأنطوى قرار موشى ديان المنفرد بدفع ديمونه إلى الانتاج بكامل طاقتها على ما يجب أن يعتبر مخاطرة ضخمة – فإن إسرائيل المسلحة نوويا ستجد من المستحيل توقيع معاهدة منع الانتشار النووى ، وبذلك فلن تحصل إسرائيل على طائرات « أف ٤ » من إدارة جونسون . وظل الضغط من الجهاز

البيروقراطى فى واشنطن مكثفا وبخاصة فى البنتاجون حيث اتسم كلارك كليفورد الذى حل محل روبرت ماكنمارا كوزير للدفاع فى نهاية يناير ، وكبار معاونيه بالعناد . ولم يكن لدى كليفورد وزملائه ادنى فكرة عن الموقف الحقيقى لرئيسهم تجاه قضية إسرائيل ومعاهدة منع الانتشار النووى ووافق جونسون فى أكتوبر سنة ١٩٦٨ قبل شهر واحد من انتخابات الرئاسة رسميا على صفقة طائرات « أف ٤ » من حيث المبدأ ولكنه ترك المساومة على مواعيد التسليم والتفاصيل الأخرى ليتم التفاوض بشأنها . ويتذكر بول وارنك مساعد وزير الدفاع لشئون الأمن الدولى أنه اعتقد أنه مازالت توجد « فرصة خارجية » لاجبار إسرائيل على توقيع ، معاهدة منع الانتشار النووى مقابل التسليم الفورى ، ويضيف « لقد كان الامر يستحق » كدليل على تناول أكثر عدلا للشرق الاوسط .

واستدعى وارنك اسحق رابين الذى عين حديثا سفيرا لإسرائيل لدى واشنطن وبدأ فى توجيه بعض الاسئلة العنيفة عن القنبلة ، أسئلة مباشرة لم تطرح عليه مسبقا بهذا الوضوح من جانب مسئول أمريكى على مستوى عال . ويتذكر وارنك « أننى حاولت أن أكشف عما يمتلكون وأوقفه بعد ذلك » . وطالب رابين المحبط وارنك بتفسير محدد للسلاح النووى . وأضاف وارنك « وقلت إنه يعنى أن تمتلك وسيلة نقل فى غرفة ورأس نووية فى الغرفة الأخرى » وسأل السفير بعد ذلك « هل تمتلك سلاحا نوويا ما لم تعلن إنك تمتلكه ؟ » ويتذكر هارى شوارتز مساعد وارنك الذى نقل عنه قوله « سيدى السفير نحن مصدومون بالسلوك الذى تتعاملون به معنا .. إنكم حليف وثيق ، وتنتجون قنابل نووية فى إسرائيل خلف ظهورنا » وقال شوارتز إن رابين نفى ذلك .

وبالطبع غضب السفير من هذه المواجهة التى زعم فيما بعد أنها لم تكن لها صلة بالأسلحة النووية . وفى مذكراته التى نشرت فى عام ١٩٧٩ حدد الموضوع الاساسى بأنه إصرار وارنك على السماح للولايات المتحدة بالاشراف المباشر على كل مصانع السلاح الإسرائيلية وكل منشأة عسكرية تشارك فى الابحاث والتطوير كشرط لتسليم طائرات « أف ٤ » ، وكتب رابين « والقول بانى أصبت بالرعب يكون أساءة تقدير ضخمة ، فقد جلست هناك مخدرا والدم يصعد إلى رأسى » وأضاف إنه غادر الاجتماع وبدأ فى ارسال « اشارات عديدة » إلى مؤيدى إسرائيل فى الكونجرس وخارجه لحشد التأييد لصفقة طائرات « أف ٤ » .

وقد فعل رابين أكثر من بعث الاشارات ، فقد صاحب الميجور جنرال موردخاى هود رئيس هيئة أركان السلاح الجوى لرؤية أبى فينبورج واحد من الأمريكيين القلائل الذين يمكنهم اقناع الرئيس بتغيير رأيه . ويتذكرأبى فينبورج أنهما « كانا غاضبين وكانا فى حاجة لرؤيتى على الفور وقالا كل شىء فعلته من أجل طائرات الفانتوم ذهب سدى وكليفورد يصر على معاهدة منع الانتشار النووى » وكان فينبورج قد التقى فى لقاء خاص قبل عدة اسابيع مع الرئيس وولتردوستو واستمع للرئيس وهو يقول إنه « لن توجد اى شروط » لصفقة أف ٤ » وقال فرفعت التليفون واتصلت بالبيت الابيض وطلبت الحديث إلى روستو » . وكان مستشار الامن القومى يتناول العشاء فى منزل كليفورد وتم ايصال فينبورج الذى كان معروفا تماما لعامل التحويلة فى البيت الابيض بهما ومضى فينبورج يقول » والتقط ولتر التليفون وقلت له « والتر لقد كنا أنا وأنت والرئيس معا وقال الرئيس « لا شروط » وأقر ولتر بذلك . وقلت « حين تعود إلى المائدة أبلغ كليفورد بذلك »

واتصل كليفورد – الذى لم يذكر الواقعة فى مذكراته التى نشرت فى سنة ١٩٩١ بعنوان « مستشار الرئيس » – بالرئيس وتلقى الرسالة . ووصل بول وارنك إلى اجتماع لاحق مع فريق العاملين معه وجميعهم يؤيدون ربط صفقة « أف ٤ » بقبول إسرائيل معاهدة منع الانتشار النووى ووضع بشكل مثير يديه حول عنقه فقد استبعدت المعاهدة . ويتذكر هارى شوارتز راوية وارنك لحديث جونسون وكليفورد وقال « اتصل كليفورد بجونسون الذى قال « بع لهم أى شىء يريدونه » « سيدى الرئيس اننى لا أريد أن أعيش فى عالم يملك فيه الإسرائيليون أسلحة نووية » .

« لا تزعجنى بهذا الأمر بعد الان ثم انهى المكالمة « وكان جونسون قد وجه نفس الرسالة لديك هيلمز فى بداية العام .

ويروى الرئيس ليندون جونسون فى مذكراته تفاصيل المراسم الرسمية فى البيت الابيض التى وقعت خلالها الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى وأكثر من خمسين دولة أخرى على معاهدة منع الانتشار النووى وكتب يقول إن المعاهدة « كانت أصعب وأهم » الاتفاقيات التى تم التوصل إليها مع موسكو خلال فترة رئاسته ، فلماذا إذن سمح لاسرائيل بأن تتجنب المعاهدة وتحتفظ بطائرات « أف ٤ » ؟ لم يكن لقرار جونسون أيه صلة بالسياسات الداخلية أو

الضغط الشديد من جانب مؤيدى إسرائيل فى الكونجرس حول القضية فقد تمت محادثته المفاجئة مع كلارك كليفورد بعد فوز نيكسون بانتخابات الرئاسة سنة ١٩٦٨ كما لا يوجد دليل على آمن جونسون آمن أنه مدين للحكومة الإسرائيلية لتأييدها لسياساته فى فيتنام فاليهود الامريكيون رغم هذا التأييد كانوا مناهضين بشكل كاسح للحرب . وشكا الرئيس لوزير الخارجية الإسرائيلى ابا ايبان فى أواخر سنة ١٩٦٨ من أن « مجموعة من الأرانب جاءت إلىَّ فى أحد أيام سنة ١٩٦٧ لتبلغنى بأننى يجب الا أرسـل أى آلة صغيرة لفيتنـام ، ولكن على الجـانب الأخر يجب أن تدفع الولايات المتحدة جميع حاملات الطائرات عبر مضيق تيران لمساعدة إسرائيل » .

ولا يوجد تفسير معد لرفض جونسون التعامل مع القنبلة النووية الإسرائيلية ، وكما علم جونسون بالتأكيد فإن قراره بعدم وقف صفـقة طائرات « أف ٤ » أعطى لإسرائيل طائرة متقدمة للغاية قادرة على حمل سلاح نووى فى مهمة عودة إلى موسكو . ومن المحتمل الا تكون أكثر من هدية الوداع للشعب الإسرائيلى ووسيلته فى مكافأة ، أبى فينبورج لولائه .

ولا يوجد شك فى أن فينبورج تمتع بأكبر قدر من النفوذ والاتصال بالرئيس طوال عشرين عاما قضاها كجامع تبرعات يهودى ومسئول عن حشد التأييد مع ليندون جونسون . وتوضح الوثائق فى مكتبة جونسون أنه حتى كبار أعضاء مجلس الامن القومى يدركون أن أى قضية يثيرها فينبورج يجب تلبيتها . وفى أواخر أكتوبر سنة ١٩٦٨ على سبيل المثال ، يسلم أحد المعاونين فى البيت الابيض مذكرة لروستو عن التغطية الصحفية الاسرائيلية « لمشكلة معاهدة منع الانتشار النووى وطائرات الفانتوم .... لاعطائك اساسا حقيقيا لتعاملك المستمر مع فينبورج ..» وفى عام ١٩٦٨ كانت حكومة إسرائيل قد كافأت فينبورج على خدماته بالسماح له بأن يصبح من كبار مالكى امتياز كوكا كولا فى إسرائيل . وسوف يصبح سريعا مركز ارباح يقدر بعدة ملايين من الدولارات .

ولم يواز أى دور ذلك الذى قام به فينبورج كجامع تبرعات فى فترة وجود جونسون فى البيت الابيض : فأحيانا كانت أمواله تحول مباشرة إلى والترجنكينز أكثر الاعوان الشخصيين للرئيس حظيا بثقته ، وأعوانه السياسيين فى البيت الابيض وليس للحزب الديمقراطى . وهناك آخرون فى المؤسسة

السياسية اليهودية ضمت رجالا مثل أرثر كريم محامى نيويورك ورئيس شركة يونيتد أرتيستس » الذى جمع كميات ضخمة من المال بصفة خاصة للحزب الديمقراطى . وكان وضع فينبورج مختلفا كما يتذكر ماير فيلدمان ، مساعد جونسون للشئون اليهودية « لقد جمع أبى الأموال فقط وكان يعلم إلى أين تذهب » .

واعترف فينبورج بأنه كان يمتلك مخبأ خاصا «وكان هناك الكثير من المواطنين يخشون أن يتبرعوا علنا بما يستطيعون التبرع به ، لذلك تبرعوا بتبرعات مالية سرية . وكان يتعين أن تتم بالكاد وجها- لوجه فعملية جمع المال عملية مهينة للغاية . فأولئك الذين لا تحترمهم يتبولون عليك » . وقد أصبح وضع فينبورج الخاص واضحا في البيت الابيض بعد أن كشفت الصحافة فى ١٤ أكتوبر سنة ١٩٦٤ أن والتر جنكيز ألقى القبض عليه قبل اسبوع فى دورة مياه بجمعية الشبان المسيحيين فى واشنطن بتهمة الاغواء على ممارسة الشذوذ الجنسى . ووقع الاعتقال قبل ثلاثة أسابيع من انتخابات الرئاسة لعام ١٩٦٤ . وكان جونسون فى نيويورك حين أعلنت أنباء الحادث والتى حاول التعتيم عليها وأصر على أن يبعد نفسه والاخرين فى البيت الابيض عن الحادث الذى ينطوى على فضيحة محتملة وكانت مشكلة فورية ، فقد جمع فينبورج ٢٥٠ الف دولار نقدا ووضعت فى خزانة جنكينز وكان يتعين الحصول عليها . وأتصل جونسون بفيلدمان وأمره وبيل ماير أحد المعاونين الآخرين الموثوق بهم وكاتب خطاباته فى وقت ما بتنظيف خزانة جنكينز . ولم يكن فيلدمان مندهشا لهذه المهمة « فقد كان جنكينز هو الوحيد الذى على دراية بكل ما يحدث . وكان يدون مذكرات مختزلة - إنها مذكرات كثيرة حتى منذ أن دخل جونسون الكونجرس - كما كان فيلدمان يعلم أن جنكينز كان يحظى بالثقة بصفة خاصة فيما يتعلق بقضايا الامن القومى . ومالم يكن يعرفه مايرز أنهما سيجدان أموال فينبورج وتساءل بيل « ماذا يتعين أن نفعل بها ؟ » وأجبت قائلا « لا أعرف . تولى الامر » » وكانت الاموال فى حقيبة الاوراق .

وقال مايرز حين سئل عن الحادث فى اوائل سنة ١٩٩١ أن ذاكرته مشوشة ولكنه أعترف بأن « الظروف أدت لأن أعتقد » أن جنكيز كان يملك مخبأ خاصا للأموال فى خزانته « واعتقد أنه كان هناك اعتماد خاص فقد كانت هناك أموال كثيرة فى واشنطن هذه الايام » . وردا على سؤال عما إذا كان

المال مخصصا تحديدا للحملة الديمقراطية قال مايرز « لا أعرف ماذا حدث لها فأى شخص يكون فى حاجة للمال كان يذهب دائما إلى والتر فقد كان همزة الوصل للمساهمين وأخذ معه أسراره إلى القبر » .

ويتذكر مايرز الشخصية التلفزيونية البارزة حاليا ما حدث فى البيت الابيض أثناء وجود جونسون : « حين جاء لرؤيتى شخص من نورث كارولينا . وقد أرسله والتر الذى لم يكن موجودا ليرانى . وكان معه حقيبة من الجلد وتركها فى مكتبى . وهرعت خلفه . وابلغت سكرتيرتى بالعثور عليه » وتم اللحاق بالرجل حين كان على وشك مغادرة المدخل الغربى ، ولكنه رفض استعادة حقيبة الاوراق ، وتذكر ما يرز أنه قال « لقد تركتها من أجل جنكينز ومايرز » وطالبت سكرتيرتى بأن تأخذها لمبلدريد سكرتيرة والتر جنكينز » .

ويضيف مايرز أن الرئيس جونسون « كان انتهازيا تماما . وكان يأخذ من أصدقائه ومعارضيه لأنه يعتقد بأن هذه هى الطريقة التى يسير عليها النظام . ولم يكن أى قرار يتخذ على اساس المال ولكن المال يعطيك حرية حركة » وردا على سؤال عن فينبورج أجاب مايرز « لقد اعتقدت دائما أن أبى فينبورج لديه تأثير كبير على جونسون فقد كان له دور كبير يلعبه » .

وكان لهارى شوارتز نائب جول وارنك ، الذى توفى فى أوائل سنة ١٩٩١ سبب خاص للشعور بالاحباط لعجز إدارة جونسون عن اقناع إسرائيل بالتوقيع على معاهدة منع الانتشار النووى . فقد بهت فى العام السابق حين جاء عدد من الملحقين العسكريين الإسرائيليين إلى مكتبه فى البنتاجون . وطالبوه بنظام صواريخ للارتفاعات المنخفضة للاسلحة النووية . ويوفر النظام الذى يعمل بالكمبيوتر وقتا للطائرة لاسقاط الاسلحة والابتعاد لتجنب آثار الانفجار . ويتذكر شوارتز « لقد سخرت منهم » ، وأشار الإسرائيليون إلى حشد الجيش المصرى على الضفة الأخرى واصروا على أن الضرورة تقتضى الحصول على هذا النظام لاسقاط قنابل ذات قدرة تدميرية عالية على التجمعات المصرية . وأضاف شوارتز « وابلغتهم بأن أى أمريكى يبيع لكم إداة لضبط إلقاء القنابل لهذا الغرض يكون معتوها وأنا لست معتوها » .

وعقد حفل غداء ودى خاص فى أوائل عهد إدارة نيكسون مع السفير رابين بعد أن بدأت إسرائيل تتسلم طائرات « أف ٤ » . وقرر أن يثير شوارتز موضوع القنبلة الإسرائيلية التى كانت إسرائيل مازالت تصر علنا على أنها

بديل فقط . وقال « أعتقد أن هذا ما يتعين عليكم أن تفعلوه وتقوموا به بالفعل فلا تحاولوا إخراج أحد منه مطلقا لأن حكومتهم الصغيرة ستختفى حينئذ . فيكاد يكون من المؤكد أن السوفييت يضعون بلدكم ضمن أهدافهم » .

ورد رابين بهدوء بعد لحظة صمت « سيد شوارتز هل تعتقد أننا معتوهين ؟ » .

١٥

النفـــــق

قامت إسرائيل بأفضل اعمالها من اسفل . هكذا فقد كان للمعامل الضخمة تحت الأرض فى ديمونه سابقاتها فى الكفاح اليهودى بعد الحرب العالمية الثانية ضد سلطة الانتداب البريطانى فى فلسطين . وقد أغضبت السلطات البريطانية ديفيد بن جوريون وانصاره بالاصرار على التزامهم بالقيود الصارمة المفروضة على الهجرة اليهودية إلى فلسطين التى وضعت فى سنة ١٩٣٩ بعد ثلاث سنوات من الثورات العربية . وأصبح القرار البريطانى يعنى عدم تمكن مئات الآلاف من يهود اوربا الشرقية حينئذ من الهروب من المحرقة الجماعية . والآن فإن اولئك الذين نجحوا بوسيلة ما من النجاة يحرمون من فرصة الحضور بشكل شرعى لفلسطين . وواجه الكثيرون معضلة يائسة : فإما يعودون إلى ما تبقى من مواطنهم قبل الحرب وحياتهم قبل الحرب أو البقاء فى المخيمات المزدحمة اللا إنسانية المتناثرة فى أوربا .

ويدأ أعضاء الهجاناة - الحركة السرية اليهودية - قليلو العدد والذين يتفوق عليهم الجانب الآخر فى التسليح ، حرب عصابات حتمية ضد القوات البريطانية لا يملكون خلالها أكثر من تصميمهم ومكرهم . وتضمنت واحدة من أكثر العمليات الساحرة فى الحرب مايبدو انه مستعمرة زراعية أخرى أنشئت فى سنة ١٩٤٦ على بعد ١٥ ميلا خارج تل ابيب بالقرب من قاعدة عسكرية بريطانية . وتم بناء المبنى الادارى للمستعمرة ، على ما يبدو عشوائيا على بعد نصف ميل من القاعدة .

ويتذكر « أبى فينبورج » الذى جنده بن جوريون قبل عام للمساهمة فى جمع المال لهذه العملية وغيرها من عمليات الفدائيين : « الا ان الامر بأكمله كان خدعة لهم . فمهمة المستعمرة لم تكن الزراعة ولكن توفير غطاء لمصنع سرى

محكم تحت الأرض لانتاج الطلقات لمدفع نصف آلى من طراز ستين وهو السلاح الاساسى للهجاناه » . وشحن المعـدن الخاص بالطلقات إلى إسرائيل بدعوى أنه أصـابع أحمر شفاه وأفرجت عنه سلطات الجمارك البريطانية دون معارضة .

وقال « فينبورج إن المنشأة تحت الأرض « اكتملت فى ٢٧ يوما » . وتناوب الرجال والنساء العاملون تحت الأرض العمل فى المنشأة والزراعة فالذين ينهون ورديتهم فى مصنع الاسلحة يؤمرون بتلطيخ احذيتهم بالطمى ويجلسون تحت المصابيح الشمسية ليبدوا للبريطانيين والاخرين كما لو كانوا يزرعون المحاصيل حقا أو يتفقدون أبقار وخراف المستعمرة . وخلال العامين التاليين كان الجنود والضباط البريطانيون باستمرار دون ان تنتابهم الشكوك زبائن لمخبز المستعمرة ومعمل الالبان بها اللذين عرضا خدماتهما بترحاب للجيش . ويتذكر فينبورج ان عددا قليلا من الجنود البريطانيين وصل بهم الامر إلى حد حضور حلقات العشاء فى المستعمرة مساء أيام الجمعة . واليوم فان المصنع المبنى تحت الأرض يعرف باسم متحف اليون ويتمتع بقدرة كبيرة ذائعة الصيت لجذب أطفال المدارس الاسرائيلية لزيارته .

وتبدو محطة اعادة المعالجة الكيميائية فى ديمونة التى تقع على بعد عدة مئات من الاقدام من المفاعل ، من السطح مثل مبنى ادارة تقليدى – منشأة مكون من طابقين بلا نوافذ تتسم بالغرابة مساحتها ثمانون قدما فى مائة قدم وتحتوى على مقصف للعمال وغرف استجمام وبعض المكاتب ومنطقة للتخزين ومحطة لتنقية الهواء والمبنى مزود بجدران كثيفة مدعمة وهو اجراء امنى ليس بغريب اذا وضع موقعه فى الاعتبار . وفور الدخول اليه ، فلا يوجد أى اشارة لما تم حفره تحت الأرض ، بما يوازى نفس الحجم تقريبا على عمق ثمانين قدما . حيث توجد محطة لاعادة المعالجة الكيميائية تعمل بالاجهزة الآلية المتقدمة . وعادة ما يتم سد مجموعة من المصاعد فى الطابق العلوى بقوالب الحجارة على نحو روتينى قبل ان يسمح للزوار الاجانب مثل فرق التفتيش الأمريكية برئاسة فلويد كولر بدخول المبنى . وأشار كولر فى تقاريره الرسمية خلال الستينات إلى ان فريقه شاهد دليلا على حوائط ملصقة ومدهونة حديثا فى ديمونه . ومن غير المعروف انه سمح لاى شخص من الخارج بالوجود داخل

محطة اعادة المعالجة التى لم يتأكد وجودها المشكوك فيه لفترة طويلة إلا فى عام ١٩٨٦ حين نشرت صحيفة صنداى تايمز تحقيقا داخليا عاديا على اساس الاحاديث المكثفة مع يهودى مغربى يبلغ من العمر ٣١ عاما يدعى موردخاى فانونو .

وقد بدأ فانونو العمل كفنى فى ديمونة فى أغسطس ١٩٧٧ وأمضى الفترة الأكبر من السنوات الثمانى التالية فى عدة مهام داخل محطة اعادة المعالجة التى تعرف رسميا باسم « ماتشون » (وماتشون تعنى منشأة أو معهدا بالعبرية) وتعرف بشكل غير رسمي باسم النفق . وكانت محطة المعالجة التى تتعامل مع مواد على درجة حرارة غير عادية ودرجة اشعاع عالية أكثر المناطق حساسية فى ديمونه ، حيث كان يعمل بها ١٥٠ فقط من بين العاملين فى ديمونه البالغ عددهم ٢٧٠٠ ، ولدخول المحطة يجب حمل تصريح خاص وتخضع جميع التحركات فى الداخل سواء إلى داخل دورة المياه أو أثناء الخروج منها للمراقبة الدقيقة . وجد فانونو لدى انخراطه فى العمل فى النفق ان نظام الأمن الصارم موجود نظريا فقط . فنظرا لوقوعه فى مشاكل دائما بسبب أرائه الموالية للعرب فقد تم ابعاده فى اطار عمليات الحكومة لخفض الانفاق . قدم فانونو التماسا عبر نقابته القوية مثل جميع النقابات فى اسرائيل واستعاد عمله . وفى هذا الوقت قام بتهريب كاميرا داخل محطة اعادة المعالجة خلال وردية ليلية وتحرك فى الداخل دون اعاقة لمدة اربعين دقيقة والتقط ٥٧ صورة ملونة . وبعد عدة اسابيع تم الاستغناء عنه بعد مطالبته باقامة دولة فلسطينية خلال اجتماع عربى ، ورغم ذلك وبمساعدة نقابته تمكن فانونو من التفاوض للتوصل لتسوية مع ادارة ديمونة التى منحته أجر الانقطاع عن العمل وخطابا يشيد بسجله الطيب .

ودفعته سلسلة من العوامل بعدم الرضا عن حياته واحباطه تجاه معاملة العرب فى اسرائيل وما علمه داخل ديمونه إلى الإقامة فى المنفى فى استراليا وفى النهاية اتصل بصحيفة صنداى تايمز ، وقد انتابت الشكوك محررو ومندوبو الصحيفة تجاه رواية فانونو عما يحدث داخل ديمونه ولكن الصور التى التقطها كانت حاسمة فى تأكيد مصداقيتة . ومع ذلك فحتى أثناء حديثه مع صنداى تايمز كان خاضعا للرقابة الصارمة للحكومة الاسرائيلية التى كانت

عملياتها ترتبط بعلاقات قديمة مع عالم الصحافة فى لندن . وحصل عميل للمخابرات الاسرائيلية يتخفى فى شخصية مندوب صحفى امريكى فى لندن على نسخة من بعض صور « فانونو » الحساسة ، وذلك قبل نشر القصة بالصنداى تايمز . وارسلت الصور مع رسول إلى مكتب رئيس الوزراء «شيمون بيريز» الذى امر الموساد باخراج «فانونو» من لندن واحتجازه فى اسرائيل . ولم يكن من الممكن القيام بعملية اختطاف فى لندن لاسباب دبلوماسية . وبدلا من ذلك غوت عميلة للموساد تدعى « سندى حنين بنتوف » وهو اسم مستعار ، «فانونو» الوحيد ليتوجه إلى روما لعدة أيام قبل نشر القصة ، وفور ذهابه إلى روما ، نقل « فانونو» كما قال لافراد عائلته بسيارة أجرة إلى أحد المنازل حيث تم تخديره واعيد بالسفينة إلى إسرائيل لتقديمه للمحاكمة . وصدر ضده حكم بالسجن لمدة ١٨ عاما فى مارس سنة ١٩٨٨ فى سجن مزود بأقصى الاجراءات الأمنية صرامة .

وأمد حديث « فانونو » مع صنداى تايمز وصوره للكثير من وحدات الانتاج فى النفق أو ما تشعربه المخابرات الامريكية على القيام بأول دليل مؤكد على قدرة اسرائيل على القيام بالانشطار أو الاسلحة النووية الحرارية ، كما تلقت المخابرات الامريكية نسخة من العديد من مذكرات حديث الصنداى تايمز مع « فانونو» وقدمت هذه المذكرات – التى حصل مؤلف الكتاب على بعضها – تفاصيل أكثر دقة عن الاعمال الداخلية لديمونه تزيد على ما تم نشره وأتفق كبار المسئولين الامريكيين رجالا ونساء ممن يعملون فى انتاج الاسلحة النووية والمخابرات النووية ، بشكل مطرد على ان المذكرات التى لم تنشر لفانونو ذات مصداقية عالية .. والتقط مسئول مخابرات ظل يحلل القدرات النووية الاسرائيلية منذ اواخر الستينات ، معلومات فانونو التى تتضمن اختراقا للعملية المحددة لكل وحدة داخل النفق وأوضح « ان مجال هذا العمل أكثر ضخامة بكثير مما كنا نعتقد . فهذه عملية ضخمة » .

وقام قسم « زد » وهو وحدة مخابرات خاصة فى معامل ليفر مور التى يعتبر خبراؤها أصحاب الكلمة الاخيرة فى قضايا الانتشار النووى ، قام بأكبر وأهم تحليل لمعلومات فانونو ، وهذا القسم مسئول عن تحليل الاسلحة النووية الخارجية مع التأكيد على التسلح السوفييتى ، ويتذكر مسئول سابق عن منع

الانتشار النووى فى البيت الأبيض « ان الخلاف الوحيد داخل قسم زد كان حول العدد » . وقد ابلغ فانونو الصنداى تايمز بأنه يعتقد ان المخزون النووى الاسرائيلى يزيد على مائتى رأس حربى وهو عدد ضخم مثير للدهشة ، فقد كانت تقديرات « السى اى ايه » ووكالة مخابرات الدفاع تشير فى اوائل الثمانينات إلى امتلاك اسرائيل ما يتراوح بين ٢٤ و ٣٠ رأسا حربيا . ويضيف مسئول البيت الأبيض « على أساس ما ادركه قسم زد ولم يكن بوسعه الربط بين ما يعرفون من ارقام وما تمكنوا من الاطلاع عليه » فى صور فانونو .

ولم يوجد دليل فى معلومات فانونو عن وجود طاقة تبريد اضافية فى مفاعل ديمونه الذى من الضرورى ان يكون انتاجه قد زاد لينتج بلوتونيوم يكفى مائتى رأس حربى . ومع ذلك نشر فانونو فى جزء من حديثه لم ينشر ولم يحصل عليه قسم زد شرح أن وحدة تبريد جديدة تم ضمها للمفاعل أثناء عمله فى ديمونه . وعلم خبراء منع الانتشار النووى الامريكيون بشكل مستقل فى العام الاخير من ادارة كارتر بدعم طاقة التبريد فى ديمونة وهو دليل آخر عن مصداقية فانونو بالاضافة إلى دليل على قدرة المفاعل على العمل على مستوى أعلى وانتاج المزيد من البلوتونيوم .

وكانت صور فانونو عما بدا نماذج كاملة للاسلحة النووية الاسرائيلية مصدر اهتمام الولايات المتحدة إلى أقصى حد . وتوافرت تسع من هذه الصور لمصممى الاسلحة فى معامل لوس الاموس وليفر مور لتقييمها وتحليلها واقامة نسخ من الاسلحة الاسرائيلية كما حدث بالنسبة للاسلحة السوفييتية فى الماضى ، وتضمنت قدرة إسرائيل على تصنيع واحد من اكثر الاسلحة تقدما فى الترسانة النووية وهو قنبلة نيوترونية ذات طاقة تدميرية منخفضة ، وتؤدى هذه الاسلحة التى دخلت المخازن الامريكية للمرة الأولى فى منتصف السبعينات إلى استخدام الاشعاع وأقل قدر من الانفجار فى قتل أى شئ حى فى مجال محدد بأقل قدر من الاضرار للممتلكات . والسلاح فى الواقع هو جهاز نووى حرارى من مرحلتين يستخدم التريتيوم وديوتريوم وكلاهما منتجان جانبيان للهيدروجين وليس ليثيوم ديوتريد من أجل اطلاق النيوترونات .

كما ساعدت معلومات فانونو خبراء المخابرات الامريكية فى تحديد مدى تقدم الترسانة النووية الاسرائيلية . وكشف فانونو على سبيل المثال ، ان

الوحدة ٩٢ فى النفق تثابر على فصل التريتيوم من الماء الثقيل منذ الستينات مما يشير إلى ان الفيزيائيين فى ديمونة فى اعقاب مناشدة « ليفى اشكول » من أجل الابحاث المتقدمة ، يحاولون من الايام الأولى لدخول ديمونه تطوير الانتاج وتصنيع اسلحة انشطارية ذات قوة دفع . وبدأت الولايات المتحدة تجريب هذا النوع من الاسلحة فى الخمسينات مما يزيد بشدة القدرة التدميرية لعلاج انشطار من مرحلة واحدة . والدفع بعملية تدخل بواسطتها كميات ضئيلة (عدة جرامات) من التريتيوم والديوتريوم مباشرة فى رأس من البلوتونيوم وتخصص لغم الرأس الحربى بنيوترونات إضافية فى لحظة الانشطار مما يؤدى فى الواقع إلى دفع السلاح بقوة فى لحظة الانفجار الحاسم مما يعطيه دفعة أقوى أو قوة تدميرية بقدر أصغر من البلوتونيوم . كما ابلغ فانونو الصنداى تايمز بأنه لدى عودته من عطلة فى سنة ١٩٨٠ من أول رحلة فى الخارج منذ هجـرته مع عائلته فى سـنة ١٩٦٣ ، عين للعمل فى محطة انتـاج جديدة لمادة « ليثيوم ٦ » وهو عنصر أساسى آخر فى القنبلة الهيدروجينية . وفى سنة ١٩٨٤ افتتحت وحدة جديدة هى الوحدة ٩٣ من أجل أنتاج التريتيوم على نطاق واسع . ويتم معالجة الليتيوم فى المفاعل ثم ينقل إلى الوحدة ٩١ حيث يتم تسخينه ليخرج اللتريتيوم فى حالة غازية مع الهيليوم والهيدروجين . ثم تضغط الغازات تحت ضغط عال عبر اسطوانة مصنوعة من اسبيسدوس البلاديوم ويتم فصلها . ويخزن الهليوم فى مسحوق اليورانيوم ويمكن فصله بعد ذلك بالتسخين . ويشير افتتاح الوحدة ٩٣ إلى بدء أنتاج الاسلحة النيوترونية على نطاق كامل حينئذ حيث يستخدم نحو عشرين جراما من التريتيوم فى كل رأس حربى نيوترونية .

وتتضمن ديمونه كما شرح فانونو - وتأكد المؤلف فيما بعد فى احاديث مع مسئولين اسرائيليين - على المفاعل وعلى الأقل ثمانية مبان أخرى « ماتشون» أهمها محطـة إعادة المعـالجة الكيميـائية . وكل مبنى على ما يبـدو مكتف ذاتيـا « فالماتشون » هو مفاعل ضخم ذو قبة فضية قطرها ستون قدما ويمكن رؤيته بوضوح من الطريق السريع القريب . وتظل قضبان وقود اليورانيوم لثلاثة أشهر فى المفاعل الذى يتم تبريده وتهدئته بالماء الثقيل . ويتم تبريد الماء الثقيل نفسه بالماء العادى المتدفق عبر مبدل حرارى مما يسفر عن

بخار يمكن فى محطة الطاقة النــووية ان يســير توربينين ويولد طاقة كهربائية . وبدلا من ذلك فإن البخار فى « ماتشــون ١ » يخرج للهـواء ويكون سـحابة مشعة . أما « ماتشون٢ » فهو محطة اعادة المعالجة الكيميائية . ويحول « ماتشون ٣ » الليثيوم ٦ إلى صلب من أجل ادخاله فى الرأس الحربى ومعالجة اليورانيوم الطبيعى الخاص بالمفاعل ويحوى « ماتشون ٤ » محطة لمعالجة النفاية من المخلفات المشعة من محطة اعادة المعالجة الكيميائية فى « ماتشون ٢ - أما « ماتشون ٥ » فيغلف قضبان اليورانيوم من « ماتشون ٣ » بالالمنيوم لاستهلاكها فى المفاعل. وفور وضع القضبان فى مركز المفاعل توفر الوقود المطلوب لاحداث رد الفعل المتسلسل ، والحصول على نظائر البلوتونيوم لاستخدامها فى الاسلحة . أما « ماتشــون ٦ » فيوفر الخدمات الاســاسية والطــاقة لديمونه . ويحتــوى « ماتشون ٨ » على معمل لاختبار العينات وتجربة عمليات الانتاج الجديد كما أنها موقع وحدة ٨٤٠ الخــاصة حيث انتج العلماء الاسرائيليون وسيلة غازية لتخصيب اليورانيوم للاستخدامات العسكرية . ويوجـد أيضــا منشأة اعــادة معالجة للنظائر بالليزر لتخصيب اليورانيوم فى « ماتشون ٩ » ويفصل اليورانيوم المستنفد ، الذى لا يحتوى على يورانيوم ٢٣٥ أو كميات ضئيلة منه ، بطريقة كيميائية فى « ماتشون ١٠ » من أجل شحنه فى النهاية إلى وزارة الدفاع الاسرائيلية أو بيعه لمنتجى السلاح فى أوربا أو أى مكان آخر لاستخدامه فى انتاج الطلقات والالواح المدرعة وقذائف المدفعية والقنابل . ويمكن للقذائف المدعومة باليورانيوم الثقيل الأكثر كثافة من القصدير ان تختــرق بســهولة الالواح المدرعة وأصبحت جزءا ثابتا فى الترسانات الحديثة . (وابلغ فانونو صنداى تايمز انه لم يكن هناك « ماتشون ٧ » خلال سنوات عمله فى ديمــونه لذلك فانه لا يعلم عنــه شيئا إذا كان قــد حدث به أى عمل اصلا) .

وبالطبع فإن أهم منشــأة فى ديمــونه هى محطة اعادة المعـــالجة فى « ماتشون ٢ » حيث أمضى فانونو الجزء الاكبر من حياته العملية . فهنا يتم استخراج البلوتونيوم أحد المنتجات الفرعية لعملية الانشطار فى المفاعل ، بالوسائل الكيماوية من قضبان اليورانيوم المتخلف واعادة تشكيله لاستخدامه فى قضبان وقود جديدة .

ويوجد على الأقل ٣١ وحدة منفصلة فى ستة مستويات تحت الأرض للنفق أهمها قاعة الانتـاج حيث تتم اعادة معـالجة قضبان اليورانيوم المستهلكة . وقبل امكان بدء عملية اعادة المعالجة مع ذلك يجب تبريد القضبان لأسابيع فى خزانات مليئة بالمياه وخفض درجة الاشعاع بعنصر وسيط . وعندئذ فإن القضبان المشعة تظل مهلكة ودائما ما يتم التعامل معها عن طريق التشغيل عن بعد ومن وراء درع من القصدير . وتسيطر قاعة الانتاج فى النفق على المستوى الأول عبر أربع ارضيات سفلية ، وتراقب غرفة تحكم ضخمة العمل هناك وتتضمن منطقة ملاحظة معروفة للفنيين باسم « شرفة جولدا » نسبة لزيارات جولدا مائير المتكررة بعد ان أصبحت رئيسة للوزراء فى عام ١٩٦٩ . ويقول فانونو ان النتيجة النهائية لعملية اعادة المعالجة الكيميائية تبلغ فى المتوسط تسعة « كريات » اسبوعيا من البلوتونيوم النقى تبلغ زنتها مجتمعة ١ر٢ كيلو جرام .

ويصنع البلوتونيوم بواسطة آلة فى مكان مأمون فى المستوى الخامس وهو الدور الوحيد فى النفق الذى لم يسمح لفانونو الدخول إليه . وفى النهاية حصل عى المفتاح ووجد سلسلة من الغرف المنفصلة - معزولة لاسباب أمنية ، حيث يتم تخزين البلوتونيوم الخاص بالاستخدام فى الاسلحة ، فى صورته الصلبة كمعدن ، داخل صناديق مبطنة مغلقة مملوءة بالأرجون كغاز جامد . وتصمم الصناديق المبطنة من أجل ان يتمكن العمال من الوقوف خارج المنطقة « الحارة » ويقومون بتشغيل الاجهزة الآلية التى تعمل بالتحكم عن بعد بأيديهم لتعليب كريات البلوتونيوم فى انصاف كرات دقيقة رفيعة من أجل ادخالها فى الرءوس النووية . كما يتم تصنيع المواد الكيماوية الأخرى التى تستخدم فى الترسانة النووية الاسرائيلية مثل مكونات الليثيوم وابيرليوم فى المستوى الخامس . ويضم هذا المعمل آلات متقنة . فإن خطأ دقيقا فى السطح الداخلى لمركز القنبلة يمكن ان يسبب خفضا ملحوظا فى قوى الانفجار أو يؤدى إلى عدم حدوثه . ومن الصعب على أى شخص من الخارج ان يدرك القدرة على الاحمال المسموح بها ، فعلى سبيل المثال نصف الرأس الحربية للبلوتونيوم الامريكية الصنع يسمح لها بأن تنحرف عن السمك المسموح به بمقدار يقل على واحد على خمسة من عشرة من الألف من البوصة أو مايوازى سدس قطر شعرة الانسان .

وفور اكتمالها فإن أجزاء الاسلحة تنقل بقوافل من السيارات غير المزودة بعلامات تحت حراسة مسلحة إلى منشأة أخرى شمالا لا يعرفها فانونو لتجميعها فى رءوس حربية . وبعد ذلك ابلغنى مسئولون اسرائيليون بأن المرحلة النهائية من انتاج الرأس الحربية يتم فى مصنع عسكرى فى شمال حيفا يقوم بادارته رجال وكالة الابحاث والصناعات الاسرائيلية السرية المسئولة عن غالبية الاسلحة الحساسة الاسرائيلية . ويظل النفق يعمل طوال الاربع والعشرين ساعة لمدة أربعة وثلاثين اسبوعا سنويا كما يقول فانونو والغلق اعتبارا من يوليو حتى نوفمبر من أجل الصيانة الروتينية والاصلاح . ويصف الخبراء النوويون الامريكيون الذين تم استشارتهم بشأن رواية فانونو بأن الوسائل المستخدمة لإعادة معالجة اليورانيوم المستنفد فى ديمونه روتينية اساسا فالمذيبات الصناعية والمحاليل التى يستخدمها الاسرائيليون هى نفسها التى يعتمد عليها فى محطة ريفر بلانت فى ايكن بولاية ساوث كارولينا حيث تعمل مفاعلات انتاج الماء الثقيل الكلاسيكية منذ منتصف الخمسينات .

ومع ذلك فما اثار الدهشة هو نطاق العملية الاسرائيلية . فاذا كانت رواية فانونو عن نسبة اعادة معالجة البلوتونيوم صحيحة ، بمعدل ثابت ١ر٢ جرام اسبوعيا ، فإن المفاعل ينتج مواد مخصبة تكفى لما يتراوح بين أربع إلى ١٢ قنبلة أو أكثر سنويا ، ويعتمد هذا على تعميم السلاح . كما يتعين على المفاعل أيضا ان يعمل بطاقة تتراوح بين ١٢٠ و ١٥٠ ميجاوات وهو مايزيد خمسة أضعاف على قدرته المعلنة رسميا ، ويستهلك نحو مائة طن من اليورانيوم الخام سنويا . ويعتقد بعض الخبراء الامريكيين ان احصائيات فانونو الذى لا تعد دقتها أساسا محل شك ، وقد تعكس الانتاج فى فترة الذروة وليس ما هو معروف عن معدل الانتاج العادى . واذا كان الامر كذلك فان ديمونه فى امكانها انتاج ما يتراوح بين ١٦ إلى ٢٠ كيلو جراما من البلوتونيوم الذى يستخدم فى الاسلحة سنويا بما يكفى لأربعة أو خمسة رءوس حربية .

وما أدهش الخبراء الامريكيين بصفة خاصة عن محطة إعادة المعالجة فى ديمونة هو مكانها ، تحت الارض ، وتقدمها . ويوضح خبير امريكى « يجب ان ندرك ان « ماتشون ٢ » متقدمة للغاية لأنها على هذا القدر من الحرارة . فهناك مستوى غير تقليدى من الشعاع . وانت تحتاج لجدران من ثلاث طبقات

جميعها تتحرك آليا . ورجال فى حلل خاصة وأجهزة إنسان آلى . وسوف تواجه وقتا عصيبا حتى تتأكد انها لا تتعرض للمراقبة والمتابعة . لذلك فأنت تذهب لمسافة عميقة تحت الأرض . وهذا بدوره يرفع من تكلفة أسطوانات التهوية لشفط الهواء ،أنظمة التكييف بالاضافة إلى جميع تكاليف التشييد العادية .

كما طرح البناء تحت الأرض مخاطر هندسية ضخمة كان يمكن مواجهتها فقط بتخطيط متميز رائع ومعلومات الخبراء . فعلى سبيل المثال ، قررت فرق التشييد التى شيدت فى البداية محطة نهر الفاتا التابعة للجنة الطاقة الذرية الامريكية . فى ساوث كارولينا وضع ابواب سميكة مبطنة بالقصدير تحمى قوة العمل على قواعد دائرية عادية بمحركات آلية صممت هندسيا خصيصا للفتح والاغلاق . ويضيف الخبير الامريكى « ولكننا عادة لم نحرك الابواب بما فيه الكفاية وسويت القواعد بالارض . وكانت الابواب ثقيلة وبدا أننا أخطأنا الفيزياء . واضطررنا لوقف العملية لازالتها . ولم نختبر هذا النظام قبل تطبيقه لاننا لم نفكر فى هذه النتيجة » .

ويقول المسئول ان الاحتمال يبقى قائما فى ان الاسرائيليين صمموا منذ البداية على تجنب مثل هذه المشاكل باكتشاف نقاط الخطأ والصواب من الامريكيين الذين قاموا ببناء محطة سرية ، فهو امر يجب ان يتم . فهذه النوعية من المعلومات حيوية لعدم وقف العجلة . واى شئ يمكنك تعلمه كما تعلمه الأخرون من اخطائهم يدفعك خطوات للامام » . ويفترض ان هذه كانت احدى مهام بنيامين بلومبيرج ومكتبه للمهام الخاصة الذى أصبح معروفا فى منتصف السبعينات باسم مكتب العلاقات العلمية أو « لاكام » . وانتشر عملاء بلومبيرج فى جميع أنحاء العالم لجمع المعلومات الفنية المتاحة وانشاء شركات وهمية فى أوربا وأمريكا اللاتينية من أجل شراء معدات التكنولوجيا المتقدمة من الولايات المتحدة التى لم يكن مسموحا تصديرها لاسرائيل .

وتضمن مجالا حساسا أخر وهو علم الإنسان الآلى أو الروبوت الذى جاء أول استخدام له فى الولايات المتحدة فى معامل الأسلحة الحارة حين لم يكن فى وسع الإنسان أن يعمل . فالدقة المتناهية المطلوبة فى عملية تصنيع نصف كرات البلوتونيوم ووضعها حول الغازات المطلوبة لإنتاج اسلحة نووية مدعومة

تحققت فقط بعد قفزات واسعة فى مجال التحكم عن بعد . ولم يكن من قبيل المصادفة أن يشتهر أهارون كاتزير أو كاتشالسكى رسميا - الذى اصبح مثل ارنست بيرجمان قوة عقلية داخل لجنة الطاقة الذرية الإسرائيلية - بأبحاثه فى مجال الإنسان الآلى فى معهد فايتسمان . وظهرت صورة كاتزير مع بعض عملياته البحثية على غلاف مجلة « ساتر داى ريفيو » فى يوم السبت ٣ ديسمبر ١٩٦٦ . وكان عنوان المقال « أول إنسان آلى بعضلات » . وتحدث عن عمل كاتزير الرائد فى تحويل الطاقة الكيماوية إلى طاقة حركة . كما كان فريق كاتزير فى معاهد فايتسمان يركز على تطوير أنسجة عضلات صناعية لاستخدامها فى الإنسان الآلى . ومولت ابحاثه بشكل ضخم من جانب مكتب الأبحاث العلمية التابع لسلاح الجو الأمريكى . وكان اهتمام سلاح الجوى الأساسى ينصب على استخدام الإنسان الآلى فى الأبحاث فى الفضاء الخارجى . ولم يكن لدى القوات الجوية أدنى فكرة عن أنها تساعد أيضا على الموافقة على أبحاث خاصة بالترسانة النووية الإسرائيلية كما أنها لم تكن تدرى أن عمل كاتزير الأساسى كان يتم فى « ديمونه » وليس فى معهد فايتسمان .

وأعادت اكتشافات فانونو بقوة التأكيد على الشكوك القائمة لدى الكثيرين فى المخابرات الأمريكية من أن إسرائيل قامت سرا باختبار أسلحة نووية حرارية متطورة ، فبعضها كانت فى حاجة لتقليل حجمها لتلائم القنابل ورءوس الصواريخ أو أنها نجحت بشكل أو بآخر فى الحصول بشكل غير شرعى على نتائج الاختبارات الأمريكية . ويتذكر خبير أسلحة « لقد مررنا بعشر أو أثنى عشر اختبارا تحت الأرض فى مركز الاختبارات الأمريكى الموجود تحت الأرض فى نيفادا » لنتوصل فقط لبعض المعلومات . فكيف يمكنهم انفاق هذا القدر من المال على محطة إعادة المعالجة تحت الأرض بدون إجراء اختبارات (يجب أن تكون واثقا تماما من معلوماتك فأنت ببساطة لا يمكنك تحمل أن تكون على خطأ) .

ورغم هذه التعليقات يظل لا يوجد أى دليل فعلى على أن إسرائيل احتاجت مساعدة خارجية من أجل الحصول على اسلحتها النووية . واعترف دكتور جورج كوان الذى امضى أكثر من عشرين عاما فى تصميم الأسلحة النووية فى لوس الاموس بأن هناك ارتباطا وثيقا دائما مع الفيزيائيين

الإسرائيليين من معهد فايتسمان (ولقد زاروا المعامل فى لوس الاموس وليفر مور ومن المحتمل أنهم عوملوا بشكل أكثر صراحة من الزائرين الآخرين هنا ولكن هناك تركيزا شديدا على الفكرة التى تفيد بأن شخصا ما أطلعهم على أسرار معينة . إن الإسرائيليين أذكياء بما يكفى لأن يقوموا بالأبحاث الخاصة بهم وقد أذكى كتاب قصص الجاسوسية إلى حد كبير فكرة الحاجة للحصول على معلومات سرية . وهناك قدر من الحقيقة يرتبط بهذه الأمور أقل كثيرا مما يعتقد غالبية الناس) . ومثل العديد من العلماء فى المعامل النووية الأمريكية فقد كان لكوان صديق إسرائيلى حميم مشارك فى العمل فى « ديمونه » ويقول : (لم يسألنى مطلقا عن أى شئ طوال السنوات عن القنبلة ولم يكن ليفعل) . وبالمثل فإن الفيزيائى هانز بيث الحائز على جائزة نوبل الذى ساهم فى تصميم أول الأسلحة النووية ، والنووية الحرارية الأمريكية يتذكر ثلاث زيارات قام بها لمعهد فايتسمان « أخذنى خلالها مضيفى فى كل مكان وناقش كل شئ معى فقد ادركوا أننى مهتم بمفاعلات الطاقة النووية . ومع ذلك فانهم لم يعرضوا نقلى لزيارة ديمونه . ووجدت ذلك أمرا ذا دلالة » .

واذاكان هناك أى عزاء للمخابرات الامريكية عقب اكتشافات فانونو المذهلة التى اعطت واشنطن أكثر الادلة تحديدا عن محطة اعادة المعالجة الاسرائيلية ، فقد تمثل فى الاقتناع بوجود تخطيط عبقرى غير عادى تم فى ديمونه لم يتقبله كبار المسئولين فى سلسلة القيادة الاسرائيلية . وقال أحد الخبراء « من غير المرجح ان كبار المسئولين فى الحكومة الاسرائيلية تفهموا حقا » ماذا يحدث فى ديمونه ، كما فشل تماما خبراء المخابرات الامريكية فى ذلك .

وقد ادرك الخبراء الامريكيون هذا على الأقل . وقد اعترف شيمون بيريز لاصدقائه بانه . فى المراحل الأولى من بناء ديمونه كان يوقع عادة على أوامر طلبات ووثائق فنية أخرى باسم حكومة بن جورين بدون ان يعرف بدقة ماذا وافق عليه .

١٦
مقـــدمات الحـــرب

لم يكن تطور اسرائيل الى قوة نووية كاملة فى سنة ١٩٦٩ ليأتى فى وقت أسعد حظا فيما يتعلق بالرئاسة الأمريكية . فقد حضر « ريتشارد نيكسون » و« هنرى كيسنجر » يوم التنصيب فى ٢٠ يناير ١٩٦٩ مقتنعين بأن الطموحات النووية الاسرائيلية لها ما يبررها ويمكن تفهمها ، وفور توليهما السلطة مضيا خطوة أبعد حيث أيدا الطموحات النووية الاسرائيلية .

كما تقاسم الزعيمان الأمريكيان احتقار معاهدة منع الانتشار النووى التى أيدها علنا « ليندون جونسون » بحماس ، وأثار « نيكسون » فى منتصف حملته الانتخابية ضد نائب الرئيس « هوبرت هامفرى » استياء مجتمع الحد من التسلح بمناشدة الكونجرس تأخير التصديق على المعاهدة حتى بعد الانتخابات. ثم مضى أبعد من ذلك بعد عدة أيام وصرح للصحفيين فى « تشارلوت » بنورث كارولينا بأنه تحديد قلق تجاه عدم سماح المعاهدة بنقل الأسلحة النووية الدفاعية ، مثل الألغام أو الأنظمة المضادة للصواريخ غير الباليستية الى القوى غير النووية ، وشعر مسئولو الحد من التسلح فى الحكومة بارتياح شديد فى أوائل فبراير ١٩٦٩ حين طالب « نيكسون » مجلس الشيوخ رسميا بإقرار المعاهدة ثم أعلن فى مؤتمر صحفى أنه سيفعل ما فى وسعه لمناقشة فرنسا وألمنيا الغربية المعترفتين بتحفظاتهما بالتوقيع عليها وقال « سوف أوضح إننى أعتقد أن التصديق على المعاهدة ، من جانب كل الحكومات، نووية كانت أو غير نووية ، هو فى صالح السلام وفى صالح خفض احتمال الانتشار النووى »

ومع ذلك أصدر « نيكسون » و« كيسنجر » سرا من مكتبيهما فى نفس الوقت أمرا رئاسيا للجهاز البيروقراطى بضرب عرض الحائط بما قيل علنا

وهو ما علمه عدد قليل فقط فى الحكومة ، تنص الوثيقة الرسمية المعروفة رسميا باسم مذكرة قرار الأمن القومى رقم ٦ « أنه يجب ألا تبذل أى جهود من جانب الولايات المتحدة للضغط على الدول الأخرى وبصفة خاصة حكومة ألمانيا الاتحادية لتحذو حذوها والتصديق على معاهدة الحد من انتشار الأسلحة النووية، ويجب أن تعكس الحكومة فى موقفها المعلن نبرة التفاؤل من أن الدول الأخرى ستوقع أو تصدق على المعاهدة فى الوقت الذى تنأى بوضوح عن نفسها سرا عن أية خطة لممارسة الضغط على هذه الدول للتوقيع أو التصديق » .

ويتذكر « مورتون هالبرين » أقرب مساعدى « كيسنجر » حينئذ من بين العاملين فى مجلس الأمن القومى « لقد كان هذا تغييرا كبيرا فى السياسة الأمريكية فقد أمن « هنرى » بأنه من الجيد أن تنتشر الأسلحة النووية فى جميع أنحاء العالم . ولقد سمعته يقول إنه اذا كان هو من الاسرائيليين فسوف يحصل على أسلحة نووية . ولم يعتقد أن الولايات المتحدة يجب أن تحاول ولا تتحدث معهم عن الأمر » . كما أبلغ « كيسنجر » فريق العاملين معه فى الشهور الأولى من عام ١٩٦٩ بأن اليابان مثل اسرائيل ستكون فى وضع أفضل بالقنبلة عنه بدونها ، وكان مقتنعا كما يقول « هالبرين » بأن الأسلحة النووية ضرورية للأمن القومى للدولتين ، واتسمت رؤية « كيسنجر » فى أساسها بالبراجماتية كما يضيف « هالبرين » فغالبية القوى العظمى ستحصل فى النهاية على أسلحة نووية ويمكن أن تستفيد الولايات المتحدة الى أقصى حد بمساعدتها لأن تفعل ذلك بدلا من الاشتراك فى ممارسة أخلاقية بلا طائل مثل معاهدة منع الانتشار النووى .

وكان تأييد « كيسنجر » لبرنامج الأسلحة النووية الاسرائيلى كما أعلنه خلال اجتماعه فى منزل الجنرال « ايلار بيليد » معروفا للقيادة الاسرائيلية ، واذا كانت الضرورة تقتضى صدور إشارة صريحة عن موقف الادارة فقد جاءت سريعا بعد انتخابات عام ١٩٦٩ بقرار صدر ينهى عمليات التفتيش التى يقوم بها « فلويد كولر » على « ديمونه » ، وقد ظل مسئولو الحد من التسلح الأمريكيون يعتبرون هذه العمليات التى بدأت فى سنة ١٩٦٢ مهمة من حيث المبدأ ولكن عمليا كانت ذات فائدة هامشية ، فقد تمت بدون تغيير ، مع ذلك

طوال سنوات جونسون ، واعتبرت إسرائيل عمليات التفتيش تدخلا فى سيادتها كما كانت هناك مخاوف من احتمال أن يصدم « كولر » أو أحد أفراد فريقه بشيء مفيد خاصة مع بدء « ديمونه » العمل بكامل طاقتها فى أواخر الستينيات من أجل الانتاج الكامل للرؤوس الحربية .

وبدت عملية التفتيش التى قام بها « كولر » عام ١٩٦٩ لبعض الأمريكيين بلا هدف محدد فى أعقاب قرار « جونسون » فى اللحظة الأخيرة بالسماح لاسرائيل بشراء أى عدد تريد من طائرات « أف - ٤ » بل أنه يصر كما أرادت وزارة الخارجية والبنتاجون على تصديق اسرائيل على معاهدة منع الانتشار النووى مقابل ذلك، ويذكر « جوزيف زورهيلين » الراحل الذى كان حينئذ نائبا للسفير الأمريكى فى تل أبيب والى باربر « وصل فريق كولر يوم السبت وأمضى عدة ساعات فقط ، فلا يمكنك فقط أن تتجول فى الداخل فى رحلة بصحبة مرشدين . ولكن يتعين أن تقوم بعمل ضخم مروع كى تتأكد ماذا حدث لأى مفاعل » . ولم تكن لدى « زورهيلين » أية أوهام تجاه ما يحدث فى «ديمونه» ويوضح فى مذكرة قدمها لواشنطن كانت واحدة من التى استخدمت فى العلاقات العامة « لقد قام الفرنسيون بربط عصابة على أعيننا وكذلك فعل الاسرائيليون ، فالاسرائيليون يمكنهم أن يدعوا أن عمليات التفتيش التى قمنا بها على « ديمونه » أوضحت أنه نظيف فى حين أنها لم توضح شيئا على الاطلاق » . وكانت مثل هذه الشكاوى قد ترددت من قبل .

إلا أن واشنطن الآن وجدت أنه من الملائم إنهاء التمثيلية وانتهت عمليات التفتيش . ولم تتكرر بعد ذلك مطلقا ، كما أصدرت ادارة « نيكسون » حكما سيصبح سياسة أمريكية طوال العقدين التاليين . فاسرائيل تملك سلاحا نوويا ولا يوجد شيء يمكن أن تفعله الولايات المتحدة أو تريد أن تفعله .

وشقت السياسة الجديدة طريقها عبر أروقة البيروقراطية التى جاء رد فعلها كما هو الحال دائما فى الجهاز البيروقراطى : وقد اتبعت التعليمات بدرجات متفاوتة من الخضوع . فقد بدا « تشارلز فان دورين » نائب المستشار العام لوكالة الحد من التسلح ونزع السلاح فى إدارة « نيكسون » مقتنعا بأن اسرائيل هى « كعب أخيل » فى سياسة أمريكا تجاه معاهدة منع الانتشار النووى . وقال « فان دورين » الذى خدم طوال ١٩ عاما فى جهاز الحد من

التسلح : « لقد كنا نتغاضى عنها » ويتذكر أنه حاول مرارا تحت قيادة « نيكسون » و« كيسنجر » .. « وضع معاهدة منع الانتشار النووى فى جدول أعمال المحادثات حول الشرق الأوسط ولكن أبلغت بأنه توجد موضوعات كثيرة على المائدة » . وأدرك السبب المؤكد بالطبع « فقد صدر أمر بعدم طرح أى معلومات نووية عن اسرائيل . وكان هذا محبطا للغاية » .

كما انعكس تحمل « نيكسون » و « كيسنجر » لاسرائيل النووية فى وسائل الاعلام ، ففى يوليه ١٩٦٩ شق تقرير مخابرات « ديكر » حول ترسانة اسرائيل النووية الذى حظره فى عام ١٩٦٨ « ليندون جونسون » وبعد ذلك «ريتشارد هيلمز» مدير الـ « سى آى أيه » طريقه للصفحة الأولى من نيويورك تايمز » – ولم يهتم أحد ، وقد مست قصة النيويورك تايمز التى كتبها مراسلها فى واشنطن « هيدريك سميث » الرأى العام الأمريكى بأول معلومات عن تقييم الـ « سى آى إيه » للترسانة النووية الاسرائيلية . وبدأت بجملة تقول : « طوال عامين على الأقل ظلت حكومة الولايات المتحدة تدير سياستها فى الشرق الأوسط على أساس افتراض أن اسرائيل إما تمتلك قنبلة ذرية أو تمتلك أجزاء المكونات المعدة للتجميع السريع » . كما وصفت قصة « سميث » تقدم اسرائيل فى تطوير نظام صاروخها « جيريتشو – ١ » وكشف أن مصنع تصنيع الصاروخ أنشىء بالقرب من تل أبيب لانتاج أجهزة الدفع الصلبة والمحركات اللازمة للصواريخ ، ويتذكر « سميث » محاولته – طوال عامين – نشر الموضوع فى التايمز وفشله « لأننى فقط لم أكتف بالقوة الكافية » وحصل على دعم فى شهر يوليو هذا من جانب السيناتور « ستيوارت سيمنجتون » الديموقراطى من « ميسورى » الذى اعترف فى حديث تليفزيونى يوم الأحد أنه « لا يوجد شك فى أن اسرائيل تفعل ما فى وسعها لانتاج أسلحة نووية » . وساندت حجة « سيمينجتون سميث » فى نشر القصة بعد عدة أيام وانتظر المندوب المتمرس فى تغطية الشئون الدبلوماسية الاهتمام الذى كان متأكدا أن المقال سيحظى به من الآخرين فى وسائل الأعلام والكونجرس، ولم يحدث شىء ، وقال « سميث »: « لقد أصيب بالذهول فلم يقترب منه أحد ، ولم تتحرك شبكات التليفزيون نحوه » . كما لم تفعل أى صحيفة منافسة للتايمز التى وجدت أنه من المستحيل تأكيد القصة « وتملكنى شعور بأننى وحدى فى الميدان » . ولم

يتلق المندوب أى شيء من سفارة اسرائيل فى واشنطن وعقد اجتماعا بعد ذلك؛ مع السفير « المنزعج للغاية » (إسحق رابين) بعد ذلك . ويقول « سميث » الذى يتذكر أنه سأل « رابين » اذا كان ينفى بالتحديد القصة « أنه لم يجب وكرر الموقف الثابت لاسرائيل من أنها لن تكون البادئة باستخدام هذه الأسلحة » .

وفى منتصف عام ١٩٧١ جعل سلوك البيت الأبيض المتساهل تجاه القنبلة الاسرائيلية من الممكن حتى لهؤلاء الاسرائيليين المسئولين عن مراقبة شحنات المواد الحساسة أن ينظروا للجهة الأخرى . وقد عين « جلين سيلا » المسئول فى وزارة الخارجية الذى عين هذا الصيف لتناول الشئون السياسية والعسكرية فى المكتب الاسرائيلى فى وزارة الخارجية ، كما عين ممثلا للوزارة فى قوة مهام الشرق الأوسط وهى مجموعة داخل الوكالة مهمتها الأساسية مراقبة سياسات نقل الأسلحة الأمريكية . وبدأ « سيلا » الذى خدم فى المغرب والجـزائر ومصر فى السـؤال عن القنبـلة الاسرائيلية ، وعلم سريعا بتقـدير « دوكيت » المحظور . كما علم بأنه اذا حدث أى ضغط على اسرائيل لوقف برنامجها للأسلحة النووية فلن يأتى من قوة المهمة الخاصة أو وزارة الخارجية . وكانت اسرائيل تضغط من أجل الشحن الفورى للمزيد من طائرات « أف - ٤ » وصدرت الأوامر لمكتب المعلومات والأبحاث بوزارة الخارجية بوضع دراسة عن التوازن العسكرى فى المنطقة . وحين انتهت الدراسة لم تشر للقدرة النووية الاسرائيلية مما أثار استياء « سيلا » . وقال : « اعتقدت أننا يجب أن نواجه حقيقة امتلاكهم لها ولكن لم يسمح لأى شخص بالحديث عن هذا الأمر » .

وبعد عدة أشهر أبلغ « سيلا » بأنه تمت الموافقة على طلب اسرائيلى لبيع « كريترونات » بشكل روتينى من جانب نظيره فى مكتب القوة الخاصة عن البنتاجون . وأبلغ « سيلا » الفضولى بأن الكريترونات هى أجهزة توقيت اليكترونية حساسة لاشعال أنوار من نوعية معينة . ويتذكر « سيلا » : « اننى أذكر أننى اتصلت بعضو البنتاجون فى القوة الخاصة واننى أبلغت بأنك يمكن أن تشترى هذا الشيء من متجر « هيشينجر » الشهير فى واشنطن للمعدات الثقيلة ولكنه لم يتم إبلاغى بأنها جزء أساسى فى الأسلحة النووية . ثم علمت أن « كريترونات » تشتمل القنابل النووية « . ويعد الجهاز ذو السرعة العالية الذى عادة ما تخضع عملية تصديره لرقابة مشددة ، ضروريا للتفجير الدقيق

للمتفجرات الكيماوية التى تسبب الانفجار الداخلى فى السلاح النووى وجميعها يجب أن تكون معروفة لمسئول فى البنتاجون .

وظل « سيلا » فى مكتب الشرق الأوسط عامين وأصبح يوصم سريعا بأنه مناصر للعرب ويقول : « وهو الأمر الذى قبلته » وقد تعلم الدرس مع هذا ، فبعد عام تضمنت الميزانية الأمريكية بشكل ما اعتمادات مخصصة لامداد معهد « فايتسا » بجهازى كمبيوتر عملاقين ، وعلم « سيلا » أن مهام الكمبيوتر تتضمن التقليد النووى ، وقال : « بدا واضحا الهدف من الحصول عليهما ولكنى حتى لم أحاول دخول المعركة » .

ولم يكن المناخ أفضل فى الـ « سى آى إيه » . فقد واصل « ريتشارد هيلمز » البيروقراطى البارع فى ارضاء رؤسائه بكبت أى معلومات ذات قيمة عن القنبلة الاسرائيلية ، كما وصل الى اقناع شخصية أبلغها مرارا لمعاونيه ونوابه بأنه مقتنع بأن اسرائيل تقدم معلومات القمر الصناعى الأمريكى للاتحاد السوفييتى من خلال جهاز مخابراتها ، وأوضح « كارل دوكيت » أن الـ « سى آى إيه » حصلت على نسخة من قائمة طلبات المخابرات الاسرائيلية فى أواخر ١٩٧٢ . وطالب الاسرائيليون مندوبيهم فى أمريكا بالحصول على معلومات متقدمة عن القمر الصناعى الخاص بالتجسس . وبدا « هيلمز » مقتنعا بأن الاسرائيليين يقومون بالمهمة نيابة عن السوفييت . كما أعتقد أن اسرائيل خط مفتوح لضخ المعلومات لموسكو « وكان هناك بالطبع تفسير مباشر بصورة أكبر وهو تفسير لم يكن فى وسع « دوكيت » و « هيلمز » اكتشافه فى أوائل السبعينيات . فاسرائيل أرادت صور القمر الصناعى عن الاتحاد السوفييتى من أجل احتياجاتها لتوجيه الأسلحة النووية لأهدافها .

وأدرك الرجال والنساء فى الجهاز البيروقراطى كما فعل « هيلمز » أن القضية النووية الاسرائيلية تعد أمرا محرما ويقول « ديفيد لونج » خبير شئون الشرق الأوسط فى وزارة الخارجية : « لم يتم تناول القضية على المستوى العامل فى وزارة الخارجية » . ولم يتمكن مسئولو وزارة الخارجية والبنتاجون الذين أرادوا فى أوائل السبعينيات من معرفة مزيد من المعلومات عن الأسلحة النووية الاسرائيلية ويضيف « لونج » مثل هذه المعلومات تحمل أعلى درجات السرية « وكلما تحركت بوصة فى هذا الاتجاه ، عليك أن تقرر ما اذا كنت تريد

أن تقوم بحملة أو أن تحافظ على عملك » . وعلى الجانب الآخر قال « لونج » أنه وآخرين ظلوا يسألون بشكل غير رسمى بانتظام عن الأسلحة النووية الاسرائيلية من جانب دبلوماسيين من الشرق الأوسط « وكان علىّ أن أرد بأننا لا نعلم أى شىء وهذا هو ما يقوله الاسرائيليون » . ويتذكر « لونج » أن أحد رؤسائه سأله فى احدى المرات أن يضع هذا الرد كتابة فى مذكرة دبلوماسية رسمية لإحدى دول الشرق الأوسط ورفض ، ويتذكر قائلا : « لقد تراجعت وحجتى أننا يجب أن نقول « لا تغليق » وأعتقد أن نقل انطباع كاذب على نحو متعمد يتخطى الحيلة . ولم أكن قائد حملة ولكننى طلبت أن ينقل أحد غيرى المذكرة ، وقد فعلوا ذلك » . وبالمثل أمضى « كورتيس جونز » عمله كخبير فى شئون الشرق الأوسط فى وزارة الخارجية وكان عمله الأخير مديرا لشئون الشرق الأدنى وشمال افريقيا وجنوب آسيا فى مكتب الأبحاث والمعلومات . ويقول « جونز » : « لم يكن قصف الأسلحة النووية الاسرائيلية فى أى وقت يمثل قضية للحكومة الأمريكية ، فطوال الوقت الذى قضيته هناك لم نجلس ونتحدث عن هذا الأمر » .

وأزال تخفيف الضغط من جانب واشنطن أى قيود على « ديمونه » والقيادة الاسرائيلية التى فسرت على نحو صحيح انتهاء عمليات تفتيش « كولر » كتصريح على بياض . وبدأ الفنيون والعلماء فى « ديمونه » العمل فى أوائل السبعينيات كما فعل نظراؤهم الأمريكيون والسوفييت فى الأيام الأولى من الحرب الباردة . وأنتج الاسرائيليون أكبر قدر ممكن من القنابل .

وفى عام ١٩٧٣ وفقا لما يذكره مسئولون حكوميون اسرائيليون سابقون، وصل اجمالى الترسانة النووية الاسرائيلية الى عشرين رأسا حربيا على الأقل وثلاث منصات إطلاق صواريخ أو أكثر معدة للعمليات فى « هيربات زاخاريا » ، كما امتلكت اسرائيل عددا غير معروف من المنصات المتحركة لصواريخ « جيريتشو-١ » تم تصنيعها فى اطار المشروع ٧٠٠ . وكان الصاروخ قادرا على إصابة أهداف فى جنوب روسيا بما فى ذلك « تبليسى » بالقرب من حقول البترول السوفييتية وباكو بالاضافة إلى العواصم العربية منذ سنة ١٩٧١ كما كان يوجد سرب من طائرات « أف - ٤ » القادرة على حمل أسلحة نووية فى حالة تأهب طوال الأربع والعشرين ساعة فى مخابىء تحت الأرض فى قاعدة

« تل نوف » الجوية بالقرب من « ريحونوت » ، وكان طيارو « أف – ٤ » المدربون تدريبا خاصا هم صفوة سلاح الجو الاسرائيلى وتم منعهم من مناقشة مهمتهم مع أى شخص من الخارج ، وكانت طائرات « إف – ٤ » بعيدة المدى قادرة على القيام برحلة بلا عودة الى موسكو وهى حاملة قنبلة نووية وسيتعين على الطيارين الجسورين أن يعاد تزويدهم بالوقود فى الجو من أجل العودة الى الوطن .

وفى هذا الوقت حلت « ديمونه » الكثير من المشكلات الأساسية حول تصغير حجم الأسلحة وأمدت الرءوس الحربية الأصغر حجما مصممى الأسلحة الاسرائيليين باحتمالات متنوعة تضمنت نشر أسلحة تكتيكية ذات قوة تفجيرية صغيرة لاستخدامها فى ميدان القتال . وقامت الولايات المتحدة بدورها بالموافقة على بيع مدافع بعيدة المدى لجيش الدفاع الاسرائيلى من عيار ١٧٥ ميلليمتر و ٢٠٣ ميلليمتر فى أوائل السبعينيات . وهذه الأسلحة القادرة على ضرب أهداف على بعد ٢٥ ميلا أصبحت أيضا جزءا من الخيار النووى الاسرائيلى . وعلمت المخابرات الأمريكية فيما بعد بأن الاسرائيليين اختبروا انتاج مدفع قادر على اطلاق قذيفة لمسافة تزيد على ٤٥ ميلا عن طريق صهر ماسورتى مدفعين بعيدى المدى .

كما تعاقدت اسرائيل مع الدكتور « جيرالد بول » مصمم الأسلحة الكندى – المثير للجدل – لامدادها بقذائف المدفعية المصممة خصيصا التى يمتد مجالها الى ٢٥ فى المائة ، وكان يوجد بعض خبراء الأسلحة الإمريكيين الذين أدركوا هدف اسرائيل الحقيقى فى ضوء عدم دقة قذيفة مدفعية أطلقت على هذا المدى البعيد ، ويقول أحد الخبراء : « اذا كنت ستطلق قذيفة مداها ٤٥ ميلا واختلفت الدقة بنسبة ٣ فى المائة على المدى فماذا ستصيب بقذيفة ذات قوة تدميرية عالية ، ليس ذلك بالأمر الكثير . وستحتاج الى سلاح نووى » . وقد زار هذا الأمريكى الذى كان مسئولا كبيرا فى واحدة من منشآت تجارب الأسلحة التابعة للجيش الأمريكى اسرائيل فى عام ١٩٧٣ وأبلغ بالاستخدام المعتزم للمدافع بعيدة المدى وهى معلومات أبلغها للمخابرات الأمريكية كما يقتضى عمله . ويضيف هذا الأمريكى أنه ترددت تكهنات بأن اسرائيل تستهدف ضرب دمشق عاصمة سوريا بالمدافع الخاصة خلال حرب يوم « كيبور » . وتلقت

واشنطن الرسالة . ويتذكر مسئول كبير فى مخابرات وزارة الخارجية حالة القلق واسع النطاق التى سادت فى أوائل السبعينيات تجاه برنامج المدفعية الاسرائيلى الطموح . وقال المسئول : « تركز افتراضنا فى أنهم طوروا قذيفة مدفعية صغيرة ويريدون تجربتها .

ومع ازدهار برنامج الاسلحة الاسرائيلية ظهر عامل جديد للحذر داخل الحكومة الاسرائيلية والقيادات العسكرية . فقد وضعت الصراعات السياسية والمعارك الداخلية جانبا مع وصول السلاح الجديد الى المستوى اللائق لاستخدامه فى ميدان القتال ، وكان هناك أمر يجب كتابته وبرنامج تدريب يجب تنفيذه . وأصبح يتعين على القيادة الاسرائيلية أن تتخذ الاجراءات اللازمة للاستخدام الفعلى للقنبلة وفى مرحلة مبكرة تم الاتفاق على عدم تسليح واطلاق سلاح نووى بدون أمر مباشر من رئيس الوزراء ووزير الدفاع ورئيس أركان الجيش ، وفيما بعد تم تعديل اجراءات المشاركة لتتضمن قائد السلاح الجوى الاسرائيلى ، وأفادت الأنباء بأن الرءوس الحربية الخاصة بالقوات الجوية محفوظة فى وحدات مجهزة سلفا فى صناديق مأمونة خاصة يمكن فتحها فقط بثلاثة مفاتيح يقوم ممثلون من أعلى قيادة مدنية وعسكرية بامدادها ، ولم يتم التعرف على آليات أخرى لاتباعها فى هذا المجال ، إن وجدت أصلا . وأوضح مسئول عسكرى اسرائيلى « فى اليوم الذى امتلكنا فيه عددا من القنابل يشعرنا بالارتياح توقفنا عن الحديث عنها ، واكتشف الشعب أنه فى اللحظة التى أصبحت فيها القنبلة فى حيازتنا فإننا سنكون هدفا نحن الآخرين » .

وأدت الاجراءات الأمنية المتزايدة فى أوائل السبعينيات الى خسارة فورية واحدة تمثلت فى وزير الدفاع « موشى ديان » . فقد كان موقف « ديان » بين أنداده فى المؤسسة العسكرية والدوائر العليا فى الحكومة الاسرائيلية كان أقل مما هو عليه بين الشعب ، فقد كان يعتبر كقائد عسكرى يحظى بتقدير زائد على الحد . وتثور حوله الشكوك بسبب علاقاته النسائية ومعاملاته المالية وكان هناك دليل مطلق لم يتم الاعتداد به رسميا عن احتفاظه بآثار تم استخراجها لاستخدامه الشخصى فى انتهاك مباشر للقانون الاسرائيلى ، وكانت الشكوى الأساسية من ديان مع ذلك تتعلق بعشقه للحديث ، ويقول أحد معاونيه المقربين فى الجيش إنه « امتلك أكبر فم فى العالم وينتابك احساس

بأنه مدفع منطلق فى وقت كانت فيه اسرائيل فى وضع حذر للغاية ، لقد كنا نريد أن يعرف العرب ماذا نمتلك » . بدون أن نعلن ذلك صراحة ، ودمر « ديان » بتصريحاته العامة والبيانات التى صرح بها للصحافة هذا التكتيك . ويضيف هذا الاسرائيلى أنه كانت هناك مشكلة أخرى « فديان ذهب للفراش مع أى شىء يتحرك ولكنه كان يملك القدرة على مقابلة سيدة جميلة والحديث معها عن « ديمونه » . وشعر هو و« بيريز » كما لو كانا والدين للمجمع النووى » . ولم تكن مغامرات « ديان » العاطفية أمرا غريبا بين العسكريين الاسرائيليين العدوانيين ، ورغم أن « ديان » لم يفقد أى سلطة فإنه لم يعد يحظى بالترحاب فى « ديمونه » ولم يعد يملك الضرورة العسكرية لأن يعلم كل شىء عن البرنامج النووى الاسرائيلى الذى أصبح يدار من مكتب رئيسة الوزراء .

وأصابت كارثة البرنامج فى مايو ١٩٧٢ قتل « أهارون كاتزير » الفيزيائى المبدع المسئول عن « ديمونه » فى هجوم إرهابى للجيش الأحمر اليابانى فى مطار اللد بالقرب من تل أبيب ولا يوجد دليل بأن « كاتزير » هو المستهدف بالتحديد ، وكان « شالهيخيث فراير » الذى حل محله عالم فيزياء نووية يملك مؤهلات لا غبار عليها ، فقد عمل كمستشار علمى للسفارة الاسرائيلية فى باريس فى الأيام الحرجة من الخمسينيات حين تم التوصل للتفاهم النووى الاسرائيلى - الفرنسى ، كما تمتع « فراير » بمستوى عال بين العلماء الدوليين واشتهر بالتحديد بين مصممى الأسلحة الأمريكيين الذين أدرك الكثيرون منهم تماما مهمته التى يقوم بها .

واستمر الباحثون فى « ديمونة » ومعهد « فايتسمان » يقومون بعمل رائع ، ففى عام ١٩٧٣ أحدث عالمان اسرائيليان ضجة فى العالم الأكاديمى وعالم المعلومات حيث تلقيا براءة لعملية تتم بالليزر يمكنها - كما زعما - انتاج سبعة جرامات من اليورانيوم المخصب بنسبة ستين فى المائة من اليورانيوم ٢٣٥ فى ٢٤ ساعة ، ويقول « موردخاى فانونو » إن البحث أنتج ربحا بعد ست سنوات حين افتتحت « ديمونه » ماتشون خاصا لانتاج اليورانيوم المخصب بالليزر .

وقد يكون الحصن النووى المزدهر فى « ديمونه » قد ظل رسميا سرابا بالنسبة للعالم ولكن اكتشفت المخابرات الاسرائيلية فى أوائل السبعينيات أن

المخابرات السوفييتية « كى جى بى » اخترقت المكاتب العليا لوزارة الدفاع ومؤسسة المخابرات وتنقل الخطوط الأساسية للقرارات الاستراتيجية لموسكو وحلفائها فى الشرق الأوسط ، ويادر بكشف العمليات السوفييتية واحد من أكثر الوحدات سرية فى الجيش الاسرائيلى هى الوحدة ٥١٥ التى أعيد تسميتها فيما بعد بالوحدة ٨٢٠٠ المسئولة عن اشارات المخابرات واختراق الشفرات وهى الجهاز الموازى لوكالة الأمن القومى الأمريكية .

وكان من أهم كبار ضباط الوحدة ، روفين (رودى) سير دور ، أخصائى اللغويات المتميز الذى اخترق شفرة سوفييتية وتلقى مقابل ذلك فيما بعد أعلى وسام إسرائيلى ، وكانت هذه الشفرة تخفى الاتصالات بين مقر الـ « كى.جى.بى » فى موسكو وقاعدتها الأمريكية فى قبرص ، وبدأ الإسرائيليون المراقبة الدقيقة لعملية خط الرسائل السوفييتية واكتشفوا أن العديد من القرارات السرية لوزارة الدفاع الاسرائيلية بما فى ذلك تلك المتعلقة بالأسلحة النووية أبلغت لموسكو فى غضون ١٢ ساعة فى بعض الأحيان ، ويتذكر ضابط سابق فى المخابرات الإسرائيلية « انتابهم الهلع وشكلوا فريقا خاصا للتحقيق » وقامت برئاسة الفريق وكالة الأمن الداخلى الإسرائيلية « شين بيث » وضمت أعضاء من الموساد ومن مكتب جولدامائير رئيسة الوزراء ، ومع ذلك لم تتمكن من معرفة كيف نجحت الـ « كى جى بى » التى استمرت عمليات تجسسها أثناء التحقيق السرى ، من نقل معلوماتها خارج اسرائيل ، ومع ذلك؛ نجح المحققون فى أن يحددوا أن عددا ضئيلا للغاية من المسئولين الاسرائيليين اطلع على جميع المعلومات التى نقلت للـ « كى جى بى » بمن فيهم أحد المعاونين الشخصيين على الأقل لجولدا مائير، وبرأ عدد من المشتبه فيهم من بينهم هذا المساعد بالخضوع لاختبارات كشف الكذب ، واختار آخرون عدم الخضوع للاختبار وترك الأمر دون حل مما أثار احباط المحققين بشدة .

وحدث تحول ساخر لفضيحة التجسس فقد أدرك كبار أعضاء القيادة للحكومة الاسرائيلية من لحظة التعاون الأولى مع الفرنسيين أن السوفييت لم يكونوا فقط الأهداف الأولى للترسانة النووية ولكنهم سيكونون من أوائل من يبلغون بوجودها . وفى عام ١٩٧٣ مكن نجاح « ديمونة » من تصغير حجم القذائف فنييها من انتاج رءوس حربية أصغر حجما تكفى لأن توضع فى حقيبة أوراق ونقلت معلومات عن القنبلة التى توضع فى حقيبة أوراق الى

الاتحاد السوفييتى كما يقول مسئول سابق فى المخابرات السوفييتية وذلك خلال واحد مما بدا أنه سلسلة من الاجتماعات الروتينية فى أوربا بين مندوبى الموساد والـ « كى جى بى » ، وأدرك السوفييت أن أى قدر من المراقبة لن يمنع العملاء الاسرائيليين من تهريب قنابل نووية عبر الحدود فى سيارات وطائرات أو سفن تجارية .

وفى أوائل السبعينيات لم يكن لدى القيادة الاسرائيلية وبصفة خاصة « موشى ديان » سوى الاحتقار لقدرة العرب القتالية واعتبروا أن العدو الرئيسى لاسرائيل فى الشرق الأوسط هو الاتحاد السوفييتى وسيظل كذلك . وستردع ترسانة « ديمونه » - التى يعلم الكرملين أنها تستهدف المدن السوفييتية بأكبر قدر ممكن - السوفييت من مساندة هجوم عربى شامل ضد اسرائيل كما ستوقف هذه القنابل أى خطط غزو مصرية أو سورية .

وكانت تلك سنوات الابقاء على الوضع القائم بالنسبة للدبلوماسية الاسرائيلية . وتلقت اسرائيل فيضا مستمرا من الأسلحة الأمريكية والتأييد الأمريكى فى احتفاظها بسيطرتها على الأراضى المحتلة ، حيث بدأت المستوطنات تنشأ بانتظام . ولم تفعل هذه الأراضى والمناطق التى أضافوها للحدود القومية أى شىء لتقليص تهم اسرائيل للحصول على المزيد من الأسلحة المتقدمة - وارتفع الانفاق العسكرى بنسبة ٥٠٠ فى المائة بين عام ١٩٦٦ إلى عام ١٩٧٢ .

ولم تغير وفاة « ناصر » فى سبتمبر عام ١٩٧٠ المعادلة الأساسية فى الشرق الأوسط فلم يكن خليفته « أنور السادات » فى رأى رئيسة الوزراء « جولدا مائير » وحكومتها سوى تهديد غير مثمر لليهود ، فقد سجنت السلطات البريطانية الزعيم المصرى الجديد طوال الجزء الأكبر من الحرب العالمية الثانية بسبب موقفه العلنى الموالى للألمان وتأييده المعلن لهتلر . وكون أفعاله معادية للبريطانيين أكثر منها موالاة للألمان لم يقدم عزاء كبيرا للقيادة الاسرائيلية ، ومع ذلك قطع السادات أرضا جديدة حين عرض على الاسرائيليين اتفاق سلام بعد فترة قصيرة من توليه منصبه ، ليكون أول زعيم عربى مستعدا حتى لمناقشة مثل هذا الالتزام . ورفضت « جولدا مائير » تماما عرض « السادات » وكان « ديان » هو الوحيد الذى حث على استثماره ، واعتبرت أن التسوية ليست أكثر من نقطة بدء لمفاوضات ممتدة .

وانتظر « السادات » أن تتدخل واشنطن ، ولم يحدث ذلك ، وحاول الرئيس المصرى المحبط الذى يعانى من مشكلات فى الداخل والسخرية من غالبية نظرائه فى الشرق الأوسط ، حاول مرة أخرى فى منتصف عام ١٩٧٢ أن يحظى باحترام واشنطن حيث أمر فجأة القوات والمستشارين السوفييت بمغادرة مصر ليوضح ، الى حد ما ، أن مصر ليست موالية للشيوعية . وأصيب « نيكسون » و « كيسنجر » بالدهشة ، ولكنهما اعتبرا ذلك اعادة تأكيد فقط لسياستهما المؤيدة لاسرائيل وهو ما كان تفسيرا خاطئا . ومضى « كيسنجر » أبعد من ذلك ووصف « السادات » بشكل غير معلن بأنه أحمق أضاع بتصرفه العاطفى من جانب واحد فرصة لاستخدام عملية السوفييت كورقة مساومة . ولم يصل « السادات » لمكاسب سياسية من الغرب ، وفى النهاية استنتج أن الطريق الوحيد الذى يمكن أن ينظر اليه والى مصر من خلاله بجدية هو الدخول فى حرب مع اسرائيل .

واعتبرت اسرائيل المهمومة بالتهديد السوفييتى ، طرد السوفييت على أساس أنه تقليص لأى فرصة حقيقية للحرب ، وعلى الورق كان الجيش والسلاح الجوى الاسرائيلى أعلى كفاءة حتى بالنسبة لقوات الشرق الأوسط مجتمعة . وبدون المساندة السوفييتية فإنه لن تجرؤ أى دولة عربية على القتال . وقد لا يتحقق السلام على الأرجح ولكن لن يكون هناك تهديد فورى لاستمرارالسيطرة الاسرائيلية على الأراضى المحتلة ، وجاءت هذة الرسالة عالية وواضحة فى أواخر سنة ١٩٧٣ لكنبث كيتنج السيناتور الجمهورى من نيويورك الذى حل محل والى باربر كسفير أمريكى لدى إسرائيل . وفى أغسطس قام كيتنج ونائبه نيكولاس فاليوتيس بزيارة مجاملة لموشى ديان فوجداه ليس فقط مملوءا بالثقة ولكن مختالا أيضا . لقد دار حوار مستمر هذا الصيف حول هجوم عربى وشيك ويتذكر « فاليوتيس » أن السفارة وضعت فى حالة تأهب أعلى ، وسئل « ديان » عما اذا كان قلقا ويتذكر فاليوتيس ان رده جاء كما يلى : « لا تقلق » ووصف الجيوش العربية فى الصحراء بأنها « سفن صدئة تغرق ببطء » كما لو كانت الصحراء بحرا . وكان هذا غرورا شديدا » . وقبلت تعليقات « ديان » بدون مناقشة فى هذا الوقت . ويقول فاليوتيس : « لقد كان لدينا ايمان عميق بأن الاسرائيليين على علم بالأمور أكثر منا . كما كنا منومين مغناطيسيا بسبب حرب الأيام الستة فى عام ١٩٦٧ » .

ولم تكن اسرائيل مستعدة حين شن « السادات » هجومه عبر سيناء وغزت سوريا مرتفعات الجولان فى يوم السبت ١٦ أكتوبر ١٩٧٣ فى يوم كيبور (يوم الغفران) أقدس أيام السنة لدى اليهود . وكانت الأيام الأولى فوضى مذهلة ، وقتل الجنود الاسرائيليون كما لم يحدث من قبل وفرت بعض الوحدات ببساطة من جبهة القتال فى فوضى شاملة وفقدت خمسمائة دبابة وتسع وأربعين طائرة من بينها ١٤ طائرة من طراز فانتوم « إف - ٤ » فى الثلاثة أيام الأولى . وفى سيناء شقت القوات المصرية المزودة بصواريخ ودفاعات اليكترونية طريقها عبر خط « بارليف » الدفاعى الممتد على طول الضفة الشرقية للقناة ، وأصبح لديها سريعا جيشان كبيران على الضفة الشرقية . وتحطمت الهجمات المضادة الاسرائيلية الأولى ، تمت بثلاث فرق دبابات . وفى هضبة الجولان اقتحمت القوات السورية تدعمها ١٤٠٠ دبابة الدفاعات الاسرائيلية وتحركت حتى حافة الجليل ، ووقفت دبابات اسرائيلية محدودة بين السوريين وقرية « هولا » ذات الكثافة السكانية العالية وكانت « حيفا » تبعد بمسافة عدة ساعات .

واعتقد كثير من الاسرائيليين أن كل شىء قد انتهى ، كما قال « موشى ديان » : « ان هذه نهاية المعبد الثالث » . ولم يتم الاعلان مطلقا عن مدى الرعب الذى انتاب « ديان » يوم الاثنين ٨ أكتوبر ولكنه أصبح معروفا على نطاق واسع بين الاسرائيليين . وكانت احدى مهام « ديان » كوزير للدفاع امداد الصحافة الخاضعة للرقابة ورؤساء التحرير بتقرير يومى عن الحرب وذلك فى الواقع من أجل السيطرة على ما يكتبونه ، ويتذكر صحفى وهو جنرال متقاعد من الجيش ، حضر جلسة الاثنين أن تقييم « ديان » كان كالآتى : « الوضع ميئوس منه . لقد خسرنا كل شىء . ويجب أن ننسحب » . ودار حديث فى اجتماع لاحق لتوجيه مناشدات ليهود العالم وتوزيع الأسلحة المضادة للدبابات على كل مواطن والمقاومة فى كل مراكز التجمعات المدنية كخط دفاع أخير . وكانت تلك أكثر ساعات اسرائيل سوادا . ولكن لم تصدر أوامر بالانسحاب .

وبدلا من ذلك أعلنت اسرائيل أول حالة تأهب نووى وبدأت تسليح ترسانتها النووية . واستخدمت حالة التأهب تلك فى ابتزاز واشنطن فى تغيير ضخم لسياستها .

١٧

الابتزاز النووى

تحولت مخاوف موشى أرينز والقتامة التى سيطرت على اسرائيل للاتجاه المعاكس خلال اجتماع درامى عقد فى ٨ أكتوبر فى مكتب جولدا مائير على بعد مئات من الأقدام فقط من « البور » المجمع الحربى المبنى تحت الأرض التابع للمؤسسة العسكرية . واجتمع أقرب معاونى مائير أو مايطلق عليهم مطبخ مجلس الإدارة فى اجتماع استمر طوال الليل ومن بين من حضروا الاجتماع بالاضافة إلى ديان ومائير الجنرال دڤيد (داود) اليسار رئيس أركان الجيش وإيجال الون نائب رئيسة الوزراء والبر يجادير جنرال ايزرائيل ليومى المساعد العسكرى لرئيسة الوزراء واسرائيل جاليلى الوزير بالوزارة صاحب النفوذ والذى حظى بثقة مائير لفترة طويلة . وطوال الساعات التالية . قررت القيادة الإسرائيلية التى تواجه أعظم أزماتها تطبيق قرارات حيوية : فسوف تحشد قواتها المبعثرة من أجل شن هجوم مضاد وتقوم بتسليح وتوجيه ترسانتها النووية صوب أهدافها فى حالة الانهيار الكامل والحاجة للبديل شمشون ، وأخيرا فسوف تبلغ واشنطن بإجرائها النووى غير المسبوق . والخطة غير المسبوقة التى تواجهه – وتطالب الولايات المتحدة بأن تبدأ جسرا جويا عاجلا لتعويض الأسلحة والذخيرة المطلوبة لمواجهة جهد حربى ممتد .

ووافق مطبخ مجلس الادارة على ضرورة تشغيل منصات إطلاق الصواريخ النووية فى هيربات زفارياه المعدة للعمل جميعا بالاضافة إلى ثمانى طائرات من طراز إف ٤ معدة خصيصا فى حالة تأهب دائم طوال الاربع والعشرين ساعة فى تل نوف القاعدة الجوية القريبة من ريهوفوت وتضمنت

القائمة الأولى للأهداف لمقر القيادتين العسكريتين المصرية والسورية بالقرب من القاهرة ودمشق . ولم يتسن معرفة عدد الأسلحة التى أعدت على الرغم من أنه كان معروفا أن « ديمونه » أنتجت أكثر من عشرين رأسا حربيا بحلول ١٩٧٣ ولم يتم توجيه أية أسلحة صوب الاتحاد السوفييتى ولكن قليلا من الشك فى أن السوفييت سيعلمون سريعا بما يجرى . وكانت المخابرات الإسرائيلية تعترض الاشارات التى من الصعب فك طلاسمها كان يعترض مراكز عمليات سوفييتية داخل البلاد . وكانت الرسائل الشفرية تبث خلال الصباح الباكر .

وجميع اللاعبين الكبار أصبحوا الآن فى عداد الموتى ولم يترك أى منهم تسجيلا لما حدث (ففى يومياته التى نشرت بالعبرية استبعد الجنرال إليسار ليلة ٨ أكتوبر وسجل فقط الجملة التالية « اجتماع حاسم »). وهناك معلومات منتشرة على نطاق واسع بين القيادتين السياسية والعسكرية عما حدث فى الاجتماع الحاسم ولكن فى السنوات التالية لم يتحدث أى من الذين حضروا الاجتماع علنا عما دار خلاله بما فى المستشارين وكتاب الأختزال .

ووردت المعلومات الوحيدة ذات الدلالة من داخل المجتمع النووى الذى ردد أحد المصادر الإسرائيلية أن بعض كبار مسئوليه ، ولكن ليس فراير ، اتهم كبار المسئولين بالإصابة بالرعب . وكانت رؤيتهم أن الوضع لم يصل إلى حد اللجوء للأسلحة النووية كملاذ أخير كما كانت تسمى على نحو ملائم أسلحة « المعبد » .

ولاحظ مسئول حكومى اسرائيلى سابق . كان فى مكتب رئيسة الوزراء هذه الليلة مائير التى تدخن بشراهة كالمدخنة والتى لم تنم كثيرا طوال المراحل الأولى من الحرب وقد أصيبت بالقلق والاضطراب بسبب تقرير ديان عن الانهيار الوشيك . ويقول إنه تم التوصل بسهولة لقرار تحميل أسلحة الملاذ الأخير ودارت مناقشات أكثر تعقيدا حول عدد الرءوس الحربية التى يتم تحميلها والاهداف التى ستوجه إليها . وقدم خبراء فنيون من « ديمونه » برئاسة شالهيفيت فراير تقريراً أوليا ووصف الأسلحة والأهداف المتوافرة للتجميع الفورى كما وصف المسئول الكبير الخوف الذى انتشر بين فريق العاملين مع رئيسة الوزراء حين أصبح تجهيز الأسلحة النووية معروفا ، ويقول :

« لقد مرت بضعة أيام حين بدا نهاية العام أصبحت وشيكة . وبالنسبة لأمثالنا الذين عاصروا المحرقة الجماعية ، كنا نعلم شيئا واحدا أنها لن تحدث مرة أخرى » . وعلم المعاون بما حدث من الجنرال ليور المساعد العسكرى لمائير وقال : « أبلغنى جنجي بأمر تحميل الأسلحة فقد كنا على ثقة وطيدة » . وكان لدى الجنرال الشاب الذى توفى بالسرطان ابن فى الخدمة على الجبهة وكان - كما أبلغ هذا المعاون - مرعوبا لدرجة الموت » .

وكان أحد التصورات الإسرائيلية يرى أن السوفييت الذين قد يكونوا قد علموا بأسرار أخرى داخل إسرائيل خلال السنوات الأخيرة بالتسليح النووى سيضطرون حينئذ إلى مناشدة حلفائهم فى مصر وسوريا بالحد من هجومهم وعدم محاولة التقدم أبعد من حدود ماقبل ١٩٦٧ . ويقول محمد حسنين هيكل رئيس تحرير الاهرام فى ذلك الوقت وهى أكبر الصحف المصرية والذى كان على علاقة وطيدة بناصر والسادات ، إن إنذارا سوفييتيا صدر بهذا الشأن . وفى حديث كشف هيكل النقاب عن قيام الاتحاد السوفييتى بابلاغ كبار أعضاء القيادة فى مصر فى مرحلة مبكرة من الحرب بأن الإسرائيليين يملكون ثلاثة رءوس حربية مجمعة ومعدة » . وسلمت المعلومة للواء محمد عبد الغنى الجمسى رئيس هيئة الاركان المصرية بواسطة ضابط مخابرات سوفييتى عمل بشكل وثيق مع الجمسى حين خدم فى وقت سابق كرئيس للمخابرات العسكرية. ويتذكر هيكل أن الرسالة السوفييتية . أفادت بأن موشى ديان زار الجبهة وعاد إلى تل أبيب بتقرير مرعب « قدم لمطبخ مجلس الوزراء الذى كان على نفس درجة الانزعاج والخوف . كما كان هناك سبب ثان على نفس درجة الأهمية لتحميل الأسلحة النووية كمايقول مسئولون حكوميون اسرائيليون سابقون : فمثل هذه الخطوة العنيفة ستجبر الولايات المتحدة على البدء فى عملية اعادة امداد فورية ومكثفة للجيش الاسرائيلى . وحدثت ثورة واسعة النطاق داخل الحكومة الإسرائيلية تجاه البيت الأبيض ونيكسون وبصفة خاصة تجاه هنرى كيسنجر عما اعتبر بصدق فى اسرائيل استراتيجية أمريكية لتأجيل عملية إعادة الامداد لاتاحة الفرصة للعرب بالحصول على بعض الارض وقدر من احترم النفس ، وبذلك تطرح امكانية اتمام عملية مقايضة للارض مقابل السلام . وسيقوم كيسنجر الذى أدى اليمين لتوه كوزير بإدارة المفاوضات .

ولم يخف كيسنجر استراتيجيته الاولية فى الحرب وأبلغ جيمس شليزنجر وزير الدفاع بأن هدفه هو « جعل اسرائيل تخرج من الأزمة ولكن بعد أن تنزف » . ودافع عن هدف كيسنجر بعض زملائه الدبلوماسيين ؟ بوصفه عملا بحتا كما هى العادة . وطرح نيكولاس فاليوتيس السؤال البلاغى التالى « يحاول الاستفادة من الموقف ؟ نحن نفعل ذلك دائما » .

وفى الجزء الثانى من مذكراته « سنوات الصعود » لم يشر كيسنجر لأى تهديد نووى ولكنه وصف سلسلة من المكالمات التليفونية العاجلة من سيمحا دينيتز السفير الاسرائيلى فى واشنطن التى بدأت فى الساعة ١ر٤٥ صباحا يوم الثلاثاء ٩ أكتوبر فور انتهاء الاجتماع الذى عقد فى مكتب جولدا مائير واستمر طوال الليل حتى الساعة ٨ر٤٥ صباحا فى اسرائيل . وركز دينيتز على سؤال واحد كما كتب كيسنجر هو ماذا سنفعل حيال إعادة الامداد ؟ « وسئل السؤال مرة ثانية فى مكالمة تليفونية فى الثالثة صباحا . وكتب كيسنجر يقول مالم يكن يريد أن يثبت لمجلس الوزراء الاسرائيلى أنه بامكانه إخراجى من فراشى كلما أراد فإنه بالتأكيد كان يوجد شىء خاطىء » . واجتمع بيتر ودمان مساعده لفترة طويلة ودينيتز الذى صاحبه الجنرال موردخاى جور الملحق العسكرى الاسرائيلى فى الساعة ٨ر٢٠ صباحا فى غرفة الخرائط فى البيت الأبيض حيث أبلغ كيسنجر بالوضع البائس للجيش الاسرائيلى والحاجة لمزيد من الدبابات والطائرات . وقال كيسنجر « ووقفت اسرائيل فى مواجهة حرب استنزاف مريرة لم يمكن من المحتمل أن تكسبها فى ضوء تباين القوة البشرية وكان يتعين أن تفعل شيئا حاسما » وكتب كيسنجر فى أثناء اجتماع غرفة الخرائط أصر دينيتز على أن ينفرد بكيسنجر. وخرج من الغرفة جور وردمان اللذان كان يكن الوثوق بهما فيما يتعلق بأكثر المعلومات حساسية ، وفور انفرادهما كانت رسالة دينيتز كما يقول كيسنجر . « أن جولدا مائير مستعدة للحضور إلى الولايات المتحدة شخصيا لساعة واحدة لمناشدة الرئيس نيكسون بإرسال معدات عسكرية عاجلة ... » وكان هذا طلبا كما عقب كيسنجر « يمكن أن يرفضه وقد فعل تماما على الفور بدون الرجوع لنيكسون . فمثل هذا الاقتراح سيعكس إما حالة الهذيان أو الابتزاز » .

وتوضح رواية كاملة لرسالة دينيتز دون شك أنها كانت أقرب إلى الابتزاز كما أدرك كيسنجر وقد حققت هدفها . وقال كيسنجر فى مذكراته « فى مساء ٩ أكتوبر تم التأكيد لاسرائيل بأن الخسائر الحربية سوف تعوض . واعتمادا على هذا التأكيد صعدت استهلاكها من الآلات الحربية كما اعتزمنا » ولكن كيف قدم الانذار الاسرائيلى حول المعركة الفاصلة للامريكيين ؟ فلم يتسن الوصول لكيسنجر أو دينيتز لمناقشة الأمر على الرغم من اصرار دينيتز على أن اجتماعه المنفرد مع كيسنجر ، بالاضافة إلى وصف كيسنجر لرسالة دينيتز بأنها « ابتزاز - يبدو أنه مرتبط بالمسألة النووية . كما وردت معلومات عن التسليح النووى الاسرائيلى من السوفييت ، كما يقول مسئول سابق فى المخابرات الإسرائيلية . وقال المسئول إن الفرقة ٨٢٠٠ بوكالة مخابرات الاتصالات الإسرائيلية التى التقطت التحذير السوفييتى للقاهرة - كما اعترف هيكل - التقطت هى الأخرى فى صباح ٩ أكتوبر تحذيرا سوفييتيا لواشنطن بشأن تسلح اسرائيل بأسلحة نووية . وردا على سؤال عن سبب اعتقاده عدم إعلان الولايات المتحدة مطلقا هذا الانذار بقوله « من فى الولايات المتحدة مستعد للاعتراف بتفوق السوفييت ؟ » .

ولم يتحدث كيسنجر علنا مطلقا عن التسليح النووى الاسرائيلى وقال أقرب مستشاريه فى هذا الوقت بمن فيهم رود مان ووليام هايلند المسئول عن الشئون السوفييتية فى مجلس الأمن القومى أنهم لم يعلموا بمثل هذه المعلومات. ومع ذلك فإن أفضل مصدر لمعرفة ماحدث هو كيسنجر نفسه الذى اعترف على نحو خاص بأنه حدث تحذير نووى اسرائيلى لكل من أنور السادات وهيرمانْ أيلتس السفير الامريكى فى القاهرة الذى عمل بشكل وثيق مع كيسنجر خلال الدبلوماسية المكوكية فى منتصف السبيعينيات فى الشرق الأوسط .

وقد اختار كسينجر ايلتس فى أكتوبر ١٩٧٣ ليعين فى القاهرة ووصل فى نهاية حرب يوم كيبور ولم تكن أول محادثة له مع كيسنجر حول منصبه الجديد لتكون أكثر إثارة . وتمت بناء على طلب كيسنجر على افطار عمل أعد على عجل فى اوائل نوفمبر فى اسلام اباد عاصمة باكستان حيث توقف كيسنجر أثناء الليل فى طريقه للقيام برحلته للصين التى تأجلت كثيرا . ويتذكر

ايلتس « أن هنرى تحدث كثيرا عن حالة الرعب التى أصابت الاسرائيليين فى اليوم الرابع من الحرب (٩ أكتوبر) وهنا صدر القرار بمساندتهم . وفى هذه المرحلة « وفى مناقشة أخرى مماثلة مع كيسنجر بعد ثلاث سنوات » لم تصدر كلمة « التسلح النووى » . وعقد اجتماع أخير أواخر ١٩٧٦ فى نهاية حكم فورد وانتهاء عهد كيسنجر كوزير للخارجية ، وأثار كيسنجر مرة أخرى موضوع حرب ١٩٧٣ ويقول ايلتس « وحينئذ وفى اشارة بدت عابرة أوضح كيسنجر أنه القلق من احتمال أن تكون إسرائيل مسلحة تسليحا نوويا وحدث تصريح بأنه إذا لم يحصلوا على معدات عسكرية كافية وسريعة فإنهم قد يلجؤن إلى البديل النووى » ويذكر ايلتس دهشته من عدم ظهور أى شىء من ذلك من قبل ، كما أصيب أيضا بدهشة من سلوك « كيسنجر » فقد بدا كما لو أنه يلقى بتعليق عابر » .

وقد كان كيسنجر لايبالى كثيرا حين علم بنوايا اسرائيل فلم يبلغ أيا من زملائه فى الوزارة بالتهديد النووى بالطبع ، ولكنه غير فكره خلال الليل بشأن شحن معدات عسكرية بكميات ضخمة لاسرائيل . ويتذكر جيمس شليزنجر فيما يعكس القدرة القتالية للجيش والسلاح الجوى الاسرائيلى « وكان الاستهلاك الاسرائيلى من الذخيرة ضخما بالنسبة لحرب من سبعة أيام ولكن موقف كيسنجر تحول تماما وبدا مصابا بلوثة إلى حد ما » وهو يحث على بدء عمليات إعادة الامداد الضخمة على الفور . وأضاف شيلزنجر « بدا هنرى أكثر قلقا أكثر منى حول إمكان تبادل الاشتباك النووى « فى الشرق الأوسط » . ودفعت تصرفات كيسنجر بعض كبار المسئولين لأن يستنتجوا أن استخدام اسرائيل السلاح النووى ليس امرا مستبعدا . وقال سليزنجر « من مكاننا كان هناك تصور بأن اسرائيل بها بعض القنابل وإذا حدث انهيار فهناك احتمال بأن تستخدمها » . واتفق ويليام كولبى رئيس الـ « سى أى أيه » حينئذ مع هذا التصور وقال « لقد كنا خائفين من أن تذهب اسرائيل إلى هذا الحد ، فقد اعتقدنا أن الأسلحة النووية ستستخدم فقط فى أسوأ الأوضاع » .

وأشار كيسنجر إلى التهديد النووى الاسرائيلى فى أول اجتماع مطول عقده فى القاهرة فى ٧ نوفمبر ١٩٧٣ مع الرئيس أنور السادات وكان هذا

نذيرا بدبلوماسية كيسنجر الشهيرة فى الشرق الأوسط التى ستبدأ فى العام التالى . وأطلع السادات فيما بعد هيكل بالاجتماع السرى ، ويقول هيكل إنه أبلغ مسئولا أمريكيا كبيرا ، «ولم يكن هذا سوى كيسنجر» الذى شرح الجسر الجوى الامريكى المفاجىء لاسرائيل بأنه يهدف إلى تجنب التصعيد النووى . كما نقل السادات عن كيسنجر قوله « أنه خطير ، أكثر خطورة مما يمكنك تصوره » . فإسرائيل كانت تملك ثلاثة رءوس حربية على الأقل ومستعدة لاستخدامها - كما قال السادات لهيكل - وعلى مايبدو اعتمد كيسنجر على تقدير الـ « سى أى أيه » لعدد الرءوس الحربية الإسرائيلية الذى وضعه كارل دوكيت فى عام ١٩٦٨ وهو التقدير الحكومى الامريكى الوحيد المتوافر فى عام ١٩٧٣ الذى حدد عدد الرءوس الحربية بثلاثة أو أربعة . ولم يبلغ الرئيس المصرى - الذى ظل وفيا لوعده لكيسنجر بالتزام السرية - هيكل صراحة عن مصدر معلوماته ولكن لم يكن لدى هيكل أى شك فى هذا الوقت أو فيما بعد : « فالامريكى الوحيد الذى يملك هذا القدر من المصداقية والذى يمكن أن يقنع السادات بتصديقه (عن التهديد الاسرائيلى) هو هنرى كيسنجر » . وبعد ذلك كتب هيكل عن تعليق كيسنجر بدون أن يقول إن السادات كان مصدره فى الاهرام ، وقال إن إدارة نيكسون تخوفت خلال القتال من الاسرائيليين « قد يفقدون أعصابهم ويستخدمون واحدة من ثلاث قنابل يملكونها من أجل رد الهجوم العربى » .

وأثناء هذه الفترة ، حصلت المخابرات الأمريكية على مايبدو على أول نظرة من خلال « كى أتش - ١١ » لمنصات إطلاق الصواريخ المكتملة والمستعدة فى سفح الجبل فى هيربات زاخاريا وتركت المنصات فى العراء على مايبدو عمدا ، مما جعل الأمر أكثر سهولة بالنسبة لمفسرى الصور الأمريكيين لأن يلاحظوها كما كان للسوفييت قمر صناعى فى الشرق الأوسط ويفترض أن شاهدوا حقل الصواريخ نفسه . كما يتذكر مسئول أمريكى رؤيته مستودعات تخزين فارغة وأبواب تفجير ضخمة بقضبان سكك حديدية تؤدى إلى منصة إطلاق متحركة قريبة .

وفى منتصف أكتوبر نجح الجيش الاسرائيلى فى شن هجوم مضاد على مرتفعات الجولان وسيناء وانتهى التهديد الفورى ، وضرورة إعلان حالة التأهب

النووى . ورفعت الاسلحة من مواقعها الأمامية فى ١٤ أكتوبر ، ومع ذلك بدأ المصريون يدعمهم جسر جوى متجدد من الأسلحة السوفييتية بدأ فى ١٠ أكتوبر فى شن هجوم ثان فى سيناء أحبطه فى النهاية هجوم إسرائيلى عبقرى عبر قناة السويس فى جيب فى الخطوط المصرية .

ومع تحول مصر فجأة لموقف الدفاع طار رئيس الوزراء السوفييتى اليكسى كوسيجن إلى القاهرة فى ١٦ أكتوبر واقنع السادات بالدعوة لوقف اطلاق النار . وطار كيسنجر إلى موسكو فى ٢٠ أكتوبر وإلى اسرائيل بعد يومين حيث تلقى قبول اسرائيل لوقف فورى لاطلاق النار ، وفى الوقت نفسه كان الجيش الثالث المصرى فى خطر لتعرضه للتطويق وتركه بشكل فعلى تحت رحمة جيش الدفاع الاسرائيلى . وواصل الاسرائيليون هجومهم فى الاراضى المصرية وتحركوا شمالا وغربا إلى نقطة تمتد لمسافة ستين ميلا من القاهرة . ودفع التطويق المستمر للجيش الثالث ليونيد بريجنيف زعيم الحزب الشيوعى السوفييتى لأن يزيد من حالة التأهب لفرقه المحمولة جوا ويحذرالبيت الأبيض من أنه ما لم تتوقف إسرائيل عن انتهاك وقف اطلاق النار « فإننا سنواجه ضرورة دراسة مسألة اتخاذ الخطوات المناسبة من جانب واحد على الفور » وبدا أن المعنى ينطوى على قيام بريجنيف بارسال بعض من قواته كقوة عائقة خلف الخطوط الامامية فى مصر لمنع الاسرائيليين من التقدم إلى القاهرة .

وجاء التهديد المفهوم بعد أن قام نيكسون الذى كان محاصرا بقوة على نحو أكبر بفضائح ووترجيت باقالة ارشيبالر كوكس المدعى الخاص لووتر جيت علنا ثم قبوله استقالة المدعى العام اليوت ريتشارد سون ووليام روكيلشاوس نائب سون ، فيما أصبح يعرف « بمذبحة مساء السبت » وقد صدم الرئيس من قبل بالاتهامات بالفساد واستقالة سبيرو أجنيو نائب الرئيس بعد ذلك .وجاء تعقيد أخر للأمور بالمقاطعة العربية المعلنة على مبيعات البترول للولايات المتحدة والقرارالعربى برفع أسعار البترول الخام بصورة ضخمة .

ولايوجد دليل على أن السوفييت توقعوا بالفعل أى انتشار ذى دلالة لقواتهم المحمولة جوا رغم حالة التأهب العالية بين صفوفها . ويتفق غالبية الدارسين اليوم على أن تحذير برجنيف للبيت الأبيض استهدف إجبار واشنطن

على مناشدة الاسرائيليين للالتزام بوقف إطلاق النار . وضغط كيسنجر على الاسرائيليين (لايوجد دليل على أن نيكسون المستهلك بسبب ووترجيت لعب أى دور ملحوظ فى القضية) من أجل قبول وقف إطلاق النار ولكنه فى الوقت نفسه أمر الفرقة ٨٢ المحمولة جوا وقاذفات بى ٥٢ النووية التابعة للقيادة الجوية الاستراتيجية بأن تعلن حالة التأهب . كما تحركت حاملة الطائرات جون كنيدى إلى البحر المتوسط وأعيد نشر خمسين طائرة بى ٥٢ على الأقل من جوام إلى الولايات المتحدة، وبهتت الأمة التى مازالت تعانى مما تكشفه فضيحة ووترجيت ، كما شعرت بالقلق تجاه التحرك الامريكى من جانب واحد وساد اعتقاد على نطاق واسع بأن حالة التأهب لم يصدر الأمر بها سوى لأهداف سياسية داخلية وليس بسبب استعداد السوفييت للتحرك فى الشرق الأوسط .

وردت اسرائيل على حالة التأهب الأمريكية ، بإعلان حالة التأهب النووى للمرة الثانية خلال حرب يوم كيبور كما يقول يوفال نيمان الفيزيائى والخبيرالنووى الذى خدم فى الوزارة الإسرائيلية فيما بعد كوزير للعلوم والتكنولوجيا ، وهذه المرة حلت الأزمة نفسها سريعا حيث أمرت جولدا مائير جيشها بالتوقف عن أى عمل هجومى ضد مصر والسماح لقوة حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة بفرض وقف اطلاق النار .

ومع ذلك ففى هذه المرحلة نقلت وحدة سرية للمخابرات تابعة للبحرية الأمريكية معروفة باسم (قوة المهام رقم ١٥٧) تعمل فى مياه البوسفور قبالة تركيا ، معلومات لواشنطن تفيد بأن إحدى السفن السوفييتية تغادر البحر الأسود فى طريقها إلى البحر المتوسط تحمل مواد مشعة . وانتشر التقرير الوارد من البحرية سريعا بين صفوف أجهزة المخابرات والبيت الأبيض . وخلال السنوات القليلة التالية بدأ يظهر فى الصحف وصف دقيق للتهديد السوفييتى بما فى ذلك تفاصيل مثيرة عن شحناته من الرءوس النووية إلى مصر وذلك فى الوقت الذى هاجم فيه السوفييت والكثير من إعضاء الكونجرس والصحافة الامريكية نيكسون وكيسنجر بالمبالغة فى رد فعلهما ، ونشرت أكثر الروايات اكتمالا عن التصعيد السوفييتى المزعوم كما رآه البيت الأبيض فى قصة حياة كيسنجر التى نشرت فى عام ١٩٧٤ وكتبها مارفين . وبرنارد كالب

اللذان كانا مراسلين لـ « سى بى.اس » حينئذ . ويقول كيسنجر المصدر الرئيسى للكتاب إنه فى الصباح التالى لإعلان حالة التأهب . أبلغته الـ « سى أى أيه » بتقرير مثير للانزعاج من مصر يفيد بأن الروس قد يكونوا قد نقلوا أسلحة نووية إليها . وكتب كالب يقول إن المخابرات الأمريكية « ظلت تراقب سفينة سوفييتية تحمل مواد مشعة وتتوجه صوب بورسعيد » وساد اعتقاد بأن العديد من الرءوس النووية السوفييتية سلمت لمصر لنشرها فى صواريخ سكود . وأضاف كالب : « انتهى التقرير إلى تقوية تقييم كيسنجر بأن السوفييت سيرسلون قوات محمولة جوا إلى مصر . ويمكن أن تعمل الأسلحة النووية كخط حماية خلفى للقوات السوفييتية . وعلى الجانب الآخر . لم يكن فى وسع كيسنجر استبعاد احتمال قيام السوفييت بتحريك أسلحة نووية فى مصر لأنهم يعتقدون أن الإسرائيليين يملكون أسلحة نووية ويعتزمون استخدامها ضد مصر » .

وكان الخلل الوحيد فى رواية كيسنجر ، كما أبلغها لكالب فى أنها لم تكن حقيقية . ففى الواقع استبعدت المخابرات على الفور تقرير القوة الخاصة ١٥٧ . وقال مسئول امريكى كبير كان مسئولا عن وكالة مخابرات كبيرة فى هذا الوقت ان عمليات التجسس أثبتت أن السوفييت شحنوا رءوسا نووية فى سفينة فى البحر الأسود ولكنهم لم يبحروا بها مطلقا . وأوضح المسئول « أن سفينة مختلفة تماما تحركت وأسرع أعضاء الفرقة ١٥٧ الأغبياء إلى حد ما بإرسال البرقية » التى تفيد بأن رءوسا نووية سوفييتية فى طريقها إلى البحر المتوسط ومن المحتمل إلى مصر . « وأصيب الجميع فى الولايات المتحدة بالجنون ولكن تحول الأمر ليكتشف أنه تقرير كاذب تماما . وكانت سفينة مختلفة » هى التى تحركت فى البحر الأسود . وتم الاتصال مباشرة بالمسئولين السوفييت . وقال السوفييت « نحن لم نرسل أى شىء للخارج » واستنتجت المخابرات أنه لايوجد دليل على محاولة سوفييتية لإدخال رءوس نووية فى منطقة القتال . والدليل القائم فى الواقع لم يتم إبلاغه فى حينه ، وأوضح كيسنجر فى مذكراته فيما بعد أن الدليل أوضح أن السوفييت أمروا مدمراتهم وسفنهم الأخرى فى الشرق الأوسط بالتوجه لأقرب الموانىء وتفريغ شحناتها النووية . وساد إجماع بين كبار مسئولى المخابرات فى البنتاجون كما يقول

باتريك باركر مساعد نائب وزير الدفاع لشئون المخابرات حينئذ « بأن السوفييت مرعوبون من الموقف على نحو مفهوم ويتلهفون على إحتوائه » كما لم يشر كيسنجر إلى الشحنة المزعومة من الروس الحربية السوفييتية فى الجزء الثانى من مذكراته ، كما أنه أو أى مسئول أمريكى آخر لم يكشف أن إسرائيل أعلنت حالة التأهب النووى مرتين خلال الأزمة . ومع ذلك فقد خرج بعد أزمة أكتوبر بقلق رسمى متجدد تجاه « ديمونه » . وبعد عدة أسابيع ، سأل كيسنجر الـ « سى أى أيه » بتقديم تقييم « مخابرات قومى رسمى » حول البرنامج النووى الإسرائيلى ، واستغرق الأمر من مكتب كارل دوكيت للعلوم والتكنولوجيا عدة أشهر لإعداد التقرير الذى أوضح أن إسرائيل تملك عشرة رءوس حربية نووية على الأقل وتم تسليمه للبيت الأبيض فقط .

واستنتجت الحكومة الإسرائيلية فى نهاية الحرب أن مجتمع المخابرات الأمريكى علم بشكل أو بآخر بخلاف ماكشفه السوفييت أو السفير دينيتز ، بأمر تسلح الرءوس الحربية الإسرائيلية . ويقول عضو سابق فى الفريق التابع لجولدا مائير« اكتشف الأمريكيون الأمر بشكل أو بآخر وأنا واثق من هذا الأمر وأجرت الموساد تحقيقا حول كيفية توصل الأمريكيين لذلك . وطالبت الموساد بالتحقيق فى قدر ما أحدثه هذا من ضرر » ، كما يضيف هذا المسئول الإسرائيلى أن التحقيق تناول جانبا أخر مبنيا على أساس تصور إسرائيل أن المخابرات الأمريكية اكتشفت تحرك رءوس حربية سوفييتية عبر البحر الأسود « فهل هناك تهديد ، وماحجم ما أبلغنا به الأمريكيون ؟ وماذا علمت الولايات المتحدة ومتى أبلغتنا به .؟ » .

وليس فى الإمكان معرفة نتيجة تحقيق الموساد ولكن بدأ قلق جولدا مائير حول قدرة أمريكا لإختراق إسرائيل فى التضاؤل مع بدء دبلوماسية كيسنجر المكوكية . ومع ذلك توجد إشارة علنية واحدة محيرة نشرت بعد سبع سنوات تفيد بأن الولايات المتحدة علمت بشكل منفصل بأمر التأهب النووى . ففى ١٠ مارس ١٩٨٠ تضمن عمود الصحفى جاك اندرسون اليومى الذى يتعلق بشكل كبير بتأثير صناعة البترول الأمريكية داخل وزارة الطاقة ، إضافة من أربع فقرات بعنوان « مكالمة سرية » وذكر فى جزء من الموضوع « يوجد فى ملفات

سرية فى البنتاجون دليل مثير على أن إسرائيل قامت بمناورة خطيرة ووصلت إلى حافة الحرب النووية بعد الهجوم العربى فى حرب ١٩٧٣ وتزعم الوثائق السرية أن إسرائيل أصبحت فى غضون عدة ساعات لاتملك الأسلحة الضرورية الأساسية ، ويقول أحد التقارير « فى هذا الوقت الحرج نوقشت احتمالات استخدام الأسلحة النووية مع الإدارة الأمريكية » وخشت السلطات الأمريكية من احتمال لجوء الإسرائيليين للأسلحة النووية لضمان بقائهم . وكان هذا هو أكثر الأسباب التى أجبرت الولايات المتحدة - كما تقول الأوراق السرية - على الإسراع بإرسال أسلحة تقليدية لإسرائيل »

وقدم دليل أخر على استعداد إسرائيل لاستخدام الأسلحة النووية فى حرب ١٩٧٣، العام التالى بين ديفيد إليسار والليفتنانت جنرال أوروين تالبوت نائب قائد قيادة التدريب والتعليم للجيش الأمريكى . فقد كان تالبوت يقوم بزيارة طويلة لإسرائيل لمناقشة بعض دروس حرب أكتوبر وتفقد بعض المعدات العسكرية العربية والسوفييتية التى تم الاستيلاء عليها ، وحدث اتصال ملحوظ مع « إليسار » الذى كان رئيسا للأركان فى إسرائيل - وفى أحد الاجتماعات يتذكر تالبوت أن إليسار بدأ فجأة الحديث « دون مناسبة » عن تهديد إسرائيل باستخدام الأسلحة النووية فى اللحظات اليائسة من حرب ١٩٧٣ . « وكان انطباعى فى هذا الوقت أنه يحاول أن يطلع واشنطن من خلالى على مدى خطورة الوضع . حين يقترب من النقطة التى يصبحون خلالها مستعدين لاستخدام أسلحتهم النووية » وأدرك تالبوت دلالة المعلومات وكتب سريعا مذكرة سرية من صفحة واحدة للجنرال كرايتو ابرامز رئيس أركان الجيش . « لم احتفظ بأى نسخ ولم أعطه لأى شخص آخر » ويضيف الجنرال المتقاعد حاليا « لقد تصورت أن هذه معلومة لا يتعين مناقشتها فى هذا الوقت . واعتقدت أن دارو يحاول إبلاغنا بالرسالة . »

وقد قام الجنرال تالبوت بدوره ولكن لم يذهب تقريره إلى كرايتون أو إلى أى مكان آخر ، فقد علم كارل دوكيت الذى أصبح يتولى فى هذا الوقت المسئولية المباشرة عن معلومات الـ « سى أى أيه » عن الترسانة النووية الإسرائيلية ، لأول مرة برسالة تالبوت من المؤلف كما قال إنه لم يبلغ مطلقا بأى معلومات تفيد بأن إسرائيل قامت بإعلان حالة التأهب النووى مرتين أثناء حرب يوم أكتوبر .

وحين يصل الأمر لإسرائيل المسلحة نوويا فإن الاستياء يكاد يكون كاملا : فقد حصل مسئول لـ « سى أى أيه » - عين فى إسرائيل - على معلومات مباشرة عن التأهب النووى ولم يبلغ رؤساءه بما علم تماما كما لم يبلغ كيسنجر أى شخص . وكان مسئول السى أى أيه خبيراً فى مخابرات الاتصالات وأمضى ثلاث سنوات فى إسرائيل فى أوائل السبعينات تحت دعوى أنه ضابط اتصال مع الفرقة ٨٢٠٠ وكانت إحدى مهامه مساعدة الإسرائيليين فى مراقبة أجهزة الاتصالات والرادارات السوفييتية المتقدمة التى حصلت عليها مصر خلال حرب الاستنزاف . كما كانت اسرائيل تقوم بمساعدة جهاز حصلت عليه من وكالة الأمن القومى بتشكيل ثلاث محطات تنصت سرية للغاية قادرة على اعتراض الاتصالات فى الشرق الأوسط وحتى شمال أو جنوب روسيا . وتقاسمت المعلومات التى يتم اعتراضها مع الولايات المتحدة ، وتمكن العميل الامريكى السرى من معرفة الكثير عن عمليات مخابرات الاتصالات الإسرائيلية .

وبعد الحرب أعد المسئول تقريرا سريا للغاية عن بعض الأساليب الخداعية الإسرائيلية التى استخدمت بنجاح فى توجيه أوامر مزيفة للقوات السورية والمصرية بالاضافة لمهام أخرى . وقال فى التقرير « لقد كتبت تقريرا قصيرا لجسيب بيتر حسيب الذي عاد كرئيس لمحطة السى أى أيه ثانية فى اوائل السبعينات » إلا أننى علمت أن الاسرائيليين سيطلقونه من واشنطن إذا وضع في الملفات ، لذلك كنت حريصا للغاية فيما قلته . ولم أشر إلى أن الحوارات مع نظرائه الاسرائيليين تطرقت للتهديدات النووية .وعلمت بأن الأسلحة المتوافرة كانت شيئا يمكن الاعتماد عليه ، وأنهم أبلغونى بأن هذا نقل إلى المصريين وقالوا « لقد طورنا وسيلة الاتصال تلك بيننا » .

وقد أعيد مسئول الـ « سى أى أيه » إلى واشنطن بعد حرب ١٩٧٣ واستدعاه جيمس انجلتون رئيس المخابرات المضادة الذى كان يتولى الشئون الاسرائيلية . وقد شاهد انجلتون تقريره عن وسائل الخداع الإسرائيلية وأراد استجوابا مختصرا . وكانت تلك تجربة غريبة ، كما يتذكر مسئول

الـ سى أى أيه » فقد قضيت يومين خاضعا لاستجواب من جانب أحد رجال انجلتـون فى الوقت الذى ظل فيـه الأخـيـر جـالسـا خـارج الغرفـة على مكتب السكرتير » . وبدا واضـحـا أن الغرفـة مـجـهـزة بما يسـمح لانجلتون بمراقبـة الحـوار وكـان المساعد يقوم من حين لآخر بمغـادرة الغرفـة ليناقش واقـعـة أو مسـار التـحقـيق مع انجلتون الذى لم يظهر مطلقـا والذى اقتصر وجوده على تلمس مقعده من حين لآخر .

واعترف مسئول الـ سى أى أيه » بانني لم أتحدث مطلقا عن القضية النووية ولم أضعـها فى أى رسـائل . وشعرت إنه شىء يعلمه الآخرون ولايوجد أحد يريد أن يسمع عنه من جانبى » . وعـادت كل من الحكومـتين الإسرائيلية والامريكية إلى سياسة « لا أرى لا أسمع لا أتكلم » . وفى يونيه ١٩٧٤ مع ذلك أعلن أنور السـادات أن بلاده حصلت على مـعلومـات تشـيـر إلى أن اسـرائيل طورت أسلحة نووية تكتيكية وبعد أسبوع نفى شيمون بيريز وزير الدفـا ع فى الحكومة الإسرائيلية الجديدة برئاسة اسحـاق رابين ، نفى تماما وجود أى من هذه الأسلحة ، واتهم السادات « بجمع معلومات من صنعه » وعومل الجدل بين الدولتين بروتينيـة من جـانب الصحـافـة ولم يثـر أى اهـتمـام من جـانب الرئيس جيرالد فورد أو كبار مـعاونيه ، وتناول مسئول فى مجلس الأمن القومى الأمر برقة متناهية مـــع دبلوماسى اسرائيلى عـــلى الغداء بعـــد أكثر من عام وقال « أبلغته بأننى أعتقد ، أن شعبى لديه اقتناع بأن اسرائيل تملك أسلحة نووية » وكتب المسئول هذا فى مذكرة داخلية قدمها فيما بعد . ونفى الدبلوماسى الاسرائيلى وجود أى قنبلة نووية ، وبدا « منزعجا للغاية » .. فلم يكن سـعيدا بالطبع من هذا الحـوار وقـام بتـحويل الحـديث إلى الموسـيقى والفنون حـيث استمر لنهاية اللقاء » وارتكب كارل دوكيت خطأ انهى على حياته المهنية فى مارس ١٩٧٦ فقد تحدث صراحة عن اسلحة اسرائيل النووية . ففى ١١ مارس ١٩٧٦ كـان دوكيت ضـمن مـجـمـوعـة من مـسـئولى الـ « سى أى أيه » الذين شاركوا فى ندوة غير رسمـيـة أمام مـجـمـوعة من الأعضـاء المحليين للمعهد الامريكى للفضـاء والطيران ، وكانت مثل هذه الاجتماعات التى تعقد فى قاعة استمـا ع بالقرب من المقر الرئيسى لـ « سى أى أيه » فى ماكلين بفرجينيا معيارا لواشنطن ، فأى تعليقات تفهم كأنها معلومات سرية . وخلال جلسة للرد

على الأسئلة سئل دوكيت عن قدرة اسرائيل النووية ورد بدون تردد بأن التقديرات تشير إلى أن اسرائيل تمتلك مابين عشرة وعشرين سلاحا نوويا « متوافرة من أجل الاستخدام وفى غضون عدة أيام نشر تقرير بالتصريحات فى صحيفة «واشنطن بوست» مما اجبر جورج بوش الذى عين حديثا رئيسا للـ« سى أى أيه » أن يصدر بيانا رسميا يتحمل فيه « المسئولية الكاملة » لكشف هذه المعلومات السرية وأضاف بوش الذى بدا عليه الغضب بوضوح أنه « مصمم ألا يحدث هذا مرة أخرى » وترددت شائعات بأن دوكيت كان مخمورا نوعا ما حين شارك فى الحوار وهو افتراض يشير إلى أن شخصا مخمورا فقط يمكنه أن يناقش باهمال التسلح النووى الاسرائيلى علنا وقبل بوش طلبه بعد ذلك من أجل التقاعد .

واعترف دوكيت الذى ناقش هذه الأمور بعد سنوات بأن الشائعات الخاصة بافراطه فى الشراب « أدت إلى مناقشة مع بوش وقرارى بالرحيل » . ومع ذلك فالقضية الحقيقية هى كما يصر ليست افراطه فى الشراب ولكن عدم رغبة بوش فى تصعيده نائبا لمدير الـ« سى أى أيه » .

وكانت توجد شرعية دائمة واحدة ، فسوف تستمر الـ« سى أى أيه » على علم ضئيل بالترسانة النووية الإسرائيلية . وسيظل تقييم دوكيت لعام ١٩٧٤ الذى يقدر امتلاك إسرائيل لعدد من الأسلحة النووية يصل إلى العشرين هو التقدير المخابراتى الأمريكى الرسمى حتى أوائل الثمانينات وهى سنوات قامت فيها اسرائيل بزيادة مخزونها من الأسلحة النووية بصورة كبيرة واعترف دوكيت بأنه لاتوجد معلومات محددة وراء التقدير « فقد كنا نحاول أن نفكر فى الأهداف التى سيوجهون إليها سلاحهم » واستخدام هذه المعلومات فى تحديد عدد الرؤس التى ينتجونها . وقال لأحد أعضاء فريق العاملين معه « لقد كنا ، نتكهن وتوقعاتنا أفادت بأن الاسرائيليين لن يكون لديهم أسباب لإنتاج المزيد من القنابل أكثر من عشرة أو عشرين ، وهذا هو السبب الوحيد فى بقاء العدد ثابتا . فقد كان الأمر مبنيا على معلومات ضئيلة للغاية » .

١٨

الظــــلم

أشار تقرير كارك « دوكيت » السرى للغاية فى الـ « سى أى أيه » فى عام ١٩٦٨ إلى امتلاك إسرائيل ثلاث أو أربع قنابل نووية ، وكان مبنيا أساسا على اقتناعه بأن أمريكيا يهوديا يدعـى « زالمان شابيرو » هرب أكثر من مائتى رطل من اليورانيوم المخصـب إلى إسـرائيل - بما يكفى أربعة قنابل . كما كان اليورانيوم المهرب المزعوم عاملا رئيسيا فى ثانى تقييم لـ « دوكيت » » فى ١٩٧٤ الذى أفاد بامتلاك اسرائيل عشر قنابل على الأقل . وبنى هذا على أساس كمية اليورانيوم الذى أعتقد أن « شابيرو » قد نقلها ، بالإضافة إلى افتراض بأن الفرنسيين فى « ديمونة » قد يكونوا قد نجحوا فى فصل بلوتونيوم كاف من المفاعل لإنتاج ستة أسلحة أو أكثر منذ ١٩٧٠ . ولم يكن واضحا كيفية قيام إسرائيل بكل هذا بدون محطة لإعادة المعالجة فلم تكن الـ « سى أى أيه » قد حصلت بعد على دليل بوجود مثل هذه المحطة فى إسرائيل إلا أن ما بدا واضحا لـ « « دوكيت » » وزملائه وخاصة « ريتشارد هيلمز » هو استحقاق « شابيرو للوم » فقد كانت قضيته مفروغا منها ومن وجهة نظر الـ « سى أى أيه » فإن « شابيرو » أكثر من مجرد يهودى يؤيد إسرائيل فقد كان يهوديا فى مجال إعادة معالجة الوقود النووى ، فقد سافر بانتظام إلى إسرائيل وشارك الحكومة الإسرائيلية فى بعض المشاريع التجارية وهو يلائم نموذج الولاء المزدوج فى نواح اخرى : فهو الأبن الناجح لحاخام ارثونوكسى هاجر من ليتوانيا وتولى إلقاء خطبة الوداع نيابة عن فصله الدراسى فى باسايك بنيوجيرسى قبل دخول جامعة جون هوبكينز وحصل على درجة الاستاذية خلال حضوره فصول ليلية بمساعدة منحة من ستاندرارد أويل فى لندن وحصل على الدكتوراه فى الكيمياء فى

١٩٤٨ فى سن ٢٨ عاما . وكان « شابيرو » بذكائه وقدرته على العمل الشاق بين أول العلماء ، بالتأكيد أوائل اليهود ، الذين يتم استخدامهم لتطوير مفاعلات الغواصات فى المعمل الجديد الذى بدأ تشغيله فى ويستنجهاوس إليكتريك كوربوريشن لحساب البحرية الأمريكية .

ومع تقدم حياته العملية ، لم يخف « شابيرو » الذى خضع لعمليات تفتيش أمنية صارمة أثناء وجوده فى ويستنجهاوس بالتزامه القوى تجاه إسرائيل ، فقد كان بعض أفراد عائلته ضحايا للنازى وأمن بضرورة وجود دولة يهودية مستقلة . وأصبح عضوا نشطا للمنظمة الصهيونية الأمريكية ودعم بسخاء الجمعية الأمريكية للفنيين التى تجمع التبرعات وتقدم المعدات للمعهد الفنى الإسرائيلى للتكنولوجيا فى حيفا أكثر مدارس إسرائيل تقدما فى العلوم والهندسة .

وفى عام ١٩٥٧ شكل شركة لمعالجة الوقود النووى مملوكة ملكية عامة تضم ٢٥ على الأقل من حملة الأسهم فى مصنع مهجور للصلب من أيام الحرب العالمية الثانية فى أبوللو بولاية بنسيلفانيا على بعد ٢٥ ميلا شمال شرق بيتسبروج . وكان المصنع الذى عرف باسم مؤسسة المواد والمعدات النووية عبارة عن شركة صغيرة فى عالم معالجة الوقود النووى الذى تسيطر عليه شركات « فورتون ٥٠٠ » . وكان هناك صراع دائما من أجل الحصول على العقود . واتسم « شابيرو » بعدوانيته فى ممارسة العمل لصالح شركته الصغيرة وفى أوائل الستينات بدأت الشركة تقدم خدماتها لتسع دول أجنبية على الأقل وأصبح هناك تدفق دائم من الزوار الأجانب للمصنع كثيرون منهم بتحريض من وزارتى التجارة والخارجية التى كانت حريصة على لفت الأنظار للجهود الحكومية . فى مجال الذرات من أجل السلام . وكان هناك ثلاثة عاملون أجانب على الأقل فى الشركة من بينهم عالم معادن إسرائيلى تولى مسئولية أبحاث وقود المفاعل . كما ظل هناك شد وجذب فى هذه السنوات بين مسئولى الأمن فى لجنة الطاقة الذرية وشركة المواد والمعدات النووية حول اسلوب التعامل مع المواد السرية وتمت مطالبة الشركة بتحسين إجراءاتها .

وفى عام ١٩٦٥ بعد سنوات من عمليات المراجعة والفحص الداخلية قرر فريق تفتيش من لجنة الطاقة الذرية أن أكثر من مائتى رطل من اليورانيوم

المخصب قدمتها شركة ويستنجهاوس والبحرية إلى هذه الشركة لمعالجتها وتصنيعها لم يتم الإبلاغ عنها وفى النهاية ثارت شكوك لجنة الطاقة الذرية المشتركة و الـ « سى أى أيه » فى أن « شابيرو » نقل اليورانيوم إلى إسرائيل .

وسيظل « شابيرو » محاصرا بهذه الشكوك طوال الخمسة وعشرين عاما التالية على الرغم من أن ابرز دليل ضده هو يهوديته وأن أحد كبار المستثمرين فى الشركة يشاركه تأييده القوى لإسرائيل . واعتقد عدد من المحققين المتمرسين من الحكومة والكونجرس وعشرات من الصحفيين أن علاقات « شابيرو » العاطفية مع إسرائيل كافية كدافع له للقيام بالتجسس النووى وهى جريمة عقوبتها الاعدام وفقا لقانون الطاقة الذرية .

ورغم التحقيقات المكثفة التى استمرت عشر سنوات وتضمنت عمليات مراقبة نشطة من جانب مكتب التحقيقات الفيدرالى فلم يعثر مطلقا على دليل واضح يثبت أن « شابيرو » نقل أى يورانيوم من مصنعه . ومع ذلك ظل مذنبا فى عقول الكثيرين فى الحكومة والصحافة ، ونشر الصحفيون باستمرار روايات عن علاقات « شابيرو » باسرائيل ونقل اليورانيوم من شركته فى أى موضوع عن تطور الأسلحة النووية فى إسرائيل . وأشارت بعض الروايات الصحفية والكتب إلى أن الاتهامات ضد « شابيرو » لم تثبت صحتها مطلقا واكتفى آخرون ببساطة أن يعلنوا أن يورانيوم « شابيرو » هو الذى منح إسرائيل القنبلة النووية .

ولم ينقل « زالمان شابيرو » يورانيوم من مصنع المعالجة الخاص به لإسرائيل ولكن لا يوجد قدر كبير من العزاء للصناعة النووية فى هذه الحقيقة : فاليورانيوم المفقود لم يتعرض للسرقة على الاطلاق ، وانتهى المطاف فى الماء والهواء فى مدينة أبوللو ، وفى أنابيب وأرضيات ومجارى المصنع . كما لا يوجد قدر كبير من العزاء للمخابرات الأمريكية فى عدم تورط « شابيرو » فى التحول النووى حيث أنها فشلت فى معرفة علاقات « شابيرو » الوثيقة بـ « ارنست بيرجمان » و« بنيامين بلومبرج » والمهمة الحساسة والمشروعة التى قام بها لمحبوبته إسرائيل .

ولم يكن عمل « شابيرو » جميلا فالعديد من عقود شركة المواد والمعدات النووية « نوميك » تضمنت العزل الكيميائى واستخراج اليورانيوم المخصب من

النفاية والقضايا الناجمة عن تصنيع الوقود النووى . وكانت الذرات تعالج كيميائيا وأحيانا مرتين أو ثلاثا فى محاولة لعزل اليورانيوم المسترد . اسفرت العملية بشكل متلازم عن بعض الخسارة ، فقد كانت كميات صغيرة من اليورانيوم المخصب تتدفق بانتظام فى فاقد المياه أو تقر فى فرش التنظيف وفتحات الهواء ونظم التنقية وقطع النظافة وأقنعة الهواء . وكانت هذه نوعية العمل التى لا يريدها منافسو « نوميك » الأكبر المتمتعين بتمويل أضخم . وتضمنت العقود الأخرى عمليات أكثر نظافة مثل تحويل اليورانيوم شديد الخصوبة (٩٣ فى المائة يورانيوم ٢٣٥) من حالة اليورانيوم هيكسا فلوريد الغازية - الحالة التى يشحن فيها من مصانع إنتاج اليورانيوم الحكومية الضخمة ، إلى ذرات أوكسيد اليورانيوم القابل للاستخدام فى إنتاج الوقود النووى لمفاعلات البحرية - وأسفرت العملية أيضا عن نفاية . ففى النهاية تحول ١٥ فى المائة من اليورانيوم إلى نفاية واحتاج لإعادة تجميعه . وبما أن العمل فى المادة التى تستخدم فى الأسلحة أمر فى غاية الخطورة فإنه تعين على « نوميك » أن تقسم اليورانيوم الذى يتم إنتاجه لمقادير صغيرة ، مما يقدم فرصة أكبر للفاقد ، لحراسته من أى احتمال مرعب لحدوث رد فعل متسلسل .

وفى ظل القيود الصارمة للجنة الطاقة الذرية التى تحكم عملية إعادة معالجة يورانيوم وبلوتونيوم الأسلحة ، فإن شركة « شابيرو » كان يتعين عليها دفع مبالغ ضخمة مقابل أى كمية من المواد المخصبة التى لا يتم التعرف على مصيرها ، التى تزيد على عشرة جرامات ويعنى غياب رطل واحد خسارة تقدر بمبلغ ٤٥٠٠ دولار .

وأصبح اصطلاح « أم يو أف » أو المادة التى لا يتم الإبلاغ عنها هو الاصطلاح المشترك الشائع فى صناعة المعالجة النووية . وأصبح إجبار المقاولين على دفع غرامة للمواد الضائعة هو العمود الفقرى لبرنامج الإجراءات الأمنية للجنة الطاقة الذرية والافتراض كان عدم قيام أى مصنع بتحويل أو سرقة اليورانيوم إذا أسفر عن منتج نقى .

وفى النهاية أصدرت اللجنة قيودا معقدة للبلاغ عن المادة المفقودة مما سمح لشركات مثل « نوميك » أن تقدر فى تقاريرها المنتظمة حجم الفاقد ، ولكن اليورانيوم الذى أبلغ عن فقده كان يعتقد أنه مدفون فى أجهزة التنقية أو

فى مجارى النفايات . وسوف تبلغ « نوميك » بشكل روتينى عن فقد ما يبدو أنه كميات ضخمة من المواد المخصبة عن أى شركة أخرى حيث أن ثلاثين أو أربعين رطلا أمر غير عادى ، ثم تقدر أن ٨٠ فى المائة أو أكثر من المواد المفقودة سيتم أكتشافها خلال عمليات التنظيف . وقبلت لجنة الطاقة الذرية هذه التقديرات بوصفها حقيقية ومنعت عمليا ، تقييم أى عقوبات .

ولم يكن سرا أن النفاية النووية تعتبر منتجا ثانويا حتميا للعملية كما تنتج مصانع الاخشاب تراب الخشب فقد كانت فقط إحدى الحقائق التى لا يحتاج الرأى العام إلى أن يعرفها وبخاصة مع تزايد حساسية الامة تجاة نتائج الصناعة النووية على البيئة . ولم تكن المواد المخصبة التى تتعامل فيها شركة نوميك « ساخنة » كما ساد الاعتقاد ولذلك لم تسفر عن إشعاع سام متسلل فى الطبقات . وجاء الخطر الذى يواجه العاملين فى الشركة من تنفس اليورانيوم أو تناوله فى الطعام حيث أنه مثل جميع المعادن الثقيلة يبقى فى العظام حيث يترك فى النهاية آثاره على أساس العظام مما يتسبب فى سرطان الدم . وإذا تم استنشاق لليورانيوم المخصب فى الرئه يسفر أيضا عن سرطان الرئة وكانت تتم مناشدة العاملين فى الشركة بانتظام بارتداء أقنعة الوجه على الرغم من أن العديد منهم كانوا يرفضون القيام بذلك فى الصيف .

وبدأت المشكلات المدمرة لحياة « زالمان شابيرو » العملية تبدأ فى عام ١٩٦٢ حين كان صاحب العرض الأقل لعقدين مركبين من ويستنجهاوس يتضمنان معالجة أكثر من ٢٥٠٠ رطل من اليورانيوم المخصب . وأكدت ويستنجهاوس لنوميك أن ٦٠ فى المائة أو أكثر من كل مائة كيلو جرام من اليورانيوم سيتم معالجتها بنجاح . مما يعنى أن ٤٠ فى المائة من اليورانيوم يتحول لنفايات ليتم تجميعها بشكل منفصل . وفى الواقع وجدت نوميك العملية أكثر صعوبة مما ادعت ويستنجهاوس فى أحد العقدين مما اسفر عن عدم تخطى المنتج القابل للمعالجة نسبة ٣٥ فى المائة . وتحول ثلث اليورانيوم الذى امدتها به ويستنجهاوس إلى نفاية أغلبها كما اعتقد « شابيرو » ومساعدوه دفن فى النهاية فى براميل مع الأشياء الملونة ومعدات التنظيف فى حفرتين ضخمتين للنفايات فى أرض نوميك . وتضمنت الحفرتان الفاقد الملوث ليس فقط من عقد ويستنجهاوس ولكن أيضا من عمليات المعالجة الأخرى لشركات

خاصة ، ولم يعزل « شابيرو » الفاقد الخاص بكل عملية كما طالبت لجنة الطاقة الذرية . وبعد ذلك بدا محققو الوكالة مقتنعين بأن « شابيرو يتعمد مزج النفايات من مختلف العقود كأجراء لتوفير النفقات كما أثار شابيرو غضب اللجنة باعتماد لأسباب تتعلق بالنفقات ، بتردده فى بدء عملية إعادة معالجة النفايات لاستخراج اليورانيوم المفقود المضيعة للوقت ، وبدلا من ذلك أبقى موظفيه فى العمل فى عقود معالجة جديدة يحصل من خلالها على أجور فورية . وأصبح تأخير فرق التفتيش التابعة للجنة الطاقة الذرية التى تطالب بالإبلاغ عن اليورانيوم المفقود بشكل أو بأخر هو أسلوب العمل فى نوميك .

وحاولت اللجنة أن تحل حالة الفوضى المعقدة فى سلسلة من التحقيقات المكثفة فى عام ١٩٦٤ وعام ١٩٦٥ مع اشارة شابيرو بانتظام إلى الظروف المالية غير المستقرة لنوميك لتبرير أفعالة . وفى النهاية تم استخراج نسب من حفرة النفايات لعام ١٩٦٣ يؤكد محققو وكالة الطاقة الذرية أن نسبة اليورانيوم المخصب المدفون لاتكفى لمواجهة نسبة الفاقد الضخمة . واستنتج المحققون وجود فاقد قدره ٩٣ر٨. كيلو جرام من اليورانيوم المخصب ٢٠٦ أرطال لم يتم الابلاغ عنها . كما أبلغوا المركز بأنه « نظرا لسجلات البلاغ غير الملائمة والناقصة » لشركة نوميك فإنه لايمكن أستبعاد نقل اليورانيوم على الرغم من « عدم وجود أى دليل على حدوث ذلك . وأثيرت القضية فى اجتماع خاص عقد فى فبراير عام ١٩٦٦ لمفوضى وكالة الطاقة الذرية وكبار العاملين بها ووفقا لمذكرة معلنة عن هذا الاجتماع وافق المفوضون على سؤال العاملين فى نوميك لمعرفة ماحدث كما تمت الموافقة على القيام برحلة إلى كابيتول هيل لإبلاغ اللجنة المشتركة للطاقة النووية بالفاقد .

وكان التقرير الذى قدم للكونجرس قنبلة . فقد اهتز المجتمع النووى الأمريكى بالفعل فى أكتوبر عام ١٩٦٤ لدى سماعه أنه تم تفجير أول قنبلة نووية صينية بواسطة اليورانيوم وليس البلوتونيوم كما تصورت الـ « سى أى أيه » ووكالات المخابرات الأخرى . وثارت شكوك قوية فى أن الصين ابتاعت من السوق السوداء أو سرقت اليورانيوم المخصب اللازم لقنبلتها ، (ولن تعلم الـ « سى أى أيه » إلا بعد عام أن الصين انهت مصنعا ضخما للإنشطار قبل موعده المتوقع بوقت طويل) . وصدرت الأوامر بتقديم

دراسة خاصة عن إجراءات الأمن لوكالة الطاقة الذرية وشككت فى اعتماد اللجنة الضخم على الغرامات المالية كوسيلة كافية لمنع تحويل المواد النووية . وأشار تقرير اللجنة المشتركة إلى أن موقف لجنة الطاقة الذرية يشير إلى أن جميع مسئوليتها (يتم الوفاء بها ... طالما سدد ثمن المادة المفقودة) .

وكانت اللجنة التى تتسم بالحساسية تجاه قضية نقل المواد النووية قد احالت خسائر نوميك إلى مكتب التحقيقات الفيدرالى فى أكتوبر عام ١٩٦٥ إلا أن المكتب لم ير أى أساس للتحقيق واستنتج كبار مسئولى التجسس المضاد وفقا لوثيقة معلنة أن (هذا الوضع حتى الآن يعامل على نحو صحيح من جانب وكالة الطاقة الذرية كأمر إدارى ولايبدو أى أساس لأن تتخذ أى إجراء ..) ومع استجواب فريق التفتيش التابع للجنة - أكثر من ١٢٠ من العاملين فى نوميك - فى النهاية لم يتم التوصل لدليل على نقل المواد النووية .

ومع ذلك وجدت الـ « سى أى أيه » أن علاقات « شابيرو » القديمة مع إسرائيل مصدر دائما للاهتمام . فقد كان « شابيرو » زائرا دائما لإسرائيل وكان الإسرائيليون من بين الكثير من الزوار الأجانب الذين سجلوا أسماءهم للقيام بجولات داخل نوميك . كما كان شابيرو شريكا مع الحكومة الإسرائيلية فى معاملات تتضمن تعقيم الأطعمة وتعقيم المواد الطبية بالإشعاع وشحنت شحنات من وإلى نوميك من وإلى إسرائيل وفى أول فبراير عام ١٩٦٦ ، وعلى الرغم من أن التقارير الخاصة بالتقدم الإسرائيلى فى مجال الأسلحة النووية بدأت تتدفق من السفارة الأمريكية فى تل أبيب . فإن ارجون هادين رئيس محطة الـ « سى أى أيه » لم يكن قد تمكن بعد من العثور على دليل على أن إسرائيل تملك محطة لإعادة المعالجة الكيميائية فى « ديمونة » . وبدون مثل هذه المحطة فإن إسرائيل كانت فى حاجة لمصدر مستقل من اليورانيوم المخصب أو البلوتونيوم لتصنيع القنابل التى ابلغ عملاء هادين بوجودها .

واتفق « دوكيت » و هيلمز مع هادين فى أنه من المؤكد أن « شابيرو » هو مصدر التقدم الإسرائيلى فى الأسلحة النووية وسيمضى الرجلان عدة سنوات يدفعون شكوكهم لأى شخص بمن فيهم الرئيسان « جونسون » و « نيكسون » ، الذى سيستمع لهما وسيطر على تفسيرهما علاقات « شابيرو » بإسرائيل وأن أحد حملة الأسهم فى نوميك هو « ديفيد لوينثال » ساعد على

احضار مهاجرين إلى إسرائيل قبل عام ١٩٤٨ بطرق غير مشروعة . كما وصل « دوكيت » إلى حد الاعتقاد ، كما أبلغ محققو الكونجرس فيما بعد ، أن « شابيرو » أنشأ نوميك فى عام ١٩٥٧ كجزء من برنامج مخابراتى بعيد المدى لنقل اليورانيوم وأيد « « دوكيت » وهيلمز » فى غالبية شكوكهما جورج مورفى مساعد مدير اللجنة المشتركة للطاقة الذرية الذى كان مقتنعا هو أيضا بأن المائتى رطل من اليورانيوم المخصب لم يكن فى الوسع اقتناؤها ببساطة فى فتحات الهواء وحصر الفاقد فى نوميك . ووجد مورفى الذى لم يكن لديه إدراك فنى بدائرة الوقود النووى فى عمليات التسجيل غير المتقنة المزعومة « لشابيرو » التى أوردتها لجنة الطاقة الذرية ، منافية للعقل وفى رأية (أن شابيرو يعد أذكى رجل أعمال وأكثرهم عنادا عرفته فى حياتى) كما روع « مورفى » بما اعتبره افتقادا للإجراءات الأمنية فى نوميك وأبلغ محقق من الكونجرس عن مشاهدة كرات اليورانيوم متناثرة (فوق المقاعد) خلال زيارة لمصنع أبوللو . وبدا احتمال نقله إلى إسرائيل قويا وخضع « شابيرو » لمراقبة مكتب التحقيقات الفيدرالى فى أواخر الستينات .

ومن ناحية أخرى عين « شابيرو » – فى محاولة يائسة لإنقاذ شركته – جيمس لوفيت العالم الكبير فى وكالة الطاقة الذرية ليتولى مسئولية الابلاغ عن المواد النووية فى نوميك . وكان من أول إجراءات لوفيت الإصرار على حماية الأرضية الاسمنتية للمصنع القديم بمادة الستنليس ستيل . فقد كان لوفيت يعلم أن الأسمنت يحتوى على قدر كبير من اليورانيوم أكثر مما هو متوقع . ويتذكر لوفيت أن « شابيرو » والمسئولين الأخرين فى الشركة كانوا يضللون أنفسهم ، فقد كانوا يعتقدون بصدق إذا وصلت الأمور لنهايتها فانهم سينقذون القدر الأكبر من المائتى رطل ، أو أكثر ، المفقودة من اليورانيوم فى حفر النفايات فى نوميك .

ولكن لم يكن أغلب اليورانيوم فى هذه الحفر ولكنه كان فى الأرضية الأسمنتية ومعلقا فى فتحات التهوية وممتزجا مع النفايات الأخرى للمصنع وذهب فى الممرات المائية المحلية ومنتشرا فى الهواء .

وأصبح الجدل المستمر حول عملية النقل المزعومة معروفا على نطاق واسع فى المجتمع النووى المتشابك بقوة وعانى شابيرو كثيرا ويتذكر بمرارة :

« لقد كنت سمكة نتنة ميتة وابتعدت عنى العقود واعطيت للآخرين » ، وفى عام ١٩٦٧ اضطر « شابيرو » وشركاؤه على دمج مصالح نوميك مع شركة اطلانتيك ريتشفيلد واستمر « شابيرو » يدير الشركة بما له من خبرة خاصة فى شئون الطاقة الذرية .

وكان « لشابيرو » حياة سرية وهو مالم تعلمه الـ « سى أى أيه » أو لجنة الطاقة الذرية فقد ربطته صداقة مع كبار العلماء النوويين الإسرائيليين خلال زياراته لإسرائيل وكان صديقا حميما بصفة خاصة « لارنست ديفيد بيرجمان » رئيس لجنة الطاقة الذرية الإسرائيلية حتى عام ١٩٦٦ ويقول « شابيرو » عن « بيرجمان » : (أنه عبقرى حقا . أنه شديد العبقرية . ويعمل ليلا ونهارا . ولا أعرف متى ينام) وأضاف « شابيرو » أن « بيرجمان » كان مهتما بصفة خاصة بمحطة لتحلية المياه تعمل بالطاقة النووية .

والمياه بالطبع هى أغلى متطلبات الإعاشة فى إسرائيل . ففى عام ١٩٦٤ أنهت البلاد خط أنابيب يمتد بطول ١٥٠ ميلا لنقل المياه من الشمال إلى النقب عرف باسم (خط نقل المياه القومى) وربط النظام الذى كان حينئذ أضخم مشاريع التنمية فى إسرائيل شبكات المياه المحلية والإقليمية الإسرائيلية لتشكل شبكة موحدة تسعى للسيطرة على جميع كميات الأمطار وضخها فى خزانات لحفظها . ولم يكتمل الخط القومى مع ذلك بدون سلسلة من الخلافات مع سوريا وبخاصة حول هدف إسرائيل من نقل المياه جنوبا من بحيرة كينيرت فى الجليل . وكانت هناك مساحات ضخمة فى شمال إسرائيل تتحرك خلالها المياه إلى الجنوب فى العراء يتم حمايتها بالأسلاك الشائكة فقط وأصبح ممر المياه هـدفا واضـحا للإرهابيين . وهددت منظمة فتح الفـدائية (والعضو الهام فى منظمة التحرير الفلسطينية) بتسميم المياه . وفى إحدى المراحل ثارت شكوك مسئولى الأمن الإسرائيليين فى قيام فتح بمحاولة قطع السياج الذى يحمى أعمال المياه فيما أثار الشكوك عن وجود محاولات لزرع قنبلة .

وفى هذه المرحلة طلبت إسرائيل من « زالمان شابيرو » أن يتوصل لوسيلة سريعة ودقيقة لتحديد ما إذا كانت المياه قد لوثت بمواد سامة . وكانت هناك مشكلة ثانية ، فنسبة تصل إلى ٣٠ فى المائة من المياه تختفى أثناء نقلها

جنوبا ، وفشل المسئولون الإسرائيليون فى تحديد كيف وأين يحدث هذا الفاقد، واعترف « شابيرو » بتردد ، بأنه نصح أيضا بشأن هذا الموضوع بتوصية بإضافة جهاز مراقبة يعمل بالإشعاع فى المياه فى بحيرة كينيرت لمتابعة تدفقها . وقرر ألا يناقش بشكل محدد كل هذه الأنشطة نيابة عن إسرائيل خلال العديد من التحقيقات الحكومية ومن جانب الكونجرس حول نوميك بسبب التهديد المستمر لإمدادات المياه الإسرائيلية كما قال : (لم أكن أريد أن أصنع أى أفكار فى أذهان المواطنين) .

وفى أواخر الستينات عقد « شابيرو » سلسلة من الاجتماعات . بعضها فى منزله ، للعلماء الأمريكيين والإسرائيليين كما قال لمناقشة قضية كيفية حماية الخط القومى لنقل المياه من الإرهاب المحتمل . وكان مكتب التحقيقات الفيدرالية يراقب بعض العلماء الذين اعتبرهم « دوكيت » وزملاءه من الفاشيين الجدد . وفى هذا الوقت أبرمت نوميك عقدا لإمداد إسرائيل بمصادر الطاقة الصغيرة المتخصصة التى رفض « شابيرو » أن يعلن عن مهمتها أكثر من الاعتراف بأنها مرتبطة بأمن خطوط المياه . ووافقت وزارة التجارة على تصدير جميع النوعيات التى تم شحنها وقال (حصلنا على تصاريح لما فعلناه . ولم أنقل أى وثيقة لأى شخص واقتصرت الاجتماعات فقط على إمدادات المياه) .

ولم يقل « شابيرو » وما إذا كان قد علم - كما هو الحال بالنسبة للعديد من الصحفيين الأمريكيين - بما يدور فى « ديمونة » . واعترف بعلاقته بـ « بنيامين بلومبرج » مدير مكتب الاتصالات العلمية الإسرائيلى وقال : (لم أقل مطلقا أننى لا أعرفه) ولكنه نفى الكشف عن أى أسرار أمريكية أو نقل أية مواد « فقد بذلت ما فى وسعى لضمان أمن هذا البلد فهل تعتقد للحظة أننى سأفعل أى شئ يضر بأمنها ؟ » .

وظل « دوكيت » وهيلمز مقتنعين بأن « شابيرو » مدان بالتجسس . ودفع حوار « دوكيت » مع ادوارد تيلور وتقريره فى أوائل عام ١٩٦٨ عن القدرة النووية الإسرائيلية بهيلمز ، لأن يحث مكتب التحقيقات الفيدرالى على تجديد تحقيقاته فى تعاملات « شابيرو » مع إسرائيل وكان « ادجار هوفر » رئيس مكتب التحقيقات الفيدرالى حينئذ على خلاف شديد مع مكتب التجسس

المضاد برئاسة « جيمس انجلتون » حول اسلوب تعامل الـ « سى أى أيه » مع المنشقين واستمرار عمليات التجسس غير الشرعية للـ « سى أى أيه » داخل الولايات المتحدة بمقتضى تفويض رئاسى لتحديد ما إذا كانت الحركة المناهضة لحرب فيتنام خاضعة لتوجيه من موسكو . واختار « هوفر » أن يختلف مع « هيلمز » حو ل قضية « شابيرو » طوال العام التالى وذلك كما يقول محقق من الكونجرس سابقا راجع ملفات لجان المخابرات فى مجلسى الشيوخ والنواب . حول « شابيرو » . ويتذكر هذا المحقق ، (لقد قالت الـ « سى أى أيه » لهوفر : (أنت مسئول إذا كان جاسوسا القى القبض عليه) ويرد هوفر قائلا : (نحن لا نعلم حقا ما إذا كان أى شئ قد نقل . اذهبوا لإسرائيل وإلى داخل « ديمونة » وإذا عثرتم على أى دليل على وجود يورانيوم خاص « بشابيرو » فلتعلمونا . وهكذا سارت اللعبة . واتسمت المذكرات بالهيستيرية وظلت تتردد جيئة وذهابا) .

وقد ظل ملف نوميك مدفونا واستمر « شابيرو » مرة أخرى يعمل لحساب ويستنجهاوس حتى عام ١٩٧٥ حين عين « جيمس كونران » لكتابة تاريخ إجراءات الأمن النووى وكان كونران محللا فى لجنة التشريعات النووية أحد وكالتين شكلتا حين تم حل لجنة الطاقة الذرية فى وقت سابق من هذا العام . ولم يسمح له بالحصول على ملف نوميك لأسباب أمنية ، وبدأ حملة نشطة للحصول على معلومات عن نوميك للمفوضين الخمسة فى لجنة التشريعات النووية والعاملين معهم . ولم يتمكن من كتابة تقريره كما يقول حتى حصوله على هذا الملف .

وكانت هناك قضية جوهرية أخرى مطروحة فصناعة الطاقة النووية كانت تضغط من أجل التمتع بالشهرة والدعم الحكومى لصناعة ضخمة لإعادة معالجة البلوتونيوم . وبدا كما لو أن مستقبل الطاقة النووية يعتمد الآن على القبول العام لمفاعلات أسرع فى المعالجة قادرة على إنتاج كميات من البلوتونيوم تزيد عما تستهلكه . وكانت قضيته السياسية العامة واضحة : فكيف يمكن لحكومات العالم أن تمنع نقل البلوتونيوم للاستخدامات العسكرية ؟ وخلق طرح قضية نوميك مرة أخرى مشكلة لم يكن مرغوبا فيها إلى حد كبير . فاما حدثت عملية نقل أو أن الفاقد المتضمن فى منشآت المعالجة مثل نوميك وغيرها

المتنــاثرة فى جميــع أنحــاء البلاد ، من اليورانيوم والبلوتونيوم أكبر بكثير مما هو معــروف عــلنا .

وارتعد مؤيدو الطاقة النووية الذين يضمون الكثير من أعضاء لجنة التشريعات النووية لفكرة القيام بمزيد من الدعاية المعاكسة لإجراءات أمن المفاعلات النووية والتلوث واسع النطاق المحتمل . وشكلت جماعات مناهضة للطاقة النووية فى جميع أنحاء العالم وبدأت مظاهرات ضخمة واحيانا عنيفة فى محاولة لوقف استخدام الطاقة النووية .

ولم يكسب كونران الكثير من الأصدقاء داخل اللجنة بإصراره معرفة ما حدث لليورانيوم المفقود فى نوميك ورتب « كارل دوكيت » اجتماعا على أعلى مستوى لمناقشة احتمال نقل المواد . ويتذكر فيكتور جيلينسكى أحد مفوضى لجنة التشريعات النووية ان « دوكيت » سئل عن القنبلة الإسرائيلية وقال أن الـ « سى أى أيه » تعتقد أن إسرائيل لديها أسلحة نووية . وأن الوكالة تعتقد أنه حدثت عملية نقل ولم يقل أى شئ يمكن أن يقنعك أن هذه هى القضية ولكن القضية من رؤيتك ومن عالمنا الصغير أنه فعل ما فعل فلم نكن فى اللجنة نملك مسئولية التعامل مع الإسرائيليين . ونأخذ ما تتوصل إليه الوكالات الأخرى كنقطة بدء . وكان جيلينسكى يرى أن اللجنة ليس عليها التزام بأن تحدد ما إذا كانت تأكيدات « دوكيت » صحيحة ولكن أتفقت على أساس ما قاله « دوكيت » على تشديد الإجراءات للتعامل مع المواد النووية . وأغلب الذين حضروا اجتماع « دوكيت » لم يكونوا معنيين بالشئون الدولية ولكنهم كانوا يقومون بحماية فكرة وضع إجراءات كافية من جانب لجنة التشريعات النووية لحماية البلوتونيوم . وكان هذا تهديدا لإدعاءاتنا بأنه يمكن حماية العاملين) .

وفي الوقت الذى أدى فيه تقرير « دوكيت » للجنة التشريع النووى وحديثه غير الرسمى بعد ذلك فى الـ « سى أى أيه » أمام اتحاد الفضاء ومعهد علوم الفضاء الأمريكى لأثار مدمرة على حياته العملية فإنها أثارت موجة من القلق لم تستمر طويلا حول نوميك فى البيت الأبيض أثناء حكم فورد ، حيث بدأ تحقيق أخر حول « شابيرو » . ومرة أخرى مع ذلك لم يجد مكتب التحقيقات الفيدرالى أى دليل على نقل المواد النووية .

وبالإضافة إلى ذلك هناك دليل مستقل يوضح أن مشكلات « شابيرو » فى تشغيل نوميك لم تكن غير عادية كما أشارت لجنة الطاقة الذرية فى منتصف الستينات . وأسفر تحقيق مستمر للجنة التشريع النووى عن المصنع الذى أصبح فى أوائل السبعينات تابعا لأحد أكبر مصممى المفاعلات فى البلاد هى شركة بابوك وديلكوكس ، عن اكتشاف فقدان ١٩٨ رطلا أخرى من اليورانيوم المخصب خلال فترة ٢٩ شهرا اعتبارا من عام ١٩٧٤ وأوضحت دراسة أخرى أنه لم يكن فى الوسع الإبلاغ سوى عن ١١٠ أرطال فقط فيما وصفته دراسة اللجنة سابقا (بفاقد مواد غير محدد وغير موثق) مثل تلويث ملابس العمال والفاقد من أنظمة جهاز غسل الغاز والمواد الموجودة فى الأرضيات والإيداعات المتخلفة فى معدات المعالجة . وأرجع اليورانيوم الفاقد المتبقى إلى (الشكوك الحتمية فى أنظمة القياس وأخطاء فى نظام الإبلاغ) . وبعبارات أخرى فإن فاقد اليورانيوم من الصعب قياسه . وأثار الكم الضخم من فاقد اليورانيوم قضايا واضحة خاصة بالتلوث فى المنطقة المحيطة مباشرة فقد ظل مصنع أبوللو يضخ ١٣ ألف و ٣٠٠ جالون من المياه ومواد النفايات يوميا فى نهر كاسكيميتيتس المجاور وهو فرع لنهر اليجنى الذى يعد المصدر الرئيسى لمياه الشرب للعديد من التجمعات فى منطقة بيتسبورج .

وفى أكتوبر عام ١٩٧٧ أعلن جون باور السكرتير الصحفى للرئيس جيمى كارتر أن (أربعة أعوام من التحقيقات) من جانب لجنة الطاقة الذرية ومكتب التحقيقات الفيدرالى والمكتب العام للتسجيل (فشلت فى الكشف) عن تحول اليورانيوم إلى إسرائيل . ومع نهاية العام تولت لجنة فرعية للمراقبة والتحقيقات تابعة لمجلس النواب المسئولية الفعلية عن قضية نوميك وكانت تلك اللجنة واحدة من أكثر وحدات التحقيق دقة وعدوانية فى الكونجرس مع لجنة فرعية للطاقة والبيئة فى مجلس النواب . وتعاون « كارل دوكيت » و « جون هادين » اللذان تقاعدا من الـ « سى أى أيه » تماما مع اللجنتين الفرعيتين فى إحدى المراحل . واتصل « دوكيت » بأحد المحققين فى منتصف الليل وأصر على أنه سيذهب إلى تليفون عام فى محطة بنزين ليرد على المكالمة . ثم حث على المضى قدما فى التحقيق المرتبط بشابيرو . ومن ناحية أخرى كرر هادين تكهنه بوجود « عميل » إسرائيلى سرى داخل لجنة الطاقة الذرية كان يحمى

« شابيرو » فى التحقيقات الأولى حول عملية النقل المحتملة .

ولم يكن هناك دور كبير « لشابيرو » فى كل هذا . فقد بدا أن المحققين فى اللجنتين الفرعيتين يأخذون كل ما يقوله « دوكيت » و« هادين » من مزاعم كحقائق مسلم بها . ولكن من خلال هذه المزاعم بدأ الغرباء يدركون كيف تقيم الـ « سى أى أيه » واللجنتان الفرعيتان الأدلة وما هى نوعية التحقيقات والتوازنات الداخلية المفروضة على تحقيقاتهم .

وعبر « دوكيت » عما يعتقده مباشرة فى حديث تليفزيونى مع محطة « أيه بى سى » عام ١٩٨١ حين قال أنه كان يوجد (إجماع واضح) داخل الـ « سى أى أيه » بأن الأمر الأكثر ترجيحا (أن إسرائيل أصبحت قوة نووية بفضل اليورانيوم الذى أمدها به « شابيرو » وقال : (اننى أؤمن بشكل مؤكد أن هذه هى المسألة ... وأعتقد أن جميع المحللين الكبار لدى الذين عملوا فى هذه القضية يتفقون معى تماما) . ولم يكن لدى محقق اللجنتين الفرعيتين أى وسيلة ليعرف بالطبع الحجم الضئيل من المعلومات الذى تمكن « دوكيت » (وكبار محلليه) من الوصول إليه . كما لم تعلم اللجنتان الفرعيتان أن تقدير « دوكيت » الأول عن القدرة النووية الإسرائيلية بنى أساسا على هذا الأساس من جانب « ادوارد تيلور » وليس على أى معلومات محددة عن قدرة المفاعل الإسرائيلى أو وجود محطة لإعادة المعالجة فى « ديمونه » . ولا يوجد أيضا أى دليل محدد على شحن « شابيرو » اليورانيوم المخصب لإسرائيل . كما لم تكتشف اللجنتان الفرعيتان أن تقرير « دوكيت » لـ « سى أى أيه » فى عام ١٩٧٤ لم يكن دون انتقادات فى هذا الوقت . وأصر مسئولو المخابرات فى لجنة الطاقة الذرية على ضرورة إضافة حاشية للتقرير تشير إلى أن (أى معلومات) حول نقل اليورانيوم لإسرائيل غير معروفة للجنة (وقد ضغط « دوكيت » بشدة داخل مجلس مخابرات الولايات المتحدة لتضمين إسرائيل و « أبوللو » فى التقرير الخاص (كما يذكر مسئول فى اللجنة الذى يضيف (إنه نجح فى ذلك) .

ومع ذلك أمضى « هنرى مايرز » و« بيتر ستوكتون » أكبر محققين فى لجنتى الكونجرس الفرعيتين نحو ١٥ عاما يعتمدان على تكنات « دوكيت » و « هايدن » للصحفيين بوصفها آراء مصادر مطلعة فى المخابرات ونشر الكثير من الصحفيين معتقدات « دوكيت » و« هايدن » بوصفها (حقائق) .

فعلى سبيل المثال أبلغ مايرز المتخصص فى شئون الطاقة ، مؤلف الكتاب أنه فى بداية بحثه عن « زالمان شابيرو » (كانت توجد أسباب لأن أعتقد أن نوميك أنشئت فقط لنقل المواد والسبب فى ذلك أنه لم يعرف بوضوح مصادر تمويلها) وأشار مايرز إلى دور ديفيد لويزثال فى إسرائيل عام ١٩٤٨ وأضاف (وردت تقارير عن وجود خط تليفونى مؤمن وخط تلكس بين السفارة الإسرائيلية ونوميك) كما تحدث مايرز عن حضوره اجتماع حول « نوميك » بين « ريتشارد هيلمز » ومجموعة من المشرعين وقال : (ذكر هيلمز فى الواقع أن شابيرو هو رئيس مجموعة من الأشخاص تجمع المعلومات بعضها سرى وبعضها غير سرى لحساب إسرائيل) . كما تردد ادعاء آخر بأن عملاء للـ « سى أى أيه » فى إسرائيل وجدوا (آثارا لليورانيوم المخصب) بالقرب من « ديمونه » يشبه المنتجات المخصبة التى سلمت لمعالجتها فى مصنع شابيرو ، كما عقد اجتماع مثير للشكوك الكبيرة فى مطار بيتسبورج بين « شابيرو » و« جيروهام كافكافى » الملحق العلمى الإسرائيلى الذى قال مكتب التحقيقات الفيدرالى إنه طار من واشنطن إلى بيتسبورج من أجل هذا اللقاء وعاد على الفور إلى واشنطن . ووصف مايرز كافكافى بأنه (ضابط محتمل للمخابرات الإسرائيلية) .

واستمر مايرز فى الاعتقاد تماما حتى أوائل التسعينات أن بياناته صحيحة . إلا أن الحقيقة هى أن « ديفيد لوينثال » كان واحدا من عدد من المستثمرين فى نوميك بعضهم لم يكونوا يهودا . ولا يوجد أى خط تليفونى مؤمن أو تلكس فى نوميك وهى حقيقة اعترف بها « دوكيت » وآخرون قاموا بالتحقيق فى عملية النقل المزعومة ، وقد يكون ريتشارد هيلمز كان أيضا مقتنعا بأن « شابيرو » هو رئيس شبكة تجسس إسرائيلية ولكن لا يوجد أساس من الحقائق على هذا التأكيد . واعترف « دوكيت » والمحققون الآخرون فى قضية نوميك بأنه لا يوجد تطابق ذو معنى بين اليورانيوم الذى يتم معالجته فى نوميك وبقايا اليورانيوم المخصب الذى التقطها عملاء الـ « سى أى أيه » خارج « ديمونه » . وأخيرا فإن « شابيرو » أبلغ محققى الكونجرس ، الذين لم يصدقوه على نحو واضح ، بأن لقاءه مع كافكافى رتب له بناء على طلبه لأنه لم يحصل على ثمن معدات مكافحة التجسس التى شخصها لإسرائيل وكانت

نوميك الطرف الدائن بمبلغ ٣٢ ألف دولار ، وهى حقيقة وجدها «محرجة» ولكن الشركة كانت فى حاجة إلى المال .

وانكر « دوكيت » فى حديث عام ١٩٩١ بشكل أساسى غالبية تأكيداته السابقة وقال : (بكل الأسى الذى تسببت فيه) فى إشارة إلى حياة « شابيرو » العملية التى تعرضت للدمار (أعلم الآن أنه لا يوجد أى شئ يدين « شابيرو » ويوجد معلومات وردت مصادفة ولكن لم أحاول أن أصدر حكما على ذلك . ولم يكن لدى فى أى وقت مصلحة شخصية فى تلك العملية بأكملها . وكانت محاولة للتأكد حين يكون لديك معلومات يجب أن ترفعها للرؤساء . وفى النهاية لا تملك أى سيطرة على المعلومات . ولم التق مطلقا مع « شابيرو » ولم أكن فى أى وقت مهتما بالتلاعب فى القصة) .

كما اعترف بيتر ستوكتون فى حديث عام ١٩٩١ بأنه كان لديه شك مستمر فى مصداقية هايدن وقال : (لم أكن مقتنعا تماما به) فقد عانى من الانزعاج حين أبلغ ستوكتون محقق اللجنة الفرعية والمشرعين الرواية على نحو ما ، ثم أبلغ رواية مختلفة تماما حول نفس الموضوع لمكتب التسجيل الحكومى الذى كان يقوم بتحقيق منفصل حول نفس الموضوع الخاص بنقل نوميك للمواد النووية . وقال ستوكتون : (لقد اعتمدنا على أشخاص بعينهم حولونا لمجموعة من الأغبياء) ومع ذلك استمر ستوكتون يلتقى بالصحفيين حول نوميك واستمر فى نشر نفس المعلومات غير الصحيحة وظل كثير من الصحفيين مقتنعين بأن « شابيرو » نقل اليورانيوم اللازم للقنبلة الإسرائيلية . وأشار أندرو وليزلى كوكبورن فى كتابهما «العلاقة الخطرة» الذى نشر عام ١٩٩١ ، إلى دور « شابيرو » فى حصول إسرائيل على القنبلة النووية من خلال حديث أجرياه مع ستوكتون عام ١٩٨٩ ووصف هذا الدور بإنه (حساس) لدرجة أن خمسة رؤساء أمريكيين قاموا بالتعتيم عليه . ثم كتبا يقولان (وجد ستوكتون أن مسئولا واحدا على الأقل فى الـ « سى أى أيه » كان يملك فكرة واضحة عن حقيقة فضيحة نوميك هو جون هايدن) .

وأغلقت شركة بابكوك وويلكوكس مصنع أبوللو الخاص بزالمان شابيرو فى عام ١٩٧٨ حين تعرضت عمليات الوقود النووى لانتكاسة بسبب تراجع التعاملات مع البحرية . وأثار إصرار « شابيرو » على أن اليورانيوم المفقود

إما تسرب إلى الأرض أو تبخر فى الهواء جدلا كبيرا حول التلوث النووى .
ووافقت شركة بابكوك وويلكوكس تحت ضغط الرأى العام على الإبقاء على مصنع أبوللو مفتوحا فى محاولة لتحديد نسبة التلوث القائمة . وفى عام ١٩٨٩ بدأت الشركة تطهير المصنع من التلوث فى عملية مكلفة تضمنت إزالة بعض القطاعات أبلغت بابكوك وويلكوكس سكان المنطقة بأنها ستستغل السبل لإعادة المكان لحالة صالحة للإنتاج ووعدت بأن العمليات المستقبلية لن تتضمن مواد مشعة .

وفى أواخر عام ١٩٩٠ وافق الكونجرس على مشروع قانون مخصصات وزارة الدفاع تضمن ٣٠ مليون دولار لإنفاقها فى محاولة لتطهير المصنع مع تحويل اعتمادات من بابكوك وويلكوكس . واعترف مسئولو الشركة بأن قطاعات عديدة من المصنع وأرضيته الأسمنتية ملوثة لدرجة تقتضى إزالتها قطعة قطعة، ودفنها فى أماكن مناسبة بعد إزالة اليورانيوم القيم . بعد ذلك اعترف مسئولو لجنة التشريعات النووية بأن أكثر من مائة كيلو جرام من اليورانيوم المخصب وهى الكمية التى يزعم أن زالمان شابيرو نقلها لإسرائيل ، تم رفعها من المصنع غير المعد للعمل مع حلول عام ١٩٨٢ مع استمرار رفع المزيد سنويا (وتطلق لجنة التشريعات النووية على هذه العمليات اسم « المكاسب المجردة » ولم يتضح ما إذا كانت الستين مليون دولار التى خصصتها الحكومة وشركة بابكوك وويلكوكس ستكون كافية لإتمام المهمة ، ولم يتضح ما إذا كان الموقع سيصبح مأمونا بعد الآن فى أى وقت لشغله وإعادته للعمل مرة أخرى) .

١٩

قلـــق كـــــارتر

أنهى الانتصار المفاجىء لحزب الليكود بزعامة مناحيم بيجين فى الانتخـابات العـامة فى مايو سنة ١٩٧٧ ، ٢٩ عاما من هيمنـــة حزبى العمـل والمباى على العملية السياسية فى إسرائيل . وجاءت إلى السلطة حكومة أكثر التزاما من العمل بالخيار شمشون وضرورة وجود ترسانة نووية إسرائيلية . ومثل بيجين واتباعه السياسيون وجهة نظر شعبية – قومية عن إسرائيل الكبرى وحقها فى السيادة الدائمة على الضفة الغربية ومن وجهة نظرهم فإن رجالا يمثلون الخط الرئيسى للصهاينة مثل ديفيد بن جوريون دخلوا ثلاث حروب بدون استراتيجية ضخمة وبدت نظرتهم تتلخص فى الجانب الآخر الذى أختار زعماؤه متى تبدأ الحرب وعلى أى جبهة تبدأ ، هم الذين فرضوا الاهداف العسكرية الإسرائيلية وبدأ بجين وائتلافه مصممين كما سيظهرون فى الاثر المأساوى لحرب لبنان أنهم قادرون على استخدام قوة إسرائيل لاعادة رسم خريطة الشرق الاوسط .

وكانت الاسلحة النووية توافق الجانب الأخر من شخصية بيجين ، وهى افتتانه بالتحركات العسكرية المثيرة كما جسدها حتى إصراره على تدمير مفاعل أزيراك النووى وتورطه كزعيم لمنظمة الارجون السرية اليهودية الإرهابية فى تدمير فندق الملك داود فى القدس فى يوليو سنة ١٩٤٦ وعلى عكس الكثير من الإسرائيليين الذين هاجروا من أوربا الشرقية فقد حمل بيجين كراهية كبيرة للشيوعية والاتحاد السوفييتى وقد فر هو وعائلته إلى شرق بولندا بعد بدء الغزو الالمانى سنة ١٩٣٩ ، ومثل العديد من الصهاينة أعتقلته القوات السوفييتية وطردته إلى سجن فى سيبيريا وأطلق سراحه ضمن كتيبة شكلها الجيش الأحمر على عجل من البولنديين بعد الغزو النازى لروسيا فى عام ١٩٤١ .

وتؤكد جميع الروايات أن بيجين لم يزر ديمونة قبل أن يصبح رئيسا للوزراء كما أنه لم يطلع على نحو خاص بما يدور بها وأمده اسحق رابين رئيس الوزراء الذى أنهى فترة حكمه باول تقارير عن الشئون الحساسة المتعلقة بالامن القومى ويتذكر أروبن ميناش الخبير السابق فى مخابرات الاتصالات الإسرائيلية ، كان يخدم حينئذ كمسئول مدنى فى وزارة الدفاع - أن بيجين أيد بقوه خطط ديمونه ولتحديد أهداف داخل الاتحاد السوفييتي . كما مضى بيجين خطوة أبعد من ذلك كما يقول بن ميناش « فقد أصدر أوامره بتحديد المزيد من المدن السوفيتية كأهداف لديمونه » . وقال بن ميناش أن زيادة الاهداف خلق مطلبا متزايدا على مخابرات القمر الصناعى الإمريكى . ولكن كان الدبلوماسيون والملحقون العسكريون الإسرائيليون يواجهون أذانا صماء فى واشنطن حيث تراجعت إدارة كارتر عن العلاقة الوثيقة التى تطورت فى ظل الرئيسين نيكسون وفورد . واكتشف ضابط أمريكى تولى مسئولية المخابرات العسكرية فى الاعوام الأولى من رئاسة كارتر انتشار الاسرائيليين فى جميع انحاء البنتاجون واهتمامهم المكثف بالمعلومات عن السوفييت وقال « كانوا ينتشرون فى كل مكان . ويحاولون أن يتخطوا كل عائق وارادوا أن يصرخوا ماذا يبلغنا به ملحقونا العسكريون وما هى متطلباتنا . وبدت مؤسستنا مثل خلية النحل بالنسبة لهم » .

ولم تدرك المخابرات الامريكية تأييد بيجين المتحمس لتوجيه الاسلحة لأهداف فى الاتحاد السوفييتي حيث أنها كانت قلقة بشأن محاولاتها لاثبات نقل زالمان شابيرو لليورانيوم لإسرائيل . ولم يكن هناك شك داخل مجتمع المخابرات فى إسرائيل تملك القنبلة ومع ذلك لم يجد أى شخص فى واشنطن سببا لإثارة القضية حتى إدارة جيمى كارتر الجديدة التى كانت أول من يلتزم بجدية بعدم الانتشار النووى .

وواصلت الحكومة الاسرائيلية - القلقة من حدوث ردة من جانب مؤيديها الأمريكيين - ، نفيها المعلن لوجود أى أسلحة نووية حتى حين واجهت دليلا ، على العكس ففى عام ١٩٧٦ بعد أن كشف كارل دوكيت بإهمال فى واشنطن أن « السى آى إيه » تقدر ترسانة إسرائيل بعشرة رءوس على الأقل، استدعى إيجال آلون وزير الخارجية السفير الأمريكى مالكولم تون لمناقشة

القضية وقال تون فى رسالة لوزارة الخارجية « بدا آلون منزعجا للغاية تجاه هذا التطور وشعر أنه لا يكاد يتلاءم مع العلاقة بين بلدينا .. وتساءل لماذا فعلت الـ « سى آى إيه » ذلك » . وقال تون إنه شرح لألون كما يقضى منصبه أن تصريحات دوكيت يفترض أنها لم تكن للنشر ثم سأل ألون عما إذا كانت استنتاجات دوكيت صحيحة ، وأضاف تون « إن ألون نظـر إلىَّ مندهشـا بعض الشئ وقال « إنها غير صحيحة » .

واعتمل نفى آلون المجرد فى الأذهان وبعد عام بعد انتخاب كارتر أبلغ تون وفدا من أعضاء مجلس الشيوخ يزور إسرائيل أنه على ثقة من امتلاك إسرائيل للقنبلة .

وكان أعضاء مجلس الشيوخ برئاسة إبراهام ريبيكوف الديمقراطى من كونيكتيكات فى جولة لتقصى الحقائق عن إمكانات عدم الانتشار النووى فى الشرق الأوسط . وطلبوا السماح لهم بالتفتيش على ديمونه وأبلغوا صراحة بأنه لا يسمح لأى شخص من الخارج بزيارة المفاعل منذ أن انتهت عمليات التفتيش الأمريكية فى عام ١٩٦٩ وأنه لا يتم الترحيب بأى شخص هناك . وأبرق تون لوزارة الخارجية بهذه المعاملة وشكا بأنه « من غير اللائق أن يبقينا الاسرائيليون خارج ديمونة » . ويتذكر جيدا الرد البيروقراطى الذى تلقاه وتمثل فى جملة واحدة هى « لا تثر المياه » .

ومضى أعضاء مجلس الشيوخ أبعد من وزارة الخارجية فى تقريرهم عن منعهم من دخول المفاعل . وأشار تقريرهم المنشور بعد ذلك « إلى أن هذا المنع تم تضخيمه من جانب الصحافة أكبر من دلالته الحقيقية . فلم يكن غالبية أعضاء الوفد يريدون زيارة ديمونة لأنهم يفتقرون إلى الخبرة الفنية لأن تكون مثل هذه الزيارة مفيدة . ولم يتلق الوفد أية معلومات عما إذا كانت إسرائيل تملك أسلحة نووية أم لا .

وبدا أعضاء مجلس الشيوخ حساسين بصفة خاصة تجاه القضية فقد وافق الكونجرس قبل فترة قصيرة على تعديل فى قانون مراقبة صادرات الأسلحة يجعل تخصيص الولايات المتحدة لمعونات مالية فارهة للدول التى تبيع أو تتلقى منشآت لإعادة المعالجة النووية أو مواد أو معدات أو تكنولوجيا التخصيب أمرا غير قانونى . ولم يكن للتعديل كما وضح أى تأثير على هذه

الدول كإسرائيل التى تورطت فى عمليات نقل أو شراء مواد نووية قبل التعديل، وبعبارة أخرى تم استبعاد إسرائيل تماما . كما منح التعديل الذى تبناه السيناتور ستيوارت سيمينجتون للرئيس سلطة تخطى القانون إذا صمم على أن عدم تقديم هذه المعونة سيلحق الضرر بالأمن القومى الأمريكى ، وطبق القانون مرتين على باكستان ولم يطبق على أى دولة أخرى منذ الموافقة عليه .

وفى الواقع كان الكونجرس والبيت الأبيض يقبلان ما أصبح التنظير العقلى لأنصار الحد من التسلح لفشلهما فى إثارة الأسئلة عن القنبلة الاسرائيلية : فإسرائيل لم تعد مشكلة انتشارنووى – فقد امتلكت بالفعل الانتشار النووى . ويتذكر مسئول كبير فى مخابرات وزارة الخارجية كانت شهادته حساسة لقطع المعونة الخارجية لباكستان فى المرة الأولى ، سخريته تجاه تشريع سيمينجتون ويقول « هل وجه أى من هؤلاء الرجال (الشيوخ) الذين يشوننى دون رحمة بشأن باكستان سؤالا واحدا حول إسرائيل » ويتذكر مسئول سابق بلجنة التشريع النووى كان مسئولا عن الشهادة حول موقف اللجنة تجـاه التزام إسـرائيل لتعديل سـيمينجتون ، أنه أدرك أن الكونجرس « لايريد أن يكشف أى شىء فى لجنة إستماع علنية » . وعلى الرغم من اقتناعه الشخصى بأن إسرائيل أنتجت أسلحة نووية فان المسئول قال أنه شهد مرارا بأنه « لا يملك دليلا » على وجود مثل هذه الاسلحة فى إسرائيل . ويضيف المسـئول إذا وجدت أى بيـانات عن معـلومات ذات دلالة يتعين نقلهـا « فانت تبلغها للاشخاص المعنيين أثناء تناول القهوة ولكن ليس في جلسة أستماع علنية » .

وقد يبدو أن تحمل أمريكا لتسلح إسرائيل نوويا لم يكن يزعج الكونجرس أو الصحافة ولكنه أثار الرئيس الباكستانى محمد ضياء الحق . ويتذكر جورج راشجينز نائب جيرارد سميث المبعوث الخاص للرئيس المسئول عن قضايا منع الانتشار النووى فى السنوات الاولى لإدارة كارتر ، يتذكر جيدا رد ضياء الحق حين أثار سميث التساؤلات حول برنامج باكستان النووى حيث قال ضياء الحق « لماذا تتحدثون مع إسرائيل ؟ » وأصيب سميث بالمفاجأة » ويضيف راشنجينز « ولكن لم يكن هناك سبيل للإجابة على ضياء الحق باجابة مرضية » ويضيف » لم يكن البرنامج النووى الإسرائيلى أمرا يريد أعضاء الحكومة الامريكية أن يتحدثوا عنه أو يناقشوه . وكان أمرا مثيرا للحرج » .

وبدأ التعاون بين إسرائيل وجنوب أفريقيا فى المسائل النووية بجدية بعد حرب الستة أيام سنة ١٩٦٧ حين اضطرت إسرائيل بعد أن صدها شارل ديجول للبحث عن طريق آخر للحصول على الدعم . ويتحدث بييربان فى كتابه « القنبلتان » عن اللقاء المفاجىء فى جوهانسبرج عام بين ١٩٦٧ بين عالم نووى فرنسى كان يعمل فى ديمونة ومجموعة من العلماء النووين الإسرائيليين الذين عملوا قبل عشر سنوات مع الفرنسيين فى ساكلاى وماركول ، وقد ساعد الفيزيائى الفرنسى وزملاوه الإسرائيليون على تعلم الكثير من المهارات وكانوا يتعاونون وقتها مع جنوب أفريقيا . وكانت إسرائيل تقدم خبرتها فى الفيزياء النووية مقابل خام اليورانيوم والمواد الاستراتيجية الأخرى التى كانت موجودة بوفرة فى جنوب أفريقيا . وبدت جنوب أفريقيا فى حاجة لكل دعم حتى يمكنها الحصول عليه ويتذكر بن ميناش « أنهم لم يكونوا بارعين على الاطلاق كدولة نووية . وكان يتعين علينا أن نساعدهم طوال الوقت » .

وفى عام ١٩٦٨ توجه ارنست ديفيد بيرجمان الذى ترك منصبه فى إسرائيل ولكنه ظل صاحب نفوذ فى القضايا النووية إلى جنوب أفريقيا حيث تحدث علنا عن التحرك نحو التعاون الدولى « فى القضايا النووية . وفى خطاب أمام معهد جنوب أفريقيا للشئون الدولية فى جوهانسبرج لم يقل بيرجمان شيئا عن الاسلحة النووية ، ولكنه تحدث صراحة عن « المشكلة المشتركة « التى تواجه إسرائيل وجنوب أفريقيا وقال « لا يوجد لدى كل منا جيران يمكننا التحاور معهم ويمكننا أن نتحاور معهم فى المستقبل القريب . وإذا كنا نعانى من حالة العزلة هذه فقد يكون أفضل شىء لبلدينا أن نتحدث لبعضنا البعض».

وبدا حديث بيرجمان عن العزلة كالنبوءة حيث قطعت جميع الدول الأفريقية السوداء باستثناء ثلاث دول هى مالاوى وليسوتو وسوازيلاند علاقاتها الدبلوماسية مع إسرائيل فى اعقاب حرب يوم كيبور واستمرار إصرار إسرائيل على الاحتفاظ بالاراضى المحتلة . وبدأ الكثير من حلفاء إسرائيل السابقين فى أفريقيا على نحو متزايد يؤيدون الطموحات الفلسطينية . وفى نوفمبر سنة ١٩٧٣ صوتت الجمعية العامة للأمم المتحدة بأغلبية سبعين صوتا مقابل ٣٥ صوتا وامتناع ٣٢ عن التصويت تأييدا لقرار يصف الصهيونية بأنها « شكل من الفاشية والتمييز العنصرى » ورد المندوب الإسرائيلى حاييم

هيرتزوج باتهام اللامم المتحدة بأنها تحولت إلى « المركز العالمى المناهض للسامية » .

وتحولت إسرائيل وجنوب أفريقيا وكلاهما دولتان « منبوذتان » تجاه بعضهما بابرام صفقات تجارية ومبيعات سلاح جديدة بعد الحرب وفى غضون ثلاث سنوات زاد التبادل التجارى من ٣٠ مليونا إلى مائة مليون دولار سنويا . وظلت الجالية اليهودية الصغيرة فى جنوب أفريقيا و صاحبة النفوذ والتى يبلغ تعدادها ١١٨ الف نسمة تساهم مساهمة ضخمة فى التبرعات والمساهمات المالية وأصبحوا الآن أكثر صراحة فى تأييدهم للاحزاب السياسية الاكثر محافظة بما فيها حزب الليكود بزعامة مناحيم بيجين . وفى سنة ١٩٧٤ قام موشى ديان وزير الدفاع بزيارة سرية لبريتوريا حيث بحث كما يقول أرى بن ميناش امكان إجراء أختبار نووى إسرائيلى على أرض جنوب أفريقيا وترك ديان مجلس الوزراء الإسرائيلى بعد عدة أشهر حين أصبح أسحق رابين رئيسا الوزراء ولكن أستمرار التعاون الدفاعى بين إسرائيل وجنوب أفريقيا تأكد بتعيين رابين لشيمون بيريز وزيرا للدفاع . وبعد عامين زار رئيس الوزراء جون فورستر الذى ايد المانيا خلال الحرب العالمية الثانية ، إسرائيل وهى أول زيارة رسمية يقوم بها رئيس وزراء من جنوب أفريقيا فى تاريخ إسرائيل .

وقام بيريز بزيارة خاصة واحدة على الاقل لبريتوريا قبل زيارة فورستر كما قام بزيارات خاصة لفرنسا قبل عشرين عاما لترتيب التعاون فى مجال الاسلحة والمجال النووى . وتضمن جدول أعماله التجارب النووية . وهو الأمر الذى أثاره – فى البداية – موشى ديان وفاز بالتزام مبدئى من جون فورستر كما يؤكد بن ميناش لاجراء سلسلة من التجارب المشتركة بين إسرائيل وجنوب أفريقيا فى أراضى الأخيرة . وأسفرت زيارة فورستر لإسرائيل التى حظيت بدعاية كبيرة عن إعادة العلاقات الدبلوماسية الكاملة وابرام اتفاقيات سرية لبيع الاسلحة تمكن الدولتين من العمل معا فى تحد للرأى العام الدولى وعقوبات الامم المتحدة لتبرزان فى أوائل الثمانينات كاقتصاديات تعتمد إلى حد كبير على مبيعات السلاح الخارجية .

وحددت المصادر الإسرائيلية عدد مذكرات التفاهم السرية حول النواحى العسكرية والنووية فى نهاية زيارة فورستر بين إسرائيل وجنوب أفريقيا بـــ

« ست أو سبع » مذكرات . ويطرح مسئول إسرائيلى سابق السؤال البلاغى « لماذا » ويحدد فى إجابته أربعة أسباب « الأول اقتسام المصادر الاساسية . فجنوب أفريقيا دولة غنية للغاية وإسرائيل دولة فقيرة ثانيا امدادات المواد الخام . ثالثا أراضى الاختبارات فمحاولة إجراء اختبار فى إسرائيل سوف يؤدى لأن يشتعل الجحيم . وفى جنوب أفريقيا الوضع مختلف . ورابعا يوجد نوع معين من التعاطف للوضع فى جنوب أفريقيا بين الإسرائيليين . فهم أيضا مستوطنون أوربيون يقفون فى وجه عالم عدائى .» وأضاف الاسرائيلى الذى يدرك معلومات مباشرة عن السياسة النووية الإسرائيلية «وايضا حين أرادت جنوب أفريقيا أن تصبح دولة نووية أكتشفت أنه توجد دولة واحدة يمكن أن تلجأ إليها ، « وظلت قضية الاسلحة النووية الإسرائيلية فى خلفية الاحداث طوال السنوات الأولى من إدارة كارتر الذى تركزت أولوياته الرئيسية فى حل مشكلة الشرق الاوسط . وكان خبراء المخابرات النووية فى لوس الاموس وليفرمور يحاولون مراقبة شحن اليورانيوم الخام من جنوب أفريقيا إلى إسرائيل منذ أوائل الستينات ولكنهم فشلوا ببساطة فى اكتشافه أو فشلوا فى فهم المجال الكامل لجهود جنوب أفريقيا فى مجال التكنولوجيا النووية ففى عام ١٩٧٠ أبلغ رئيس الوزراء جون فورستر البرلمان بآن العلماء النوويين في البلاد طوروا وسيلة فريدة لتخصيب اليورانيوم تنطوى على تكنيك مندفع متطور وفى غضون سنوات قليلة بدأت جنوب أفريقيا تشغيل محطة ضخمة لانتاج اليورانيوم المخصب لاتخضع لاجراءات أمن الوكالة الدولية للطاقة الذرية فى محطة تسمى فالينداب بالقرب من بريتوريا . ولم تعلم المخابرات الامريكية أى شى عن المفاوضات السرية بين فورستر وبيريز ولكن كان هناك بعض المحللين الذين علموا أن شيئا يتم بين الدولتين . وفى منتصف السبعينات يتذكر مسئول أمريكى أن « إسرائيل وجنوب أفريقيا بدأتا فجأة تقومان باشياء باسلوب مختلف أخذنا على غرة . فقد تحركتا من تشكيل مجلس إلى انتاج اليورانيوم المخصب . وتقدموا علينا فى تصميم الانتاج والناتج ولم نكن ننظر فى الاتجاه الصحيح » وجهة نظر المسئول هى أن عملية الانتاج النووى فى الولايات المتحدة كانت ضخمة وغير طيعة لدرجة أنه كان من الصعب تحقيق ابتكار وأى عملية جديدة تخضع للتجارب لسنوات فى إحدى محطات الانتاج قبل تطبيقها

فى خط تجميع الاسلحة الحكومى الرئيسى بالقرب من أماريلو بولاية تكساس القادر على إنتاج خمسة الاف رأس حربى أو أكثر سنويا .

وفى منتصف السبعينات أعتبرت جنوب أفريقيا فى موقف مشابه لذلك الذى واجه إسرائيل بعد سنة ١٩٦٧ فقد كانت تقاتل حربا داخلية ضد المؤتمر الوطنى الافريقى وحركة مناهضة العنصرية بالاضافة إلى حرب الانفصال فى ناميبيا وحربا خارجية ضد القومية السوداء المتنامية والاستقلال الصاعد لأنجولا وموزمبيق فى دول خط المواجهة فى الجنوب الافريقى . وعلى المدى البعيد بدت الإمكانات العسكرية لجنوب أفريقيا كئيبة ووجد زعماء جنوب أفريقيا كما فعل الرجال الذين يحكمون إسرائيل أنفسهم وقد تفوق عليهم إعداؤهم بصورة كبيرة من حيث العدد .

وآمن الأفريكان المستوطنون البيض من أصل أوربى - أن الامن يكمن فى القنبلة النووية ومثل إسرائيل ستحتاج جنوب أفريقيا إلى سلاح عبارة عن قذيفة مدفعية نووية ذات قدرة تدمير محدودة يمكن استخدامها فى حالة تصدع دفاعات خط المواجهة وتعرض المناطق الحضرية للخطر . وفى أغسطس سنة ١٩٧٧ حذر الرئيس السوفييتى ليونيد بريجنيف إدارة كارتر من أن القمر الصناعى السوفييتى كوزموس التقط دليلا على إستعدادات جنوب أفريقيا لاجراء أختبار نووى أو سلسلة اختارات فيما بدا من المؤكد أنه مركز للاختبارات تحت الارض فى كالهارى . وارسلت تحذيرات مماثلة لبريطانيا وفرنسا والمانيا الغربية وجميعهم شركاء مع السوفييت والولايات المتحدة فى مؤتمر لندن سنة ١٩٧٥ الذى أنشأ مجموعة الامداد النووى التى وضعت مجموعة من الخطوط العريضة الاختيارية للحد من المعونة التقنية والمادية للدول غير النووية .

وتحرك على الفور قمر صناعى أمريكى فوق كالهارى وعثر على ادلة تقليدية عن استعدادت لاجراء اختبار نووى تحت الارض فقد حفرت حفرة اختبارات زودت بغلاف خارجى حولها وبنى برج مراقبة والكابلات العديدة اللازمة للقياسات انتشرت فى المكان . وأسفر تعاون كارتر وبريجنيف معا إلى حملة احتجاج دولية ومع مواجهة حكومة جنوب أفريقيا لخطر فقدانها للعلاقات الدبلوماسية اضطرت للتراجع في نهاية أغسطس . وأعلن كارتر « أن جنوب

أفريقيا أبلغتنا بأنها لا تريد أن تملك وسائل تفجير نووية لأيه أسباب ولا ترغب في امتلاكها سواء لأسباب سلمية أو كسلاح « كما أعلن الرئيس التأكيد له أن مركز التجارب في كالهارى ليس مصمما .. من أجل تفجيرات نووية وأنه لن يتم تفجير نووى في جنوب أفريقيا الان أو في المستقبل » .

ورتب البيت الابيض المنتشي باول نجاح كبير في سياسته الخارجية ، سلسلة من بيانات الايضاح لوسائل الاعلام عن تعقيدات دبلوماسيته الناجحة ، ومع ذلك لم يتم أبلاغ المراسلين بإن « السـى أى أيه » قدمت تقارير عن وجود عسكريين إسرائيليين في ملابس مدنية في موقع تجارب كالهارى وإنهم كما يقول ضابط في « السـى أى أيه » كانوا يعلمون كل شيء عنه « كما لم يتم إبلاغ الصحافة بإن دبلوماسيا كبيرا من جنوب أفريقيا أكد للولايات المتحدة سرا في ذروة الازمة في أوائل أغسطس أن جيشه لا يعتزم اختبار صاروخ بعيد المدى ولكن فقط « صاروخ أو دفعة مدفعية أو شيئا من هذا القبيل » .

ويشير استنتاج « السـى أى أيه » بعد ذلك في تقييم رسمى للبيت الابيض أن الاحـتجاجات الدولية القـوية بشـأن كالهارى منعت جنوب أفريقيا « على الاقل مؤقتا » من تنفيذ الاختبار المعتزم وأضاف تقييم « السى أى أيه » أن الإسرائيليين « شاركوا في بعض أنشطة الابحاث النووية لجنوب أفريقيا خلال الاعوام القليلة الأخيرة » .

وفي الواقع فإن انتصـار الصـحراء الدبلوماسى لـكارتر الذى تم تضخيمه كان أقل دلالة مما بدا عليه ، فاى انتصار حقيقى كان سيعنى المضى خطوة إلى الامام ومهاجمة البرنامج النووى الإسرائيلى ولم يكن في وسع أى شخص في بيت كارتر الابيض أن يتحمل مسئولية القيام بذلك .

وقد وصل إلى واشنطن إسرائيلى يملك معلومات من الداخل عن ديمونه يسعى لتبادل هذه المعلومات مقابل الصعود الشخصى وذلك في أواخر هذا العام . واتصل بمسئول كبير في مجتمع المخابرات النووية الامريكى تعامل معه مهنيا في الماضى وعلى الفور كشف حقيقة تجميع إسرائيل لأكثر من مائة رأس نووى حربى وأنه سيكون هناك أكثر من مائتى رأس أغلبها من النوعيات ذات قوة التدمير المنخفضة بحلول عام ١٩٨٠ وأدرك المسئول الامريكى وهو يهودى سبب رغبة هذا الإسرائيلى في الحديث « فقد كان شخصا فنيا يبحث

عن المكاسب . واراد أن يصبح مواطنا أمريكيا » . ويضيف المسئول الامريكى « أن حقيقة امتلاك إسرائيل أسلحة نووية كان أمرا معروفا بشكل عام فى داخل الحكومة الامريكية . وشعورى كان أن هذا الشخص اراد أن ينقل معلومات لمصلحته الشخصية . فقررت تجاهل الأمر » .

وبذلك لم يقدم المعلومات لرؤسائه وزملائه على الرغم من أنه لم ينتبه أدنى شك فى دقة المعلومات . وقال المسئول الامريكى الذى علم عن إسرائيليين فى مجالات فنية أخرى على مايبدو ومستائين من انتخاب بيجين الذين أتصلوا بنظرائهم الامريكيين وقدموا عروضا لمبادلة المعلومات مقابل فرصة الهجرة للولايات المتحدة .

كانت هناك اتصالات أخرى تقليدية على نحو أكبر مثل تلك العلاقة بين جيمى كارتر ومناحيم بيجين أصبحت أكثر توترا فى أعقاب كامب ديفيد ومع محاولة بعض المسئولين الإسرائيليين على مايبدو بدون موافقة الجهات العليا ، الحصول على معونة استراتيجية لطموحات إسرائيل ووضع نهاية للرفض الأمريكى الاعتراضى بحقيقة الترسانة النووية الإسرائيلية .

وكانت خططهم الاستراتيجية فى ركن غامض على نحو ملائم في البنتاجون يعرف باسم مكتب شبكة التقديرات الذى أمد مديره أندرو مارشال المحلل السابق فى شركة راند » وزراء الدفاع بسيل مستقل من المعلومات والتحليلات طوال عشرين عاما . وفى الاشهر الأخيرة لادارة فورد قبلت خطة مارشال لبدء حوار استراتيجى مع إسرائيل أحد أهدافها بحث ابرام معاهدة دفاع إسرائيلية - أمريكية للتعاون المحتمل . وعين رئيس الوزراء رابين بعضا من أكثر المفكرين الإستراتيجيين تطورا فى مجموعة الحوار من بينهم افراهام تامير الجنرال فى الجيش الإسرائيلى الذى سيصبح فيما بعد مديرا عاما لوزارة الخارجية . ويقول أحد أعضاء مجموعة مارشال أن تامير هو الذى سعى على نحو متكرر لمناقشة القضايا النووية بعد زيارة أنور السادات المثيرة للقدس.فى نوفمبر سنة ١٩٧٧ وأول خطوة فى طريق محادثات كامب ديفيد وكان السؤال هل يناقش مارشال وفريق وزارة الدفاع خططا للطوارىء تستهدف توجيه الاسلحة النووية لاهداف فى جنوب روسيا فى حالة الحرب ؟

وكان هذا السؤال حساسا للغاية كما ادرك جميع المشاركين حيث أن أمريكا مازالت تقبل رسميا تأكيدات إسرائيل بعدم امتلاكها أسلحة نووية وأشير إليه كتابة فى مناسبتين على الاقل لوزير الدفاع هارولد براون لاصدار توجيهاته . والإجابة فى الحالتين جاءت سريعا وهى : يجب ألا تحدث مناقشة للمبدأ النووى من جانب مجموعة مارشال .

واستبعد براون فى حديث بعد ذلك حول مبادرة تامير ، أن تكون مثال آخر لحاجة المخططين العسكريين لوضع خطط طوارىء . ثم تحدث قائلا « اذا جاءنى مثل هذا الطلب ، فلن أقضى وقتا طويلا أفكر فيه » وفى النهاية أعترف بأنه رفض الطلب الإسرائيلى بدون مناقشته مع الرئيس كارتر . وأكد براون أن إدارة كارتر « لم تكن لتريد أن تتورط فى نزاع اسرائيلى - سوفييتى، وتبدو فكرة تحول إسرائيل إلى مصدر قوة لنا بالنسبة لى حمقاء فسوف يقول الإسرائيليون « فلتسمحوا لنا بمساعدتكم » وبعد ذلك ينتهى بك الأمر أن تكون اداتهم .. ولدى الإسرائيليين مصالحهم الامنية الخاصة ونحن لدينا مصالحنا . وهى ليست متطابقة » . وأعتبر أندرومارشال وزملاؤه فى مكتب شبكة التقييم موقف براون كما وصفه أحد الامريكيين « ضبط نفس أحمق » ولكنه أتبع توجيهاته وبالطبع لم يبلغ أى شخص أخر فى الحكومة الامريكية عن الطلب الإسرائيلى للاشتراك فى تحديد أهداف نووية .

وكان هذا انفصالا آخر مع استمرار الجهاز البيروقراطى الأمريكى بشكل غريزى .فى حماية رئيسه من معرفة حقائق عن القدرة النووية الإسرائيلية ومن اضطراره لاتخاذ موقف بناء على هذه المعرفة ، ووصلت الغريزة لذروتها فى خريف سنة ١٩٧٩ حين أجرى الإسرائيليون وجنوب أفريقيا اختبارهم .

٢٠

اختبار اسرائيلى

فى صباح يوم عاصف فى ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٧٩ وقبل الفجر تماما انقشعت الغيوم فوق جنوب المحيط الهندى فجأة وتمكن قمر صناعى أمريكى من تسجيل وميضين لامعين مميزين من الضغوط فى جزء من الثانية وهما دليل مرجح على تفجير نووى وقد شاهد القمر الصناعى المخصص لاكتشاف التفجيرات النووية والمعروف باسم « فيلا » شعاعات مشابهة من الضوء فى ٤١ مناسبة مشابهة وفى كل حالة كان يتأكد فيما بعد انه حدث تفجير نووى . وأغلب هذه المشاهدات كانت تتم فوق « لاب نور » حيث تمت التجارب النووية الصينية فى الجو أو فى المحيط الهادى موقع الاختبارات الفرنسية . ولم يستنتج سوى عدد محدود من مسئولى المخابرات وخبراء الحد من الانتشار النووى فى ادارة كارتر على الفور ان اسرائيل وجنوب أفريقيا أجريا أخيرا اختبارا نوويا وهو اختبار فشلا فى القيام به قبل عامين .. وكانوا على حق.

وقال مسئولون حكوميون اسرائيليون سابقون تم التأكد من معلوماتهم عن النواحى الاخرى لأنشطة ديمونه ، ان الرأس الحربى الذى اختبر صباح هذا السبت كان قذيفة مدفعية ذات قوة تفجير منخفضة وضعت كنموذج كى يستخدمه جيش الدفاع الاسرائيلى ، وقالت المصادر الاسرائيلية ايضا ان الحالة التى التقطها القمر الصناعى فيلا لم تكن أول بل ثالث اختبار لسلاح نووى فوق المحيط الهادى ، وقد ابحرت سفينتان اسرائيليتان على الاقل مقدما الى الموقع وراقب الاختبار كتيبة من العسكريين والخبراء النوويين الاسرائيليين مع بحرية جنوب أفريقيا ، وأوضح مسئول اسرائيلى « لم نكن لنرسل السفن الى هناك من أجل اختبار واحد . وكان ما حدث شيئا مزعجا وذلك فى إشارة إلى التقاط القمر فيلا للاختبار ، وذكر انه « كانت هناك عاصفة وتصورنا انها

ستعوق فيلا ولكن كانت هناك فجوة فى المناخ أو نافذة وأصيب فيلا بالعمى من الوميض » .

ونقل القمر الصناعى فيلا وفقا لاسلوب برمجته بصورة رقمية ما شاهده الى مقر قيادة مركز التطبيقات التكنولوجية للقوات الجوية فى قاعدة باتريك الجوية فى كاب كانا فيرال بولاية فلوريدا وكان الوقت مساء الجمعة ٢١ سبتمبر على الساحل الشرقى . وفور تقييمها والتأكد منها نقلت المعلومات عبر وكالة مخابرات الدفاع الى المركز القومى للقيادة العسكرية للبنتاجون ولكبار المسئولين العسكريين والمدنيين . وأشارت التقديرات الى ان الاختبار النووى وقع قبالة ساحل جزيرة برينس ادوارد على بعد ألف وخمسمائة ميل جنوب شرق رأس الرجاء الصالح فى جنوب أفريقيا فى منتصف الطريق الى انتاركتيكا وتصدرت المعلومات تقرير «السى أى إيه »ووكالة مخابرات الدفاع للرئيس كارتر وبرجينسكى مستشاره للامن القومى .

وكان جيرالد أوبلينجر مساعد برجينسكى للشئون العالمية يمضى عطلة نهاية الاسبوع فى بداية الخريف فى منزله الصيفى فى ديب كريك ليك بولاية ماريلاند حين وردت المعلومات عن الاختبار المحتمل : واستدعى لحضور اجتماع عاجل فى غرفة تقييم الموقف فى البيت الأبيض وكان اوبلينجر قد تقاعد من الخدمة فى مجال الخارجية وانضم للجنة التشريع النووى قبل ان ينضم لفريق برجينسكى ، وكان معتادا على برنامج فيلا ويعلم ان تحديده للاختبارات الجوية الصينية والفرنسية كان دقيقا على نحو لا يقبل الخطأ . ويتذكر اوبلينجر « ان الجميع حضروا » بما يعنى اشتراك برجينسكى فى الاجتماع « وتحاورنا وسألنا هل هو اختبار »وقالت « السى أى أيه ووكالة أمن الدفاع » ان التقديرات تشير بنسبة ٩٠ فى المائة الى انه كان تفجيرا نوويا » ولم يكن لدى اوبلينجر شخصيا أدنى شك ، ويتذكر « ان المنطق اكد لى ان هناك احتمالا كبيرا فى ان الامر على نحو ما حدث - ولكن فقط كان أمرا مستحيلا على التصديق » .

ويتذكر سبور جيون كينى جونيور نائب مدير وكالة الحد من التسلح ونزع السلاح « لقد وقف الجميع هناك وقد أصيبوا بالشلل « وأضاف كينى وهو مسئول بيروقراطى كبير شارك فى قضايا علمية كبيرة منذ ادارة ايزنهاور انه

اكتشف انه زملاؤه « انهم يحتاجون بعض الوقت فحتى اذا كان قد تم اختبار فنحن لا نعرف من قام به . وكان هذا أمرا خطيرا « كما انزعج كينى من تأكيدات المخابرات بأن تقييمها دقيق بنسبة ٩٠ فى المائة . ومن وجهة نظره فإن مسئولى المخابرات ووكالة أمن الدفاع فى الاجتماع الذى عقد فى غرفة تقييم الموقف من المحتمل ألا يكونوا قد أدركوا جميع الحقائق « فهم بيروقراطيون من المستوى المتوسط ينقلون معلومات » .

وفى رواية كينى فانه هو الذى طرح فكرة تشكيل لجنة خارجية لدراسة معلومات فيلا والتأكد من أن القمر الصناعى لم يرتكب خطأ يكون له عواقب سياسية ضخمة ، ويروى اوبلينجر رواية مختلفة ويقول « كان الاجتماع يسير لطريق مسدود وقال فرانك برس المستشار العلمى للرئيس فلنجر إنها دراسة خارجية غير منحازة » ولم يكن لدى اوبلينجر أى أوهام تجاه ما يعنيه فرانك برس ويقول « ظل برس يسأل « ماذا نفعل اذا تسربت معلومات عن اننا استنتجنا انه اختبار » . ولم يكن من الممكن ان تؤكد نتيجة اللجنة انه تفجير نووى « ولم يكن لدى برجينسكى الكثير لكى يقوله خلال الاجتماع كما يذكر أوبلينجر .

وكان فرانك برس خبير الزلازل الذى عمل لسنوات فى قضايا التعقب النووى الحساسة على علم ببرنامج فيلا اكثر من أى من أقرانه فى البيت الابيض . وكان يعلم ان هذه الاقمار عتيقة بمستويات الاقمار الصناعية حيث أطلق بعضها منذ اوائل الستينيات وكانت تجدد بانتظام وتخضع لتحليل العلماء فى المعامل العلمية فى لوس الاموس الذين ساهموا فى تصميم النظام لضمان عدم تدهور حالتها . وثار بعض القلق أخيرا من ان تؤدى انذارات كاذبة الى صدور تقرير معلومات زائف ، وبدت اللجنة الخارجية خطوة طبيعية ستوفر الوقت وستضيف قدرا من الشرعية على تأخير التحرك . ومن ناحية أخرى أصبحت مشاهدات فيلا واحدا من أهم أسرار ادارة كارتر .

وأدرك المسئولون فى قمة ادارة كارتر المضطربة ان كشف مشاهدات فيلا على الملأ باستدلالها القوى على اجراء اختبار غير شرعى مشترك بين اسرائيل وجنوب أفريقيا سيخلق مشكلة رهيبة للرئيس قبل عدة اشهر فقط من حملة انتخابات الرئاسة سنة ١٩٨٠ . فقد احاط كارتر نفسه بشعار منع

الانتشار النووى واذا لم يتخذ موقفا عنيفا تجاه الدولتين المنبوذتين فانه سينتقد لنفاقه ، واذا سعى لفرض عقوبات فإنه سيدفع ثمنا سياسيا فادحا ، ويتذكر هودينج كارتر الذى كان مساعدا لوزير الخارجية للشئون العامة « حين ظهرت هذه المعلومات وبدأت تتلألأ أذكرانني أخذت أهرول فى الدور السابع « حيث يوجد مكتب سيروس فانس وزير الخارجية » ويضيف كارتر « كانت تسود حالة من الرعب الشديد . وكان الموقف كبيرا وكان يردد يا للعنة ماذا نفعل حيال ذلك ؟ » .

ويتذكر مسئول حكومى آخر « كنا فى أسوأ موقف ممكن فنحن كنا نستعد لارسال معاهدة سولت الى مجلس الشيوخ ونعلم انه حدث انتهاك لمعاهدة حظر التجارب لعام ١٩٦٣ ولا يمكننا اثباته ولا يمكننا أن نحمل أى شخص المسئولية عنه . وظهر أمر استراتيجى فورى بضرورة تجاهل الامر » وقال المسئول الذى امتلك حرية الاطلاع على جميع مشاهدات فيلا ، انه بدا من المؤكد ان القمر الصناعى لاحظ « ما يمكن ان يكون فقط اختبارا نوويا . والتقاطه مصادفة كان مصدر حرج ومشكلة سياسية ضخمة ، وكان هناك الكثيرون يريدون التعتيم على الحادث » .

وفى هذا الوقت كانت السياسة الأمريكية فى إيران تعانى من حالة فوضى والشاة المريض الذى قوبل بترحاب حار قبل عامين من جانب جيمى كارتر فى المكسيك ويناشد السماح بدخوله الولايات المتحدة - وقد حدث خطأ مخابراتى مذهل قبل عدة أسابيع فقط حول تقرير مثير يشير إلى تحرك كتيبة سوفييتية إلى كوبا مما مثل تحديا مباشرا لكارتر ، كما تحدى السوفييت جون كنيدى فى سنة ١٩٦٢ . وتسربت المعلومة وطالبت الإدارة ، التى اتخذت موقفا متشددا معلنا ، السوفييت بإزالة قواتهم . ولم يتحول الأمر إلى أزمة صواريخ كوبية ناجحة مع ذلك حيث اضطر مسئول كارتر إلى الاعتراف بأن تقرير مخابراتهم الأولى كان خطأ فقد كان الجنود السوفييت فى كوبا منذ أوائل الستينات . ومما أضاف إلى الشعور بالخزى أن الإدارة كانت تستعد لما كان من المؤكد أن يصبح معركة مريرة مع أعضاء مجلس الشيوخ الجمهوريين حول قدرة الحكومة الأمريكية على التحقق من اتفاقيات سولت ، وكان من المقرر أن يتم إبراز معاهدات سولت ونجاحه فى كامب ديفيد فى حملة كارتر الانتخابية .

وهددت قنبلة إسرائيلية كل هذا وجعلت من الواجب ألا يعلم الرئيس مرة أخرى بما يتعين أن يعلمه . فقد ظلت الإدارة البيروقراطية الأمريكية مدربة طوال ثلاثين عاما وأكثر على تحويل أنظارها حين يتعلق الأمر بالبرنامج النووى الإسرائيلى ، وسعى كل جزء من النظام على نحو غريزى لإيجاد سبيل لتجنب وصف اختبار إسرائيل وجنوب أفريقيا بأنه اختبار .

وشاع أمر الاختبار على نطاق واسع فى إسرائيل . ويتذكر أرى بن ميناش أنه شاهد رسائل متبادلة حول هذه القضية فى مكتبه فى وزارة الدفاع بعد فترة قصيرة من انتخاب مناحم بيجين فى سنة ١٩٧٧ وساد افتراض على نطاق واسع بأن هناك دبلوماسية سرية بين وزير الدفاع السابق شيمون بيريز وجون فورستر خلال زيارة بيريز لجنوب أفريقيا فى سنة ١٩٧٦ ولكن لم يكن معروفا على نحو واسع النطاق داخل الحكومة الإسرائيلية طبيعة الالتزامات التى تمت . ويقول بن ميناش أنه كان مفهوما أيضا أن بيريز لن يبلغ مناحم بيجين بها . وبيجين بدوره لن يسأل بيريز مباشرة خاصة أنه عامله مع بن جوريون باحتقار وسخرية طوال حياته السياسية . وتمثل الحل الذى توصل إليه بيجين فى إرسال عيزا فايتسمان وزير الدفاع الجديد إلى جنوب أفريقيا . وقال بن ميناش أن مهمة فايتسمان كانت « فقط لمعرفة ما يحدث » .

ويتذكر بن ميناش أن فايتسمان عاد وقال « لقد وعدنا هؤلاء بالحصول على رءوس حربية نووية » وأوصى بيجين بأن ينفذوا الوعد » . ويقول بن ميناش أنه وآخرين فى العلاقات الخارجية علموا بأن بيجين رد على ذلك بقوله « حسنا فلتقم بذلك » .

وقال إسرائيلى آخر أطلع على نحو مباشر على جميع معلومات وزارة الدفاع الخاصة بالاختبار فى جنوب أفريقيا ، إن فايتسمان وقع اتفاقا قبل اختبارات سنة ١٩٧٩ لبيع التكنولوجيا والمعدات المطلوبة فى تصنيع قذائف مدفعية نووية من عيارى ١٧٥ و ٢٠٣ ميللمتر ذات قوة التفجير المنخفضة إلى جنوب أفريقيا . كما أثار فايتسمان جدلا داخليا مع كبار المسئولين النوويين الذين احتجوا - كما يقول هذا المسئول الإسرائيلى - على قرار الحكومة ببيع معلومات يعتبرها الرجال الذين يديرون ديمونه « أفضل معلومات لدينا » .

وفى النهاية عين فرانك برس ، جاك روينا أستاذ الهندسة الكهربائية فى

معهد التكنولوجيا في ماساشوسيتس ليرأس اللجنة الخارجية ويحدد ما إن كانت بعض من « أفضل ما تملكه » إسرائيل قد انتهى فوق جنوب المحيط الهادى . وكان روينا اختيارا ممتازا في ضوء الحذر فهو حين قضى فترة طويلة مستشارا للبنتاجون للشئون العلمية والعسكرية أجرى العديد من أكثر التقارير حساسية في المجتمع العسكرى والعلمى الأمريكى وخدم كمدير في أوائل الستينات لوكالة مشروعات الأبحاث المتقدمة وهو فرع بحثى للبنتاجون وأدار بعد ذلك معهد تحليلات الدفاع أهم مركز فكرى تابع للبنتاجون . وكان روينا رجلا محترما وحذرا يمكن الاعتماد عليه من أجل تنفيذ التعليمات ولا يتحدث مع الصحفيين وخاصة بعد اطلاعه سرا على أزمة البيت الأبيض . ويتذكر روينا « أن برس اتصل بى وسألنى أن أحضر إلى البيت الأبيض وأبلغنى لا يمكننى الحديث عن هذا الأمر تليفونيا . وعليك أن تحضر فورا فقط » .

وبعد مرور أسابيع ومع استمرار سر البيت الأبيض في طى الكتمان ، شكل برس وروينا لجنة من ثمانية علماء بارزين وكانت مصداقيتهم بعيدة عن الشبهات . ومن بين زملاء روينا الرئيسيين لويس الفاريز من قسم الفيزياء في جامعة كاليفورنيا والحائز على جائزة نوبل وولف جانج بانوفسكى من مركز لينر اكسيليريتور بجامعة ستانفورد وريتشارد جاروين من مركز أبحاث توماس واطسون التابع لـ « أى.بى.إم » وقد عمل جاروين وبانوفسكى عادة كمستشارين حكوميين وكانا معروفين باستقلاليهما .

ولم يصب أحد بالدهشة من أن مهمة اللجنة التى حددها بعناية سبورجيون كينى وفرانك برس تركزت في القيام بتحقيق دقيق في إمكان أن تكون مشاهدات فيلا إنذارا كاذبا كما أبلغت لجنة روينا بالتحقيق في إمكان أن تكون الإشارة المسجلة « ناتجة عن مصدر طبيعى ومن المحتمل أنها ناجمة عن مصادفة مرتبطة بظاهرة أو بظاهرتين طبيعيتين » .

وكان روينا واضحا بشأن حدود مهمته وقال « تفويضى كان بحث المعلومات الفنية فقط » . وتم إمداده وزملائه بجميع المعلومات المتوافرة عن مشاهدات فيلا ، ويضيف « ولكننا لم نحصل على أى معلومات سياسية مثل هل الإسرائيليون مهتمون بالأسلحة النووية فلم يكن ميثاق عملنا يتضمن ذلك »

وشعر أعضاء اللجنة بالارتياح تجاه تفويضهم . والدراسات الفنية البحتة كان أسلوب حياة المستشارين العلميين للحكومة .

ورغم إثارتها فإن نتيجة تقرير فيلا ظل سرا لأكثر من شهر حتى أبلغ صديق قديم لمراسل شبكة « إيه بى سى التلفزيونية » جون سكالى صديقه بأنه تم تجنب هجوم نووى سوفييتى زائف على الولايات المتحدة بواسطة نظام إنذار مبكر أمريكى . ويتذكر سكالى أن صديقه كان محافظا للغاية واعتقد أن الفشل الأمريكى « إهانة » وأذاع سكالى الذى كان مندوبا فى الولايات المتحدة فى عهد نيكسون القصة بلسان صديق آخر فى البنتاجون وفى غضون ساعات تم استدعاؤه لمكتب مسئول كبير فى وزارة الدفاع أعطاه الحقـائق الضرورية ثم أذاع قصته مساء ٢٥ اكتوبر : فقد حفظ السر لأكثر من شهر وهى فترة كافية للغاية لأن يضع البيت الأبيض قصته الوهمية . وعلى الفور أبلغ المتحدث باسمه وسائل الأعلام بأنه لا يوجد « تأكيد » على حدوث اختبار . وكما صرح وزير الخارجية فانس وفقا للخط المتبع ، للصحفيين بأنه لايوجد دليل مؤكد على حدوث اختبار وأصدرت جنوب أفريقيا نفيا حماسيا . وكتبت صحيفة نيويورك تايمز تقول إنه فى مواجهة هذا النفى من جانب جنوب أفريقيا ونظرا لافتقارها لدليل أكثر من الدليل غير المؤكد لقمر صناعى واحد سعت حكومة الولايات المتحدة لأن تتجنب مواجهة كبيرة حول ما قالت إنه فقط احتمال أن تكون دولة قد أجرت سرا تفجيرا نوويا فى منطقة تقع على بعد ٤٥٠٠ ميل » كما صرح فانس للصحافة بأنه فى غضون ساعات من إشارة فيلا الأولى بحث الأمر مع برجينسكى ووزير الدفاع هارولد براون .

ولم يعلم أى من المراسلين بالطبع أن مكتب شبكة التقييم التابع لبراون اتصل به بالفعل مسئولون إسرائيليون مرتين فى محاولة لمناقشة استراتيجية أمريكية - إسرائيلية مشتركة لتحديد أهداف داخل الاتحاد السوفييتى ، فهل أبلغ براون سيروس فانس بهذا التناول النووى فى حينه أو هل أبلغ هذا الأمر للرئيس ومستشاره للأمن القومى ؟ وهل راجع أى مسئول فى الحكومة الأمريكية ملفات المخابرات حول اختبار جنوب أفريقيا الذى كان مقررا فى سنة ١٩٧٧ فى كالهارى ؟ وهل تساءل أى من مسئولى البيت الأبيض عن سبب مراقبة وكالة الأمن القومى وعناصر المخابرات الأخرى للسفن الحربية

الإسرائيلية ومن جنوب أفريقيا لموقع يقع على بعد ألف وخمسمائة ميل من ساحل جنوب أفريقيا ؟

وفى النهاية هل لاحظ أى شخص ما قاله رئيس الوزراء بوتا بعد ثلاثة أيام من الاختبار وهى ثلاثة أيام لم يصدر فيها أى تعليق أو احتجاج دولى ؟ فقد كان لدى بوتا سبب لأن يعتقد أن دولته وشركاءها الإسرائيليين أجروا الاختبار . وبدت نبرة احتيال فى تعليقاته أمام اجتماع مؤتمر الحزب الوطنى فى الكاب حيث حذر وفقا لما أوردته « راند ديلى ميل » من أن جنوب أفريقيا تملك وستنتج الأسلحة الكافية لأن تواجه الإرهاب وهو إشارة واضحة إلى المؤتمر الوطنى الأفريقى وزعماء الحركة المناهضة للعنصرية . ونقلت الصحيفة عن بوتا قوله « إذا كان هناك من يفكرون فى القيام بأى شئ آخر فإننى أقترح أن يفكروا مرتين فى هذا الأمر . فقد يكتشفون أننا نملك أسلحة عسكرية لا يعلمون عنها أى شئ » .

وسيمضى أعضاء لجنة روينا شهروا ينقبون عن فجوات ويثيرون أسئلة مشروعة عن مصداقية وسلامة نظام القمر الصناعى فيلا . واختارت اللجنة التركيز على ما أصبح معروفا بقضية « الإنذار الكاذب » فالتفجيرات النووية تنتج وميضين من الضوء منفصلين وكل منهما له سماته من التفجير : الأولى كرة النار التى تعقبه بفاصل ثلث ثانية ويسجلهما القمر الصناعى فيلا كسنامين على أداة تسجيل . وانزعجت اللجنة بسبب الأشياء الشاذة التى وجدتها فى السنامين كما سجلا فى ٢٢ سبتمبر واستنتجت كما أعلنت فى تقريرها النهائى أن مشاهدة فيلا « تحتوى على تضارب داخلى كاف ليلقى شكوكا خطيرة عما إذا كانت الإشارة ناجمة عن تفجير نووى أو عن أى مصادر ضوء فى مجال القمر الصناعى فيلا » . كما لم تتمكن اللجنة من العثور على أدلة مصاحبة لحادث نووى - مثل إشارات زلزالية أو موجات سمعية أو اختلالات أيونية أو نبضات مغناطيسية أو كهرومغناطيسية مثل تلك التى صاحبت تقارير فيلا السابقة . ولم يتم تحديد غبار مشع ملحوظ أو أى أنقاض أخرى كما لم يوجد « عمود دخان » ـ مما جعل استنتاج اللجنة من المتعذر تجنبه . ولم يكن الافتقار إلى هذه الأمور أمرا غير عادى فى حد ذاته فى ضوء القوة التفجيرية المنخفضة للاختبار ومكانه المنعزل ، وكانت الصحافة وأعضاء اللجنة يعلمون أن علماء الزلازل التابعين للحكومة الأمريكية شكوا طويلا فى أن السوفييت أجروا

اختبارات كثيرة ذات قوة تفجير منخفضة فى الخمسينيات والستينيات لم تكتشفها الأنظمة الأمريكية المتوافرة .

وفى النهاية أعلنت اللجنة فى تقريرها فى يوليو سنة ١٩٨٠ بعد عشرة أشهر من الحادث أن الوميض الذى لاحظه القمر الصناعى « من المحتمل ألا يكون نتيجة تفجير نووى . وعلى الرغم من أنه لا يمكننا استبعاد أن يكون ناتجا عن مصدر نووى فإن اللجنة تعتبر أن الأمر المرجح بصورة أكبر أن تكون الإشارة ناجمة عن سبب غير معروف ومن المحتمل نتيجة تأثير نيزك صغير على القمر الصناعى » .

وأثارت نتائج العلماء النوويين وصانعى القنبلة المحترفين فى لوس الاموس الذين صمموا فيلا . وكان العديد من هؤلاء أعضاء فى لجنة المخابرات النووية أعلى مجموعة مخابرات نووية سرية فى الحكومة الأمريكية . وأجرت اللجنة تحقيقها الخاص فى اختبار فيلا وأمرها البيت الأبيض لأسباب تتعلق بالأمن القومى بعدم مناقشة الأمر علنا .

ووجدت نتائج التحقيق الذى ناقشه أعضاء لجنة المخابرات النووية مع المؤلف ، أنه يكاد يكون من المؤكد أنه تم تفجير سلاح نووى ذى قدرة تفجيرية منخفضة فى ٢٢ سبتمبر . وشعروا بالاستياء لمدى تدخل البيت الأبيض فى التحقيق ، وقال هارولد أجنيو عضو اللجنة ومدير معمل لوس ألاموس من سنة ١٩٧٠ حتى سنة ١٩٧٩ « إذا بدت مثل الأوزة فيجب أن تكون أوزة . ولكن لم تكن تلك الإجابة التى يفضلها كارتر » . ومن وجهة نظر أجنيو فإن القضية التى تم تجاهلها لم تكن ما إذا كان قد تم تفجير نووى ولكن هى « من قام به ؟ » واستنتج عضو آخر فى اللجنة هو لويس روديس جونيور الذى لعب دورا رئيسيا فى تطوير الأسلحة النووية الأمريكية فترة ما بعد الحرب أن الاختبار المشترك بين جنوب أفريقيا وإسرائيل تم فى زورق بخارى أو على أحد الجزر فى أرخبيل جنوب المحيط الهادى . وأعرب أيضا عن غضبه تجاه فرانك برس والبيت الأبيض وقال روديس » لقد بذل جهد حقيقى من جانب الإدارة للتعتيم عليه وقاموا بالفعل بإخفاء الحقائق ، وتزويرها وبدا الجميع فى نيو مكسيكو متأكدين من أنه اختبار » .

وأشرف على الدراسة السرية للجنة المخابرات النووية رونالد كير جونيور

الذى خدم فى إدارة كارتر كقائم بأعمال مدير برامج الدفاع فى وزارة الطاقة وكان المسئول عن القنابل النووية الأمريكية ، وقال كير « لقد كنا جميعا من المسئولين الكتومين للأسرار ولم يكن بيننا هـذا النوع الذى يدلى بالمعلومات علنا » وجاء ذلك فى معرض تفسيره لعدم تناول أى من أعضاء اللجنة لهذه القضية فى حينها علنا . وأضاف « لم يكن لدينا شك فى أنها قنبلة » ويرى كير أن لجنة روينا كانت مدفوعة بأهداف سياسية من وجهة نظره كى « تجد تفسيرا مختلفا » .

والسر الوحيد هو لماذا يضع جميع أعضاء لجنة روينا – وهم من الرجال الشرفاء – أنفسهم فى موضع يمكن للآخرين أن يحددوا لهم المعلومات التى يتعين تقييمها . فقد تم التأكيد لهم أنهم سيحصلون على جميع المعلومات المتعلقة بالأمر والخاصة بالقمر الصناعى ومع ذلك فإنه لم يتوافر لهم واحد من أهم الاكتشافات وهو الأمر الذى كشفه روينا وعلم به البيت الأبيض .

فقد كان روينا مديرا لبرنامج « أم. أى .تى للحد من التسلح ونزع السلاح ولذلك شارك فى أواخر سنة ١٩٧٩ فى إعداد تقرير تمويله فيدرالى لتقييم توافر المكونات الحساسة لتجميع صواريخ باليستية قصيرة المدى فى الخارج ومقارنة هذه المكونات بتلك التى تصنع فى الولايات المتحدة . وكان أحد زملاء روينا الثلاثة فى إعداد التقرير دارسا إسرائيليا .

وبعد اشتراك روينا بفترة قصيرة فى فحص مشاهدات فيلا أصبح الأمر معروفا لـ «إم . أى . تى» وبدأ العالم الإسرائيلى الذى أعلن أنه عمل فى أنظمة الصواريخ النووية الإسرائيلية يتحدث لروينا عن قدرة إسرائيل النووية ويتذكر جورج رانجينز مسئول منع الانتشار النووى السابق فى إدارة كارتر « لقد كان لدى شعور بأن هذا الإسرائيلى يعرف كما ضخما من المعلومات وكان يعلم عن الصواريخ وعن أنظمة التوجيه الكثير كما تحدث بحرية عن كل شئ . وبدا كما لو كان هذا عملا عاديا وقدم روينا بشكل ملائم المعلومات الخاصة بالإسرائيلى فى تقرير مكتوب لسبورجيون كينى وقال كينى عن هذه المعلومات « إن البعض فى المخابرات اعتقد أنه يرويها كما هى والرسالة هى ما يلى « نحن نملك نظاما ضخما أكثر تطورا مما تعتقدون ، وقال الرجل : إن وميض ٢٢ سبتمبر كان محاولة مشتركة بين إسرائيل وجنوب أفريقيا » .

وظل كينى الذى واجه المعلومات المحتمل أن تكون مثيرة للغاية عما حدث وهوية المتورطين ، وفيا لرئاسة كارتر واستبعد التقرير ووصفه بأنه عبث واعترف قائلا « لقد استنتجت أنه مشكوك فيه للغاية ولم آخذه مأخذ الجد » .

وقال كينى إن زملاءه فى البيت الأبيض اتفقوا معه فى الرأى الذى يرى أن الإسرائيلى الدارس الذى عمل مع روينا كان يقوم بنشر معلومات إسرائيلية مضللة ، ولم تعرف المخابرات أو زملاء روينا فى اللجنة بهذه المعلومات وظلت مدفونة فى الجهاز البيروقراطى .

وكان هناك عدد ضئيل من خبراء الحكومة فى سياسة منع الانتشار النووى مقتنعين بأن فرانك برس وسيور جيون كينى فعلا الشئ الصواب فى سعيهما لتخفيف أثر الاختبار النووى المشترك لإسرائيل وجنوب أفريقيا وقال أحد المسئولين فى هذا المجال « أعتقد أن نتيجة لجنة روينا كانت النتيجة الصحيحة لهذا الوقت . فماذا نفعل ؟ انظر إلى القضايا التى تنطوى عليها المسألة : التمييز العنصرى ، كامب ديفيد ، معاهدة منع الانتشار النووى ، وحقوق الإنسان والتعامل مع الهند فى مجال الانتشار النووى ووقف عملية إعادة المعالجة فى جميع أنحاء العالم وسيتعين عليك أن تقوم بإجراء قوى خاصة تجاه إسرائيل ولكن كان هناك قطاع ضخم من الشعب لم يكن فى وسع كارتر الانعزال عنه » .

وقامت المخابرات الأمريكية بعمل أفضل كثيرا فى تقريرها عن اختبار جنوب أفريقيا فقد أصرت الـ « سى آى إيه » فى تقديراتها الداخلية طوال سنة ١٩٧٩ و سنة ١٩٨٠ على أنه حدث اختبار ولكن ظلت أساسا تجهل مدى تطور البرنامج النووى الإسرائيلى . وفى عام ١٩٨٠ نشرت الوكالة تقدير مخابرات قومى آخر عن قدرة إسرائيل ووصلت بشكل أساسى لنفس الأرقام التى توصل إليها كارل دوكيت عام ١٩٧٤ . وأعلنت الـ « سى آى إيه » أن إسرائيل صنعت عشرين رأساحربية على الأقل وثلاثين رأسا على الأكثر . ومع ذلك كان التقدير الجديد أكثر شمولا من الدراسات السابقة . وتمكنت الـ « سى آى إيه » من الإبلاغ عن زيادة الإسرائيليين لقدرة مفاعلهم لزيادة إنتاجه وأيضا طورت قدرة نظام التبريد به وهى دلائل واضحة على إنتاج كميات أكبر من البلوتونيوم اللازم للأسلحة النووية . ولم يعد هناك أى شك - كما يقول

التقدير – فى أن إسرائيل استكملت إنشاء محطة لإعادة المعالجة الكيميائية ولكن لم يكن معروفا أين وكيف ؟ .. وأعلن مسئول فى إدارة كارتر « لقد كان أول تقييم جاد ومكنت الذين يعملون فى المجال من النظر لما تملكه إسرائيل » . وحتى رغم هذا فقد قلل تقرير الـ « سى آى إيه » بشكل خطير من تقديره لعدد الرءوس الحربية الإسرائيلية وتطور عملياتها النووية .

وفى بعض الأحيان قيدت الحقائق لإبقاء العدد قليلا . فقد اكتشف القمر الصناعى كى إتش – ١١ بكل صوره الفوتوغرافية العبقرية وجود موقع تخزين إسرائيلى للصواريخ ، وتمكن الخبراء فى المركز القومى لتفسير الصور من جمع عشر معدات تم التأكد منها فيما بعد بوصفها رءوسا نووية حربية . ومع ذلك لم ير أى شخص رأسا حربيا إسرائيليا من قبل واختارت المخابرات أن تأخذ بالحقيقة التى تؤكد رؤية عشرة رءوس حربية ويتذكر أحد المسئولين « كتأكيد لتكهناتنا اعتقدنا أن الصور غير تقليدية ولكننا قررنا أنها لا تضيف أى شئ جديد . وكانت مستقيمة على أعدادنا » .

وأمر نائب وكيل وزارة الخارجية « جوزيف نى » الذى برز كأهم مستشار لإدارة كارتر فى سياسة منع الانتشار النووى وذو الميول التقدمية للغاية ، بإجراء تقدير الـ « سى آى إيه » . واعترف « نى » بأن التعامل مع القنبلة الإسرائيلية لم يحظ بأولوية متقدمة فى عهد جيمى كارتر . ويقول « لم يكن هناك الكثير الذى يمكن عمله . فالإسرائيليون أنتجوها بالفعل . ولم يكن أمرا يمكنك تقديم احتجاج دبلوماسى بشأنه . والسؤال هو هل تثير ضجة ضخمة بشأنه ؟!

وكانت الإجابة لا .

٢١

الجاسوس النووى الإسرائيلى

بالنسبة لكثير من الامريكيين فإن جوناثان جاى بولارد هو أمريكى يهودى تجسس لحساب اسرائيل انطلاقا من ولاء مضلل وهو رجل يؤمن بأن وثائقه ومعلوماته ستجعل إسرائيل أكثر أحساسا بالأمان فى صراعها ضد الارهاب الدولى وحين ألقى القبض عليه فى نوفمبر سنة ١٩٨٥ زعم أنه كان ينقل وثائق سرية ، اعترف أن كثيرا منها كان يجب أن تقدمه الولايات المتحدة لإسرائيل ، طوال ١٤ شهرا . وأعتذرت الحكومة الإسرائيلية عن تجسسها وأصرت على أن تجنيد بولارد كان أجراء شاذا وعملية « منحرفة » لم يصدر أمر بها . ويقضى بولارد حاليا عقوبة السجن مدى الحياة لقيامه بالتجسس .

وقد تجسس بولارد بالفعل لسحاب إسرائيل انطلاقا من ولاء مضلل ومن أجل المال - جميع المعتقدات التى انتشرت على نطاق واسع حول هذه القضية غير صحيحة فقد كان أول جاسوس نووى إسرائيلى .

وقد عرض بولارد الذى بدأ العمل فى سنة ١٩٧٩ موظفا مدنيا فى مخابرات البحرية الامريكية أمداد إسرائيل بالمعلومات منذ سنة ١٩٨٠ ، ولكن لم يتم تجنيده كعميل حتى خريف سنة١٩٨١ وقبل ثلاث سنوات من اعترافه وإسرائيل باتمام ذلك . كان يعمل حينئذ متخصصا فى المخابرات مع مكتب عمليات المخابرات فى البحرية . وفى ذروة نشاطه فى عامى ١٩٨٤ و١٩٨٥ تمثلت واحدة من أهم مهامه فى جمع المعلومات الامريكية المرتبطة بتوجيه إسرائيل لاسلحتها النووية إلى حقول البترول والمنشآت العسكرية السوفييتية فى جنوب روسيا وهى حقيقة ظل المسئولون الإسرائيليون يخفونها عن محققى وزارة العدل . وأصر بولارد فى جميع استجواباته فى وزارة العدل على أن

تجسسه لم يبدأ حتى يوليه سنة ١٩٨٤ بعد لقاء اجتماعى مع الكولونيل سيلا أحد أبطال سلاح الجو الإسرائيلى الذى شارك فى قصف إسرائيل للمفاعل النووى العراقى فى أزيراك فى سنة ١٩٨١ وفى الواقع كان سيلا واحدا من كبار خبراء القصف وتحديد الاهداف النووية فى سلاح الجو الاسرائيلى وعين بصفة خاصة ليكون المسئول عن التعامل مع بولارد . وتضمنت معلومات تحديد الاهداف النووية التى قدمها بولارد معلومات سرية للغاية عن موقع الأهداف العسكرية السوفييتية بالاضافة إلى معلومات محددة عن الوسائل السوفييتية لحماية هذه الاهداف النووية التى قدمها بولارد معلومات أمريكية سرية للغاية عن مواقع الاهداف العسكرية السوفييتية بالاضافة إلى معلومات محددة عن الوسائل السوفييتية لحماية هذه الاهداف باخفائها أو تدعيم مواقعها . كما قدم بولارد للإسرائيليين معلومات أمريكية عن الدفاعات الجوية السوفييتية التى أظهرت فعالية ضخمة ضد طائرات « بى٥٢ » الأمريكية فى حرب فيتنام وفى النهاية سلم بولارد نسخة من التقرير السنوى للمخابرات الامريكية عن انظمة الاسلحة الاستراتيجية السوفييتية المعروفة باسم « ١١ - ٣٨ » وتعتبر نظرا لتعاملها الزائد مع صور القمر الصناعى وعمليات اعتراض الاتصالات ومعلومات الرادار وتقارير العلماء واحدة من أكثر الوثائق حساسية فى الحكومة الامريكية كما أمد بولارد إسرائيل برموز الاتصالات الدبلوماسية الامريكية مما مكن وكالة مخابرات الاشارات الإسرائيلية من اعتراض البرقيات والرسائل السرية من وإلى مكتب صامويل لويس السفير الامريكى المطلع الذى عين فى إسرائيل عام ١٩٧٧ . وبشكل إجمالى وكما يقول ممثلو الادعاء الفيدراليون فان بولارد أمد إسرائيل بعدد ١٨٠٠ وثيقة بما يقدر بخمسة آلاف صفحة قبل القاء القبض عليه .

وادرك كبار المسئولين السياسيين فى إسرائيل بمن فيهم شيمون بيريز واسحق رابين واسحق شامير أنه يوجد مصدر عالى المستوى داخل الولايات المتحدة . وفى الواقع أن بعضا من أهم وثائق بولارد اعيد نسخها وتصحيحها من قبل مسئولى المخابرات الإسرائيلية ثم قدمت بعد ذلك للاتحاد السوفييتى كإشارة على حسن نوايا إسرائيل فى توجيه خاص من اسحق شامير الذى أيد لزمن طويل أقامة علاقات أوثق بين إسرائيل والاتحاد السوفييتى . وتم بنجاح

أخفاء كل هذا بواسطة الحكومة الاسرائيلية بعد اعتقال بولارد والمساومة من أجل قبول التماس خاص به . ومازالت إسرائيل تصف فضيحة بولارد بأنها عملية منحرفة تمت إدارتها بدون تورط رفيع المستوى .

وبدأت قصة بولارد بالفعل باللقاءات الامريكية - الإسرائيلية التى تمت داخل بيت ريجان الابيض فى سبتمبر سنة ١٩٨١ بعد ثلاثة أشهر من الغارة على أزيراك فقد وصل أريل شارون الذى عينه مناحيم بيجين حديثا وزيرا للدفاع ، إلى واشنطن مع بيجين لتقديم جدول أعمال بعيد المدى للتعاون الاستراتيجى الإسرائيلى الأمريكى . وستصبح بمقتضاه إسرائيل الشريك العسكرى لأمريكا وذراعها العسكرية فى الشرق الأوسط والخليج الفارسى وتعمل كمخزن للأسلحة والذخيرة المخزونة مسبقا لتستخدمها القوات الامريكية . وعقد الاجتماع الذى طال شوق الإسرائيليين لعقده فى غرفة مجلس الوزراء مع الرئيس ريجان وكبار مستشاريه بمن فيهم كاسبر واينبرجر وزير الدفاع واليكسندر هيج وزير الخارجية وريتشارد آلان مستشار الامن القومى .

كما حضر الاجتماع السفير الامريكى لدى إسرائيل سام لويس ويتذكر لويس « أن بيجين قال « سيدى الرئيس نحن نعتنق نفس الاراء تجاه التهديد الشيوعى . ويجب أن نضم علاقتنا فى إطـار رسمى . واقترح تحالفا رسميا » ووافق ريجان . ومضى بيجين قائلا سيدى الرئيس أود أن أسأل الوزير شارون أن يحدد لكم أفكارنا » . وقدم شارون بعد ذلك شرحا استمر نصف ساعة عن كيفية تحقيق المصلحة الاستراتيجية الامريكية والأسرائيلية . وحتى هيج المؤيد القوى لأسرائيل بدا شاحبا . كما ساد الشحوب وجوه ديك الان وبقية العاملين فى البيت الابيض . وأحمر وجه كاسبر واينبرجر . واعتقدت أنه سينفجر » .

كما دعت خطة شارون التى طرحت فى غرفة اجتماعات مجلس الوزراء للاستخدام المشترك للقوات الجوية والموانئ البحرية . كانت أحد الجوانب الجوهرية تبادل المعلومات بما فى ذلك حصول إسرائيل رسميا على حق الاطلاع على معلومات القمر الصناعى « كى أتش » « وهو ما سعت إليه إسرائيل من اجل تحديد أهداف اسلحتها النووية فى الاتحاد السوفييتى وهو ما لم يفهمـه غالبية الامريكيين فى الاجتمـاع الـذى عقـد فى غرفة مجلس

الوزراء . وفى نهاية عرض شارون تحول بيجين إلى الرئيس الذى لم يكن فى الوسع إدراك ردود أفعاله وقال كما يؤكد لويس » « لماذا لا نطالب وزيرى دفاعينا بصياغته .» وأعتقدت أن كاسبر سيسقط مغشيا عليه »

وخلال الشهور القليلة التالية مضى واينبرجر » فى ايقاع شارون فى شرك » خلال المفاوضات ويذكر لويس أن شارون تحول إلى فأر » . فلن توجد أى قواعد أمريكية إسرائيلية مشتركة فى الشرق الاوسط ولن تحصل إسرائيل على ما تريده من معلومات القمر الصناعى الامريكى كما ابلغ شارون بأن إسرائيل لن يسمح لها بالحصول على محطة فى تل أبيب للصور الفورية « لكى اتش – ١١ »

وفى البداية أصر شارون على كل تفصيلة فى خطته الاستراتيجية وكان مستعدا للقتال من أجلها ولكن بيجين كما يوضح لويس كان متلهفا على « ابرام تحالف رسمى مع الولايات المتحدة – وبصفة خاصة بعد سنوات كارتر » . وفى النهاية اضطر شارون إلى قبول النسخة الامريكية المخففة التى عارضها تماما واضطر للدفاع علنا عنها بعد ذلك فى الكنيست . وظل مخلصا لرئيس وزرائه و ملتزما بتوجيهاته . فقد كانت هناك سمكة أكبر يتعين قليها .

وخلال الاشهر التالية وجد شارون وسيلة لتنفيذ أهدافه الاستراتيجية بدون مساعدة واشنطن فقد قاد اسرائيل بتأييد من بيجين لغزو لبنان فى محاولة لتدمير منظمة التحرير الفلسطينية واستغلال الهيمنة الاسرائيلية من أجل تغيير البناء السياسى للشرق الاوسط . وكان يتعين على إسرائيل الحرب حتى مشارف بيروت وتعمل كقوة عازلة مناهضة لسوريا فى الوقت الذى يقوم فيه حلفاؤها من القوات المسيحية اللبنانية « الكتائب » بتطهير المدينة من أتباع منظمة التحرير الفلسطينية . ، ولكن لم تتحرك الكتائب وتم استدعاء سلاح الجو الاسرائيلى للبدء فى قصف بيروت . وبدلا من النصر وقع المأزق حيث قتل خمسمائة جندى اسرائيلى مع أكثر من عشرة آلاف لبنانى وفلسطينى بعضهم فى مذبحة مرعبة فى مخيمى اللاجئين الفلسطينيين صابرا وشاتيلا .

وقبل تنفيذ هذه الخطة كان شارون فى حاجة للسيطرة على خدمات المخابرات الاسرائيلية وأسلحة « المعبد » أو الترسانة النووية . وعين رجالا مخلصين له ولاهدافه الاستراتيجية فى المواقع المهمة . وكان أحد أفراد الحرس

القديم الأوائل الذين يتم استبعاده هو بنيامين بلومبرج الذى عمل منذ الخمسينات كرئيس لمكتب المهام الخاصة الذى عرف فى اوائل الثمانينات بالاسم العبرى « لاكام » وأصبح الرئيس الجديد « للاكام » رفيق شارون الضابط السرى لفترة طويلة رافائيل إيتان الذى كان فى هذا الوقت المساعد الشخصى لبيجين لمكافحة الارهاب . وسيحتفظ بالمنصبين . وقد شارك إيتان المعروف فى اسرائيل بأكملها باسم « رافى الحقير » فى اختطاف أدولف ايخمان عام ١٩٦٠ فى بوينس ايرس واشترك فى العديد من العمليات داخل العالم العربى . واضطر إلى الاستقالة مع ذلك من الموساد قبل سنوات وظل يشعر بالمرارة تجاه حياته العملية المبتسرة وفشل الموساد ووكالات المخابرات الاسرائيلية فى التعاون مع مكتبه فى مكافحة الارهاب .

ولم يخف شارون جدول أعماله السياسى ولكنه أعلنه فى مناسبات عديدة بعد أن ترك الجيش الاسرائيلى ١٩٧٣ وتضمنت أهدافه الرئيسية الاطاحة بالملك حسين عاهل الاردن وتحويل بلاده إلى دولة فلسطينية - ينقل اليها » أو يطرد اللاجئون الفلسطينيون . وبعد عدة أسابيع من عودته من واشنطن فى أوائل خريف ١٩٨١ دعا شارون كبار قادة جيش الدفاع الاسرائيلى وأبلغهم للمرة الأولى بالخطط التفصيلية لتنفيذ جدول أعماله السياسى فسوف تقوم اسرائيل بغزو لبنان ويتذكر ضابط كان حاضرا أنه و أخرين استاءوا من سماع شارون وهو يتحدث عن ضرورة الدخول فى لبنان وتدمير عاصمة الارهاب » . وتحدث عن الذراع الطويلة لجيش الدفاع الاسرائيلى وضرورة « تغيير الانظمة فى العالم العربى ولانكتفى بالكلمات » . ويتذكر الضابط الاسرائيلى وهو خبير مخابرات سابق حديث شارون عن ضرورة تغيير هيكل المخابرات الاسرائيلية وأضاف الضابط « لقد كنت أجلس مع مجموعة من الضباط برتبة بريجاديرجنرال وقلت سوف يقودنا لحرب فى الشرق الأوسط وتصاعدت ضحكات عصبية فى أرجاء المكان » .

وتضمن حديث شارون عنصرا آخر أكثر وضوحا فقد عاد من واشنطن معاديا للامريكيين بشكل لم ألحظه من قبل . وأعطانا انطباعه عن واشنطن . وقال « إن الامريكيين يعاملوننا مثل حاملة طائرات - قاعدة عائمة ولايفهمون دلالتنا فنحن لسنا حاملة طائرات واحدة فنحن عشرون حملة طائرات ونحن

أكثر أهمية مما يعتقدون وفى وسّعنا أن نأخذ الشرق الأوسـط معنا حيث نذهب » ، وكان هذا عرضا غريبا ومشوشا كما اعتقد الضابط وانطوى على تهديد شارون بتقديم أى شخص يناقش علنا ما ردده إلى « محاكمة عسكرية » وألمح شارون فى ١٥ ديسمبر فى خطاب قرأه أهارون ياريف (حيث لم يكن شارون حاضرا) فى مؤتمر معهد الدراسات الاستراتيجية بجامعة تل أبيب ألمح إلى أن الولايات المتحدة مسئولة بشكل غير مباشر عن التهديد المتزايد الذى تمثله موسكو فى الشرق الأوسط « لقد أصبح تقدم السوفييت فى المنطقة ممكنا خلال السبعينات بسبب السلبية الاستراتيجية الامريكية وحرية الحركة التى تمتع بها الاتحاد السوفييتى .. » وأضاف أن حرية المناورة المتزايدة فى الشرق الأوسط وأفريقيا » تعرض استقرار المنطقة والمصالح الحيوية للعالم الحر للخطر . وأريد التأكيد على هذه النقطة بكل قدر ممكن . وسيظل الخطر الشديد على العالم الحر فى الثمانينات مطلق العنان . بسبب التفكير المبنى على أساس التمنيات لا الحقائق والعجز الذى اتسم به السلوك الغربى تجاه التوسع السوفييتى التدريجى خلال العقدين الماضيين » .

ودعا شارون اسرائيل لأن توسع نطاق مصالح أمنها القومى « لتضمن بخلاف الشرق الأوسط والبحر الأحمر دولا مثل تركيا وايران وباكستان ومناطق الخليج الفارسى وشمال ووسط أفريقيا » وبدا أن وزير الدفاع الجديد يبلغ شعبه بأن الأمن القومى الاسرائيلى يعتمد الآن على قدرتها فى التأثير على الأحداث فى منطقة شاسعة تمتد من كينيا حتى جنوب تركيا ومن موريتانيا إلى غرب باكستان .

وكانت هناك وسيلة وحيدة أكيدة للتصدى للتهديد السوفييتى الممتد : وهو اعتماد اسرائيل بشكل متزايد على ترسانتها النووية . ولكن ليس فى الامكان تحقيق ذلك بدون معلومات القمر الصناعى « كى اتش – ١١ » والمعلومات الأخرى من الولايات المتحدة .

وفى الوقت الذى بدأ فيـه شـارون يعيـد رسـم الموقـف الاسرائيـلى الاستراتيجى تلقت واشنطن أخيرا بعض المعلومات القوية عن الرسالة النووية الاسرائيلية وكانت تلك « عملية اختراق » قام بها عالم أو فنى اسرائيلى عمل فى ديمونه والتقط بعض الصور لاماكن التخزين الموجودة تحت الارض هناك

كما سيفعل موردخاى فانونو بعد خمس سنوات . ويتذكر مسئول كبير فى المخابرات : « كانت هذه أول رؤية داخلية نحصل عليها ، والأمر الذى جذب انتباهنا تمثل فى أن هذا العميل يعمل داخل منشأة للتخزين » وأوضحت الصور أن كل واحدة من الرؤوس الحربية الاسرائيلية تحفظ على حدة فى صناديق مصنوعة من القصدير الثقيل وتشبه إلى حد كبير تلك التى تستخدم فى مبانى التخزين النووية الأمريكية وقال « لقد شاهدنا بالفعل الأسلحة وهى مصطفة هناك » .

وكان الرجال الذين تعاملوا مع هذا المنشق خبراء فى إنتاج الأسلحة ويعلمون أنهم يشاهدون شيئا حقيقيا هو رؤوس نووية حرارية . وأبلغهم المنشق أن اسرائيل تملك أكثر من مائة سلاح محفوظ . ويتذكر أحد الامريكيين المشاركين فى العملية : « كان اعتقادنا السابق أحمق . فكيف حدث هذا الخطأ الشديد من جانبنا ؟ » حيث ظللنا نردد عبارة حسنا أن الاسرائيليين يملكون عشرة رءوس حربية فماذا فى ذلك ؟ وأى شخص يمكنه أن يتتبع هذا العدد » وفجأة نعلم أنهم أصبحوا متطورين وأصابنا الأمر جميعا بالانزعاج الشديد . فلما تحتاج امتلاك سلاح نووى حرارى ؟ فنحن نعرف أن عشرين كيلو طنا كافية لتدمير القاهرة . واسرائيل أكثر تقدما وأفضل مما كان يمكن أن يعتقد أي فرد فى شعبنا حيث تملك قنابل نظيفة ورءوسا حربية أفضل . وتم اطلاع البيت الابيض بالامر ولكن ليس بالعبارات التى أحدثك بها لأنه كان أمرا مخزيا لمجتمع المخابرات . » .

كما وفر المنشق معلومات محددة غن حجم الرءوس الحربية وأنظمة النقل « لقد تلقينا كما ضخما من الاوراق » أقنعت الأمريكيين بأن الاسرائيليين قادرون على توجيه رأس حربى نووى بدقة . وكان واضحا من معلومات المنشق - كما يقول المسئول الامريكى - « أن الاسرائيليين » فى وسعهم القيام بأى شىء نقوم به نحن أو الاتحاد السوفييتى » .

وحدثت حالة الانفصال التقليدية كما هو الحال بالنسبة لجميع المعلومات الاسرائيلية منذ أواخر الخمسينات ولم يطلع على المعلومات هذا المنشق خبراء الانتشار النووى فى وزارة الخارجية أو أى من المحللين فى « القسم زد » فى ليفرمور الذين كانوا يعتبرون ليبراليين : ويقول مسئول إدارة ريجان « تأكد أنها

حجبت عن العاملين فى القسم « زد » أنتابتنا حالة هلع من احتمال حصولهم عليها بأى صورة » وظلت معلومات المنشق متروكة دون اهتمام ولم يعلم بها أولئك الامريكيون الذين يجب عليهم أن يدركوا مدى وطبيعة القدرة النووية الاسرائيلية .

كان جوناثان بولارد طفلا غير سعيد فى ساوث بند بولاية انديانا . وهو ابن أستاذ فى جامعة نوتردام . وتعرض للضرب والتعذيب فى أحد فصوله التعليمية لكونه يهوديا . وصرح فى حديث صحفى بأن « نقطة التحول » فى حياته جاءت نتيجة لحرب الأيام الستة حين كان فيها فى الثالثة عشرة من عمره ، وكان النصر الاسرائيلى « مسكرا للغاية » وقد فجر اهتمامه بأمن اسرائيل الذى صاحبه طوال حياته وأحلامه من أن يكون جزءا منه . وأبلغ زملاءه الدارسين فى جماعة ستانفورد بأنه يملك مواطنة مزدوجة وأنه كولونيل فى الجيش الاسرائيلى وامتدت ادعاءاته الخالية الكاذبة سنوات دراستة فى كلية فليتش للسياسة والقانون فى جامعة تونتس فى بوسطن حيث انضم اليها فى ١٩٧٧ ، وفشل فى الحصول على درجته العلمية وفشل فى محاولة للانضمام للسى أى أيه . وفى أوائل ١٩٨١ سعى بولارد للحصول على وظيفة كمحلل دفاعى فى لجنة الشئون العامة الامريكية الاسرائيلية « ايباك » وهى واحدة من أكثر جماعات الضغط تأثيرا فى واشنطن . ووجد مسئولو أيباك أن ادعاءه الاطلاع على معلومات سرية غير ملائم و « مرهق » ويتذكر أحد مسئولى ايباك أن رواية بولارد « بدت بعيدة للغاية عن التصديق .لذلك تخلصنا منه » وساد شعور بأن بولارد جزء من عملية « ضخمة تهدف إلى الالتفاف حول ايباك . وبدت مشكلة حقيقية واضحة كما عرض بولارد خدماته على اسرائيل فى ١٩٨٠ و ١٩٨١ ولكن لم يدرس أى مسئول مخابرات اسرائيلى بجدية تجنيد يهودى أمريكى موال علنا لاسرائيل يعمل فى مجتمع المخابرات الأمريكى . كما كان هناك قانون غير مكتوب يمنع تجنيد أي يهودى أمريكى سواء كان مواليا لاسرائيل أم لا . فقد كان هذا محفوفا بقدر كبير من المخاطر .

وتكرار بولارد لعرضه للتجسس لحساب دولة اسرائيل لم يهز مجتمع المخابرات الاسرائيلى . ويقول ضابط سرى سابق فى الموساد « رفض عرضه فى ١٩٨٠ فهو مخبول ويهودى فلا تجندوه وكان الأمر يشبه تجنيد شيوعى فى

الولايات المتحدة لحساب الـ «كى . جى . بى» . فهو مثار للشكوك بشكل آلى .

وقرر رافى ايتان المدير الجديد « للاكام » أن يغير القواعد بعد اللقاءات غير المثمرة مع الرئيس وكبار معاونيه فى واشنطن . واتفق مع شارون على أن الولايات المتحدة تحجب معلومات ضرورية لأمن اسرائيل - مثل صور « كى اتش - ١١ » ويتذكر اسرائيلى عمل فى الموساد مع ايتان « كان هذا سببا أساسيا للشك فأى شىء تحصل عليه ليس المادة الحقيقية - وهناك مزيد من المعلومات المحجوبة » .

كما انزعج ارى بن ميناش وزملاؤه فى قسم العلاقات الخارجية حين جند ايتان بولارد فى أكتوبر ١٩٨١ . فقد كان بولارد عضوا فى فريق البحرية الذي زار اسرائيل هذا الخريف لتنسيق تبادل المعلومات مع البحرية الاسرائيلية ، وكانت مثل هذه الزيارات روتينية . وضع الاسرائيليون نظاما جديدا يجعل نظراءهم يشعرون بأنهم يلقون الترحيب : فكل أمريكى يدعى بمنزل ضابط اسرائيلى لتناول العشاء ويتساءل بن ميناش « تكهن من دعا بولارد على العشاء أنه « رافى الذى جنده فى أحد الأيام . ولم يدفع له بسخاء ولكنه أعطاه هذه الرواية الضخمة . » ويوضح بن ميناش أن ايتان بدا فى حاجة لأن ينقل إليه بولارد الأوراق التي يعلم بها . وكان فى حاجة إلى محلل . » واعتبرت المخابرات العسكرية تجنيده « أسوأ عمل كان يمكن أن يقوم به رافى » .

وفى أوائل ١٩٨٢ تم تصعيد « روفين رودى يريدور » لرتبة بريجادير جنرال وتولى المسئولية عن الوحدة ٢٠٠ وهى خدمة مخابرات الاتصالات الاسرائيلية . وكان يريدور محللا كبيرا عمل بشكل وثيق مع نظرائه فى وكالة الأمن القومى الامريكية . وسافر إلى واشنطن كل ثلاثة أشهر لحضور اجتماعات الاتصال . وكان اللقب الرسمى ليريدور هو نائب رئيس الاركان للمخابرات العسكرية فى جيش الدفاع الاسرائيلى ورئيسه المباشر الميجور جنرال يهوشوا ساجوى رئيس أمان (المخابرات العسكرية) ونائب شارون والذى كان مثل شارون قد أقيل بعد مذبحة صابرا وشاتيلا . وأدرك كل المسئولين الكبار أن ساجوى كرئيس للمخابرات العسكرية مسئول مسئولية مباشرة ، وفقا للاجراءات العسكرية عن تقديم التقارير لرئيس الوزراء . ولكن

كان ساجوى مشهورا فى صفوف صفوة المؤسسة العسكرية الاسرائيلية بتردده فى تحدى شارون ورغبته التنحى جانبا والسماح لشارون بأن يكون حلقة الاتصال الرئيسية لنقل المعلومات العسكرية لبيجين ومجلس الوزراء الاسرائيلى .

وطوال العام الجديد ١٩٨١ / ١٩٨٢ استدعى ساجوى بريدور وأعطاه لفتين من الوثائق لتقييمهما « وأبلغنى بما تعتقد » وتناولت المجموعة الأولى المعلومات الفنية الأمريكية المتقدمة التى تصف نظاما عسكريا سوفييتيا يملكه العرب ، أما مجموعة الوثائق الثانية وكانت أقل إثارة لاهتمام بريدور فكانت نسخا من الملخصات اليومية والأسبوعية لعمليات الاعتراض التي تقوم بها وكالة الأمن القومى فى جميع أنحاء العالم ويتذكر مسئول اسرائيلى « أبلغه رودى بأن المادة الفنية رائعة ولكننا لن نتمكن من الحصول عليها بهذا الشكل من الولايات المتحدة » . أما بالنسبة لأحد زملائه فيما بعد ، إن وكالات المخابرات الخاصة بحكومته جندت شخصين داخل الولايات المتحدة وهى خطوة اعتبرها قصيرة النظر وتبعث على الأسى . ففى النهاية بدأت المادة تنهمر بكميات ضخمة وأضطر بريدور لتعيين فريق لقراءتها وتحليلها .

وفى فبراير علمت اسرائيل أن السوفييت قرروا دعم قيادة الدفاع الجوى السورية وامدادها بثلاث كتائب من « أس أيه — ٥ » أكثر أنظمة الصواريخ المضادة للطائرات على ارتفاعات مرتفعة تقدما . وكان هذا أول ظهور لهذا النظام فى الشرق الأوسط ، وظلت الصواريخ تحت السيطرة السوفييتية ولكن استهدفت حماية صواريخ أس أس ٢١ السورية قصيرة المدى القادرة على ضرب اسرائيل كما مثلت تهديدا لأكثر طائرات اسرائيل القاذفة المقاتلة تقدما من طرازى إف ١٥ وإف ١٦ . كما بدت تصعيدا منذرا بالخطر . وقدم طلبا رسميا للولايات المتحدة للحصول على معلومات عن قدرات صواريخ « إس ايه — ٥ » ولكن تم ابلاغ بريدور كما تكهن بأنه لاتوجد معلومات كثيرة عن هذا النظام فقد كان شديد الحساسية ويقول صديق لبريدور « بعد يومين حصل بريدور من السماء الصافية على المعلومات الامريكية الكاملة عن « أس أيه — ٥ » التى توضح أنه ليس بالكفاءة التى كنا نخشاها » . وكما أبلغ بريدور صديقه فيما يتعلق بمصدر التقرير « فإنه لم يأت عبر قنوات طبيعية »

وفى منتصف مايو ١٩٨٢ قبل ثلاثة أسابيع من غزو لبنان تسلم مكتب يريدور مجموعة مدهشة من المعلومات الفنية الامريكية التى لاتقدر بثمن عن أنظمة الدفاع الجوى فى سـوريا . وتضمنت مادة لم تمد أجهزة المخابرات الامريكية اسرائيل بها مطلقا ، ومعلومات تفصيلية عن رادارات المراقبة والخرائط الالكترونية والذبذبة الدقيقة لعمليات صواريخ « أس أيه - ٦ وأس أية - ٨ » السورية وأنظمة « أس أيه - ٣ » الصاروخية أرض - جو . وأثار يريدور مرة أخرى تساؤلات مع الجنرال ساجوى وقال « نحن لانحصل على هذه المعلومات وإذا طلبناها فلن نحصل عليها » وسوف يقوم سلاح الجو الاسرائيلى مستخدما الاجراءات المضادة الاليكترونية بتعجيز سلاح الجو السورى وتدمير أكثر من سبعين منصة صواريخ خلال حرب لبنان .

وكان هناك ما يزيد كثيرا على هذا . ويتذكر اسرائيلى مطلعُ تماما « أنه بدأت تصل عمليات الاعتراض التى تقوم بها وكالة الامن القومى » وحضر رافى إيتان بنفسه الى مكتب يريدور « وألقى إليه بتقرير اعتراض يومى » يتعلق بالانشطة الدبلوماسية لسام لويس . وأبلغ يريدور ايتان « لن أقربها مطلقا » . وكان لويس الدبلوماسى المحنك الذى سيخدم فى منصبه كسفير حتى سنة ١٩٨٥ مشهورا على نطاق واسع بأنه صديق جيد لاسرائيل ولكنه يعارض أيضا أريل شارون وسياساته .

ولم يَكُن يريدور يُكِنُ قدرا كبيرا من الاحترام لايتان ويشعر بالقلق تجاه العواقب بعيدة المدى لانشطة المخابرات الاسرائيلية فى الولايات المتحدة أفضل حلفائها . وبدا مقتنعا بأن ايتان مدفوعا بطموحه الشخصى وحاجته لتسوية حسابات قديمة مع اسحق هوفى رئيس الموساد وأفراهام شالوم مدير « شين بيت » كما بدا مقتنعا على الاقل حتى تفجير فضيحة بولارد بأن إيتان جند امريكيين أو أكثر ولم يكن واضحا كيف يمكن لشخص واحد أن يطلع على هذا الكم المتنوع من المادة السرية للغاية التى تتدفق على مكتبه . وعلم يريدور بعد ذلك أن بولارد سمح له رغم آرائه العلنية الموالية لاسرائيل ، بالاطلاع على أكثر المعلومات حساسية فى الحكومة الامريكية ويستخدم مكتبه فى مخابرات البحرية لوضع الأوامر الحيوية لاقسام الحفظ فى منطقة واشنطن باكملها وظل بن ميناش مثل يريدور مقتنعا حتى بعد القاء القبض على بولارد واقراره

بأنه مذنب بأن ايتان كان يعمل مع أكثر من أمريكى واحد . وفى ظل الظروف العادية فإن الأمور كانت مغلفة بجو قلق فى مكتب بن ميناش للعلاقات الخارجية فقد أسفرت عمليات لاكام في الولايات المتحدة عن فيض ضخم من الوثائق العملية والفنية التى يتم نقلها بشكل روتينى يشبه المعلومات الأمريكية السرية للغاية التى بدأت تصل منذ أواخر الخمسينات حين شكلت الوكالة . والآن بدأت تصل المعلومات التى يتم الحصول عليها بشكل غير شرعى بكميات ضخمة من لاكام إلى المخابرات الاسرائيلية وأضيف اسم شفرى « جامبو » لعمليات الترقيم الأمنية المزودة بها الوثائق بالفعل وكانت هناك تعليمات صارمة كما يذكر بن ميناش « فأى شىء مزود بكلمة « جامبو » لم يكن من المفترض أن يناقش مع نظرائك الامريكيين وعقب مذبحة صابرا وشاتيلا ظل شارون فى وزارة بيجين ولكن كوزير بلا وزارة وعين موشى ارينز مهندس علوم الفضاء السابق وزيرا للدفاع ، وساد السياسة الاسرائيلية اضطراب أكثر من المعتاد طوال العام التالى فقد توفيت زوجة مناحم بيجين فى الربيع وانتابت بيجين الشاعر بعقدة الذنب لوجوده فى واشنطن لحظة وفاتها حالة من الاحباط الشديد . واستقال من منصبه كرئيس للوزراء فى سبتمبر ١٩٨٣ وحل محله اسحق شامير أحد المسئولين السريين السابقين فى الموساد والعضو المحافظ فى تكتل الليكود . ولم يحصل حزب العمل أو الليكود على الأغلبية فى الانتخابات العامة فى مايو ١٩٨٤ . وشكلت بعد مفاوضات حكومة وحدة وطنية فى غضون الشهور التالية تقاسم فيها شيمون بيريز واسحق شامير السلطة : على أن يشغل بيريز منصب رئيس الوزراء وشامير منصب وزير الخارجية حتى سبتمبر ١٩٨٦ على أن يتبادلا منصبيهما بعد ذلك . وعين رابين وزيرا للدفاع طوال فترة الوزارة . وأصبح بيريز ورابين وشامير يعرفون باسم الثلاثى الحاكم فى اسرائيل .

وطوال حالة الاضطراب ظل رافى ايتان . فى منصبه ونفس الحال بالنسبة لجوناثان بولارد . وحدد أسلوب لابلاغ المعلومات . حيث يقوم ايتان بتلخيص المعلومات . التي ينقلها بولارد ثم يقدمها بدون تحليل أو تقييم فى مذكرة لرئيس الوزراء ووزيرالدفاع . وفى هذا الوقت تضمنت معلومات بولارد صور « كى اتش – ١١ » الضرورية بالاضافة إلى تقارير وعمليات من السفارات الامريكية وعناصر المخابرات داخل السعودية والاردن ومصر وتعرف

هذه المعلومات فى المجتمع الدبلوماسى باسم « معلومات الطرف الثالث » ولاتقدم لأى شخص من الخارج وبالطبع علم كبار أعضاء القيادة بما يحدث ، ويتذكر مسئول كبير سابق فى المخابرات الاسرائيلية أن بيريز ورابين وكليهما على قدر متقدم للغاية فى التعامل مع المعلومات ، سارعا بالسؤال حين قدم المسئول المعلومات « من اين نحصل على هذه الاشياء ؟ » .

وأضاف هذا المسئول أنهما أبلغا بأن المخابرات الاسرائيلية أخترقت مجتمع المخابرات الامريكية وتغاضى الرجلان عن الأمر ولم يقل أى شخص « ولتوقفوا هذا الأمر فوراً » . واعتبر موشى ارينز أقل تقدما من بيريز ورابين بشأن ادراك الفارق فى قيمة المعلومات . ولم يثر أية أسئلة – وقال المسئول الاسرائيلى إنه « كان أغبى من أن يسأل » ولكنه تم اطلاعه على الاختراق الامريكى « بواسطة رجال فى المخابرات يريدون حماية ظهورهم » .

وبعد القبض على بولارد نفت القيادة العليا معرفتها بأنشطته وأصدر مجلس الوزراء والكنيست أوامر بتشكيل لجنتين داخليتين للتحقيق فى الفضيحة وبرأت القيادة ، من معرفتها بالامر . وبدا أن بولارد يدرك الأمر على نحو أفضل وفى التماس قدمه قبل اصدار الحكم ضده بالسجن مدى الحياة فى مارس ١٩٨٧ تحجج بأن الذين تعاملوا معه من اسرائيل أبلغوه « بأن اعتماد اسرائيل على مصدر خاص تم ذكره فى اجتماعات مجلس الوزراء الاسرائيلى كما قال إنه زود بشكل روتيني بقوائم من المعلومات المطلوبة وتم تنسيق القوائم وتحديد اولوياتها . بواسطة رؤساء جميع وكالات المخابرات العسكرية المختلفة ، وقال إن الجزء الأكبر من المعلومات التى نقلها كانت صورا للقمر الصناعى وعمليات اعتراض الاتصالات ، وهى مادة كان فى مقدور أى مسئول اسرائيلى أن يدرك « أنها لم تكن تنقل عبر القنوات الرسمية » . بل وصل الأمر بالذين اشرفوا على عمل بولارد فى الولايات المتحدة ، ومن بينهم أفيم سالا فى منتصف ١٩٨٤ رتبوا لأن توفر الحكومة الاسرائيلية عبر سفارتها فى واشنطن أكثر آلات نسخ الصور تطورا من أجل إعادة نسخ الوثائق السرية للغاية بما فى ذلك القمر الصناعى « كى أتش ١١ » . ووصلت آلات نسخ الصور مع واقٍ معدنى خاص لمنع اختراقها بالاشاعات الاليكترونية .

وكان أرى بن ميناش مدركا لاحباط رودى يريدور تجاه التجسس وقال « كان يريدور يشكو من تعريض ايتان لعلاقات اسرائيل مع الولايات المتحدة للخطر بل إن ميناش أدرك ماهو أكثر من ذلك .فقد كانت لديه معرفة شخصية بأن اسحاق شامير أثناء شغله منصب رئيس الوزراء ١٩٨٣ و١٩٨٤ أمر بأن يتم تلخيص بعض معلومات بولارد ونسخها ونقلها إلى مسئولى المخابرات السوفييتية .

وكان بن ميناش اليهودى العراقى ، على علاقة وثيقة بشامير وفى ١٩٨٧ قبل عامين من اعتقالة فى الولايات المتحدة وما تلا ذلك من سقوط من جانب اسرائيل ترك قسم العلاقات الخارجية وتوجه للعمل مباشرة مستشارا لشامير لشئون المخابرات حين كان رئيسا للوزراء حينئذ . وفى الواقع فإنه كما يقول فإنه ادار عمليات سرية لحساب شامير وكانت تلك خطوة لأعلى فقد كانت علاقات بن ميناش مع شامير عائلية فوالدة خدم مع شامير فى عصابة شتيرن المنظمة المناهضة للبريطانيين قبل حرب الاستقلال ١٩٤٨ وقال بن ميناش إن شامير الذى يكره من أعماقه الولايات المتحدة « لم يكن بوسعه تحمل بيجين وتناوله الاخلاقى للعلاقات الخارجية . وكان أول شىء يقرره شامير « لدى توليه رئاسة الوزراء » بدون تردد أن يفتح الكتلة السوفييتية لاسرائيل « يقول بن ميناش إنه كان لذلك تأثير فورى على مجتمع المخابرات ، تلقى ممثل الموساد فى بوخارست أمرا بتبادل المعلومات وكشف الأمور . ولم يكن أى شخص فى مجتمع المخابرات يجرؤ على القيام بذلك بدون موافقة رئيس الوزراء » .

ويذكر بن ميناش أن السوفييت اكتشفوا التحول ، وفى أواخر العام دعوا اسرائيل لحضور مؤتمر المخابرات فى الهند لمناقشة منشأة الاسلحة النووية الباكستانية فى كشمير ، وحين كان شامير فى أوائل ١٩٨٤ رئيسا للوزراء « أمر بتبادل المعلومات مع السوفييت حول أنظمة الأسلحة الأمريكية وفجأة أصبحنا نتبادل المعلومات » ولم تكن المعلومات الامريكية الخاصة تسلم مباشرة للسوفييت ولكن يعاد صياغتها فى محاولة للحد من الضرر الذى تتعرض له الوسائل والعملاء الامريكيون وأدى تبادل المعلومات لدفعة فورية تتخطى تخفيف حدة التوترات الدبلوماسية وتدفق المهاجرون من اليهود السوفييت لاسرائيل كما يؤكد بن ميناش . ففى أواخر ١٩٨٤ سمحت له

الحكومة البولندية كممثل لدولة اسرائيل بأن يتوجه إلى وارسو ويتفاوض على صفقة من الاسلحة لايران وتضم من بين أشياء أخرى مثل أنظمة « أيه كي - ٤٧ وأس أيه - ٧ » .

وقد تبدو رواية ميناش مثيرة للدهشة إلى حد يجعلها تكاد لاتكون قابلة للتصديق مالم يؤكدها بعد ذلك اسرائيلى آخر ليس فى الامكان الكشف عن هويته . وقال هذا الاسرائيلى إن مادة بولارد كانت تلخص وتملى لأحد موظفى السكرتارية قبل نقلها للسوفييت وتم تسليم بعض المعلومات مباشرة لافجينى بريماكوف الخبير فى وزارة الخارجية السوفييتية لشئون الشرق الأوسط الذى التقى سرا وعلنا مع شامير حين كان رئيسا للوزراء ، وبدا تحول شامير نحو السوفييت متفقا مع شخصيته ومعتنقاته السياسية كما يقول هذا الشخص . وفى أثناء خدمته فى الموساد خلال الخمسينات من نظرائه فى الكى جى بى وترك خدمة المخابرات فى منتصف الستينات لينضم لحزب بزعامة بيجين وأصبح رئيسا للكنيست فى ١٩٧٧ حين أصبح بيجين رئيسا للوزراء . وعمل بجهد واتقان لتطوير العلاقات مع الاتحاد السوفييتى الذى اعتبره وسيلة لموازنة أو تغيير اعتماد اسرائيل التقليدى على الولايات المتحدة . ويضيف هذا الاسرائيلى « ظل شامير دائما مفتونا بالسلطة والأنظمة القوية وشكاكا للغاية فى الحكومات الديمقراطية ويرى أن الولايات المتحدة لينة للغاية وبرجوازية ومادية وعاجزة . »

ويقول هذا الاسرائيلى أن نقل معلومات بولارد إلى السوفييت بالنسبة لشامير كان وسيلة لأن يعلن أن اسرائيل يمكن أن تكون شريكا أكثر أهمية واستعدادا للاعتماد عليها فى الشرق الأوسط من العرب المتقلبين « فماذا يمكن أن يقدم لكم العرب » ؟

وقال هذا المصدر الاسرائيلى إن قرار شامير الفردى من جانب واحد بتقديم المعلومات للسوفييت أصبح معروفا الآن على نطاق واسع فى الدوائر السياسية الكبرى فى اسرائيل . وانتابت رابين الذى يرتبط بشكل وثيق بالولايات المتحدة « حالة صدمة فعلية حين أبلغ بالأمر ولكنه احتفظ بهدوئه » . وادرك رابين وبيريز ومستشاروهم السياسيون أن عمل شامير إذا تم إعلانه سيعنى نهاية تحالف الليكود الذى يعانى من الاهتزاز على نحو متزايد .

واكتشفا أيضا - كما يقول هذا المصدر الاسرائيلى - أن العلاقات الاسرائيلية الامريكية بأكملها « ستصبح معرضة للخطر » . ولذلك التزاما بالصمت كما علم بعض المسئولين فى حزب مابام وهو حزب العمل اليسارى الذى تربطه علاقات وثيقة بالكتلة السوفييتية ، بخطوة شامير ودراسة تسريب المعلومات للصحف ، وقرر زعماء المابام أن الأمر ينطوي على قدر كبير من الخطورة . ومن جانبه يتحجج شامير واتباعه أمام زملائهم بأن هدفه إنهاء العداء القديم بين اسرائيل والاتحاد السوفييتى والمبادرة ببدء نوع من التعاون الاستراتيجي . كما زعم شامير ، كما يؤكد هذا المصدر الاسرائيلى أنه لايلحق الضرر بهذا القدر بالولايات المتحدة بابلاغه السوفييت مالا يستطيعون اخفاءه - فالامريكيون فى وسعهم أن يسمعوا ويروا كل شيء .

وأكد مسئول كبير فى المخابرات الأمريكية أنه حدثت خسائر واضحة فى الأفراد والقدرة الفنية على جمع المعلومات داخل الاتحاد السوفييتى تم ارجاعها بعد تحليـل مكثف لبولارد ، ويضيف مسئول سابق فى « السى أى أيه » أن الهدف الاسرائيلى من التعامل مع بولارد كان جمع مايمكنهم وأن يجعلوا السوفيت يعرفون أنهم يملكون قدرة استراتيجية على البقاء وعلى اخراج شعبهم من الاتحاد السوفييتى « ومايؤلمنا أن عملاءنا تم كشفهم وتقلصت قدرتنا على جمع المعلومات الفنية ، وحين اكتشف السوفييت ماتم تسريبه فى الوثائق التى قدمها بولارد للاسرائيليين قضوا على المصدر » وكان أكثر المسئولين الاسرائيليين تضرر بسبب الفضيحة رافى إيتان وأفيم سيلا ولكن ايتان لم يعانِ ماديا . وعين بعد ذلك فى منصب إدارى عالٍ مع شركة الكيماويات الاسرائيلية أكبر مؤسسة مملوكة للدولة فى اسرائيل .. ولم يكن الذى أمر بتعيينه المفاجيء سوى اريل شارون الذى عين وزيرا للتجارة والصناعة فى ١٩٨٤ ، أما بالنسبة لسيلا فقد رقى إلى رتبة بريجادير جنرال بعد عودته من الولايات المتحدة وعين قائدا لتل نوف موقع لسرب السلاح الجوى المعد نوويا . وبعد احتجاجات امريكية عين سيلا بدلا من ذلك رئيسا لكلية أركان جيش الدفاع وبدت فرص صعوده فى مجال السلاح الجوى ضئيلة وقدم استقالته .

ويرى دبلوماسى أمريكى مطلع « أن الجميع قرروا أن يتحمل رافى

المسئولية ولن يهتم شارون بأمره » فقال هذا الامريكى الذى أجرى تحقيقه الخاص فى فضيحة بولارد بعد كشفها بفترة قصيرة أن القيادة الاسرائيلية وافقت على عملية تعتيم منذ البداية رغم الخلافات السياسية الضخمة بين الأحزاب .

ويضيف « هناك مبدأ الأمن القومي فى اسرائيل يتخطى كل شيء - يتمثل فى حماية حكومتنا . واذا كانوا قد سمحوا لهذا التحقيق بالتعمق أكثر من وصوله لرافى فقد كان سيدمر الائتلاف الحاكم ولم يكن حزب العمل أو اسرائيل ستستفيد شيئا بالكشف عن أى شيء » .

وبدا رافى ايتان فى وقت مايفكر بشكل مختلف . فقد صرح لصحيفة اسرائيلية فى اوائل ١٩٨٧ « بأن جميع أفعالى بما فيها فضيحة بولارد تمت بعلم رؤسائى ولا أنوى أن استغل كضحية لتغطية معرفة ومسئولية الآخرين » ولكن غيّر رأيه فى غضون يوم واحد وقال فى حديث لاذاعة اسرائيل إن جميع البيانات التى نشرت من قبل ونسبت له « لم أدل بها » .

والجانب الوحيد التي لم يرغب أى شخص فى الكشف عنه فى فضيحة بولارد تعلق بأفيم سيلا .. فسيلا قد يكون أكبر خبير فى السلاح الجوى فى اسرائيل فى مجال تحديد اهداف الاسلحة النووية واطلاق هذه الاسلحة : وكانت مهمته التأكد من قدرة طائرات أف ١٦ الاسرائيلية المسلحة بأسلحة نووية من اختراق الدفاعات الجوية السوفييتية والوصول لاهدافها فى الاتحاد السوفييتى . وفى وقت سابق من حياته العملية عمل كقائد طائرة أف ٤ فى تل نوف وعين فى أحد الاسراب السوداء ذات القدرة النووية . وأدت رؤية اريل شارون المتسعة لامن اسرائيل القومى والتهديد السوفييتى إلى زيادة مفاجئة فى التخطيط النووى وتحديد الأهداف النووية وتولت القوات الجوية أيضا مسئولية نظام جيريتشو الصاروخى بمداه الذى ظل يزداد بانتظام وتطلبت أهداف الصواريخ الجديدة فى الاتحاد السوفييتى زيادة المعلومات ، ومهمة سيلا تركزت فى مساعدة بولارد على جمع المعلومات الضرورية وبعد ذلك تقييمها ، وكانت اسرائيل فى حاجة لأكثر المعلومات الامريكية تقدما حول النماذج المناخية واتفاقيات الاتصالات بالاضافة إلى المعلومات عن إجراءات الطوارىء والانذار . كما كانت أى معلومات امريكية فى المجالات

الكهرومغناطيسية تقف بين اسرائيل وأهدافها الرئيسية فى الاتحاد السوفييتى ضرورية لتحديد أهداف جيريتشو .

وأعمت قدرة سيلا الضخمة ومعارفه فى مجال تحديد الأهداف والأسلحة النووية ، مجتمع المخابرات الاسرائيلى وايتان عن حقيقة هى أن سيلا طيار لايدري أى شىء عن إدارة عمليات سرية . وحين تعرض بولارد للمشاكل فى أواخر ١٩٨٥ لم يكن لدى سيلا مايقدمه له وبدا اهتمام سيلا الرئيسى فى الفرار من الولايات المتحدة بأسرع وقت ممكن قبل أن يعتقل هو الآخر وتوجه له أسئلة كثيرة لايرغب لاهو ولا الحكومة الاسرائيلية فى أن تواجهها

كما يعتقد الاسرائيليون المطلعون على مهمة سيلا والأسباب الكامنة وراءها أن بولارد أدرك ما يفعله ، وقال أحد أصدقاء سيلا « لقد عرف بولارد بكل شئ وبالتأكيد ادرك كل شىء ولم نكن نحتاج بولارد كى يزودنا بصور عن مقر منظمة التحرير الفلسطينية فى تونس » وكانت الشخصية الاسرائيلية تشير إلى إدعاء بولارد بأن معلوماته ساهمت فى الخطة الاسرائيلية لقصف مكاتب منظمة التحريرالفلسطينية فى تونس ١٩٨٥ .

ورفض بولارد التعاون مع مكتب المدعي العام الامريكى فى واشنطن طوال ستة أشهر قبل أن يعلن اسم سيلا ، ووصف ماوصفه بالدور الذى توسط فيه - فى إطار مساومة لاستئناف الحكم ، ولايعرف ما إذا كان ممثلو الادعاء قد اكتشفوا فى وقت طلب استئناف حكم بولارد أن مهمة سيلا مرتبطة بالمعلومات النووية ، كما أنه من غير الواضح ما اذا كان أى شخص فى الحكومة الأمريكية قد علم بالامر بعد ذلك فمازالت أغلب التقارير الحكومية حول القضية بما فيها عرض شامل قدمه كاسبر واينبرجر سرية للغاية .

واعترفت الحكومة بأن بعض المتورطين فى القضية اعترفوا بالحقيقة . وكان هذا الوضع الحرج هو الذى دفعهم على الاصرار على تسليم سيلا للولايات المتحدة . ورفضت الحكومة الاسرائيلية ، وأدين سيلا غيابيا فى مارس ١٩٨٧ فى محكمة جزئية فى و اشنطن ، وفى يونيه ١٩٩٠ أعلن أن سيلا هارب من العدالة .

ومنذ تقاعده أمد سيلا زملاءه وأصدقاءه بقصة عن تورطه اكثر مصداقية ولكن لم ترق للقصة الكاملة . وقال إنه تم تجنيده أثناء وجوده فى اسرائيل

لتولى مهمة السيطرة على بولارد الذى يزود أجهزة المخابرات الاسرائيلية بفيض من الوثائق ، وفى عام ١٩٨٤ حين تم الاتصال بسيلا كان قد اوشك على الانتهاء من الشروط الاساسية للحصول على درجة الدكتوراه فى علم الكمبيوتر فى جامعة نيويورك ، وكان التفكير الواضح يرى أن تدريبه الفنى سيكون استثمارا فى عمليات تقييم وحتى غربلة المواد التي يقدمها بولارد ، وادرك سيلا كما قال لزملائه أن بولارد تم تجنيده قبل عام ١٩٨٤ بفترة طويلة وقال لأحد أصدقائه « كانت ثمرة البطاطس فى الفرن » لكنه كان متلهفا على تولى المهمة : فادارة جاسوس على قدر أهمية بولارد سيجعله بشكل حتمى يقفز إلى القمة . وقبل تولى المهمة بحث الأمر مع قائده الميجور جنرال أموسى لابيدوت رئيس هيئة أركان القوات الجوية وقال سيلا إن لابيدوت أكد أن بولارد ليس محتالا وتم الحصول على الموافقة على تولية المهمة من وزير الدفاع اسحاق رابين . ويشكو سيلا لأحد أصدقائه من أنه فور تورطه « أصيب بولارد بالخبل وأصبح يعطينى أشياء لاأريدها ولا أحتاجها » .

ومع ذلك قامت اسرائيل بمحاولة واحدة لاسقاط الاتهامات الموجهة ضد الكولونيل الشاب ، ففى يونيه ١٩٨٦ وبعد أن سلم بولارد اسم سيلا بفترة قصيرة استأجرت اسرائيل ليونارد جارمنت ليمثل الكولونيل وكان جارمنت المعاون السابق لريتشارد نيكسون محاميا بارزا فى واشنطن ومستشارا خاصا لرجال مثل المدعى العام السابق ادوين ميس - كما كان مؤيدا قويا لاسرائيل وتحت قيادة نيكسون أصبح أحيانا مشاركا فى الدبلوماسية الرفيعة المستوى .

وفى أواخر يونيه توجه جارمنت إلى تل أبيب لمحاورة سيلا والتحدث مع المسئولين الاسرائيليين . وتمثل هدفه فى محاولة إيجاد بعض الأرضية المشتركة بين واشنطن وحكومة اسرائيل لتسوية الأمر قبل أن يؤدى إلى نتائج أكثر ضررا بسبب الصحافة ، وكان من بين مستشارى سيلا فى اسرائيل حاييم جوزيف زادوك وزيرالعدل السابق والسياسى العجوز فى حزب العمل وعدد من المسئولين الحكوميين واقترحوا عرضا للحقائق يقدم لوزارة العدل الأمريكية يشرح تورط سيلا أو عدم تورطه ، وزعمت الوثيقة أن سيلا لم يفعل أى شيء أكثر من مجرد عقد لقاءات اجتماعية مع بولارد . وقال سيلا إنه لدى علمه أثناء تناول العشاء ان بولارد مهتم بتقديم وثائق لاسرائيل كان رده الوحيد أن اقترح أن « يتعامل بولارد مباشرة مع الوكالة المناسبة » وتمثل

الموقف الاسرائيلى كما تم توضيحه لجارمنت فى أن الولايات المتحدة لاتملك أى قضية ضد الكولونيل ولايوجد أدنى دليل على قيامة بالتجسس والتقى جارمنت بالعديد من زعماء الدولة أثناء وجوده فى اسرائيل وحتى تناول العشاء فى منزل شيمون بيريز وأكد له الجميع إنهم لايعرفون شيئا عن قضية بولارد .

وبعد أن عقد اجتماعا مطولا مع سيلا وشقيقه فى تل أبيب بدأ جارمنت محاولة كسب الوقت ورفض تقديم عرض الحقائق ، وقال إن هذا يحتاج إلى مزيد من الوقت . وعاد جارمنت إلى واشنطن فى محاولة مرة أخرى للتفاوض من أجل التوصل لحل دبلوماسى أو إيجاد وسيلة للعثور على وثيقة يمكن أن تخرج عميلة من القضية دون إعاقة تطبيق العدالة . وبعد تبادل الاتصالات المكثفة وصل إلى واشنطن وفد اسرائيلى مكون من ستة أعضاء فى أغسطس ١٩٨٦ لعقد اجتماع مع مسئولى وزارتى الخارجية والعدل لحل القضية ، ولم تكن تلك مجموعة عادية ولكن دليلا واضحا على أن ضرورة حماية سيلا وصل إلى قمة الحكومة الاسرائيلية .

وكان أعضاء الوفد هم حاييم زادوك وزير العدل السابق ومائير روسين المسئول السابق فى الموساد الذى كان سفيرا لاسرائيل فى واشنطن ونائب روسين الياكيم روبنشتاين أحد أبرع الدبلوماسيين فى اسرائيل الذى سيصبح سكرتير المجلس الوزراء ورام كاسبى محامى حزب العمل الشهير وأحد من يحظون بثقة شيمون بيريز وأفراهام شالوم الرئيس السابق لشين بيت الذى إضطر إلى الاستقالة من منصبة فى اواخر يونية بسبب الاتهامات التى وجهت له بصلة جهاز شين بيت بقتل اثنين من المختطفين الفلسطينيين أثناء احتجازهم فى عام ١٩٨٤ ، وهانان بارون نائب المدير العام لوزارة الخارجية الاسرائيلية . وقد عين بيريز على الفور كاسبى وشالوم وبارون بعد إلقاء القبض على بولارد لإدارة تحقيق داخلى . وأوضح الثلاثة فى تقريرهم بعد أسبوع أن بولارد كان جزءا من وحدة شاردة لجمع المعلومات قامت بعملها بدون أن تعلم الحكومة أى شىء عنها .

ودعا جارمنت الرجال الستة للحضور إلى منزله فى اليوم السابق للقائهم مع مسئولى وزارتى العدل والخارجية . وظلوا يعملون طوال ساعات فى عرض الحقائق وكان جارمنت قد صاغ مذكرة حول إعاقة تطبيق العدالة بمقتضى القانون الأمريكى فى محاولة لاقناع الاسرائيليين بالتوقف عن

إصرارهم على تقديم عرض الحقائق بصورته الأولى . ومضى الاجتماع حتى منتصف الليل وتولت زوجة جارمنت سوزان كاتبة الاعمدة المشهورة ، فى صحيفة وول ستريت جورنال ، نسخ مسودات عرض الحقائق مثار الجدل .
ويقول أحد الشهود (ليس حارمنت) إنه فى إحـدى المراحل وحين كان جارمنت مستمرا فى اعتراضه طرح السؤال الحتمى وهو « أى نوع من اليهود أنت ؟ » واجاب جارمنت بمداهنة « إننى مواطن أمريكى أيضا » ولم يكن مايريدونه أمرا ذا معنى فيما يتعلق بحماية العميل وقرر جارمنت أن الوقت قد حان كى يعرفوا مايعرفه واسترجع مذكراته عن الحديث الذى تم على العشاء مع سيلا وقرأها للمجموعة وأنصت الاسرائيليون بهدوء وطلبوا بعد ذلك منحهم عدة دقائق للانفراد بأنفسهم وحين عاد جارمنت طلبوا الحصول على مذكرات جارمنت . وابلغهم الأخير (هاهى مذاكرتى) وحافظ جارمنت على رباطة جأشه . وفى هذه الحالة ابلغوه بأنه « تم الاستغناء عن خدماتك » .
وعندئذ فقد جارمنت أعصابه وأبلغ الرجال الستة أنهم لن يحصلوا على مذكرات سيلا ، وحذر « من أنه إذا قام أى منكم بأى خطوة نحوى فسوف ألقى بكم فى البحيرة » وهدأ الجميع وتم الاتفاق بعد ذلك على أن ينسحب جارمنت من القضية ولكن أن يقوم بذلك فى هدوء .
وكانت حاسة جارمنت فى المحافظة على الذات فى أدق حالاتها، فقد كان بعد كل شىء أحد الناجين من فضيحة نيكسون فى البيت الأبيض ولم يعرف أن أفيم سيلا خبير كبير فى تحديد الأهداف للأسلحة النووية ولم يعرف أن فضيحة بولارد تتضمن الحصول على اسرار تحديد أهداف الأسلحة النووية الأمريكية ولم يعرف أن ثلاثة من الرجال الســتة الذين تفاوضوا معه حول عرض الحقائق الخاص بسيلا قاموا بتحقيق داخلى وعملية لإخفاء فضيحة بولارد ، والشىء الوحيد الذى كان يعرفه جارمنت أنه سيترك القضية لأنه غير واثق من براءة عميله أفيم سيلا أو الحكومة الإسرائيلية وهذا هو ما أبلغه بالفعل بشكل شخصى لكل من المحامى العام الامريكى جوزيف ديجينو الذى ترأس محاكمة بولارد ومارك ريتشارد مساعد نائب المحامى العام .
وبانســحاب جارمنت انهت الحـكومة الاسرائيلية محاولتها لحماية ســيلا وفى الواقع انتهت حياة سيلا العملية وظل سيلا الذى تقاعد من السلاح الجوى بعد أن تخلص من أوهامه وهو يعانى من الاحباط ، وظل فى اسرائيل وأصبح منذ منتصف عام ١٩٩١ هاربا من العدالة الامريكية .

٢٢

اسـتثمار اسرائيلى

فى اكتوبر سنة ١٩٨٦ لم يكن قد صدر حكم ضد جوناثان بولارد وكان هناك كثيرون فى المخابرات الأمريكية مقتنعين بأن واحدا أو أكثر من داخل الحكومة أعوان له ، رجال ونساء يمدون إسرائيل بصور من الوثائق السرية للغاية التى تصدر الأوامر لبولارد بالحصول عليها . وبدأت لتوها عملية البحث عن « مستر إكس » كما وصفت الحكومة شريك بولارد .

وأصبحت إسرائيـل فى بؤرة الأخبـار وحـدث نفس الشئ لقصة التجسس ، وأصبحت الصنداى تايمز فى لندن تملك كل الأسباب لتتصور أن كشفها عن ديمونه فى ٥ اكتوبر سنة ١٩٨٦ المبنى على أساس حديثها مع موردخاى فانونو سيكون مثيرا . فقد كانت أول رواية من الداخل عن المؤسسة النووية الإسرائيلية على أساس مصدر محدد معلن . كما كانت قصة أخرى من قصص الخيانة تتضمن إسرائيل فكان الدافع الأول لفانونو وبولارد ليس المكاسب المالية (رغم أن كليهما قبل المال) ولكن الاقتناع بأنهما يفعلان الشئ الصواب .

وكذا انجذبت الأوساط العلمية العالمية برواية الصنداى تايمز واعترف أحد كبار المسئولين فى المخابرات النووية الأمريكية بأن قصة فانونو وكتاب بيير بان سنة ١٩٨٢ حول التورط الفرنسى المبكر فى ديمونه « يقدمان معا دليلا يجيب عن جميع علامات الاستفهام . ويقدمان ما لم نكن نعرفه وما لم تفعله الفرقة زد » .

إلا أن الصحافة لم تهتم كثيرا - وتجاهل منافسو الصنداى تايمز فى فليت ستريت القصة وكذلك فعل الجزء الأكبر من الصحافة العالمية . وتجاهلتها الواشنطن بوست والنيويورك تايمز فى الأيام التالية واكتفت ببعض فقرات مدفونة فى الصفحات الداخلية وعاملتها وكالات الأنباء بنفس الأسلوب .

وروع جيرى أوبلينجر أحد المعاونين السابقين فى البيت الأبيض بفشل الصحافة فى فهم أهمية فانونو وقال « لم يمكننى تصديق هؤلاء الأشخاص فلم يكن هناك شئ ذو دلالة فى التايمز والبوست وول ستريت جورنال . وأصيب الجميع فى مجال الحد من التسلح بالدهشة البالغة من عدم وجود أى شئ . وبالنسبة لى ولأصدقائى المقربين كان أمرا محبطا حقا . فها هنا قصة مثيرة ونادرة وحتى الصحافة غير مهتمة بها .

أما بيتر هونام المراسل والكاتب الأول لقصة فانونو فقد أدرك أنها أهم شئ فى حياته المهنية . وتوقع أى شئ خلاف اللامبالاة . ولم تقم ولو حتى اتصالات هاتفية من كبريات الصحف فى الولايات المتحدة وأدرك هونام أن الأمر من المحتمل أن يكون قد اختلف إذا تسنى الوصول إلى فانونو شخصيا وقد نظمت صنداى تايمز حملة علاقات عامة واسعة للمساعدة فى نشر القصة وكان سينظم مؤتمرا صحفيا فى يوم النشر (كما كانت الصحيفة ستعلن أن فانونو وافق على كتابة كتاب وأن حقوق النشر بيعت لشتيرن المجلة الألمانية الغربية) إلا أن فانونو اختفى عن الأنظار فى الأسبوع السابق وعجزت صنداى تايمز عن الوصول إليه حين كانت الضرورة تقتضى ذلك بشدة .

وبالطبع كانت المخابرات الإسرائيلية قد أغوت فانونو على مغادرة لندن فى ٣٠ سبتمبر والتوجه إلى روما حيث اختطفته الموساد وأعقب قراره بالابتعاد عن عالم الصحافة فى لندن نشر صورة فانونو فى صنداى ميرور ثانى أكبر صحف القطع الصغير فى بريطانيا مصحوبة بقصة عدائية فى الأسبوع السابق فى ٢٨ سبتمبر . ونقل عن المسئولين الإسرائيليين زعمهم أن فانونو أقيل من ديمونه فى العام السابق « لمحاولته نسخ وثائق » . وأضاف ملحق صحفى إسرائيلى « أنه لم يحدث ولا يوجد عالم بهذا الاسم يعمل فى الأبحاث النووية فى إسرائيل . ويمكننى أن أؤكد أنه يوجد شخص باسم مردخاى فانونو عمل كفنى صغير فى لجنة الطاقة الذرية الإسرائيلية » . وهاجمت صنداى ميرور مصداقية صور فانونو نقلا عن خبير نووى لم تكشف عن هويته ، قوله إنها يمكن أن تكون قد التقطت فى « مصنع للبيض » كما تساءلت صنداى ميرور عما إذا كانت رواية فانونو « كذبة أو حتى شيئا أكثر فسادا لتشويه مصداقية إسرائيل » .

ونشر المقال تحت عنوان بشع هو « حالة غريبة عن إسرائيل والمخادع النووى » ولم يكن الرجل المخادع الذى أشير له فى العنوان فانونو ولكن عميل فانونو أوسكار هويريرو الصحفى الانتهازى من كولومبيا فى أمريكا الجنوبية الذى أصبح صديقا لفانونو المعدوم الحيلة فى يونيه حين كان ما زال فى منفاه فى استراليا . وكان هويريرو وهو الذى أقنع فانونو بأن قصته وصوره المتميزة قيمتها تصل إلى مليون دولار . وبعد فشله فى جذب انتباه مجلة نيوزويك اتصل هويريرو بالتايمز فى لندن فى أواخر أغسطس وفى غضون عدة أيام وصل هونام إلى استراليا لإجراء الحديث مع فانونو .

وعلى ما يبدو نظرا لخوفه من استبعاده من اتفاق فانونو مع الصنداى تايمز اتصل هويريرو أيضا بالصنداى ميرور المعروفة بصحافتها التى تدفع مقابلها بسخاء ، فى الوقت الذى كان فيه هونام و « فريق الدراسة » فى الصنداى تايمز يعدون قصتهم . وكان هذا الاتصال هو الذى وضع أرى بن ميناش والمخابرات الإسرائيلية فى الصورة .

ولم يعرف هونام ومحررو الصنداى تايمز بأنه فى الوقت الذى يعملون فيه تم كشف فانونو للإسرائيليين بواسطة زميل فى فليت ستريت هو نيكولاس ديفيز محرر الشئون الخارجية فى ديلى ميرور الصحيفة الشقيقة لصنداى ميرور . وحلقة اتصال ديفيز كان بن ميناش . وقد كان هو وبن ميناش زميلين فى شركة لصفقات الأسلحة الدولية عرفت فى البداية باسم أورا ليمتيد عملت من منزل ديفيز فى لندن منذ سنة ١٩٨٣ . وكانت أورا ليمتيد التى أنشئت بموافقة الحكومة الإسرائيلية كما يقول بن ميناش تهدف إلى إبقاء تدفق الأسلحـة لإيران – وهى واحدة من العـديد من العمليـات السرية العـديدة فى العالم . وقال بن ميناش « ديفيز كان مصدر دعمى الرئيسى فى جميع صفقات السلاح لإيران » .

ولقدرته على الحديث بالفارسية عين « بن ميناش » فى نوفمبر ١٩٨٠ ضمن مجموعة عمل صغيرة داخل المخابرات الاسرائيلية تعاملت مع ايران التى كانت حينئذ منبوذة عالميا ، مثل اسرائيل ، وفى حاجة للسلاح من أجل حربها ضد العراق ، وكانت مهمة « بن ميناش » هى ايجاد سبل للتحايل على الحظر على الأسلحة . واقتضت الضرورة تشكيل شركات وهمية والعثور على أشخاص

موثوق بهم لادارتها ، ويتذكر « بن ميناش » « ان (نيك) كان له صديق فى الموساد » . وعقد اجتمـاعاً عرضياً فى لنـدن . وقبل « ديفيز » دعـوة لزيارة إسرائيل وتمت بضع خطوات أخرى قبل أن يصبح إستثمارا إسرائيليا . وقال « بن ميناش » أن ديفيز كان الشخص المؤهل تماما فهو مسيحى كاثوليكى من شمال انجلترا وشخص فاتن أنيق يعشق الاستمتاع بالحياة .

وتتضمن ملفات « بن ميناش » مئات من التلكسات والوثائق الأخرى تشير الى تورط « أورا ليمتد » القوى فى عمليات تجارة السلاح مع ايران على أعلى المستويات . وحددت برقية أرسلت فى سنة ١٩٨٧ لاية الله على أكبر هاشمى رافسنجانى . شروط صفقة لإيران مكونة من أربعة آلاف صاروخ تاو قيمة كل منها ١١٣ ألفا و ٨٠٠ دولار ، وأعلنت البرقية أن مواطنا بريطانيا يدعى نيكولاس ديفيز هو ممثل لشركة اورا ليمتد « سيكون متمتعا بسلطة توقيع العقود فى إيران .. » وتناولت مجموعة من الوثائق فى عام ١٩٨٧ جهود أورا ليمتد لاقامة شركة للاتصالات فى نوكسون باريزونا يرأسها روبرت وترز الذى كان مهندسا اذاعيا فى محطة تليفزيون جامعة اريزونا . ويتذكر وترز وهو خبير فى الاتصالات الصوتية للقمر الصناعى ، عدة اجتماعات مع بن ميناش فى توسكون والعديد من المحادثات التليفونية مع ديفيز فى لندن وقال وترز لا أعتقد ان نيك كان رجل المال . وكان هناك يمثل أورا » .

وأعترف ديفيز الذى تم الاتصال به تليفونيا فى لندن فى رقم مسجل باسم اورا ليمتد ، بأنه يعرف بن ميناش الا أنه نفى تورطه فى صفقات السلاح وقال « كل ما أقوله أن تواصل البحث عن » بن ميناش لأنه المصدر الوحيد للأخبار « فهو يملك معلومات مثيرة » . وفى احدى المراحل يقول إنه ناقش مع « بن ميناش » التعاون لاصدار كتاب « ان الناشر المتصور لم يكن مهتما بذلك ويقول ان بن ميناش يروى الآن القصص انتقاما منه . وحذر ديفيز « اذا قدمت مثـل هـذه الادعاءات فى انجلترا فسوف أتصـل بالمحامى الخاص بى » .

الا أنه بالاضافة الى البرقية التى أشير لها سلفا ، فان ادعاءات « بن ميناش » أكدتها بوضوح « جانيت فيلدينج » ، الممثلة اللندنية التى كانت الزوجة الثانية لنيكولاس ديفيز من عام ١٩٨٢ حتى عـام ١٩٨٥ . وقالت أنها علمت أن « ديفيز » يبيع الأسلحة بالاشتراك مع « بن ميناش » فى نفس الوقت الذى

يعمل فيه كمراسل للشئون الخارجية فى ديلى ميرور . وفى النهاية « روعت » كما تقول فى حديث تليفونى بسبب أنشطة زوجها ، وتضيف : « حاول نيك أن يحدثنى عن صفقات السلاح ولكننى أبلغته بأننى لا أريد أن أعرف .. وتركته لهذا السبب » .

وكانت قد تعرفت عليه للمرة الأولى كصحفى كتب نقدا لمذابح صابرا وشاتيلا خلال الغزو الاسرائيلى للبنان و« بعد ذلك تورط مع آرى » . وتتذكر بصفة خاصة أنها استضافت « بن ميناش » فى منزلها فى أواخر ١٩٨٤ . « ولقد عانيت من أجل اعداد وجبة من « السلامى » ولم يعجب بها آرى » .

وردا على سؤال عما اذا كانت تعرف أن « بن ميناش » مندوب مخابرات اسرائيلى قالت « فيلدينج » : « لم يكن من الصعب أن تجمع اثنين زائد اثنين . فهل تعتقد أننى غبية تماما ؟ لقد أغلقت أذناى وخرجت من هذا الزواج » .

وفور اتصال « هويريرو » بالصنداى ميرور ، علم « ديفيز » بالأمر كما يقول « بن ميناش » واتصل به على الفور فى اسرائيل لاطلاعه « وكل ما أتذكره أننى فى اليوم التالى كنت على متن طائرة فى طريقى الى لندن . فقد كان هناك شخص قذر من كولومبيا يخلط الصور فى لندن . ورتب « نيك » اجتماعا لهذا الصحفى الكولومبى « الأحمق معى » . وعرض « هويريرو » فى هذا الاجتماع بعض صور « فانونو » الملونة انطلاقا من رغبته فى ابرام صفقة أخرى . ويتذكر « بن ميناش » أن مشكلته كانت أنه لم تكن ببساطة لديه أى فكرة عما بهذه الصور أو عما اذا كانت مهمة ، وكان يدرك أنه يتعين أن يراها خبراء فى اسرائيل وأبلغته : « اننى فى حاجة الى نسخ » ، وعارض هويريرو » . وسألته : « هل تريد بعض المال ؟ » ، « يجب أن أتأكد من أنها حقيقية وأبلغته أن « نيك » سيكون شاهدا على » وسلمنى « هويريرو » نسخا لثلاث من صور « فانونو » .

وقد علم كبار المسئولين فى القيادة السياسية فى اسرائيل بأمر انشقاق « فانونو » لأسابيع . ودارت مناقشات كما يروى « بن ميناش » حول ما يتعين القيام به ، حيث ناشد بعض المسئولين باغتيال « فانونو » وأوصت المخابرات بتجاهله . ولم يتضح مدى ما يعرفه « فانونو » وحجم الخطر الذى يمكن أن يتسبب فيه فنى صغير مغربى المولد . وكان « شيمون بيريز » هو

الذى استبعد الاغتيال وقال بن ميناش : « لنجعله عبرة » .

وأثارت صور « فانونو » التى أرسلها « بن ميناش » مباشرة لاسرائيل ، حيث كانت لديه تعليمات مشددة بعدم الاقتراب من السفارة الاسرائيلية ، أثارت حالة من الفوضى . وأبلغ « بن ميناش » فى اليوم التالى « أنها حقيقية » . وأبلغ أيضا بأن « بيريز » يتولى الأزمة شخصيا ، وعلم « بن ميناش » أحد الأسباب بعد عدة أيام ، فقد كان هناك خوف من أن يكون « فانونو » على علم بأن اسرائيل نشرت ألغاما أرضية نووية على طول حدود الجولان ، وأنه سيتحدث عنها . وقد وضعت الألغام الأرضية فى مكانها منذ أوائل الثمانينيات حين كان « فانونو » مازال يعمل فى « ديمونه » .

ودفعت الأنبـاء اسرائيـل للقيام بحملة ضخمة لتشويه المعلومات . وقال « بن ميناش » : « من أجل وقف أى قصة يجب أن تستخدم الكلمة الوقحة » . وقام « ديفيز » بدوره فى صنداى ميرور وعمل مباشرة مع « روبرت ماكسويل » ناشر مجموعة صحف الميرور أكبر مجموعة تابلويد فى بريطانيا العظمى التى تتضمن الديلى والصنداى ميرور . ووفر « ديفيز » الاطار العام لقصة « فانونو » التى نشرت فى ٢٨ سبتمبر ويتذكر « بن ميناش » « أنها سلمت بعد ذلك الى ماكســويل . فقــد كان يتعامــل مــع ماكسويل مبــاشرة » . وفى وقت ما رتب « ديفيز » اجتماعا لـ « بن ميناش » مع « ماكسويل » فى مكتبه فى الدور التاسع . وأوضح « ماكسويل » فى لقاء قصير ، أنه يفهم ما يجب القيام به بشأن قصة « فانونو » وقال « ماكسويل » لبن ميناش : « أنا أعرف ما يجب أن يحدث ولقد تحدثت بالفعل مع رؤسائك » .

وكان « ماكسويل » ، بارون الصحافة الموازى لروبرت مدردوخ ومنافسه الرئيسى ، معروفا بصلاته الوثيقة مع أعلى القيادات الاسرائيلية ، وقد أصبح فيما بعد مالكا لصحيفة معاريف الاسرائيلية اليومية كما امتلك لفترة قصيرة سيتيكس كوربوريشن وهى شركة لمعدات الطباعة ذات التكنولوجيا المتقدمة مقرها اسرائيل كان من بين كبار المسئولين التنفيذيين بها « يائير شامير » الكولونيل السابق فى السلاح الجوى ونجل « اسحق شامير » .

ولم يكن يربط الفريق الذى حرر وتابع قصة « فانونو » فى الصنداى ميرور أى صلة بنيكولاس ديفيز الذى عرفوه فقط كمحرر شئون خارجية لديلى

ميرور ، وما عرفه المندوبون بالفعل هو أن القصة التى ظهرت بأسمائهم أملاها شكلا وموضوعا رئيس تحرير الصحيفة « ميشيل مالوى » . ودارت مناقشات حامية مع فريق الأخبار الخاص بالميرور بقيادة « تونى فروست » تؤكد أن القصة الحقيقية ليست عن « هويريرو » وسلوكه الغريب ، ولكن صور «فانونو»، وأيا كانت مشكلات « هويريرو فان صور « فانونو » قد تكون حقيقية . واذا كان الأمر كذلك فهى قصة بشعة . وأوصى المحررون بأن تنشر الصور على الصفحة الأولى بقصة تصاحبها تثير الأسئلة عن مصداقيتها . ولكن مالوى لم يكن يريد نشر أى من صور « فانونو » وأصر على أن يعرض بـ « فانونو » وأن يجعل صنداى تايمز مثارا للسخرية .

وحدثت الجلبة يوم الخميس قبل الطبع حين أمر « مالوى » كلا من « فروست » وزميل له يدعى « مارك سوستى » بأن يأخذا صور « فانونو » والمعلومات الى السفارة الاسرائيلية ، وأدرك « جون باركر » نائب « مالوى » أن ماكسويل نفسه أصدر الأمر . وثار قلق باركر وزملائه بشدة عما يعنيه توجههم للسفارة بالنسبة لـ « فانونو » فقد يؤدى ذلك الى القاء القبض عليه وحتى تعريض حياته لخطر الاغتيال . وأبلغهم « مالوى » بأن « هذا أمر رئيس التحرير » . وعلى العاملين بالصحيفة الالتزام به .

وأدرك « فروست » أنه وزملاءه لم يشاركوا فى عمل صحفى عظيم وقال : « لقد كنت أتمنى فى يوم ما أن تخرج الى النور القصة الكاملة الخاصة بهذا الأمر » . وقد تم الاستغناء عن « فروست » بسبب هذا الخلاف .

وشكا « بيتر ميلر » كبير محررى الأخبار فى « صنداى ميرور » الذى أقاله « ماكسويل » فى عام ١٩٩٠ بغضب من تعامل الصحيفة مع قصة « فانونو » وقلبها للموضوع رأسا على عقب بسبب ضغوط من أعلى . وقال ميلر : « ان الخط الذى صدرت الينا التعليمات باتباعه أضاع على الصنداى ميرور انفرادا صحفيا عالميا هائلا » .

كما أعرب « باركر » الذى ترك الميرور فى عام ١٩٨٨ كى ينشر كتاب « ملك الحمقى » وهو كتاب من أكثر الكتب مبيعا عن قصة حياة دوق ويندسور ، أعرب عن شعوره بالمرارة من أسلوب تناول قصة « فانونو » وقال : « إمتلكت الصنداى ميرور أضخم قصة صحفية فى العالم فى هذا الوقت وانهارت بسبب

الخط الذى اتبعوه . لقد كانت تجربة تقليدية قام بها الاسرائيليون لتنويه المعلومات .

واعترف « مالوى » الذى أجبر على ترك منصبه كرئيس تحرير للصنداى ميـرور فى عام ١٩٨٨ ، بأنه ناقش أسـلوب تناول قصــة « فــانونو » مع « ماكسويل » ولكنه قال : « انه لم يكن هنـاك شىء شرير أو غريب فى تورط «ماكسويل» ، فلديه أصـدقاء وعلاقات وثيقـة هنـاك » . ولدى إطلاعه بشكاوى « باركر » و « ميلر » و « فروست » قال « مالوى » أنه نفسه أساء تقدير أهمية صـور « فانونو » . ويوضـح « مالوى » الذى يعمـل الآن كروائى وصحفى حر « كانت حاســتى الصحفية سيئة . وبدا الأمر لى كمهمة يســيرة » . ويتذكــر « مالوى» أن « ماكسويل » هو الذى أمر مع ذلك العاملين بأن ينقلوا الصور للسفارة الاسرائيلية . « وأعتقد أن ماكسويل قد يكون على الأرجح قال « حسنا لنجعل الاسرائيليين يطلعون عليها » ، وهذا هو الأسلوب الذى تمت به الأمور ، ولم يكن الأمر كأننا نسلمها لعدو خارجى » .

كما قال « مالوى » أنه لا يمكنه نفى استشهاده باسم ماكسويل بابلاغه ميلر وباركر وفروست كيفية تناول القصة ، وعلى الرغم من عدم قدرته تذكر قيامه بذلك بالتحديد فى قضية « فانونو » فان مالوى يقول : « بشكل عام كان ماكسويل يتلقى نسخا أولية للقصص الصحفية مسبقا » . كما يعترف «مالوى » بأنه من الممكن أن « ماكسويل » لم يطلعه بالكامل على اتصالاته مع الاسرائيليين وغيرهم فى مجموعة صحف الميرور مثل « نيكولاس ديفيز » . وأوضح « مالوى » : « ان ماكسويل كان يعمل فى المخابرات خلال الحرب لذلك يمكنه أن يكون مخادعا الى أقصى حد ، لذلك اذا كان يعلم أكثر مما كنت أعلم فإنه من المحتمل تماما أنه يطلعنى على كل شىء » .

وتناولت الصنداى ميرور لصاحبها « روبرت ماكسويل » شيئاً ما ولكن تظل الصنداى تايمز حتى الآن مشهورة بتغطيتها لقصة « فانونو » ولم يكن للمخابرات الاسرائيلية نفوذ بين أهل القمة فى التايمز . وقال « بن مينـاش » : « لم يكن هؤلاء رجالنا . فقد أرادوا القصة الحقيقية » . وكانت الخطوة التالية هى العثور على « فانونو » الذى مازال مختبئا فى لندن واخراجه من انجلترا بشكل أو بآخر .

ويضيف « بن ميناش » : « لم نعرف اسم الفندق الذى يقيم فيه . وطالبنا « نيك » أن يستقصى الأمر ويعرف أين يختبىء هـذا الوغـد الحقيـر . وقـام « نيك » بالمهمة وتمكنا من التقاطه » ، وفى غضون أيام يقول « بن ميناش » أوقعت سيندى هانين بنتوف عميلة الموساد « فانونو » الوحيد الذى لم يكن يعلم شيئا عن الألغام الأرضية ، فى شباكها وأقنعته بالذهاب الى روما .

وانتهى دور « بن ميناش » فى العملية عند هذا الحد ولكنه حافظ على علاقات العمل مع « ديفيز » حتى القاء القبض عليه فى نيويورك عام ١٩٨٩ ، ويقول فى البداية سعى لاخفاء دور « ديفيز » فى صفقات السلاح المستمرة كما يفعل أى عميل مخابرات جيد ولكنه قرر أن يتحدث بعد أن امتنع « ديفيز » عن القيام بأى خطوة من أجل الدفاع عنه . وفى الواقع استخدم « ديفيز » محاميـا فى نيويورك فى محـاولة ناجحة لمقـاومة أى محاولة من جانب محـامى « بن ميناش » لجره فى القضية .

ويزعم « بن ميناش » أنه اذا كان قد اختار ذلك فان « ديفيز » قد يكون قد أثبت لممثلى الادعاء الأمريكيين أن الحكومة الاسرائيلية فرضت حظرا على بيع طائرات « سى - ١٣٠ » الى ايران .

❑❑❑

الفهرس

رقم الايداع ٨٩٩٦ / ١٩٩١
I. S. B. N